

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم شرع سبحانه يقيم الدليل على أنهم من أحاطت به خطيئته فقال :
 « واذ، أى اذكروا ما تعلمون فى كتابكم من حال من كسب سيئة
 حبيطة واذكروا اذ اخذنا، بما لنا من تلك العظمة التى أشهدناكم كثيرا
 منها ميثاقكم ولكنه أظهر لطول الفصل بذكر وصف يعمهم وغيرهم »
 فقال « ميثاق بنى اسرائيل ، ٣ ويجوز أن يكون معطوفا على « نعمتى » فى
 قوله تعالى / : « يبنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم » ، لأن الكل
 فى مخاطبتهم وبيان أمورهم . »

(١) زيد فى م : و (٢) زيد فى ظ : من اليهود . وقد ضرب عليه فى الأصل .
 (٣) و الميثاق هو الذى أخذه تعالى عليهم وهم فى صلب آبائهم كالذر - قاله مكى ،
 أو ميثاق أخذ عليهم وهم عقلاء فى حياتهم على لسان موسى عليه السلام وغيره
 من أنبيائهم - قاله ابن عطية ؛ من البحر المحيط ٢٨٢ / ١ (٤) قال أبو حيان
 الأندلسى : هذه الآية مناسبة للآيات الواردة قبلها فى ذكر توبيخ بنى اسرائيل
 وتقريرهم وتبيين ما أخذ عليهم من ميثاق العبادة لله وإفراذه تعالى بالعبادة
 وما أمرهم به من مكارم الأخلاق من صلة الأرحام والإحسان إلى المساكين
 والمواظبة على ركنى الإسلام : البدن والمالى ، ثم ذكر توبيخهم عن ذلك وتقضهم
 لذلك الميثاق على عادتهم السابقة وطريقتهم المألوفة لهم - انتهى كلامه .

و لما كان الدين إنما هو الأدب مع الخالق و الخلق ذكر المعاهد
 عليه من ذلك مرتباً له على الآحق فالآحق فقال إذا ذكر له في صيغة الخبر
 مريداً به النهي و الأمر و هو أبلغ من حيث أنه كأنه وقع أمثاله
 و مضى و دل على إرادة ذلك بعطف « و قولوا، عليه » لا تعبدون
 ه الا الله، المتعم الأول الذي له الأمر كله ا تكونوا محسنين بذلك
 إحساناً هو الإحسان كله « و أحسنوا ا أو تحسنوا ا « بالوالدين »
 ا ولو كانا كافرين . قال الحرالي: تثنية والد من الولادة لاستبقاء
 ما يتوقع ذهابه بظهور صورة منه تخلف صورة نوعه - انتهى . « احساناً
 عظيماً الا يبلغ كنهه » ، لكونهما في الرتبة الثانية لجعلهما سبحانه السبب
 ١٠ في نعمة الإيجاد الأول و المباشرين للتربية ، و غير السياق فلم يقل :
 ولا تحسنوا . إلا إلى الوالدين ، إيهاماً لأن الإحسان إليهما يشركهما فيه
 من بعدهما ، و جبر فوات هذا الحصر بتقدمهما إيهاماً بالاهتمام
 « و ذى القرنى » . و هم المتوسلون بالوالدين لما لهم من أكيد الوصلة

(١-١) ليست في ظ (٢) زيد في م : بذلك (٣) الوالدان : الأب و الأم، و كل
 منهما يطلق عليه والد، و ظهر الإطلاق الحقيقة ، قال :
 و ذى والد لم يلد له أبوان

و يقال للأم والد و والدة، و قيل : الوالد للأب وحده، و ثنيا تغليبا للذكر...
 وقد تضمنت آى من القرآن و أحاديث كثيرة ذلك حتى عد العقوق من الكبائر.
 و ناهيك احتقلاً بها كون الله قرن ذلك بمعادته تعالى - البحر المحيط ٢٨٣/١ .
 (٤) في ظ : لاستيفاء (ه) في ظ و م : لا تحسنوا ، و ما بعده « إلا إلى الوالدين »
 ليس في م فقط (٦) « و ذى » و أصلها عند سيبويه ذوى و وزنها عنده فعل =
 و اليتيمى

« واليَتيم » لضعفهم ، واليَتيم قال الحرالي فقد الأب حين الحاجة ،
ولذلك أثبتته ٣ مثبت في الذكر إلى البلوغ ، وفي البنت إلى الثبوت لبقاء
حاجتها بعد البلوغ ؛ والفرق فعل من القرابة وهو قرب في النسب
الظاهر أو الباطن - انتهى . . . والمسكين ، لكسرهم .

ولما لم يكن وسع الناس عامة بالإحسان بالفعل ممكننا أمر بجعل هـ

= وعند الخليل زوة من باب خوة وقوة وزنها عنده فعل وهو لازم الإضافة
« القربى » مصدر كالرحمى ، والألف فيه للتأنيث وهى قرابة الرحم والصلب -
البحر المحيط ١ / ٢٨٠ .

(١) وقال الأصمى : اليتيم فى بنى آدم من قبل الأب ، وفى غيرهم من قبل الأم ،
... وأصله الانفراد . فعنى صبى يتيم أى منفرد عن أبيه ، وسميت الدرة التى لا مثيل
لها « يتيمة » لانفرادها - قاله ثعلب . وقيل أصل اليتيم العقلة ، وسمى الصبى يتيما
لأنه يتغافل عن بره ، وقيل أصل اليتيم الإبطاء ومنه أخذ اليتيم لأن البر يبطئ
عنه - قاله أبو عمرو . قال أبو حيان الأندلسى فى تفسير الآية « وذى القربى »
معطوف على قوله « وبأوالدين » وكانت تقديم الوالدين لأنها أكد فى البر
والإحسان ، وتقديم المجرور على العامل اختناء بمتعلق الحرف وهما الوالدان
واهتماما بأمرهما (٢) فى م : عند (٣) فى م : أثبت (٤) جمع مسكين وهو مشتق
من السكون فاليم زائدة كحضر من الحضر ، وقد روى تميمسكن فلان والأصح
فى اللغة تسكن أى صار مسكينا ، وهو مرادف الفقير وهو الذى لا شىء له ،
وقيل هو الذى له أدنى شىء ، وتأخرت درجة المساكين لأنه يمكنه أن يتعهد
نفسه بالاستخدام ويصلح معيشته بخلاف اليتامى فانهم لصغرهم لا ينتفع بهم وهم
محتاجون إلى من ينفعهم - البحر المحيط (٥) قال أبو حيان الأندلسى : لما ذكر بعد
عبادة الله الإحسان لم يذكر وكان أكثر المطلوب فيه الفعل من الصلة والإطعام
والافتقار أعقب بالقول الحسن ليجمع المأخوذ عليه الميثاق امتثال أمر الله تعالى =

ذلك بالقول فقال ١ عطفًا على الخبر الذي معناه الإنشاء ١ : « و قولوا للناس ، عامة » حسنا ٢ أى حسنا بالتحريك و هو لغة فيه ٣ كالْبَحْل و الْبَحْل ٣ ، و ذلك بأن يأمرهم بما أمر الله به ٤ و ينههم عما نهى عنه ٥ . و لما أمرهم بما إن امتثلوه اجتمعت كلمتهم ذكر أعظم جامع على الله من الأعمال فقال : « و اقيموا الصلوة » ٥ ثم ذكر ما به تمام الجمع و دوامه فقال : « و اتوا الزكاة » ، و لما كان الإعراض عن هذه المحاسن فى غاية البعد فكيف إذا كانت بعهد فكيف إذا كان من الله أشار إلى ذلك بأداة التراخي فقال : « ثم توليتم ، أى عن ذلك أو عن كثير منه ، و أشار بصفة التفعل إلى أن الأمور الدينية لحسنها لا يعرض عنها إلا بعلاج ١٠ بين ٦ الفطرة الأولى و الأمانة ٧ الا قليلا منكم و اتم ، أى و الحال أنكم

= فى الأفعال و الأقوال فقال تعالى « و قولوا للناس حسنا » ، و لما كان القول سهلا المرام إذ هو بذل لفظ لا مال كانت متملقه بالناس عموما إذ لا ضرر على الإنسان فى الإحسان إلى الناس بالقول الطيب - انتهى كلامه .

(١-١) ليست فى ظ (٢) العبارة من هنا إلى « نهى عنه » ليست فى ظ (٣-٣) فى م : كالنَجَل و النَّجَل (٤) ليس فى م (٥) و قال المخدم على المهائمي : أكتفى فى الأجانب بالإحسان القولى لأنه لا يتيسر الفعل فى حق العامة ، قدم حق الآدمى على حقه سوى التوحيد لأنه أشد فالنقض فيه أصعب ، ثم قال : « و اقيموا الصلوة » ، العبادة الشاملة للقلب و اللسان و الجوارح « و اتوا الزكاة » المحسنة للأخلاق « ثم توليتم » عن هذه المواثيق كلها « الا قليلا منكم » فكيف يكون العذاب على نقض جميعها أياما معدودة (٦) العبارة من هنا إلى « و الأمانة » ليست فى ظ (٧) و فى م : من .

« معروضون هـ ، أعادتكم ذلك ا ، لم يكن ذلك ٢ منكم عن ٣ غير علم ،
و الإعراض ٤ صرف الشيء إلى المعرض التي هي الناحية ٥ . قال السمين :
وروى عن أبي عمرو وغيره : إلا قليل - بالرفع ٦ ، وفيه ٧ أقوال ، أصحها
رفعه على الصفة بتأويل إلا وما بعدها بمعنى غير - انتهى ٨ . ويأتى إن شاء الله
تعالى بسط هذا الإعراب عند قوله : « فشريوا منه الا قليلا منهم » هـ
ذكر ما يشهد لذلك من التوراة ، قال في السفر الثانى منها لما ذكر أمر
المناجاة وحضورهم عند الجبل : قال الله جميع هذه الآيات كلها : أنا الرب
إلهك الذى ٩ أنصعدتك من أرض مصر من العبودية : الرق ، لا تكون
لك آلهة أخرى ، لا تعملن شيئا من الأصنام والتماثيل التى بما فى السماء
فوق وفى الأرض من تحت وبما فى ١٠ الماء أسفل الأرض ، لا تسجدن
لها ولا تعبدنها ، لأنى أنا الرب . إلهك إله غيور ، أجازى الأبناء بذنوب

(١-١) ليس فى ظ (٢-٢) ليس فى م (٣) فى ظ : من (٤) قال البيضاوى :
قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة ، وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة
إلى جهة العرض (٥) العبارة من هنا إلى « الا قليلا منهم » ليست فى ظ .
(٦) وفى البحر المحيط : ونصب قليلا على الاستثناء وهو الأنصح ، لأن قبله موجب ،
.... ثم بعد البحث ذكر (و قال بعض أهل الإشارات) الأسباب المتقرب
بها إلى الله تعالى اعتقاد وقول وعمل ونية ، فنبه بقوله « لا تعبدون الا الله »
على مقام التوحيد واعتقاد ما يجب له على عباده من الطاعات والخضوع منفردا
بذلك ومالية محضة وهى الزكاة ، وبدنية محضة وهى الصلاة ، وبدنية ومالية
وهو بر الوالدين والإحسان إلى اليتيم والمسكين - انتهى (٧) زيد فى م : ستة .
(٨) فى ظ « التى » خطأ (٩) زيد فى م : الأرض .

الآباء إلى ثلاثة^١ أحقاب^٢ وأربعة من^٣ أعدائي، وأثبت النعمة إلى ألف حقب لأجائي^٤ وحافظي وصايي، لا تقسم بالرب إلهك كذبا، لأن الرب لا يزكي من حلف باسمه كذبا. أكرم أباك وأهلك ليطول عمرك في الأرض التي يعطيكها الرب إلهك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على صاحبك شهادة زور، لا تمن^٥ بنت صاحبك، ولا تشتهن^٦

امرأة صاحبك ولا كل شيء لصاحبك - وكان جميع الشعب يسمعون الأصوات ويرون المصاييح. وقال في موضع آخر من السفر الثالث: لا تسرقوا، ولا تغدروا، ولا تحلفوا باسمي كذبا، ولا تنجسوا اسم الرب إلهكم، أنا الرب وليس غيري، لا تظلمن^٧ صاحبك، ولا تشتمن^٨ الآخرين، ولا تضع عثرة^٩ بين يدي الضريح، اتق الله ربك، لا تحيفوا^{١٠} في القضاء، ولا تأثموا، ولا تحايين^{١١} المسكين ولا تحاب^{١٢} الكبير أيضا بل اقض بالبر والعدل، لا تبغض^{١٣} أخاك في قلبك بل بكت صاحبك

(١) من ظ و م، وفي الأصل ومد: ثلاث (٢) الحقب ثمانون أو أكثر والدرر والسنة أو السنون ج أحقاب وأحقب وحقاب - قطر المحيط ٤٢٩/١ (٣) زيه في ظ: غير (٤) في م: لأجائي (٥) وفي ظ: لا تمن - كذا (٦) وفي ظ: لا تشتمن (٧) من م ومد و ظ، وفي الأصل: لا يظلمن - بصيغة الغائب. (٨) وفي م ومد: عشرة - كذا، والظاهر: عاتورا، والداتور المهلكة من الأرضين وللشرب والبر وما أعد من حفرة ونحوها ليقع فيه أحد - قطر المحيط؛ ولعل المراد من العثرة شيء يزل به ويكبو من الحجر وغيره (٩) حاف عليه يحيف حيفا جار وظلم (١٠) حابي القاضي فلانا في الحكم: مأل إليه منحرفا عن الحق - قطر المحيط (١١) في النسخ كلها: لا تحايي - كذا (١٢) من م ومد و ظ، وفي الأصل: سغض - كذا.

و وبخه بالحق لكيلا يلزمك خطيئة في سبه، ولا تحقدن على أحد بل أحب
صاحبك كما تحب نفسك، ولا تطيروا بسنح الطير، ولا يكون فيكم
عراف، ولا تطولن^٢ شعر رؤسكم، ولا تحلقوا عناق^٣ لحاكم، ولا
تخدشوا وجوهكم على الميت، ولا تكتبوا على لحومكم بالإبر، أنا الله ربكم،
لا تتبعوا العرافين^٤ والقافة^٥ ولا تطلقوا إليهم ولا تسألوه عن شيء^٥
لئلا تنجسوا بهم، أكرم الشيخ وقم إليه إذا رأيته، وأكرم^٦ من هو
أكبر منك، واتق الله ربك، أنا الله ربكم، وإذا سكن بينكم الذي يقبل
إلى فلا تظلموه بل أنزلوه منزلة أحدكم وصيروه منكم، الذين يقبلون
إلى ويسكنون معكم أحبهم كما تحبون أنفسكم لأنكم كنتم سكانا بأرض
مصر، أنا الله ربكم، لا تأثموا في القضاء ولا تأثموا في الأوزان والمكاييل^{١٠}
بل اتخذوا ميزان الحق واتخذوا مكاييل الحق، أنا الله ربكم الذي أخرجكم
من أرض مصر، احفظوا جميع^٧ وصاياي وأحكامي بها، أنا الرب وليس
/ غيري^٨. وقال في الثاني: ومن تبع العرافين والقافة وضل^٩ بهم أنزل

٩٦/

(١) من سنح الطير والطيور وغيرهما سنوحا ضد برح أي مر من المياصر إلى
الليامن، وفي النسخ كلها: بسبع - كذا (٢) في م وم-د: لا يطولن (٣) العنققة
شعيرات بين الشفة السفلى والذقن، وربما أطلقت على موضع تلك الشعيرات
ج: عناق - قطر المحيط (٤) العراف المنجم والكاهن، وقيل العراف يخبر
عن الماضي والكاهن يخبر عن الماضي والمستقبل، وقال الجاحظ: العراف
دون الكاهن (٥) القافة جمع قائف وهو من يعرف الآثار، وفي التعريفات:
القائف هو الذي يعرف النسب بفراسته ونظره إلى أعضاء المولود - قطر
المحيط (٦) في ظ: أكبر (٧) ليس في م (٨) في م: وصلى - كذا بالصاد المهملة.

به غضى الشديد و أهلكه من شعبي^١ ، و أى رجل شتم^٢ والديه^٣ يقتل
 قتلًا ودمه فى عنقه؛ ثم قال بعده: و أى رجل أو امرأة صار عرافًا
 أر منجما يقتلان قتلًا، و يكون قتلها^٤ الرجم بالحجارة، و دمها فى
 أعناقها؛ و قال قبل ذلك: و كل من ضرب رجلًا فمات فليقتل قتلًا،
 ٥ و من ضرب أباه و أمه فليقتل قتلًا،^٥ و من سرق إنسانًا فوجد معه يريد
 بيعه فليقتل قتلًا، و من شتم أباه و أمه فليقتل قتلًا^٦، ثم قال: و لا يؤذّن^٧
 الساكن بينكم و لا تعقوهم^٨ تحوجوهم^٩، لأنكم كنتم سكانًا بأرض مصر،
 و لا تؤذّبوا^{١٠} الأراامل و الأيتام، فان آذيتوهم فصلوا بين يدي أسمع
 صلاتهم و استجب لهم فيشتد غضى و أقتلكم فى الحرب و تكون
 ١٠ نساؤكم^{١١} أراامل و بنوكم يصيرون يتامى، و إن أسلفت رزقك للسكين
 الذى معك من شعبي فلا تكون له كالغريم، و لا تأخذن منه ربا^{١٢}؛ ثم قال:
 و لا تقبلن الرشوة، فان الرشوة تعمى أبصار الحكماء فى القضاء و ترد
 فلج الصالحين.

و لما كان أكر الكبائر بعد الشرك القتل تلاه بالذكر بما أخذ عليهم
 ١٥ فيه من العهد، و قرن به الإخراج من الديار لأن المال عدل الروح و المنزل
 أعظم المال و هو للجسد كالجسد للروح فقال: و إذا أخذنا ميثاقكم،

(١) فى م ومد: شعبه (٢) من م و مد وظ، وفى الأصل: والدته (٣) من م،
 وفى الأصل: قبلها (٤-٥) ليست فى م (٥) فى م ومد: لا تؤذّن (٦) كذا، واعله:
 لا تعقوهم (٧) فى م وظ م: تحوجوهم (٨) من م و مد وظ، وفى الأصل:
 لا تؤذّن (٩) سقط من ظ (١٠) من م و مد وظ، وفى الأصل: ربي.

يا بني إسرائيل «لا تسفكون دماءكم» ١ أى لا يسفك بعضكم ٢ دماء بعض
«ولا تخرجون أنفسكم» باخراج بعضكم لبعض ٣ لأن المتواصلين بنسب أو دين
كالنفس الواحدة ٤ من دياركم» قال الحرالي: وأصلها ما أدارته العرب
من البيوت كالحلقة استحفاظا لما تحويه من أموالها - انتهى .

ولما كانوا قد نكصوا عند حقوق الأمر فلم يقبلوا ما أتاهم من ٥
الخير حتى خافوا الدمار بسقوط الطور عليهم أشار إلى ذلك بقوله
«ثم اقررتهم» أى بذلك كله ٦ بعد لى ٧ و توقف، والإقرار إظهار الالتزام
بما خفى أمره - قاله الحرالي . «و اتم شهدون» ٨ بلزومه و تعانين
تلك الآيات الكبار الملقحة لكم إلى ذلك، وقد مضى مما يصدق هذا

(١) قال أبوحيان الأندلسي في البحر المحيط ١/ ٢٨٨: ظاهر قوله «لا تسفكون
دماءكم» أى لا تفعلون ذلك بأنفسكم لشدة تصيكم وحق يلحقكم، وقيل
معناه لا تسفكوا دماء الناس، فإن من سفك دماءهم سفكوا دمه، وقال:

سفيناهم كأسا سقونا بمثله ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وقيل معناه لا تقتلوا أنفسكم بارتكابكم ما يوجب ذلك كارتداد و الزنا بعد
الإحسان و المحاربة و قتل النفس بغير حق ونحو ذلك مما يزيل عصمة الدماء .

(٢) وفي ظ: دماءكم (٣-٣) ليست في ظ (٤) في م: الخبر (٥-٥) في
ظ: بعدل - كذا (٦) وفي البحر المحيط: أى تعلمون أن الله أخذ عليكم و أراد
على قدامه بنى إسرائيل إن كان الخطاب واردا عليهم، وإن كان على معاصريه
صلى الله عليه وسلم من أبنائهم فمعناه و أنتم تشهدون على أسلافكم بما أخذ الله عليهم
من عاهد إما بالنقل التواتر وإما بما تتلونه من التوراة، وإن كان معنى الشهادة
الحضور فيتعين أن يكون الخطاب لأسلافهم . وقال بعض المفسرين: ثم =

عن التوراة آتفا ما فيه كفاية^١ للوفق ، وسيأتي في المائدة بقيته^٢ ،
 إن شاء الله تعالى . ولما كان هذا بما^٣ أكد^٤ به من ذكر الميثاق في
 مظهر العظمة وإضافة الجناية إلى نفس الجاني جديرا بالبعد منه أشار
 إلى ذلك بقوله « ثم انتم هؤلاء » . الحقيرون المقدور عليهم^٥ المجهولون
 الذين لا يعرف لهم اسم يتادون به ، أو الموجودون الآن ؛ ثم استأنف
 البيان عن هذه الجملة فقال^٥ « تقتلون انفسكم » من غير التفات إلى هذا
 العهد الوثيق « وتخرجون فريقا منكم^٦ ، أى ناسا هم أشقاء^٧ لكم فهم
 جديرون منكم بالإحسان لا بالإخراج « من ديارهم » .

ولما كان من المستبعد^٨ جدا بعد الاستبعاد الأول أن يقعوا في

= اقرتم « عائد إلى الحلف ، « وانتم تشهدون » عائد إلى السلف ، لأنهم عاينوا
 سفك دماء بعضهم بعضا ، وقال « انتم تشهدون » لأن الأوائل والأصاغر صاروا
 كالشيء الواحد ، فلذلك أطلق عليهم خطاب الحضرة .

(١) في ظ : كناية (٢) ليس في م (٣) في م : بما (٤-٤) ليس في م (٥-٥) ليست
 في ظ (٦) العبارة من هنا إلى « لا بالإخراج » ليست في ظ (٧) والأشقاء واحد
 الشقيق . والشقيق العجل إذا استحكم وكل ما انشق نصفين فكل منهما شقيق
 الآخر ، والأخ من الأب والأم - قطر المحيط ، والمراد هنا معناه الثاني ويدل
 عليه ما ذكره أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط بما نصه : هذا نزل في بني
 قينقاع وبني قريظة والنضير من اليهود ، كان بنو قينقاع أعداء قريظة والنضير ،
 والأوس والخزرج أخوان ، والنضير وقريظة أيضا أخوان ، ثم اقرقوا فصارت
 النضير حلفاء للخزرج وقريظة حلفاء الأوس ، فكانوا يقتلون ثم يرتفع الحرب
 فيفدون أسراهم فيعيرهم الله بذلك - قاله المهدي (٨) وقع في ظ : المستبعد - كذا
 مصحفا .

ذلك على طريق العدوان استأنف البيان لذلك بقوله «تظهرون»
 أى تتعاونون، من التظاهر^٢ وهو تكلف المظاهرة وهى تساند القوة
 كأنه استناد ظهر إلى ظهر - قاله الحرالى . «عليهم بالاثم»^٣، أى مصاحبين
 للاثم وهو أسوأ الاعتداء فى قول أو فعل أو حال، ويقال لكذب:
 أثوم، لاعتدائه بالقول على غيره، و الإثم الخسر لما يقع بها من العداوة^٥
 والعدوى - قاله الحرالى . «والعدوان»^٤، أى والامتلاء فى مجاوزة
 الحدود^٥، وان ياتوكم، أى هؤلاء الذين تعاوتتم أو عاوتتم عليهم «السرى»
 جمع أسرى جمع أسير، وأصله المشدود بالأسر، وهو القدر وهو ما يقدر أى
 يقطع من السير «تقدوهم»^٦، أى تخلصوهم بالمال^٥، من الفداء وهو الفكك
 بعوض، و«تقدوهم» من المفاداة وهى الاستواء فى العوضين - قاله الحرالى .
 ثم أكد تحريم الإخراج بزيادة الضمير والجملة الاسمية فى قوله^٧:

(١) ليس فى م (٢) ذكر أبو حيان خمس قراءات ومعناها كلها التعاون
 وانتاصر، وروى أبو العالية قال: كان بنو إسرائيل إذا استضعفوا قوما
 أخرجوهم من ديارهم (٣) «عليهم بالاثم» فيه قولان: أحدهما أنه الفعل الذى
 يستحق عليه صاحبه الذم واللوم، والثانى أنه الذى تنفر منه النفس ولا يطمئن
 إليه القلب، وفى حديث النواس: الإثم ما حاك فى صدرك، وقيل المعنى
 تظهرون عليهم بما يوجب الإثم، وهذا من إطلاق السبب على مسببه،
 ولذلك سميت الخمر إثماً كما قال: شربت الخمر حتى ضل عقلى - البحر المحيط .
 (٤) قال المحذوم على المهاشمى: أى بما هو معصية فى نفسه وتعد على أخيه، وقال
 أبو حيان: العدوان هو تجاوز الحد فى الظلم (هـ - هـ) ليست فى ظ (٦) وقال
 أبو على: معنى «تقدوهم» فى اللغة تطلقونهم بعد أن تأخذوا عنه شيئاً، وفاديت
 نفسى أى أطلقتها بعد أن دفعت شيئاً (٧) فى م: فقال .

« وهو محرم ، من التحريم وهو تكرار الحرمة بالكسر وهى المنع من الشيء لدنائه ، والحرمة بالضم المنع من الشيء لعلوه - قاله الخراي : عليكم ،^٢ ولما كان يُظن أن الضمير للفداء عنه فقال^٣ « اخراجهم ، ثم أنكروا عليهم التفرقة بين الأحكام فقال : « افتؤمون ببعض الكتب ، أى التوراة وهو الموجب للفداء » وتكفرون ببعض ، وهو المحرم للقتل والإخراج ، ثم سبب عن ذلك قوله « فاجزاء من يفعل ذلك ،^٤ الأمر العظيم الشناعة^٥ » منكم الاخرى ، ضد ما قصدتم بفعلكم من العز ، والخزى إظهار القبائح التى يستحي من إظهارها عقوبة - قاله الخراي .^٦ فى الحيوة الدنيا ، تعجيلا للعقوبة^٧ له فى الدار التى جعلها محط^٨ قصده .

(١) فى ظ : هى (٢) قال أبو حيان الأندلسى : تقدمت أربعة أشياء : قتل النفس والإخراج من الديار والتظاهر والمفاداة ، وهى محرمة واختص هذا القسم بتأكيد التحريم وإن كانت كلها محرمة لما فى الإخراج من الديار من معرفة الجلاء والنفى الذى لا ينقطع شره إلا بالموت وذلك بخلاف القتل لأن القتل وإن كان من حيث هو هدم البنية أعظم لكن فيه انقطاع الشر ، وبخلاف المفاداة بها فإنها من جريرة الإخراج من الديار ، والتظاهر لأنه لولا الإخراج من الديار والتظاهر عليهم ما وقعوا فى قيد الأسر (٣-٣) ليست فى ظ (٤) زيد فى م ومد : أى (٥) وفى البحر المحيط ٢٩٣/١ : الجزاء يطلق فى الخير والشر ، قال « وجزئهم بما صبروا » وقال « بجزأه جهنم » والخزى هنا الفضيحة والعقوبة والقصاص فيمن قتل ، أو ضرب الجزية غابر الدهر ، أو قتل قريظة وإجلاء النضير من منازلهم إلى أريحا وأذرعات ، أو غلبة العدو - أقوال خمسة (٦) العبارة من هنا إلى « قصده » ليست فى ظ (٧) فى م : محل .

وقد فعل سبحانه ذلك بأنواع الذل القتل فما دونه. ﴿ويوم القيمة﴾
 هي فعالة تفهم فيها التاء المبالغة والغلبة، وهو قيام أمر مستعظم، والقيام
 هو الاستقلال بأعباء ثقيلة ﴿يردون^٢﴾ أي بالبعث، والرد هو الرجوع
 إلى ما كان منه بدء المذهب - قاله الحرالي - ﴿إلى أشد العذاب^٣﴾ لأنه
 الحزى الأعظم.

٥

^١ ولما كانت المواجهة بالتهديد أدل على الغضب الفت إليهم في
 قراءة الجماعة فعطف على ما تقديره^١ ذلك بأن الله عالم بما قصدتموه في
 ذلك فهو يجازيكم بما تستحقون قوله ﴿وما الله﴾ أي المحيط علما وقدره^٢
 ﴿بغافل عما﴾ أي عن شيء بما^٣ ﴿تعملون^٤﴾ من ذلك ومن غيره،
^٦ وقراءة نافع وابن كثير بالغيب على الأسلوب الماضي^١.

١٠

(١) في ظ: هي (٢) ومعنى «يردون» يصيرون فلا يلزم كينونتهم قبل ذلك في
 أشد العذاب، أو يراد بالرد الرجوع إلى شيء كانوا فيه كما قال تعالى «فرددنه
 إلى أمه» وكانهم كانوا في الدنيا في أشد العذاب أيضا لأنهم عذبوا في الدنيا
 بالقتل والسبي والجلاء وأنواع من العذاب - قاله أبو حيان الأندلسي (٣) العبارة
 من هنا إلى «الحرالي» ليست في م (٤) زيد هنا «و» في الأصل فقط (هـ) و«أشد
 العذاب» الخلود في النار، وأشديته من حيث أنه لا قضاء له، وأنواع
 عذاب جهنم لأنها درجات مختلفة وفيها أودية وحيات، أو العذاب لا فرح فيه
 ولا روح مع اليأس من التخلص - البحر المحيط (٦-٦) ليست في ظ (٧) في
 م ومد: ما (٨) قال أبو حيان: وهذه الآية من أوعظ الآيات إذ المعنى أن الله
 بالمرصاد لكل كافر وعاص.

/٩٧

ولما كانت هذه الآيات كلها كالدليل على قوله تعالى "وضربت عليهم الذلة والمسكنة - ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله" كانت فذلكه ذلك / قوله تعالى ﴿اولئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿الذين اشتروا﴾ أى لجوا فأخذوا ﴿الحياة الدنيا﴾ على خساستها ﴿بالآخرة﴾ مع نفاستها،
 هـ الدنيا فعلى من الدنو وهو الأنزل رتبة، فى مقابلة عليا، ولأنه لزمها العاجلة صارت فى مقابلة الآخرة اللازمة للعلو، فى الدنيا نزول قدر وتعجل وفى الآخرة علو قدر وتأخر، فتقابلتا على ما يفهم تقابلين من معنى كل واحدة منهما - قاله الحرالى . [فالأية من الاحتباك، ذكر الدنيا أولا يدل على حذف العليا ثانيا، وذكر الآخرة ثانيا يدل على حذف العاجلة أولا] .

﴿فلا﴾ أى قسب عن ذلك أنه لا يخفف من التخفيف وهو

(١-١) ليست فى ظ (٢) زيد فى مد: العاجلة (٣) زيد فى مد: العالية (٤) ليس فى م. (هـ) وقال أبو حيان الأندلسى : وفى اسم الإشارة دليل على أنه أشير به إلى الذين جمعوا الأوصاف السابقة الذميمة . . . وتقدم أن الشراء أو البيع يقتضيان عوضا ومعوضا أعيانا، فتوسعت العرب فى ذلك إلى المعانى وجعل إيثارهم بهجة الدنيا وزينتها على النعيم السرمدى اشتراء إيثارا للعاجل الفانى على الآجل الباقي، إذ المشتري ليس هو المؤثر فى تحصيله والتمن المبذول فيه مرغوب عنه عنده ولا يفعل ذلك إلا مغبون الرأى فاسد العقل . قال بعض أرباب المعانى : إن الدنيا ما دنا من شهوات القلب، والآخرة ما اتصلت برضا الرب - انتهى كلامه .
 (٦) العبارة المحجوزة زيدت من م ومد (٧) فى م: عطف (٨) قال أبو حيان الأندلسى : والتخفيف هو التسهيل، وقد حمل نفي التخفيف على الاتقطاع، =

مسير الثقيل والمستغل إلى حال الطافى المستغلى كحال ما بين الحجر والهواء^١ - قاله الحرالي. ﴿عنه العذاب﴾ في واحدة من الدارين ﴿ولا هم ينصرون﴾ وهو أيضا من أعظم الأدلة على خذلان من غزا لأجل المغنم^٢ أو غل^٣، وقد ورد في كثير من الأحاديث والآثار التصريح بذلك، منها ما رواه مالك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب؛ وهو أيضا شرع قديم ففي سفر يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام أنه لما فتح مدينة^٤ أريحا^٥ بعد موت موسى عليه السلام بعث إلى مدينة^٦ عاي ثلاثة آلاف مقاتل ليفتحوها، فقتل منهم أهل عاي جماعة وهزمهم، فاضطربت قلوبهم وصارت كالماء، فسجد يشوع^٧ على الأرض^٨ أمام تابوت الرب هو ومشخة بني^٩ إسرائيل، فقال له الرب: انهض قائما، وأخبره أن قومه قد غلوا فلا يقدرّون الآن أن يثبتوا لأعدائهم حتى ينحوا الحرام عنهم، وقال الله له: وإذا كان غد فقدموا أسباطكم ليقترعوا، والسبط الذى تصيبه قرعة الرب تتقدم عشائره، والعشيرة التى تصيبها القرعة تتقدم بيوتاتها، والبيت الذى يصيبه^{١٠} قرعة الرب^{١١} = وحمل أيضا على التشديد، والأولى حمله نفي التخفيف بالانقطاع أو بالتقليل منه، أو في وقت، أو في كل الأوقات؛ لأنه نفي لاهية فيستلزم نفي أشخاصها وصورها، والظاهر من النفي بلا والكثير فيها أنه نفي المستقبل - انتهى كلامه.

(١) ليس في ظ (٢) في م: الهوى (٣) وقع في ظ: المقيم - مصحفا (٤) في م: غلى - كذا (هـ) ليست في ظ (٦) في الأصل: أريحا، كذا، وضبطه في معجم البلدان وقال: بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة والهاء مهملة والقصر وقد رواه بعضهم بالحاء المعجمة لغة عبرانية - الشيخ (٧) في م: يوشع (٨) في م: بنوا - كذا. (٩) في ظ و م: تصيبه.

و يصاب الحرام عنده يحرق بالنار هو وكل شيء له ، لأنه تعدى على
 أمر الرب ولأنه أثم بإسرائيل ؛ ففعل ما أمره الرب ، فأصابته القرعة
 عاجار بن كرمي من سبط يهودا^١ ، فأحضره وبنيه وبناته ومواشيه
 وخيمته وكل من كان له^٢ ، فأصعدهم إلى غور عاجار ، ورجعهم جميع
 ٥ بني إسرائيل بالحجارة ، وأحرقوهم بالنار ، وجعلوا فوقه تلا من الحجارة
 الكبار إلى اليوم ، ولذلك دعى^٣ اسم ذلك الموضع غور عاجار إلى
 اليوم ، ثم أتوا من الغد إلى عاي^٤ فقتلوا جميع من فيها من بني آدم
 الذكور والإناث وأحرقوها .

و لما بين لهم أنهم نقضوا العهود فأحاطت بهم الخطايا فاستحقوا الخلود
 ١٠ في النار توقع السائل الإخبار عن سبب وقوعهم في ذلك هل هو جهل
 أو عناد فبشع سبحانه ذلك عليهم بما اقتضه بحرف التوقع فقال : ﴿ و لقد ° ﴾

(١) في م : يهوذا - بالذال المعجمة (٢) في ظ : لهم (٣) في م : دعا (٤) في ظ :
 عادى (٥) وفي البحر المحيط : ومناسبة هذا لما قبله أن إتياء موسى الكتاب هو نعمة
 لهم إذ فيه أحكامهم وشرائعهم ثم قابوا تلك النعمة بالكفران ، وذلك جرى على
 ما سبق من عادتهم إذ قد أمروا بأشياء ونهوا عن أشياء فخالفوا أمر الله
 ونهيه ، فناسب ذكر هذه الآية قبلها . والإتياء الإعطاء . فيحتمل أن يراد به
 الإنزال لأنه أنزل عليه جملة واحدة . ويحتمل أن يراد آتياءه ، أي إتياءه ما انطوى
 عليه من الحدود والأحكام والأنباء والقصص وغير ذلك مما فيه ، فيكون على
 حذف مضاف آتياء موسى علم الكتاب أو فهم الكتاب - انتهى كلامه .

باللام التي هي توكيد لمضمون الكلام، و "قد" هي لوقوع مرتقب بما كان خبراً أو مما سيكون علماً - قاله الحرالي . ﴿ اتينا ﴾ [أى - ٢] بعظمتنا ٣ ﴿ موسى الكتب ﴾ أى نقصتم تلك العهود مع أن عندكم فيها كتاب الله التوراة تدرسونه كل حين ، فلم ندعكم هملاً بعد موسى عليه السلام بل ضبطنا أمركم بالكتاب ٤ ﴿ وقفينا ﴾ من التقية ٥ و هي متابعة شيء شيئاً ٥ كأنه يتلو قفاه ، و قفاه الصورة منها خلفها المقابل للوجه - قاله الحرالي . ﴿ من بعده ﴾ أى بعد موسى ٦ ﴿ بالرسل ﴾ أى ثم لم تقتصر على الضبط بالكتاب الذى تركه فيكم موسى بل و اترنا ٧ من بعده إرسال الرسل

(١) زيد فى الأصل وم ومد " و " ولم تكن الزيادة فى ظ نخذفناها (٢) زيد من م ومد (٣) سقط من ظ (٤) قال على المهاشمي : ثم أشار إلى أنه لو كان عليهم العذاب بالقتل والإخراج و المعاونة فكيف يهون على تقضى ميثاق الإيمان بالرسل الذى هو بمنزلة التوحيد و على قتلهم فقال ﴿ ولقد اتينا موسى الكتب ﴾ المشتمل على المواثيق كلها و أكدها الإيمان بالرسل الذين يأتون بعده - انتهى كلامه (٥) العبارة من هنا إلى « الحرالي » ليست فى م (٦) وفى البحر المحيط ٢٩٦/١ : قفوت الأثر اتبعته ؛ و الأصل أن يحى الإنسان تابعا لبقا الذى اتبعه ؛ ثم توسع فيه حتى صار لمطلق الاتباع و إن بعد زمان المتبوع من زمان التابع ، وقال أمية :

قالت لأخت له قصيه عن جنب و كيف تقفوا لا سهل ولا جدد

(٧) قال أبو حيان ﴿ من بعده ﴾ لا ابتداء الغاية و هو ظاهر لأنه يحكى أن موسى لم يمت حتى نبي يوشع (٨) من م ومد ، وفى الأصل : و اترناه ، وفى ظ : و اترنا .

مواترة ، وجعلنا بعضهم في قضاء بعض ليجددوا لكم أمرا الدين و يؤكدوا
عليكم العهود و الرسالة انبعث أمر من المرسل إلى المرسل إليه ﴿وايتنا﴾
بما لنا من العظمة ٢ ﴿عيسى﴾ ٣ اسم معرب . أصله يسوع ٣ ﴿ابن مريم﴾ ٤
الذي أرسلناه ٥ لنسخ بعض التوراة و تجديد ما درس من بقيتها ﴿الديت﴾
من الآيات العظيمة التي ١ لا مزية فيها ١ لذي عقل ٢ ، والبيئة من القول
و الكون ما لا ينازعه منازع لوضوحه - قاله الحرالي . ﴿وايدنه﴾ أي

(١) في مد: من (٢ - ٢) ليست في ظ (٢ - ٢) ليست في مد . قال أبو حيان:
عيسى اسم أعجمي ، علم لا يصرف للعجمة و العلمية ، و وزنه عند سيبويه فعلى
و الياء فيه ملحقة ببنات الأربع بمنزلة ياء معزى - يعنى بالياء الألف سماها ياء
لكتابتهم إياها ياء ؛ و قال أبو علي : و ليست للتأنيث كالتى في ذكرى بدلالة صرفهم
له في النكرة (٤) مريم باللسان السرياني معناه الخادم ، و سميت به أم عيسى فصار
علما فامتنع الصرف للتأنيث و العلمية ، و مريم باللسان العربى من النساء كالزيد
في الرجال و به فسر قول رؤبة :

قلت لوزير لم تصله مريمه

ووزير الذى يكثر خلطة النساء و زيارتهن .

(هـ) في م: أرسلنا (٦ - ٦) في ظ: لا مزية فيها ، و في م: لا مزية فيها (٧) و هى
الحجج الواضحة الدالة على نبوته ، فيشمل كل معجزة أو نبيا عيسى عليه السلام .
و هذا هو الظاهر ، و قيل : الإنجيل ، و قيل : الحجج التى أقامها الله على اليهود
.... و أبجل الله ذكر الرسل و فصل ذكر عيسى لأن من قبله كانوا متبعين
شريعة موسى ، و أما عيسى فنسخ شرعه كثيرا من شرع موسى - قاله أبو حيان
الأندلسي (١ / ٢٩٩) .

قويناه ١ على ذلك كله ، من التأيد وهو من الأيد وهو القوة ، كأنه يأخذ معه يده في الشيء الذي يقويه فيه ، كأخذ قوة المظاهرة من الظهر ، لأن الظهر موضع قوة الشيء في ذاته ، واليد موضع قوة تناوله لغيره - قاله الحرالي . ﴿روح القدس﴾ أي الروح الطاهر وهو جبريل عليه السلام كما أيدنا به غيره ٢ من أولى العزم . قال الحرالي : و الروح لمحة من لمحات ه أمر الله ، وأمر الله قيوميته في كلية خلقه ملكا وملكوتا ، فاهو قوام الخلق كله ملكا وملكوتا هو الأمر "الاله الخلق والأمر" ، وما هو قوام صورة من جملة الخلق هو الروح الذي هو لمحة من ذلك الأمر ؛ ولقيام عالم الملكوت وخصوصا جملة العرش بعالم الملك وخصوصا أمر الدين الباقي سماه الله روحا ٣ ، ومن أخصهم روح القدس ، والقدس ١٠

(١) ﴿وايدنه﴾ قرأه الجمهور على وزن فعلناه ، وقرأ مجاهد والأعرج وحيد وابن محيصن وحسين عن أبي عمرو «أيدناه» على وزن أفعلناه و فرق بعضهم بينهما فقال : أما المد ففعلناه القوة ، وأما القصر فالتأيد والنصر ، والأصح أنهما بمعنى قويناه وكلاهما من الأيد وهو القوة - قاله أبو حيان الأندلسي .
(٢) العبارة من هنا إلى « فلما سمع يسوع » ليست في م (٣) وفي البحر المحيط : و الروح هنا اسم الله الأعظم الذي كان به عيسى عليه السلام يحيا الموتى - قاله ابن عباس ، أو الإنجيل كما سمي الله القرآن روحا ، قال تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحا من امرنا » قاله ابن زيد ، أو الروح التي تفخها تعالى في عيسى عليه السلام ؛ أو جبريل عليه السلام - قاله قتادة والسدي والضحاك و الربيع و نسب هذا القول لابن عباس - قاله ابن عطية ، وهذا أصح الأقوال ، وقد =

== قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: اهـج قريشا وروح القدس معك، ومرة قال له: وجبريل معك - انتهى كلامه؛ قالوا: ويقوى ذلك قوله تعالى "إذ أيدتك بروح القدس" وقال حسان:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاه

و تسمية جبريل بذلك لأن الغائب على جسمه الروحانية وكذلك سائر الملائكة، أو لأنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح، فانه هو المتولى لإنزال الوحي؛ أو لتكوينه روحا من غير ولادة وتأيد الله عيسى بجبريل عليهما السلام لإظهار حجته وأمر دينه، أو لدفع اليهود عنه إذ أرادوا قتله، أو في جميع أحواله؛ واختار الزمخشري أن معناه بالروح المقدسة، كما يقال حاتم الجود ورجل صدق، ووصفها بالقدس كما قال "روح منه" فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة - انتهى. وقد تقدم معنى القدس أنه الطهارة والبركة؛ وقال مجاهد والربيع: القدس من أسماء الله تعالى كالقدوس، قالوا: وإطلاق الروح على جبريل وعلى الإنجيل وعلى اسم الله الأعظم مجاز، لأن الروح هو الريح المتروك في مخارق الإنسان في منافذه، ومعلوم أن هذه الثلاثة ما كانت كذلك، إلا أن كلا منها أطلق الروح عليه على سبيل التشبيه، من حيث أن الروح سبب للحياة، بجبريل هو سبب حياة القلوب بالعلوم، والإنجيل سبب لظهور الشرائع وحياتها، والاسم الأعظم سبب لأن يتوصل به إلى تحصيل الأغراض؛ والمشابهة بين جبريل والروح أتم ولأن هذه التسمية فيه أظهر، ولأن المراد من "أيدته" قوينا وأعنا وإسنادها إلى جبريل حقيقة وإلى الإنجيل والاسم الأعظم مجاز، ولأن اختصاص عيسى بجبريل من أكد وجوه الاختصاص، إذ لم يكن لأحد من الأنبياء مثل ذلك، لأنه هو الذي بشر مريم بولادته، وتولد عيسى بنفخه، ورباه في جميع الأحوال، وكان يسير معه حيث سار، وكان معه حيث صعد إلى السماء.

الطهارة العلية التي لا يلحقها تنجس على ما تقدم، ومن أخص الروح به جبريل عليه السلام بما له من روح الأمر الديني، وإسرافيل عليه السلام بما له من روح النفخ الصوري - انتهى . وقد كان لعيسى عليه السلام بالروح مزيد اختصاص لكثرة ما أحيى من الموتى؛ والمعنى فعلنا بكم يا بني إسرائيل ذلك ولم تزالوا في عهد جميع من ذكر ناقضين للعهد، فلا أحد أحق منكم بالخلود في النار، ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم فلم تصدقوه. ذكر شيء من الإنجيل يدل على أنه عليه السلام أتى بالبينات مع تأييده بروح القدس مستخلصا من الأناجيل الأربعة وقد جمعت بين ألفاظها، قال متى - ومعظم السياق له: فلما / سمع يسوع^١ أن يوحنا - ٩٨ / يعني يحيى ابن زكريا عليهما السلام - قد اسلم - يعني خذله أصحابه - ١٠ مضى^٢ إلى الجليل^٣ وترك الناصرة وجاء وسكن كفرناحوم^٤ التي على ساحل البحر في تخوم^٥ زابلون^٦ وبقثاليم^٧ ليكمل ما قيل في أشعيا النبي إذ يقول: أرض زابلون^٨ أرض بقثاليم^٩ طريق البحر عبر^{١٠} الأردن جليل الأمم الشعب الجالس في الظلمة أبصر نورا عظيما الجلوس في الكورة وظلال الموت نورا أشرق عليهم، ومن ذلك الزمان بدأ يسوع^{١١} يكرز^{١٢} ويقول: توبوا فقد اقتربت ملكوت السماوات . وقال مرقس: ومن بعد حبس^{١٣} يوحنا وإني يسوع^{١٤} إلى الجليل^{١٥} يكرز^{١٦} بالإنجيل

(١-١) ليست في ظ (٢) في ظ: يشوع (٣) في ظ: مطي (٤) في م: الجبل، وجبل الجليل بالقرب من دمشق - راجع معجم البلدان (٥) مدينة في فلسطين (٦) من ظ وم ومد بمعنى الحدود، وفي الأصل: تخوم (٧) كذا، وزبولون منطقة في شمالي فلسطين (٨) كذا في الأصل، وفي ظ: يفتاليم، في م ومد: يفتاليم (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: غير (١٠) من ظ ومد: أي يعظ وينادي، وفي الأصل وم: يكرر - كذا (١١) في م: جلس (١٢) من م ومد وظ، وفي الأصل: يكرر.

ملکوت الله قائلاً: قد کمل الزمان وقربت ملکوت الله! فتوبوا
و آمنوا بالإنجيل . قال متى: وكان يمشى على بحر الجليل فأبصر أخوين
سمعان الذى يدعى بطرس و اندراوس أخاه يلقيان شباكهما في البحر
لأنهما كانا صيادين، فقال لهما: اتبعاني أجعلكما تكونان صيادي الناس،
و للوقت تركا شباكهما و تبعاه؛ و جاز من هناك فرأى أخوين آخرين^٥
يعقوب بن زبدي و يوحنا أخاه في سفينة مع أبيهما زبدي يصلحون
شباكهم فدعاهما، فللوقت تركا السفينة و أباهما زبدي و تبعاه . و في
إنجيل يوحنا بعد قصة يحيى بن زكريا الآتية^٦ في آل عمران: هذا كان
في بيت عينا في عبر^٧ الأردن حيث كان يوحنا يعمد، و من الغد نظر
يسوع^٨ مقبلاً إليه فقال: هذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم! هذا
ذلك الذى قلت من أجله: إنه يأتى و هو كان قبلى لأنه أقدم منى و أنا
لم أكن^٩ أعرفه لكن ليظهر لإسرائيل، من أجل هذا جئت أنا^{١٠} لأعمد
بالما^{١١}؛ و شهد يوحنا و قال: إني رأيت الروح نزل من السماء مثل حمامة
و حل عليه و لم أعرفه، لكن من أرسلنى لأعمد بالما هو الذى قال:
الذى ترى الروح ينزل و يثبت عليه هو يعمد بروح القدس، و أنا عاينت
(١) التصحيح من ظ و م و مد، و في الأصل: قوت - كذا (٢) العبارة من
هنا إلى « تركا شباكهما » ليست في م (٣) ليس في مد (٤) في م فقط: الآية -
كذا مصحفاً (٥) في م: عين (٦) في ظ: يشوع (٧) ليس في م (٨) في ظ: انى .
(٩) كذا في الأصول كلها، و لعله: بلما؛ و البلم محرّكة صفار السبك، و في
الحديث: طبعام أهل الجنة بالام و نون و فسره عياض و الخطاى بالثور، و النون
الحوت، قالوا و هى لفظة عبرانية - تاج العروس (بلم) .

و شَهِدَتْ : و فِي الْيَمِينِ كَانَ يوحنا واقفاً و اثْنَانِ مِنْ تِلَامِيذِهِ فَنَظَرَ يَسُوعُ
 قِيَالاً : هَذَا حَمَلُ اللَّهِ ! فَسَمِعَ تَلْمِيذَاهُ كَلَامَهُ فَتَبِعَا يَسُوعَ ١ ، فَانْتَفَتَّ يَسُوعُ ١
 فَرَأَاهُمَا يَتَّبِعَانِهِ فَقَالَ لَهُمَا : مَاذَا تَرِيدَانِ ؟ قَالَا ١ لَهُ : رَبِّي - الَّذِي تَأْوِيلُهُ
 يَا مَعْلَمَ - أَيْنَ تَكُونُ ؟ فَقَالَ لَهُمَا : تَعَالِيَا لَتَنْتَظِرَا ، فَأَتِيَا وَأَبْصِرَا مَوْضِعَهُ أَيْنَ
 يَكُونُ ، وَأَقَامَا عِنْدَهُ يَوْمَئِذٍ ذَلِكَ وَكَانَ نَحْوَ عَشْرِ سَاعَاتٍ ، وَ إِنْ وَاحِدًا مِنْ ه
 الَّذِينَ سَمِعَا مِنْ يوحنا وَ تَبِعَا يَسُوعَ ١ كَانَ اندراوس أَخَا سَمْعَانَ وَ إِيَّاهُ
 أَبْصَرَا وَ لَا سَمْعَانَ أَخَاهُ وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَجَدْنَا مَسِيحًا - الَّذِي تَأْوِيلُهُ الْمَسِيحُ -
 فَجَاءَ بِهِ إِلَى يَسُوعَ ١ ؛ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعَ ١ قَالَ لَهُ : أَنْتَ سَمْعَانُ بْنُ يُونَا [ن]
 الَّذِي يُدْعَى الصَّفَا - الَّذِي تَأْوِيلُهُ بطرس . وَ مِنْ الْغَدِ أُرَادُ الْخُرُوجَ إِلَى الْجَلِيلِ
 فَلَمَّا قَالَ فِيلِيسُ نَاتَانَايِيلُ ٣ وَقَالَ لَهُ : الَّذِي كَتَبَ مُوسَى مِنْ أَجْلِهِ فِي النَّامُوسِ ١٠
 وَ الْإِنْشَاءِ ٤ وَ جَدْنَاهُ وَهُوَ يَسُوعَ ١ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ ، فَقَالَ لَهُ نَاتَانَايِيلُ ٥ :
 هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّاصِرَةِ شَيْءٌ فِيهِ صِلَاحٌ ؟ فَقَالَ لَهُ فِيلِيسُ : تَعَالِ
 وَ انْظُرْ ، فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ نَاتَانَايِيلُ ٦ مُقْبِلًا إِلَيْهِ قَالَ : مِنْ أَجْلِهِ هَذَا حَقًّا
 إِسْرَائِيلِي ٧ لَا غُشَّ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ ٨ نَاتَانَايِيلُ ٩ : مَنْ أَيْنَ تَعْرِفُنِي ؟ فَقَالَ لَهُ ١٠
 يَسُوعَ : قَبْلَ أَنْ يَدْعُوكَ فِيلِيسُ وَأَنْتَ تَحْتَ التِّينَةِ ١٠ رَأَيْتَكَ ، ١٥
 فَقَالَ لَهُ : يَا مَعْلَمَ ! أَنْتَ هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ ، قَالَ لَهُ يَسُوعَ : لِأَنِّي قُلْتُ لَكَ

(١) فِي ظ وَ مَد : يَسُوعَ (٢) فِي م : فَقَالَا (٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ وَ ظ ، وَ فِي م :
 بِأَيَّانَايِيلَ ، وَ فِي مَد : نَاتَانَايِيلَ (٤) لَيْسَ فِي م (٥) فِي م : بِأَيَّانَايِيلَ ، وَ فِي مَد : نَاتَانَايِيلَ .
 (٦) فِي م وَ مَد : نَاتَانَايِيلَ (٧) فِي م فَقَط : إِسْرَائِيلَ (٨) فِي مَد : نَاتَانَايِيلَ (٩) لَيْسَ فِي
 م وَ مَد (١٠) الْعِبَارَةُ مِنْ هُنَا إِلَى كَلِمَةِ « التِّينَةِ » الْآيَةُ لَيْسَتْ فِي م .

إني رأيتك تحت التينة آمنت سوف تعانين ما هو أعظم من هذا، وقال له: الحق الحق أقول لكم، إنكم من الآن ترون السماء مفتحة و ملائكة الله ينزلون و يصعدون على ابن البشر. وفي اليوم الثالث كان عرش في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك و دُعي يسوع و تلاميذه إلى العرش و كان الخمر قد فرغ، فقالت أم يسوع له: ليس لهم خمر، فقال لها يسوع: ما لي و لك أيتها المرأة لم تأت مساعتي بعد؟ فقالت أمه للخدام: افعلوا ما يأمركم به، وكان هناك ستة أجاجين من حجارة موضوعة لتطهير اليهود تسع^٥ كل واحدة ٣ مطرين أو ثلاثة. فقال لهم يسوع: املاؤا الأجاجين ماء، فملأوها إلى فوق، وقال لهم: اغرفوا الآن و ناولوا^{١٠} رئيس السقا، فلما ذاق رئيس السقا ذلك الماء المتحول خزا لم يعلم من أين هو، فدعا رئيس السقا العريس وقال له: كل إنسان إنما يأتي بالشراب الجيد أولا فإذا سكروا عند ذلك يأتي بالدين و أنت أبقيت الجيد إلى الآن! هذه الآية الأولى التي فعلها يسوع في قانا الجليل و أظهر مجده و آمن به تلاميذه. و بعد هذا انحدر^{١٥} إلى كفرناحوم هو و أمه و إخوته و تلاميذه فأقاموا هناك أياما يسيرة؛ ثم قال: و علم السيد يسوع أن الفريسيين سمعوا أنه قد انحدر تلاميذ كثيرة و أنه يعتمد أكثر من يوحنا إذ ليس هو يعتمد بل

(١) من م و مد، وفي الأصل: قانا، وفي متن ظ: يوقانا، و بهامشه: أي مدينة.
(٢) في م و مد: يسع (٣) في مد: واحد (٤) من م و مد وظ، وفي الأصل، ناولوا - كذا (٥) في ظ: انخر - كذا.

تلاميذه فترك اليهودية ومضى إلى الجليل وكان قد أزمع أن يعبر على موضع السامرة، فأقبل إلى مدينة السامرة التي تسمى بسوخارا إلى جانب القرية التي كان يعقوب وهما ليوسف ابنه وكان هناك بئر يعقوب وكان يسوع قد عي^٢ من تعب الطريق، فجلس على البئر في ست ساعات، فجاءت امرأة من السامرة تستقي ماء، فقال لها يسوع: ه. أعطيني^٢ أشرب - وكان تلاميذه قد دخلوا إلى المدينة ليتاعوا لهم طعاما - فقالت له^٤ تلك المرأة: كيف وأنت يهودي تستقي الماء وأنا امرأة سامرية واليهود لا يختلطون بالسامرة! أجاب / يسوع وقال لها: ٩٧/ لو كنت تعرفين عطية الله ومن هذا الذي قال لك: فأولني أشرب، لكنك أنت تسألينه^٥ أن يعطيك ماء الحياة! قالت المرأة: يا سيد! إنه ١٠. لا دلو لك والبئر عميقة فمن أين لك ماء الحياة؟ لعلك^٦ أعظم من أيننا يعقوب الذي أعطانا هذه البئر ومنها شرب هو وبنيه وماشيته! فقال لها: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا، فأما من يشرب من الماء الذي أعطيه^٧ لا يعطش إلى الأبد، قالت المرأة: يا سيد! أعطني من هذا الماء لئلا أعطش ولا أجيء ولا أستقي من ههنا، فقال: انطلقى وادعى ١٥. زوجك وتعالى^٨ إلى ههنا، قالت: ليس لي زوج، قال لها: حسنا. قلت:

- (١) من م وظ، وفي الأصل: بسوخار، وفي مد: بصوخار (٢) من م ومد وظ، وفي الأصل: عبي - كذا بالباء الموحدة (٣) في م: أعطني - كذا. (٤) ليس في م (٥) في م: تسالين (٦) في مد: افانك - كذا (٧) في م: عطية. (٨) في م: تعال.

إنه لا يعلى، لأنه قد كان لك خمسة بعولة والذي هو لك الآن ليس هو زوجك، أما هذا فخفا قلت، قالت: يا سيد! إني أرى أنك نبي، أبؤنا سجدوا في هذا الجبل وأتم تقولون: إنه ياروشليم المكان الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال: أيتها المرأة! آمني به، إنه ستأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في يروشليم يسجدون للأب، أتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لما نعلم، لكن ستأتي ساعة وهي الآن لكيما الساجدون المحقون يسجدون بالروح والحق، و^٩ الرب إنما يريد مثل هؤلاء الساجدين، والذين يسجدون له بالروح والحق^{١٠} ينبغي أن يسجدوا، قالت المرأة: قد علمت أن مَسِيَّا الذي هو المسيح يأتي، فاذا جاء ذاك^{١٠} فهو يعلمنا كل شيء، فقال: أنا هو الذي أكلمك^{١١} - وفي هذا جاء تلاميذه وتنجبوا من كلامه مع امرأة ولم يقل أحد: ما ذا تريد ولم تكلمها^{١٢} - ففركت المرأة جرتها ومضت إلى المدينة وقالت^{١٣} للناس^{١٤}: تعالوا! انظروا رجلا أعلن كل ما فعلت، لعل هذا هو المسيح، فخرجوا من المدينة وأقبلوا نحوه؛ وفي هذا سأله تلاميذه قائلين: يا معلم! كل،^{١٥} فقال: إن لي طعاما لا تعرفونه^{١٥} أتم، فقالوا فيما بينهم: لعل إنسانا وافاه

(١) في م: لي (٢) في م: فاما (٣) في م: بني - كذا (٤) في مد: ياروشليم، وفي معجم البلدان: أورشليم، وفيه اختلاف فراجع (٥) زاد في م: لا (٦) ليس في ظ ومد (٧) من م ومد. وفي ظ: المحققون، وفي الأصل: المحقون - كذا. (٨) زاد في م: له (٩) في ظ وم: لان (١٠ - ١٠) ليست في م (١١) في م: يكلمك (١٢) في م: يكلمها (١٣) زيد في الأصل: تعالوا، ولم تكن الزيادة في م ومد وظ لخذفناها (١٤) ليس في م (١٥) في ظ: لا تعرض له.

بشيء فطمعه، فقال: طعماي أنا إن أعمل مسرة^١ من أرسلني وأتم عمله،
 أليس أتم تقولون: إن الحصاد يأتي بعد أربعة أشهر، وأنا قاتل لكم:
 ارفعوا أعينكم وانظروا إلى الكور قد ابيضت وبلغت الحصاد، والذي
 يحصد يأخذ الأجرة ويجمع ثمار الحياة الدائمة، والزارع والحاصد
 يفرحان معا، لأنه في هذا توجد كلمة الحق، إن واحدا يزرع وآخر^٥
 يحصد، أنا أسألكم تحصدون شيئا ليس أتم تعيم فيه بل آخرون تعبوا فيه
 وأتم دخلتم على تعب أولئك؛ فأمن به في تلك المدينة سامريون كثيرون^٣
 من أجل كلمة تلك المرأة، ولما صار إليه السامريون طلبوا إليه أن يقيم^٤
 عندهم، فكث عندهم يومين فأمن به كثير، وكانوا يقولون للمرأة:
 لسا من أجل قولك تؤمن به لكننا قد سمعنا وعلنا أن هذا هو المسيح^{١٠}
 بالحققة مخلص العالم. وبعد يومين خرج يسوع إلى الجليل ومضى من
 هناك، لأنه شهد أن النبي لا يكرم في^٦ مدينته، ولما صار إلى الجليل قبله
 الجليليون^٧، لأنهم عاينوا كل ما عمل باورشليم في العيد؛ ثم جاء يسوع
 حيث صنع الماء خمرا وكان في كفرناحوم عند الملك ابن مريض فسمع
 أن يسوع قد جاء من يهودا إلى الجليل، فمضى إليه وسأله أن ينزل^{١٥}
 ويرى^٨ ولده^{١٠}، لأنه قد كان قارب الموت، فقال له يسوع: إن
 لم تعانوا الآيات والأعاجيب لا تؤمنون^{١١}، فقال له الملك: أنزل يا سيد
 (١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ميسرة (٢) في مد: الآخر (٣) من ظ،
 وفي الأصل وم ومد: كثير (٤) من م ومد وظ، وفي الأصل: تقيم (٥) ليس في
 ظ (٦) في م: و (٧) في ظ: الجليليون (٨) في م: باورشليم - راجع معجم البلدان.
 (٩) في مد: يرى (١٥) ليس في م (١١) في م: لا تموتون.

قبل أن يموت فتاتي، قال^١ له يسوع: امض فابنك حي، فأمن الرجل
بالكلمة التي قالها يسوع، ومضى، وفيما هو ماض استقبله غلثانه وبشرته
بأن ابنه قد عاش، فسألهم: في أي وقت؟ فقالوا له: أمس في الساعة
السابعة تركته الحى، فعلم أبوه أنه في تلك الساعة^٢ التي قال له يسوع
فيها: إن ابنك قد حي، فأمن هو وبيته بأسره^٣؛ وهذه أيضا آية ثانية
عملها يسوع لما جاء من يهودا إلى الجليل. قال مرقس: فأقبل إلى
كفرناحوم وبقى يعلم في مجامعهم يوم السبت، فمجبوا من تعليمه لأنه
كان كالسلطان. قال متى: وكان يسوع يطوف في كل الجليل ويعلم
في مجامعهم ويكرز* ببيشارة الملكوت ويبرئ كل برص ووجع في
الشعب، فخرج خبره في جميع الشام فقدم^٤ إليه كل من به أصناف
الأمراض والأوجاع المختلفة والذين بهم الشياطين والمعترين^٥ في رؤس
الآهلة والمخلمين فأبرأهم، وتبعه جموع كثيرة^٦ من الجليل والعشرة المدن
ويروشلیم واليهودية وعبر الأردن، فلما أبصر الجميع صعد إلى الجبل
وجلس^٧، وجاء إليه تلاميذه وفتح فاه يعلمهم قائلا: طوبى للساكين
بالروح! فإن لهم ملكوت السموات، طوبى للحرزاني^٨! فإنهم يعززون،
(١) في م ومد: فقال (٢) ليس في م (٣) في م ومد: بأسره (٤) في م: عليها
(٥) من م وم ومد، وفي الأصل: يكرز - كذا (٦) من م، وفي الأصل: ومد
وظ: قدموا (٧) في م: المعترين، وفي م: المعترين - كذا (٨) من م، وفي الأصل
ومد وظ: كثير (٩) في م ومد: الجمع (١٠) من م ومد وظ، وفي الأصل:
صعد - كذا (١١) هكذا في الأصل وظ، وفي م: للحرزانا، وفي م:
للحرزانا - كذا؛ والحرزاني جمع حزين. من حزنه الأمر يحزنه حزنا جعله =
طوبى (٧) ٢٨

طوبى للتواضعين ! فانهم يرثون الارض ، طوبى للجبياع و العطاش من
 أجل البر ! فانهم يشبعون ، طوبى للرحماء ! فانهم يرحمون ، طوبى للنفقة
 قلوبهم ! فانهم يعاينون الله ، طوبى لفاعلي السلامه ! فانهم بنى الله
 'يدعون' ، طوبى للطرودين من أجل البر ! فان لهم ملكوت السماوات ،
 طوبى [لكم - ٣] إذا طردوكم وغيروكم و قالوا فيكم كل كلمة شر من أجل ؛ ه
 افرحوا و تهللوا ، فان أجركم عظيم في السماوات ، لان هكذا طردوا
 الانبياء الذين قبلكم . ° وقال لوقا ° : هكذا كان آباؤكم يصنعون بالانبياء ،
 الويل لكم أيها الاغنياء ! لانكم قد أخذتم عزاكم ، الويل لكم أيها الشباى
 الآن ! فانكم ستجوعون ؛ الويل لكم أيها الضاحكون الآن ! فانكم ستبكون
 و تحزنون ، الويل لكم إذا قال الناس فيكم قولا حسنا ! لان آباءهم كذلك ١٠
 فعلوا بالانبياء الكذبة - يعنى المتنبيين - وفيه من الالفاظ / التى لا يجوز
 إطلاقها فى شرعنا حمل الله و الأب ، وقوله : بنى الله ، و سأتى
 إن شاء الله تعالى فى ال عمران تأويل مثل هذا على تقدير صحته عنه ° وأنه
 يرد إلى المحكم على أوضح وجه مثل الالفاظ التى وردت فى شرعنا و رددناها
 إلى المحكم ، و ضل بها من حملها على ظاهرها بمن يدعى الإسلام - ١٥
 والله الموفق ١٠ .

= حزينا أو جعل فيه حزنا - قطر المحيط ١/ ٣٩٦ .

(١) فى م نقط : لفاعل (٢) زاد فى م : والأرض (٣) زيد من م (٤) زاد فى ظ : و
 (هـ - ه) فى م : وقالوا لوقا - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل وم ومد : آباؤهم (٧) فى
 ظ : عزكم (٨) كذا فى الأصول ، ولعله : مثل (٩) ليس فى مد (١٠) زاد فى م : =

ولما كان هذا حالهم مع الرسل مع أنفسهم بهم و معرفتهم
 بأحوالهم و اتصالحهم بالله و كمالهم علم أنهم في منابذتهم لهم عيب الهوى
 و أسرى الشهوات ، فقتب عن ذلك الإنكار عليهم فقال: ﴿أفكلما﴾
 ٣ أى أ فعلتم ما فعلتم من نقض العهود مع موآرة الرسل و وجود الكتاب
 ه فكلما ٢ ﴿جاءكم رسول﴾ أى من عند الله ربكم ﴿بما لا تهوى أنفسكم﴾

= كما ابتدأ به غيره من أولى العزم - قاته الحراى ، والروح لمحمد من لمحات أمر الله ،
 و أمر الله قويمته في كلمة خلقه ملكا و ملكوتا ، فاهو قوام الخلق كله ملكا
 و ملكوتا هو امر «إلا له الخلق والامر» ، و ماهو قوام صورة من جملة الخلق
 هو الروح الذى هو لمحة من ذلك الأمر ؛ و لقيام عامة الملكوت و خصوصا
 حمة العرش بعالم الملك و خصوصا أمر الدين الباقى ساهم الله روحا و من
 أنصهم روح القدس الطهارة العلية التى لا يلحقها نجس على ما تقدم به ،
 و من أنص الروح به جبرئيل عليه السلام بما له من روح الأمر الدينى و إسمرافيل
 عليه السلام بما له من روح النفخ الصورى - انتهى . وقد كان لعيسى عليه
 السلام بالروح مزيد اختصاص لكثرة ما أحيى من الموتى و لم ترأوا في أحد جميع
 من ذكر ناقضين للعهود ، فلا أحد أحق منكم بالخلود في النار ، ثم جاء محمد صلى الله
 عليه و سلم فلم تصدقوه في ذكر شىء من الإنجيل يدل على أنه عليه السلام
 أتى بالبينات مع تأييده بروح القدس مستخلصا من الأنجيل الأربعة و قد جمعت
 بين أفاظها . قال متى و معظم السياق له : فلما سمع يسوع و كان هذا حالهم .
 (١) ليس في م (٢) و قال أبو حيان الأندلسى : الهزمة أصلها للاستفهام و هى
 هنا للتوبيخ و التقرير ، و الفاء تعطف الجملة على ما قبلها ، و اعنى بحرف
 الاستفهام تقدم و الأصل : فأكلما (٣-٣) هذه العبارة ليست في ظ (٤) ما موصولة
 و العائد محذوف أى لا تهواه ، و أكثر استعمال الهوى فيما ليس بحق و منه هذه
 الآية ، و أسند الهوى إلى النفس و لم يسند إلى ضمير المخاطب فكأن يكون =

من الهوى وهو نزوع النفس لسفل شهوتها في مقابلة معلى الروح لمبعث
انبساطه ، كأن النفس ثقیل الباطن بمنزلة الماء والتراب ، والروح خفيف
الباطن بمنزلة الهواء والنار ، وكأن العقل متسع الباطن بمنزلة اتساع
النور في كلية ٢ الكون علوا وسفلا - قاله الحرالي ٣٠ وقد دل على أن
المراد الباطل ٤ بالتعبير بالهوى والنفس ﴿ استكبرتم ﴾ ١ أى طلبتم الكبر ٥
وأوجدتموه بما لكم من الرئاسة على قومكم عن قبول الحق ميلا إلى سنة
إبليس مع إعطائكم العهد قبل ذلك على الدرام على اتباعه ﴿ فقريقا ﴾ أى

= بما لا تهوون إشعارا بأن النفس يسند إليها غالبا الأفعال السيئة - قاله أبو حيان
(٣٠٠ / ١) .

(١) في مد : مستغلى - كذا (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : كلية - كذا (٣) العبارة
من هنا إلى « والنفس » ليست في ظ (٤) في م : الباطن (٥) ﴿ استكبرتم ﴾ استغفل
هنا بمعنى تفعل وهو أحد معاني استغفل ، وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكبر بأنه سفه الحق ونمط الناس ، والمعنى قيل استكبرتم عن إجابته احتقارا
لرسول أو استبعادا للرسالة وفي ذلك ما كانوا عليه من طبيعة الاستكبار الذي
هو محل النقائص ونتيجة الإعجاب وهو نتيجة الجهل بالنفس المقارن
للجهل بالخالق وإن ذلك كان يتكرر منهم بتكرار مجيء الرسل إليهم ، وهو كما
ذكرنا استكبار بمعنى التكبر وهو مشعر بالتكلف والتفعل لذلك لا أنهم
يصيرون بذلك كبراء عظماء بل يفعلون ذلك ولا يبلغون حقيقة لأن الكبرياء
إنما هي لله تعالى فمحال أن يتصف بها غيره حقيقة - قاله أبو حيان (٣٠١ - ٣٠٢) ليست
في ظ .

فسيب عن طلبكم الكبر أنكم فريقاً (كذبتم) كعيسى و محمد عليهما
 الصلاة والسلام (و فريقاً تقتلون) أي قتلتم ولم تندموا على قتلهم بل
 عزمتم على مثل ذلك الفعل كلما جاءكم أحد منهم بما يخالف الهوى وهم
 لم يبعثوا إلا لأصرف الأنفس^١ عن الهوى^٢ ، لأن دعوة الرسول إلى
 ٥ الأعلى الذي هو^٣ ضد هوى^٤ النفس ؛ والظاهر^٥ أنه سبحانه أشار^٦ بهذه
 الصيغة المستقبلية^٧ إلى قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بالسهم في خير كما
 أشار إليه الحديث الماضي آنفاً .

ولما بين سبحانه مخازيهم حتى ختمها بظلم ما ارتكبوا من الرسل
 من القتل المنوي بالتكذيب والحسب بازهاق الروح مع العلم بأنهم أتوا
 ١٠ بالبينات والآيات المحجزات فأرشد المقام إلى أن التقدير فقالوا للأنبياء
 لما أتوهم أموراً كثيرة يعجب من صدورها عن عاقل وأتوا في الجواب
 عن تكذيبهم و قتلهم من انتقاضات بما لا يرضاه عالم ولا جاهل عطف

(١-١) ليس في م (٢) ليس في م (٣-٣) في م ومد: انه اشار سبحانه (٤) قال
 أبو حيان في البحر المحيط ٣٠٠/١: وأتى بفعل القتل مضارعاً إما لكونه حكيت
 به الحال الماضية إن كانت أريدت فاستحضرت في النفوس و صور حتى كأنه
 ملتبس به مشروع فيه ، ولما فيه من مناسبة رؤس الآي و إما لكونه مستقبلاً
 لأنهم يرومون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك محروه و سموه
 وكان في ذلك على هذا الوجه تنبيه على أن عادتهم قتل أنبيائهم لأن هذا النبي
 المكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وقد أمروا بالإيمان والنصر له يرومون
 قتله فكيف من لم يكن فيه تقدم عهد من الله فقتله عندهم أولى - انتهى .

عليه أو^١ على "وقالوا لن نمسنا النار"^٢ قوله - يانا لشدة بهتهم وقوة عنادهم: ﴿وقالوا^٣﴾ في جواب ما كانوا يلقون إليهم من جواهر العلم التي هي أوضح من الشمس ﴿قلوبنا غلف^٤﴾ جمع أغلف وهو المغطى الذكر بالغلفة التي هي جلده، كأن الغلفة^٥ في طرفي المرء: ذكره وقلبه، حتى يتم الله كلمته في طرفيه بالختان^٦ والإيمان - قاله الحرالي . فالمعنى : ه عليها أغطية فهي لا تفهم ما تقولون^٧ . فكان المراد بذلك مع أنهم أعلم

(١) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : و (٢) زاد في ظ : « الا اياما معدودة » (٣) الضمير في ﴿قالوا﴾ عائد إلى اليهود وهم أبناء بني إسرائيل الذين كانوا بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا ذلك بهتا ودفعاً لما قامت عليهم الحجج وظهرت لهم البيّنات وأعجزتهم عن مدافعة الحق المعجزات ، زلوا عن رتبة الإنسانية إلى رتبة البهيمية - قاله أبو حيان (٤) وفي البحر المحيط ٣٠١/١ : وقرأ ابن عباس والأعرج وابن هرمز وابن محيصن ﴿غلف﴾ بضم اللام وهي مروية عن أبي عمرو ، وهو جمع غلاف ولا يجوز أن يكون في هذه القراءة جمع أغلف لأن تثقيب فعل الصحيح العين لا يجوز إلا في الشعر ، يقال غلفت السيف جعلت له غلافاً ، فأما من قرأ غلف بالإسكان فعناه أنها مستورة عن الفهم والتمييز ؛ وقال مجاهد : أي عليها غشاوة ، وقال عكرمة : عليها طابع ، وقال الزجاج : ذوات غلف ، أي عليها غلف لا تصل إليها الموعظة ، ويحتمل على هذه القراءة أن يكون قولهم هذا على سبيل البهت والمدافعة حتى يسكتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما من قرأ بضم اللام فعناه أنها أوعية للعلم فلو كان ما تقوله حقاً وصداقاً لوعته - قاله ابن عباس والسدي - انتهى (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : الغلفة (٦) في ظ : بالحسينان - كذا (٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : يقولون .

الناس أن ما يقولونه ١ ليس بأهل لأن ٢ يوجه إليه الفهم ، ولذلك
أضرب الله ٣ سبحانه عنه ٣ بقوله ﴿ بل ﴾ أى ليس الأمر كما قالوا ٤ من
أن هناك غلفا حقيقة بل ٥ ﴿ لعنهم الله ﴾ أى طردهم ٦ الملك الأعظم ٧ عن
قبول ذلك لأنهم ليسوا بأهل للسعادة ٨ بعد أن خلقهم على الفطرة الأولى
ه القويمة ٩ لا غلف على قلوبهم ، لأن اللعن إبعاد فى المعنى والمكانة والمكان
إلى أن يصير الملعون بمنزلة النعل فى أسفل القامة يلاقى به ضرر الموطى -
قاله الحرالى ١٠ .

ثم بين علة ذلك بقوله : ﴿ بكفرهم ﴾ . قال الحرالى : أعظم الذنوب
ما تكون ١ عقوبة الله تعالى ١٠ عليها الإلزام بذنوب أشد منها ، فأعقب
١٠ استكبارهم اللعن كما كان فى حق إبليس مع آدم عليه السلام ، فانتظم
صدر هذه السورة إظهار الشيطنتين من الجن والإنس الذى انتقم به
القرآن فى قوله " من الجنة والناس " ليتصل طرفاه ، فيكون ختما لا أول

(١) فى م : تقواونه (٢) فى ظ : ان (٣-٣) فى ظ : عنه سبحانه (٤-٤) ليست فى
ظ ، وفى م : حقيقة - مكان : حقيقة (٥-٥) ليس فى ظ (٦) العبارة من هنا إلى
« قلوبهم » ليست فى ظ (٧) فى م : القوية (٨) قال أبو حيان « بل » للإضراب
وليس إضرابا عن اللفظ المقول لأنه واقع لا محالة فلا يضرب عنه وإنما
الإضراب عن النسبة التى تضمنها قولهم : إن قلوبهم غلف ، لأنها خلقت متمكنة
من قبول الحق مفطورة لإدراك الصواب فأخبروا عنها بما لم تخلق عليها ، ثم أخبر
تعالى أنها لعنوا بسبب ما تقدم من كفرهم و جازاهم بالطرد الذى هو اللعن
للتسبب عن الذنب الذى هو الكفر - البحر المحيط ١ / ٣٠٠ (٩) من م وظ ،
وفى الأصل : يكون (١٠) ليس فى م .

له ولا آخر ؛ والفاحة محيطة به لا يقال ١ : هي أوله ولا آخره ، ولذلك ختم بعض القراء بوصله حتى لا يتبين له طرف ، كما قالت العريسة ٢ لما سئلت عن بنيتها : [م-٣] كالحلقة المفرغة ٣ لا يدرى أين طرفاها . ولما أخبر بلعنهم سبب ٤ عنه قوله : ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ٥ ﴾ ، فوصفه بالقلة وأكدته بما ٦ إيدانا بأنه معمر ٧ بالكفر لا غناء له ٨ .

ولما ذكر سبحانه من جلاقتهم ما ختمه بلعنهم وكان قد قدم ذكر كتابهم مرارا وأشار إلى الإنجيل بإتياء عيسى عليه السلام البيئات ذكر سبحانه كفرهم بهذا الكتاب الذى مقصود السورة وصفه بالهدى وبهذا الرسول الآتى به دليلا على إغراقهم فى الكفر ، لأنهم مع استفاحتهم ٩ به صلى الله عليه وسلم قبل مبعة على من يعاديهم واستبشارهم به وإشهادهم ١٠ أنفسهم بالسرور ١١ بمجيئه كانوا أبعد الناس من دعوته تماديا فى الكفر

(١) زاد فى ظ : انها (٢) من م ومد وظ ، وفى الأصل : العريه - كذا (٣) زيد من م ومد (٤) فى ظ : المفرغة - كذا (٥) قال أبو حيان : ثم أخبر تعالى أنهم لعنوا بسبب ما تقدم من كفرهم و جازاهم بالطرد الذى هو اللعن المتسبب عن الذنب هو الكفر (٦) من م ومد وظ ، وفى الأصل : لا (٧) فى ظ : معمر - كذا (٨) وفى البحر المحيط انتصاب « قليلًا » على أنه نعت لمصدر محذوف أى فإيمانًا قليلًا يؤمنون - قاله قتادة ، وفى التفسير المظهرى ص ٩٤ : وقال الواقضى معناه لا يؤمنون قليلًا ولا كثيرا كقول الرجل للآخر : ما أقل ما تفعل كذا ، أى لا تفعل أصلا ؛ فالقلة مجاز عن العدم - انتهى (٩) وقع فى م : استقباحتهم - كذا مصحفا (١٠) فى ظ : بالسور - كذا .

و تقيدا بالضلال ؛ فكان هذا الدليل أئين من الاول عند أهل ذلك العصر
و ذلك قوله تعالى ﴿ ولما جاءهم كتب ﴾ أى جامع^١ لجميع الهدى لعظمته
لكونه^٢ ﴿ من عند الله ﴾ الجامع لجميع صفات الكمال . ثم ذكر من
الحيات^٣ لهم فى اتباعه قوله ﴿ مصدق لما معهم ﴾ على لسان نبى يعرفون
٥ صحة أمره بأمر يشهد بها كتابهم ، و تصديق هذا الكتاب له بإعجاز
نظمه و تصديق معناه لكتابهم ؛ و الجواب محذوف و^٤ دل^٥ ما بعد على
أنه كفروا به ، و فى ذلك قاصمة لهم لأن كتابهم يكون شاهدا على كفرهم ؛
ولما بين شهادة لكتابهم اتبعه شهادتهم لئلا يحرفوا معنى ذلك فقال
﴿ وكانوا ﴾ أى و الحال أنهم كانوا^٦ ، ولما كان استفاحتهم فى بعض الزمان
١٠ أثبت الجار^٧ فقال ﴿ من قبل ﴾ أى قبل مجيئه ﴿ يستفتحون ﴾^٨ أى يسألون
الله الفتح^٩ بالاسم^{١٠} الآتى به تبينا بذكره^{١١} ﴿ على الذين كفروا ﴾
يعنى أنهم لم يكونوا فى غفلة عنه بل كانوا أعلم الناس به و قد وطنوا
١ من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مجامع (٢) فى م و مد : بكونه (٣) فى م :
الحيات . كذا (٤) العبارة من هنا إلى « كفروا به » ليست فى ظ (٥) ليس
فى م (٦) زيد فى م : على (٧) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٨) من
م و مد ، و فى الأصل : لكبار - كذا (٩ - ٩) ليست فى ظ (١٠) فى م
و مد : باسم (١١) و فى البحر المحيط ٣٠٢ / ١ : ﴿ يستفتحون ﴾ أى يستحكون
أو يستعلمون أو يستنصرون - أقوال ثلاثة ، يقاؤون إذا دهمهم العدو : اللهم
انصرنا عليهم بالنبي المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نفعه فى التوراة - انتهى .
٣٦ (٩) أنفسهم

أنفسهم على تصديقه و مع ذلك كله ﴿ فلما جاءهم ﴾ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم - [علم] ﴿ ما عرفوا ﴾ أى من صدقه بما ذكر من نوته في كتابهم ﴿ كفروا به ﴾ . اعتللا بأنواع من العلل البينة الكذب ، منها زعمهم أن جبريل عليه السلام عدوهم وهو الآتى به ؛ قال الثعلبي والواحدى : روى ابن عباس رضى الله عنهما أن عبد الله بن سوريا حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء ، فلما اتجهت الحجة عليه قال : أى ملك يأتيك من السماء ؟ قال : جبريل ، ولم يبعث الله نبياً إلا وهو وليه - وفى رواية : وسأله عن يهبط عليه بالوحي ، فقال : جبريل - فقال : ذاك عدونا ، ولو كان غيره لآمننا بك . وقال ابن إسحاق فى السيرة : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي عن شهر بن حوشب الأشعري أن نفرا ١٠ من أحرار يهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : خبرنا عن أربع نسألك عنهن ، فإن فعلت اتبعناك وصدقناك وآمننا بك ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقني ، قالوا : نعم ، قال : فاسألوا عما بدا لكم !

(١) العبارة من هنا إلى « علم » ليست فى ظ (٢) زيدت من م و مد (٣) ليس فى م و مد (٤-٥) ليست فى ظ (٥) قال المصنف (١/٥٢) : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا ﴾ قبل مجيئه بما ذكر فى كتابهم وبعده بمعجزاته سيما القولية المصدقة لما معهم ﴿ كفروا به ﴾ عناداً وحسداً ، فكيف يخفف فى حقهم العذاب أو يجعل أياماً معدودة (٦) من م و مد وظ ، وفى الأصل : قالوا (٧) فى م و مد وظ : أخبرنا (٨) من م و مد ، وفى الأصل وظ : لئن (٩) فى م : فاسئلوا ، وفى الأصل و مد وظ : فاسئلوا .

قالوا: فأخبرنا: كيف يشبه الولد أمه وإنما النطفة من الرجل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل يضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتها علت ١ صاحبها كان الشبه لها؟ قالوا: اللهم نعم؛ قالوا: فأخبرنا ٢ عن كيف نومك؟ قال ٣: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لست به تام عينه وقلبه يقظان؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فكذلك نومي، تام عيني وقلبي يقظان؛ قالوا: فأخبرنا ٤ عما حرم إسرائيل على نفسه، قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنه ٥ كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها وأنه ١٠ اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه أحب الطعام* والشراب إليه ٦ شكرا لله فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها؟ قالوا: اللهم نعم؛ قالوا: فأخبرنا عن الروح، قال: أنشدكم بالله وبأيامه هل تعلمون ٧ جبريل وهو الذي يأتيني؟ قالوا: اللهم نعم ٨، ولكنه يا محمد ٩ لنا عدو، وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء، ولولا ذلك لاتبعناك. فأنزل الله فيهم ١٥ "من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ٥ - إلى قوله: أو كلما عهدوا عهدا نبذه فريق

(١) زيد في م: على (٢) في م: أخبرنا (٣) في م و ظ و مد: فقال (٤) في م: ان (٥) من م و مد و ظ، ووقع في الأصل: العظام - كذا مصحفا (٦) ليس في مد (٧) في م و مد و ظ: تعلمونه (٨-٨) كرهه في م ثانيا (٩) ليس في م .

منهم بل أكثرهم لا يؤمنون هـ“ و أصل ذلك في البخارى في خلق آدم
والهجرة و التفسير عن أنس بن مالك رضى الله عنه - من روايات جمعت
بين ألفاظها - قال : أقبل بنى الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أى في
الهجرة - إلى أن قال : فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبى أيوب
رضى الله عنه ، فانه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل هـ
لأهله يخترف لهم ، فعجل أن يضع التى ٢ يخترف لهم فيها فجاء وهى معه ،

(١) سورة ٢ آية ٩٧ - ١٠٠ . وفي المراج المنير ١ / ٧٥ : روى أنه كان لعمر
رضى الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان عمره على مدارس (كذا ، والظاهر :
مِدراس) اليهود وكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا : يا عمر ! قد أحببتك
وإننا لنطمع فيك ، فقال : والله ما أحبك لحبكم ولا أسألكم لأنى شاك في دينى ! وإنما
أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في
كتابكم ، ثم سأله عن جبريل ، فقالوا : ذاك عدو لنا ، يطلع محمد على أسرارنا ،
وإنه صاحب كل خسف و عذاب ، وميكائيل صاحب الحصص والسلام -
أى السلامة ، فقال عمر : ما منزلتها من الله ؟ قالوا : جبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره وبينهما عداوة ، فقال : لئن كان كما تقولون فليسا بعدوين - أى لقرب
منزلتهما عند الله - ولأنتم أكفر من الحمير - أى لأن الكفر نتيجة الجهل والبلادة
والحمار مثل فيهما - ومن كان عدوا أحدهما فهو عدو الله تعالى ؛ ثم رجع فوجد
جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ، وقال
عليه الصلاة والسلام : لقد وافقك ربك يا عمر ! فقال عمر : لقد رأيتنى في
دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر - انتهى (٢) في ظ : الذى ، وفي م : الذى
التى - كذا .

فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى أهله ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : أي انيوت أهلنا ١ أقرب - فذكر نزوله على أبي أيوب رضي الله عنه ثم قال : فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام ٢ رضي الله عنه ٢ فقال : أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق !

٥ وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلمهم عنى قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ، فانهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ . وفي رواية : بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يخترق فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث ٣ لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشرار الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله - وفي رواية : وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرني بهن جبريل آنفا ، فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة ؛ فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية "من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله"

١٥ أما أول أشرار الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت - وفي رواية : الحوت - وأما الشبه في الولد فان الرجل إذا غشى ٦ المرأة فسبقها ماؤه كان

(١-١) في م : بيوتنا (٢-٢) ليست في م ومد (٣) في م : أربع (٤) في م : قتل - كذا (٥) في مده او هل - كذا (٦) من م ومد ، وفي الأصل : غشى ، وفي ظ : غشى - كذا .

الشبه له ، وإذا سبقت كان الشبه لها - وفي رواية : وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزع - قال : أشهد أنك رسول الله ! ثم قال : يا رسول الله ! إن اليهود قوم بهت ، إن علموا باسلامي قبل أن تسألهم بهتوني ، عندك ، فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه - وفي رواية : فجاءت ٣ اليهود ودخل عبد الله البيت - فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر اليهود ! ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو ! إنكم لتعلمون أني رسول الله و أني جئكم بحق فأسلبوا ، قالوا : ما نعلمه - قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وقالها ثلاث مرار ، قال : فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا ، قال : أفرأيتم إن ١٠ أسلم قالوا : حاشا لله ! ما كان ليسلم - وفي رواية : أعاده الله من ذلك - قال : يا ابن سلام ! أخرج عليهم ، فخرج فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، يا معشر اليهود ! اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق ، قالوا : كذبت ، وقالوا : شرنا وابن شرنا ، ووقعوا فيه فاتقصوه ، قال : فهذا الذي ١٥ كنت أخاف يا رسول الله ! فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللواحدى في أسباب النزول عن عمر رضي الله عنه قال : كنت آتى (١) في م : بهتوا لي ، وفي مد : بهتوى - كذا (٢) زيد في م : اليهم (٣) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : بغية - كذا بالناء المربوطة (٤) في ظ : مرات . (٥) في م : فوالله - كذا (٦) في م : هذا .

اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة القرآن التوراة و موافقة
 التوراة القرآن ، فقالوا : يا عمر ! ما أحد أحب إلينا منك ، قلت : ولم ؟
 قالوا : لأنك تأتينا و تغشانا ، قلت : إنما أجيء لأعجب من تصديق
 كتاب الله بعضه بعضا و موافقة التوراة القرآن و موافقة القرآن التوراة ،
 ٥ فينا أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ظهرى
 فقالوا : إن هذا صاحبك فقم إليه ، فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد دخل خوخة من المدينة ، فأقبلت عليهم فقلت : أشدكم الله و ما أنزل
 عليكم من كتاب أ تعلمون أنه رسول الله ؟ قال سيدهم : قد نشدكم بالله فأخبروه ،
 فقالوا : أنت سيدنا فأخبره ، فقال سيدهم : نعم أنه رسول الله ، قلت :
 ١٠ فإني أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم تتبعوه ،
 فقالوا : إن لنا عدوا من الملائكة ٣ و سلبا من الملائكة ٣ ، فقلت :
 من عدوكم و من سلمكم ؟ قالوا : عدونا جبريل ، قلت : و من سلمكم ؟
 قالوا : ميكائيل ، قلت : فإني أشهد ما يحل لجبريل أن يعادى سلم ميكائيل .
 و ما يحل لميكائيل أن يسلم عدو جبريل ، و إنهما جميعا و من معها أعداء لمن
 ١٥ عادوا و سلم لمن سالموا ، ثم قلت فاستقبلنى - يعنى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم - فقال : يا ابن الخطاب ! ألا أفرئك أبات ؟ فقرأ " من كان عدوا
 لجبريل فانه نزله على قلبك " - حتى بلغ " و ما يكفر بها الا الفسقون " -
 قلت : و الذى بعثك بالحق ما جئتك ° إلا أخبرك بقول اليهود فاذا اللطيف
 (١) فى م : تغشانا (٢) فى م : قالوا (٣-٣) ليس فى م (٤) سورة ٢ آية ٩٧ - ٩٩ :
 (٥) فى م و ظ و مد : جئت .

الخير قد سقني بالخبر! قال عمر: فلقد رأيتني في دين الله أشد من حجر ٢- انتهى: وقد سألت بعض فضلاء اليهود الموجودين ٣ في زماننا ٣ عن عدائهم لجبريل عليه السلام فلم يسمح بالتصريح وقال: ما يعطى ذلك. وقد روى هذا الحديث أيضا إسحاق ابن راهويه في مسنده عن الشعبي عن عمر رضي الله عنه، قال شيخنا البوصيري: وهو مرسل صحيح الإسناد ٥ وفيه: انه قال لهم: وكيف منزلتهما من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه والآخر من الجانب الآخر، وإني أشهد أنهما وربهما سلم لمن سالهما وحرب لمن حاربوا.

ولما بين سبحانه بهذا أنهم أعتى الناس وأشدهم تديسا وبهتابل كذبا وفسقا كانوا أحق الناس بوصف الكفر فعب ٦ عن ذلك قوله ١٠ ﴿فلعنة الله﴾ أي الذي له الأمر كله ﴿على الكافرين﴾ ٧ فأظهر موضع الإضمار تعليقاً للحكم بالوصف ليعم وإشعاراً بصلاح من شاء الله منهم. ولما استحقوا بهذا وجوه المدام كلها وصل به قوله ﴿بئس﴾ فأتى بالكلمة الجامعة للذام المقابلة لنعم الجامعة لوجوه المدائح كلها أي

- (١) في مد: لقد (٢) في ظ: معجز (٣-٢) ليس في مد (٤-٤) ليست في ظ. (٥) في مد: تليسا (٦) في مد: تسبب (٧) في التفسير المظهري ﴿فلعنة الله على الكافرين﴾ أي عليهم، أتى بالمظهر للدلالة على سبب استحقاقهم للعنة فاللام للعهد، ويجوز أن يكون للجنس وهم داخلون فيه (٨) ليس في ظ (٩) في مد: وجود - كذا (١٠) قال اللهائمي: أي بئس باعوا به حظ أنفسهم الأخرى إذ باعوه بالكفر بما أنزل الله لا ريب فيه بل ﴿بغيا﴾ عناد مع الله كراهة ﴿ان ينزل الله﴾ من وجه - انتهى.

بئس شيء (اشتروا به انفسهم) ١ أى حظوظهم ١، قدموها وآروها
فكان ذلك غين فأخبرها ٢ عكس ما فعل المؤمنون من بيعهم لانفسهم
وخروجهم عنها بتعبد لله بايثار ما يرضيه على هوى انفسهم ٣، فكان ذلك
عين تحصيلها وتقديمها، ثم فسر الضمير العائد على 'المبهم المأخوذ' في
٥ إحراز النفس فقال ((ان يكفروا)) أى يستروا ٦ على التجدد
والاستمرار عليهم ((بما انزل الله)) ٧ الذى لا كفوء له، أى اشتروا
انفسهم فأبقوها لهم على زعمهم بالكفر ولم يحملوها تابعة ٨؛ ويجوز أن
يكون "اشتروا" بمعنى باعوا، لأنهم بذلوا ٩ للشيطان بالكفر كما بذل
المؤمنون انفسهم لله بالإيمان.

١٠ ثم علل كفرهم بقوله ((بغيا ١٠)) ١١ أى حسدا وظلما لأن
تكون النبوة في بنى إسماعيل عليه السلام. و١٢ قال الحرالي: هو اشتداد في
(١-١) ليست في مد وظ (٢) وقع في م: تأخيرها - كذا محرفاً (٣) في مد:
النفس بهم (٤) في ظ: الى (٥) في مد: الوجود (٦) في مد: يستمروا (٧) العبارة
من هنا إلى «بالإيمان» سقطت من مد وظ (٨) في مد: بآيحه (٩) في مد: بذلوا.
(١٠) في التفسير المظهرى ص ٩٥: أصل البنى الطلح والفساد، يقال بنى يبنى
بغيا إذا طلب، وبنى الجرح إذا فسد. ويطاق الباعى على الظالم لأنه مفسد، وعلى
الخارج على الإمام لأنه مفسد وطالب للظلم، وعلى الحاسد فانه يظلم المحسود
ويطلب إزالة نعمته؛ والمعنى أنهم يكفرون حسدا وظلما لا يس لهم وفسادا
في الأرض - انتهى (١١-١٢) ليست في م و مد (١٣) العبارة من هنا إلى
«والله الموفق» ليست في م.

طلب شيء ما - انتهى . وأصله مطلق الطلب و الإرادة ، كأن الإنسان لما كان مجبولا على التقصان و مطبوعا على الشر و العصيان إلا من عصم الله و أعان كان مذموما على مطلق الإرادة ، لأن من حقه أن لا تكون له خيرة^١ و لا إرادة بل تكون إرادته تابعة لإرادة^٢ مولاه كما هو شأن العبد - والله الموفق .

- ثم علل بغيهم بقوله ﴿ان ينزل الله﴾^٣ ذو الجلال و الإكرام^٣ ﴿من فضله﴾ و في صيغة "نزل" إشار^٤ بتبادي ما^٥ يغيظهم فيما يستقبل ، و بشرى للنبي صلى الله عليه وسلم و المؤمنين ﴿على من يشاء من عباده﴾^٦ من العرب الذين حسدوهم^٧ . ثم سبب عن ذلك قوله ﴿فباؤا﴾^٨ أى رجعوا لأجل ذلك ﴿بغضب﴾ في حسد^٩ لهذا النبي ١٠ صلى الله عليه وسلم لكونه من العرب ﴿على غضب﴾ كانوا استحقوه بكفرهم بأنبيائهم عنادا . ثم علق الحكم الذى استحقوه بوصفهم تعميما
-
- (١) في مد : خبرة (٢) في مد : لامر (٣-٣) ليست في ظ (٤) ليس في مد . (٥-٥) في ظ : بما (٦) قال المهاشمي ﴿ان ينزل الله﴾ من وحيه الذى هو ﴿من فضله على من يشاء من عباده﴾ سيما من رآه أهلا له دونهم فعاندوا الله - انتهى . و في التفسير المظهرى ﴿من فضله﴾ بلا سبق عمل يقتضيه (٧) في م : خسروهم - كذا . (٨) وقال المهاشمي ﴿فباؤا بغضب﴾ عظيم من الله على عنادهم معه و تحكيمهم عليه ﴿على غضب﴾ على كفرهم بآياته و رسله و قرضهم موافق فكيف يكون عذابهم مينا و أياما معدودة - انتهى .

وإشارة إلى أنه سيؤمن بعضهم فقال ﴿وَاللَّكَفْرِينَ﴾ أى الذين هم واسخون
في هذا الوصف منهم^٢ ومن غيرهم ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ من الإهانة
وهي الاطراح إذلالا واحتقارا^٣.

ولما أقام سبحانه الدليل على استحقاتهم للخلود في النار بكفرهم
هـ بالكتاب الذى كانوا يستفتحون بالآتى به أقام دليلا آخر على ذلك أبين
منه وذلك بكفرهم بكتابتهم نفسه فقال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أى هؤلاء
الذين نقضوا عهود كتابهم^٤ ﴿أَمِنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أى الملك الذى له^٥

(١) وفي البحر المحيط ١/ ٣٠٦: الألف واللام في «الكافرين» للعهد، وأقام
المظهر مقام المضمّر إشعارا بعلّة كون العذاب المهين لهم إذ لو أتى: ولهم عذاب
مهين، لم يكن في ذلك تنبيه على العلة؛ أو تكون الألف واللام للعموم فيندرجون
في الكافرين، ووصف العذاب بالإهانة وهو الإذلال قال تعالى "وَلْيَشْهَدْ
عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"، وجاء في الصحيح في حديث عبادة - وقد ذكر أشياء
محرمة فقال: فمن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له، فهذا العذاب
إنما هو لتكفير السيئات؛ أولأنه يقتضى الخلود خلودا لا ينقطع، أولشدته وعظمته
واختلاف أنواعه، أولأنه جزاء على تكبرهم عن اتباع الحق - انتهى. وفي التفسير
المظهرى: يراد بهم إذلالهم بخلاف عذاب العصاة من المؤمنين، فانه لتطهيرهم عن
الذنوب - انتهى (٢) ليس في ظ (٣) في مد: انتقارا (٤) قال أبو حيان: الإخبار
عن بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود، وسياق الآية يدل على أن
المراد آبائهم، لأنهم هم الذين قتلوا الأنبياء، وحسن ذلك أن الراضى بالشيء
كفاعله، وأنهم جنس واحد وأنهم متبعون لهم ومعتقدون ذلك وأنهم يتولونهم
فهم منهم (هـ - هـ) ليست في ظ .

الأمر كله مطلقاً، وعلى جهة العموم^١ من الكتب والصحف^٢ / و لا
 ١٠١ / رقع مقدارهم بالدعاء إلى الإيمان بما أسند إلى هذا الاسم الأعظم (قالوا)
 تسفيلاً لأنفسهم (نؤمن بما أنزل علينا ٣) فأسقطوا اسم من يقشرف
 بذكره ويترك باسمه أو خصوا بعض ما أنزله^١ . ثم عجب من دعواهم
 هذه بقوله (ويكفرون) أى قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون (بما^٥
 وراءه) أى رأى ما أنزل عليهم مما أنزل الله على رسله ، وهو يشمل
 ما قبل التوراة وما بعدها ، لأن وراءه يراد بها تارة خلف وتارة قدام ،
 فاذا قلت : زيد ورأى^١ ، صح أن يراد فى المكان الذى^١ أواربه أنا بالنسبة
 إلى من^١ خلقى فيكون أمامى ، وأن يراد فى المكان الذى هو متوار عني
 فيكون خلقى . وقال الحرالى : وراء ما لا يتاله الحس ولا العلم حيث^{١٠}
 ما كان من المكان ، فربما اجتمع أن يكون الشيء وراء من حيث أنه
 (١-١) ليست فى ظ (٢) الجمهور أنه القرآن ، وقال الزغشرى : مطلق فيما
 أنزل الله من كل كتاب (٣) يريدون التوراة وما جاءهم من الرسالات على لسان
 موسى ومن بعده من أنبيائهم ، وحذف الفاعل هنا للعلم به لأنه لا ينزل الكتب
 الإلهية إلا الله ؛ ودموا على هذه المقالة لأنهم أمروا بالإيمان بكل كتاب أنزله الله ،
 فاجابوا بأن آمنوا بمقيد ، والمأمور به عام فلم يطابق إيمانهم الأمر - قاله أبو حيان
 فى البحر المحيط ٣٠٧ / ١ (٤) فى مد : بقولهم (٥) وفى السراج المنير ١ / ٧٣ (بما^١
 وراءه) أى بما سواه من الكتب كقوله تعالى (فن ابتغى وراء ذلك) أى سواه ،
 قال أبو عبيدة : بما بعده أى من القرآن ، وقواه تعالى (وهو) أى ما وراءه -
 انتهى (٦) العبارة من هنا إلى « هو متوار عني » ليست فى م :

لا يعلم ويكون أماما في المكان - انتهى . ﴿و هو﴾ أى والحال أن ذلك الذى وراءه هو ﴿الحق﴾ الواصل إلى أقصى غاياته بما دلت عليه "ال" قال الحرالى: فانهاء لغاية الحق بكلمة "ال" لأن ما ثبت ولا زوال له لانهائه هو "الحق" وما ثبت وقتا ما ثم يتعقبه^٢ تكلمة^٢ أو يقبل^٢ زيادة ٥ فانما هو "حق" منكر اللفظ، فان بين المعرف بكلمة "ال" وبين المنكر أشد التفاوت فى المعنى - انتهى . ﴿مصدقا لما^٥ معهم﴾ فصح أنهم كافرون بما عندهم، لأن المكذب بالمصدق لشيء مكذب بذلك الشيء .

(١) فى مد: الى - كذا (٢) فى ظ: تتعقبه، وفى مد: تعقبه، وفى م: تتعقبه - كذا (٣) فى مد: بكلمة (٤) فى مد: تقبل (٥) فى السراج المنير ٧٣/١: أى من التوراة، حال ثانية مؤكدة تتضمن رد مقالمهم، فانهم كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها، ثم اعترض الله تعالى عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة بقوله تعالى ﴿قل﴾ يا محمد ﴿فلم تقتلون﴾ . وفى تبصير الرحمن للهاشمي ٥٣/١ ﴿لما معهم﴾ من الكتاب الذى يؤمنون به ﴿قل﴾ إن صح إيمانكم بالتوراة وقد تضمنت ميثاق الإيمان بكل نبي فما لكم لا تؤمنون بالأنبياء، وإن منعكم التمسك بالتوراة من الإيمان بنبي لنسخه بعض أحكامه ﴿فلم تقتلون﴾ الآية . وفى البحر المحيط ٣٠٧/١ ﴿مصدقا﴾ حال مؤكدة، إذ تصديق القرآن لازم لا ينتقل ﴿لما معهم﴾ هو التوراة، أو التوراة والإنجيل لأنها أنزلا على نبي إسرائيل وكلاهما غير مخالف للقرآن، وفيه رد عليهم لأن من لم يصدق ما وافق التوراة لم يصدق بها، وإذا دل الدليل على كون ذلك منزلا من عند الله وجب الإيمان به، فالإيمان ببعض دون بعض متناقض - انتهى .

ثم كشف ستر^٢ مقالهم^٢ هذه^٣ بأين^٤ تقض فقال ﴿ قل ظلم ﴾
 أى تسبب عن دعواكم هذه أن يقال لكم: لم ﴿ تقتلون أنبياء الله ﴾ الملك
 الأعظم مع أن كتابكم محرم لمطلق القتل فكيف بقتل الأنبياء^١ ثم بين
 أن كفرهم بهذا القتل إنما هو بطريق الرضى بقتل أسلافهم^٥ بقوله
 مثبتا الجار لأن ذلك كان منهم في بعض^٦ الأزمان الماضية ﴿ من قبل ﴾^٥
 و في صيغة المضارع^٧ تصوير لشناعة هذا القتل بتلك الحال القطيعة^٨
 و رمز إلى أنهم لو قدروا الآن فعلوا فعلهم ، لأن التقدير : و تُصَرِّوْنَ
 على قتلهم من بعد ؛ وفيه إيماء إلى حرصهم على قتل النبي صلى الله عليه
 و سلم تحذيرا منهم ، ولقد صدق هذا الإيماء الواقع ، فقد عزم بنو النضير
 على أن يلقوا عليه صخرة ، و سمّه أهل خير . ثم أورد مضمون دعواهم^{١٠}
 بأداة الشك فقال ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾^٩ إشعارا^٩ بأن مثل ذلك

(١) في ظ : ستر (٢) في مد : مقالهم (٣) ليس في م (٤) في م : بما بين (٥) في
 مد : اسدوفهم - كذا (٦) ليس في ظ (٧) وفي البحر المحيط ٣٠٧/١ قال ابن
 عطية) و فائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الإعلام بأن الأمر مستمر ، ألا ترى
 أن حاضري محمد صلى الله عليه و سلم لما كانوا راضين بفعل أسلافهم بقي لهم من
 قتل الأنبياء جزء ، و في إضافة أنبياء إلى الله تشریف عظيم لهم و انه كان ينبغي
 لمن جاء من عند الله أن يعظم أجل تعظيم وأن ينصر لا أن يقتل - انتهى (٨) في
 م : القطيعة (٩) في م : اشعار .

لا يصدر من متلبس بالإيمان .

ولما دل على كذبهم في دعوى الإيمان بما فعلوا بعد موسى بما استحقوا به الخلود في النار أقام دليلاً آخر أقوى من كل ما تقدمه ، فانه لم يعهد إليهم في التوراة ما عهد إليهم في التوحيد و البعد عن الإشراف
 ٥ ٢ وهو ٢ في النسخ الموجودة بين أظهرهم الآن ، وقد نقضوا جميع ذلك باتخاذ العجل في أيام موسى و بحضرة هارون عليهما السلام كما هو منصوص الآن فيما بين أيديهم منها فقال تعالى ﴿ ولقد جاء لم موسى بالبينت ﴾ من الآيات .

ولما كان كفرهم مع ذلك في غاية الاستعجاب عبر عنه بأداته ٣ مصورا
 ١٠ لزيادة قبحة بترته على أظهر البيان و موبخاتهم ٣ فقال ﴿ ثم اتخذتم ﴾ ٤ أى مع العلاج لفطركم الأولى و عقولكم السليمة ٥ ﴿ العجل ﴾ ٦ و نه ٧ بالجار
 (١) قل على المهاتمي (٥٠/١) : أى إن صح دعواكم فاعلم أنكم لا تؤمنون بها أيضاً ، ثم أشار إلى أن كفرهم لم يتأخر إلى عصر الأنبياء الذين قتلوه بل كفر وافي عصر موسى بما هو أشد منه - انتهى . وقال أبو حيان : قيل « ان » نافية أى ما كنتم مؤمنين ، لأن من قتل أنبياء الله لا يكون مؤمناً ، فأخبر تعالى أن الإيمان لا يجتمع قتل الأنبياء أى ما اتصف بالإيمان من هذه صفته ، قيل و الأظهر أن « ان » شرطية و الجواب محذوف ، التقدير : فلم فاعلم ذلك . و قال ابن عطية و ﴿ ان كنتم ﴾ شرط و الجواب متقدم (٢-٢) ليس في مد (٣-٣) ليست في ظ (٤) العبارة من هنا إلى « السليمة » ليست في ظ (٥) ليس في م (٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ . وفي تبصير الرحمن ﴿ العجل ﴾ إنها معبودا ﴿ من بعده ﴾ = على

على أن الاتخاذ في بعض زمن البعد فقال ﴿من بعده﴾ أى بعد مفارقة موسى لكم إلى الطور كما في الآية الأخرى "فتا قومك من بعدك" ﴿واتم﴾ أى والحال أنكم ﴿ظلمون﴾ أى لم تزعموا أنه إليهم على جهل منكم بل ٢ بعد مجيء البينات إليكم أن إليهم إنما هو الله الذى أنقذكم من العبودية وأراكم من ٣ العجائب الخوارق ما لا يقبل شكاه وسمعتكم كلامه فعلمتم أنه ليس بجسم ولا يشبه الجسم، فلم تفعلوا ذلك إلا لأن الظلم - وهو المشى على غير نظام خبط عشواء - وصف لكم ٤ لازم ٥.

= أى من بعد تقررها عنكم ﴿و﴾ لا يبعد منكم إذ ﴿اتم ظلمون﴾ أى عادتكم الظلم كقولكم "سمعنا وعصينا" حين رفع عليكم الطور - انتهى (٧) في مد: قيد .
(١) ليس في ظ (٢) في م: أى (٣) ليس في مذ (٤) العبارة من هنا إلى «عشواء» ليست في ظ (٥) في مد: هى (٦-٦) ليس في م (٧) في البحر المحيط ٣٠٨/١: وإنما كررت هنا لدعواهم أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم وهم كاذبون في ذلك، ألا ترى أن اتخاذ العجل ليس في التوراة بل فيها أن يفرد الله بالعبادة، ولأن عبادة غير الله أكبر المعاصى فكرر عبادة العجل تنبيها على عظيم جرمهم، ولأن ذكر ذلك قبل أعقبه تعداد النعم بقوله "ثم عفونا عنكم" و"فلو لا فضل الله عليكم ورحمته" وهنا أعقبه التقرير والتوبيخ، ولأن في قصة الطور ذكر توليهم عما أمروا به من قبول التوراة وعدم رضاهم بأحكامها اختيارا حتى ألجئوا إلى القبول اضطرارا، فدعواهم الإيمان بما أنزل إليهم غير مقبولة، ثم في قصة الطور تذييل لم يتقدم ذكره والعرب متى أرادت التنبيه على تقييح شيء أو تعظيمه كررته، وفي هذا التكرير أيضا من الفائدة تذكارهم بتعداد نعم الله عليهم وقممه منهم ليزدجر الأخلاف بما حل بالأسلاف - انتهى .

ثم ذكر أمرا آخر هو آيين في عنادهم وأنهم إنما هم مع الهوى فقال مقبلا على خطابهم لأنه أشد في التقرير ﴿واذا اخذنا﴾ أو أظهره في مظهر العظمة تصويرا^٢ لمزيد جرأتهم^٣ ﴿ميثاقكم﴾ على الإيمان والطاعة ﴿ورفضنا فوقكم الطور﴾ الجبل العظيم الذي جعلناه زاجرا لكم عن الرضى بالإقامة في حضيض الجهل ورافعا إلى أوج العلم وقلنا لكم وهو فوقكم ﴿خذوا ما آتيناكم﴾ من الأصول والفروع في هذا الكتاب العظيم ﴿بقوة﴾.

ولما كانت فائدة السماع القبول ومن سمع فلم يقبل كان كمن لم يسمع قال ﴿واستمعوا﴾^٤ وإلا دفناكم به، وذلك حيث يكفى غيركم في التأديب رفع الدرة^٥ والوسط عليه فينبعث للتعلم^٦ الذي أكثر النفوس الفاضلة تتحمل فيه المشاق الشديدة لما له^٧ من الشرف لها به من الفخار؛

(١) العبارة من هنا إلى «جرأتهم» ليست في ظ (٢) في م: تصوير (٣) في م اختصاصهم (٤-٥) ليست في ظ (٥) قال أبو حيان في البحر المحيط ٣٠٨/١: ﴿واستمعوا﴾ أى اقبلوا ما سمعتم كقوله: سمع الله لمن حمده، أو اسمعوا متدبرين لما سمعتم، أو اسمعوا أطيعوا لأن فائدة السماع الطاعة - قاله المفضل، والمعنى في هذه الأقوال الثلاثة قريب. قال الماتريدي: معنى «واستمعوا» افهموا، وقيل: اعملوا، وجهه أن السمع يسمع به ثم يتخيل ثم يعقل ثم يعمل به إن كان مما يقتضى عملا؛ ولما كان السماع مبتدأ والعمل غاية وما بينهما وسائط صح أن يراد بعض الوسائط وصح أن يراد به الغاية - انتهى (٦-٧) ليس في م. (٧) في م: وقع (٨) في ظ: الديرة - كذا (٩) في م: المتعلم (١٠) في ظ: لها. ولما (١٣) ٥٢

ولما ضلوا بعد هذه الآية الكبرى وشيكا مع كونها مقتضية للثبات على الإيمان بعد أخذ الميثاق الذي لا ينقضه ذو مروءة فكان ضلالهم بعده منبئا عن أن الضاد لهم طبع لازم فكانوا كأنهم عند إعطاء العهد عاصون قال ٢ مترجما عن أغلب أحوال أكثرهم في مجموع أزمانهم وهو ما عبر عنه في الآية السالفة بقوله "ثم توليتم" ٣ مؤذنا بالغضب عليهم ٥ بالإعراض عن خطابهم بعد إغفامهم ٢ بالمواجهة في تقريبهم ٤ حيث ناقضوا ما قال لهم من السماع النافع لهم فأخبروا أنهم جعلوه ضارا ٦ قالوا سمعنا ٥ أي بأذانتنا ٦ (وعصينا) ٦ أي وعملنا بضد ما سمعنا ٦ وساقه لغرابته ٧ مساق جواب سائل كأنه قال: رفع الطور فوقهم أمر هائل جدا

(١ - ١) في م: ميينا على، وفي ظ: منيياء عن - كذا (٢ - ٢) العبارة من هنا إلى "ثم توليتم" ليست في ظ، ولفظ "ثم" فقط ليس في مد (٣) في م فقط: اغفامهم - كذا بالخاء المعجمة (٤) العبارة من هنا إلى "ضارا" ليست في ظ، وفي مد "فاخبر" مكان "فاخبروا" (٥) قال أبو حيان (واسمعوا) كل ما نقول لكم لئلا يفوتكم شيء من ذلك (قالوا سمعنا وعصينا) إنما قالوا: عصينا، في تلك الحالة لأنهم "أشربوا". وفي السراج المنير ٧٤/١: سمعنا قولك وعصينا أمرك، وقيل: سمعنا بالأذان وعصينا بالقلوب، قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بأستنهم ولكن لما سمعوا بالأذان وتلقوه بالعصيان نسب ذلك إلى القول اتساعا. وفي البحر المحيط ٣٠٨/١: ظاهره أن كلنا إجلتين مقولة ونطقوا بذلك مباينة في التعتت والعصيان، ويؤيده قول ابن عباس: كانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا: سمعنا وعصينا (٦ - ٦) ليست في ظ. (٧) في مد: لغرابته.

مقتضى للبادة إلى إعطاء العهد ظاهرا وباطنا والثبات عليه فما فعلوا؟
 قيل: بادروا / إلى خلاف ذلك ﴿واشربوا﴾ "فأعظم الأمر باسناد
 الفعل إليهم ثم إلى قلوبهم، وهو ' من الإشراب وهو مداخلة نافذة
 سائفة كالشراب وهو الماء الداخل^٢ كلية الجسم للطاقة ونفوذ - قاله
 الحرالي^٣ .^٤ وقال الكشف: و' خلط لون بلون ﴿في قلوبهم العجل﴾
 أى حبه،^٥ وحذفه للايذان بشدة التمكن بحيث صار المضاف هو المضاف
 إليه^٦ ﴿بكفرهم﴾ وفيه إشارة إلى أن من أعرض عن امتثال الأمر
 استحق الإبعاد عن مقام الأنس .

قال الإمام أبو الحسن الحرالي في المفتاح الباب الثامن في وجوه بيان
 ١٠ الإقبال والإعراض في القرآن: اعلم أن كل مريبوب يخاطب^٧ بحسب ما^٨

(١-١) ليست في ظ (٢) في ظ: الداخل (٣) قال على المهائمي: أى تداخلهم حب
 العجل تداخل الشراب في أعماق البدن فاستقر. وقال الخطيب الشربيني: قال
 بغوى في القصص: إن موسى عليه السلام أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذر
 في النهر وأمر بالشرب منه، فمن بقى في قلبه شيء من حب العجل ظهرت بحالة
 الذهب على شاربه . قال أبو حيان الأندلسي: والإشراب غالبة المائع الجامد،
 وتوسع فيه حتى صار في اللونين، قالوا: واشربت البياض حمرة، أى خلطتها
 بالحمرة؛ ومعناه أنه داخلهم حب عبادته كما داخل الصبغ الثوب . وقال ابن عرفة:
 أشرب قلبه حب كذا، أى حل محل الشراب ومازجه - انتهى كلامه (٤) العبارة
 من هنا إلى «بلون» ليست في ظ (٥) ليس في م (٦-٦) ليست في ظ.
 (٧-٧) في ظ: بما .

في وسعه لقنه^١ وينبئ عنه ما ليس في وسعه لقنه^١، فلكل سن من أسنان
القلوب خطاب إقبال بحسب لقنه^١، وربما كان له إياه عن بعض ذلك
فيقع عنه الإعراض بحسب بادى ذلك الإياه، وربما تلاقه النعمة فعاد
الإقبال إليه بوجه ما دون صفاء الإقبال^٢ الأول، وربما تناسقت الإقبالات
مترتبة فيعلو البيان والإفهام^٣ بحسب رتبة من توجه إليه الإقبال، ويشد ه
الإدبار بحسب بادى الإدبار، وربما تراجع لفف البيان فيها بعضها على
بعض، فخطاب الإقبال على النبي صلى الله عليه وسلم أعظم إفهام في القرآن
”الم تر الى ربك كيف مد الظل - الآية^٤“ ”وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا - الآية^٥“ تفاوت الخطابين بحسب تفاوت مخاطبين، ”او لم ير الذين
كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقنهما^٦“ أعرض عنها الخطاب ١٠
ونبي عنهم ما ليس في حالهم رؤيته. ”خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا
سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بثما يامرهم به
إيمانكم“ خاطبهم وأمرهم، فلما عصوا أعرض وجه الخطاب عنهم ثم
تلافاهم بخطاب لسان نبي الرحمة لهم، واستمر إعراضه هو تعالى عنهم^٧
في^٨ تبادى الخطاب ”يا أيها النبي اذا طلقتم النساء^٩“ تنزل الخطاب في الرتبتين ١٥
ليبين^{١١} للأعلى^{١١} ما بينه للأدنى ”ذلك ١٢ خير لكم ١٣ واطهر ١٤“

(١) في م : لقته (٢) زيد بعده في الأصل «و» (٣) في ظ : الفهم (٤) سورة ٢٥
آية ٤٥ (٥) سورة ٢٥ آية ٤٧ (٦) سورة ٢١ آية ٣٠ (٧) ليس في ظ (٨) في مد :
(٩) سورة ٦٥ آية ١ (١٠) في م ومد : لتبين ، وفي ظ : ليتبين (١١) من ظ ،
وفي بقية الأصول : الأعلى (١٢) في مد : ذلك (١٣ - ١٢) ليس في مد - راجع
سورة القرآن ٥٨ آية ١٢ .

و هذا الباب عظيم النفع في الفهم لمن استوضح بيانه و التفاهة مواردہ فی القرآن - انتهى .

و الدليل الوجودی ۲ على إسرائيهم حب العجل مسارعتهم إلى عبادة ما يشبهه في عدم الضرر النفع و الصورة، ففي السفر الرابع من التوراة ۵ في قصة بالاق ملك الامورانيين الذي استنجد بلعام بن بعور ما نصه: و سكن بنو إسرائيل ساطيم و بدأ الشعب ۳ أن يسفح بينات مواب ۴ و دعين* الشعب إلى ذبائح آلهتهم و أكل الشعب من ذبائحهم و سجدوا ۱ لآلهتهم و كل بنو إسرائيل العبادة ۷ بعليون ۴ الصنم و اشتد غضب الله على بنى إسرائيل - انتهى .

۱۰ و لما بين سبحانه عظيم كفرهم و عنادهم مع وقاحتهم بادعاه ۱ الإيمان و الاختصاص بالجنان أمر نبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول لهم على وجه التهكم ۱۱ بهم ۱۲ مؤكدا لذمهم ۳: بالتعبير بما وضع لمجامع الذم ۱۵ فقال ۱۵

(۱) في ظ: اللقاق - كذا (۲) في مد: الموجود (۳) وقع في ظ: العشب - مصحفا .
(۴) في مد: موات ، وفي الأصل: مؤاب - كذا (۵) - كذا في الأصول كلها، و الظاهر: دعون (۶) من ظ ، وفي الأصل و م: سجد ، وليس في مد (۷) من م و مد ، وفي الأصل و ظ: لعبادة (۸) في ظ: بعليون (۹) في م: بادعائهم .
(۱۰) في الأصل: اهتكم ، و التصحيح من بقية الأصول (۱۱) ليس في مد .
(۱۲) العبارة من هنا إلى « الذم » ليست في ظ (۱۳) من م ، وفي الأصل و مد : لزمهم - كذا بالزاي (۱۴) في مد: المذام (۱۵) ليس في مد .

(قل بئسما) ٢ أى بئس شيئا الشيء الذى ٢ (يامركم به) من الكفر (إيمانكم) هذا الذى ادعيتموه ؛ وأوضح هذا التهمك ٣ بقوله على سبيل الفرض ' والتشكيك ' (ان كنتم مؤمنين) على ما زعمتم ، فصل من هذا أنهم إما كاذبون فى دعواهم ، وإما أنهم أجهل الجهلة حيث عملوا ما لا يحامعه الإيمان وهم لا يعلمون .

٥

(١) وفى التفسير المظهرى ص ٩٧ : والمخصوص محذوف يعنى هذا الأمر أو ما تفعلون من القبائح الظاهرة القباحة المذكورة فى الآيات الثلاث (ان كنتم مؤمنين) تقرير للقدح فى دعواهم ، والجواب محذوف يدل عليه ما قبله تقديره : إن كنتم مؤمنين بالتوراة فبئسما يامركم به إيمانكم بها هذا الأمر ، لأن المؤمن لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان لا يأمر به فلستم بمؤمنين بها ، أو إن كنتم مؤمنين بالتوراة ما فعلتم تلك القبائح لكم فلعنكم فلعنتم مؤمنين . قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٣٠٩/١ : (قل) يا محمد أو قل يا من يجادلهم (بئسما يامركم به إيمانكم) ، عنى بإيمانهم الذى زعموا فى قولهم " نؤمن بما أنزل " وقيل ثم محذوف تقديره : صاحب إيمانكم وهو إيليس ، وأضاف الإيمان إليهم لكونه إيمانا غير صحيح ولذلك لم يقل : الإيمان ، وأضاف الأمر إلى إيمانهم على طريق التهمك ، كما قال أصحاب شعيب " اصلوكم تارك ان تترك " ، (ان كنتم مؤمنين) قيل : إن نافية ، وقيل : شرطية ، قال الزمخشري : تشكيك فى إيمانهم وقدح فى جهة دعواهم - انتهى كلامه . وقال ابن عطية : وقد بأتى الشرط والشارط يعلم أن الأمر على أحد الجهتين كما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام " ان كنت قلتة فقد علمته " وقد علم عيسى عليه السلام أنه لم يقله ، وكذلك " ان كنتم مؤمنين " والقائل يعلم أنهم غير مؤمنين ، ايكنه أقام حجة لقياس بين - انتهى كلامه (٢ - ٣) ليست فى ظ (٣) فى الأصل : اهتكم ، والتصحيح من بقية الأصول .

ولما نهضت الأدلة على أنه لا حظ لهم في الآخرة غير النار وذلك
 قبيض دعواهم أنها لهم فقط في قولهم "لن تمسنا النار الا اياما معدودة" ٢
 و ٣ تفسيرهم ذلك بأنها سبعة أيام وأنا نخلفهم فيها ختم سبحانه ذلك بدليل
 قطعي بديهي فقال ٢ ﴿قل ان كانت﴾ 'وقدم الجار إشعارا بالاختصاص
 ه فقال ٢ ﴿لكم الدار الآخرة﴾ أى كما زعمتم ، وميزها ٢ بقوله ﴿عند الله﴾
 'الذى له الكمال كله' ، وبين المراد بقوله ﴿خالصة﴾ 'ولما ذكر
 الخلوص تأكيداً للمعنى زاده تأكيداً بقوله ١ ﴿من دون الناس﴾ أى سائرهم
 لا يشرككم فيها أحد منهم من الخلوص وهو تصفية الشيء عما يمازجه
 فى خلقته مما هو دونه - قاله الحرالى . ﴿فتمنوا الموت﴾ لأن ذلك علم
 ١٠ على ١ صلاح حال العبد مع ربه وعمارة ما بينه وبينه ورجائه للقاءه . قال
 الحرالى : فعلى قدر ١ نقرة النفس من الموت يكون ضعف منال النفس من
 المعرفة التى بها تأنس بربها فتمنى لقاءه وتجه ، ومن أحب لقاء الله أحب الله
 لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، يقع ذلك لعامة المؤمنين عند

(١) فى ظ : انهم (٢) سورة ٢ آية ٨. (٣) ليس فى ظ (٤) فى م : نخلفهم - كذا.
 (ه) وفى البحر المحيط ١/ ١٠١ ما نصه : نزلت فيما حكاه ابن الجوزى عند ما قالت
 اليهود : إن الله لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل وبنيه . و قال أبو العالية والربيع :
 سبب نزول هاتين الآيتين قولهم "لن يدخل الجنة الا من كان هودا"
 و "نحن ابناؤ الله" و "لن تمسنا النار - الآيات " ؛ والضمير فى "قل" إما
 للنبي وإما لمن ينبغي إقامة الحجة عليهم منه ومن غيره (٦) العبارة من هنا إلى
 " فقال " ليست فى ظ (٧) ليس فى م (٨) فى م : بينها (٩ - ٩) ليست فى ظ .
 (١٠) فى م : قدرة .

الكشف حال الغرغرة، ولخاصة المؤمنين في مهل الحياة لأنهم لو كشف لهم الغطاء لم يزدادوا يقيناً، فما هو للمؤمن بعد الكشف من محبة لقاء الله فهو للوقف^١ في حياته وبقائه، لجمال الكشف له مع وجود حجاب^٢ الملك الظاهر^٣؛ ولذلك ما مات نبي حتى يخير^٤ فيختار لقاء الله، لتكون وفادته على الله وفادة محب مبادر، ولتقاصر^٥ المؤمن عن يقين النبي يتولى^٥ الله الخيرة^٦ في لقائه، لأنه وليه، ومنه^٧ ما ورد: ما ترددت^٨ في شيء ترددي في^٩ قبض روح^{١٠} عبدی المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته ولا بد له منه؛ ففي ضمن ذلك اختيار الله للمؤمن لقاءه، لأنه وليه يختار له فيما لا يصل إليه إدراكه - انتهى^{١١}.

(١) في ظ: خاصة - كذا (٢) في مد: للمؤمن (٣) في مد: محاب - كذا (٤) في مد: الظاهري (٥) في م: يخبر، وفي مد: خير (٦) في مد: لقاصر (٧) في ظ: تولى (٨) في مد: الخبرة (٩-١٠) في م: ما تردد ما وردت (١٠-١١) من م وظ و مد: وفي الأصل: روح قبض - كذا (١١) قال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ٣١١/١: والمقصود من ذلك التحدي وإظهار كذبهم، وذلك أن من أيقن أنه من أهل الجنة اختار أن ينتقل إليها وأن يخلص من المقام في دار الأكدار وأن يصل إلى دار القرار، كما روى عن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة كعثمان وعلي وعمار وحذيفة أنهم كانوا يختارون الموت، وكذلك الصحابة كانت تختار الشهادة؛ وفي الحديث الصحيح أنه قال صلى الله عليه وسلم: ليتني أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ فأقتل! لما علم من فضل الشهادة، وقال لما بلغه قتل من قتل بيثر معونة: يا ليتني غودرت معهم في لحف الجبل! وروى عن حذيفة أنه كان يتمنى الموت، فلما احتضر قال: حبيب جاء على =

ثم سجل اسجانه عليهم^١ بالكذب فقال^٢ (ان كنتم صدقين^٣)
 ١٠٣ / أى^٤ معتدين / للصدق^٥ في دعواكم خلوصها^٦ لكم، ولما كان التقدير:
 فقال لهم فما تمنوه؟ عطف عليه قوله^٧؛ إخبارا بالغيب^٨ قطعا^٩ للعناد مؤكدا
 لأن ادعائهم الخلوص أعظم من ادعائهم الولاية كما في سورة الجمعة؛
 هـ (ولن يتمنوه ابدا)، ثم ذكر السبب في عدم التمني فقال^{١٠} (بما قديمت)
 وهو^{١١} من التقديم^{١٢} وهى^{١٣} وضع الشيء قدما وهو جهة^{١٤} القدم الذى
 هو الامم^{١٥} والتجاه أى قبالة الوجه - قاله الحارلى ١٢: ١٣ وعبر باليد التى بها
 أكثر الأفعال إشارة إلى أن أفعالهم لقابحتها كأنها خالية عن القصد فقال ١٣:
 = فاقة! وعن عمار لما كان صفيين قال:

غدا نلقى الأحبة محمدا وحبيبه

وعن على أنه كان يطوف بين الصفيين بغلاة فقال له ابنه الحسن: ما هذا بؤى
 المحاربين، فقال: يا بني! لا يبالى أبوك أعلى الموت سقط أم عليه سقط
 الموت؛ وكان عبد الله بن رواحة ينشد وهو يقابل الروم:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها

(١-١) في مد: عليهم سبحانه (٢-٢) ليست في ظ: وفي الأصل: معقدين - كذا،
 والتصحيح من م ومد (٣) كتب فوته في الأصل: أى الدار الآخرة (٤-٤) العبارة
 من هنا إلى «العناد» ليست في ظ ومد (٥) في م: للغيب (٦) ليس في مد (٧) في
 ظ: هى (٨) في ظ: المقدمة - كذا (٩) في م: هو (١٠) في مد: وجهة (١١) من
 م وظ ومد، ووقع في الأصل: الأهم - مصحفا (١٢) قال أبو حيان الأندلسي
 في البحر المحيط ١/ ١١٢: هذا من المعجزات، لأنه إخبار بالغيب، ونظيره =

(أيديهم) أي من الظلم وإلى ذلك أشار قوله ١ عاطفاً على ما تقديره:
 فأن الله عليم بذلك ٢. ﴿و الله﴾ الذي لا كفوء له ١ ﴿عليم بالظالمين﴾
 أي كلهم ١ حيث أظهر تنبيهاً على الوصف الموجب للحكم وتعميماً وتهديداً.
 ولما بين أنهم لا يتمنونونه أثبت لهم ما هو فوق ذلك من تمنى الضد
 الدال على علمهم بسوء منقلبهم فقال ﴿ولتجدنهم﴾ أي بما تعلم ٢ من ٥
 أحوالهم ٣ مما منه الوجدان، وهو إحساس الباطن بما ١ هو فيه والإصابة
 أيضاً لما له ٥ علاقة الباطن، كأنه فيه ﴿أحرص﴾ صيغة ٦ مبالغة من الحرص،

= من الإخبار بالغيب قوله "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا" وظاهره أن من ادعى
 أن الجنة خالصة له دون الناس من اندرج تحت الخطاب في قوله "قل إن كانت لكم
 الدار الآخرة عند الله خالصة" لا يمكن أن يتمنى الموت أبداً، ولذلك كان حرف
 النفي هنا «لن» الذي قد ادعى فيه أنه يقتضي النفي على التأيد فيكون قوله «أبداً»
 على زعم من ادعى ذلك التوكيد، وأما من ادعى أنه بمعنى لا فيكون «أبداً»
 إذ ذاك مفيداً لاستغراق الزمان، ويعني بالأبد هنا ما يستقبل من زمان أعمارهم.
 وفي المنتخب ما نصه: وإنما قال هنا "وان يتمنوه" وفي الجمعة "ولا يتمنونه"
 لأن دعواهم هنا أعظم من دعواهم هناك، لأن السعادة القصوى فوق مرتبة
 الولاية، لأن الثانية تراد لحصول الأولى، و"لن" أبلغ من "لا"، فجعلها لنفي الأعظم
 - انتهى كلامه. قال ابن عطية: والصحيح أن هذه النازلة من موت من تمنى
 الموت إنما كانت أياماً كثيرة عند نزول الآية وهي بمنزلة دعائه النصارى من
 أهل نجران إلى المباشرة - انتهى كلامه (١٣ - ١٣) ليست في ظ (١ - ١) ليست
 في مد و ظ (٢) في مد: يعلم (٣) في م: حالهم (٤) في مد: ما (٥) في م: هو.
 (٦ - ٦) ليس في مد. وكلمة «أحرص» ثبتت فيه بعد «الحرالى».

و هو طلب الاستغراق فيما يختص فيه الحظ - قاله الحرالي ١ . ﴿ الناس على حيوة ﴾ على أى حالة كانت و هم قاطعون بأنه لا يخلو يوم منها عن كدر . فانهم يعلمون أنها و إن كانت فى غاية الكدر خير لهم بما بعد الموت ﴿ و من ٢ ﴾ أى و أحرص من ﴿ الذين اشركوا ﴾ الذين لا بعث عندهم ٣ على الحياة علما منهم ٤ بأنهم صائرون ٥ إلى العذاب الدائم بالسيئات المحيطة و الشرك . قال الحرالي : إسناد ٦ الأمر المختص بواحد إلى من ليس له ٧ معه أمر - انتهى .

ثم بين مقدار ما يتمنونه ٨ فقال ﴿ يود ﴾ من الود و هو صحة نزوع النفس للشيء المستحق نزوعها له - قاله الحرالي . ﴿ احدم ﴾ أى أحد من ١٠ تقدم من اليهود و المشركين بجميع أصنافهم ، أو من اليهود خاصة ، أو من المشركين ١١ فتكون ودادة ١٢ اليهود من باب الأولى . قال الحرالي : و هو نحو من خطاب القرآن لا يصل إليه ابلاغ الخلق ﴿ لو يعمر ﴾ من التعمير و هو تمدادى العمر كأنه تكرر ، و العمر أمد ما بين بدو ١٣ الشيء

(١) فى البحر المحيط : و الضمير المنسوب فى ﴿ لتجدنهم ﴾ عائد على اليهود الذين أخبر عنهم بأنهم لا يتمنون الموت ، أو على جميع اليهود ، أو على علماء بنى إسرائيل - أقوال ثلاثة ؛ و أتى بصيغة أفعل من الحرص مبالغة فى شدة طلبهم لبقاء و دوام الحياة (٢ - ٣) ليس فى مد (٣) زيد فى ظ : علما (٤) ليس فى مد (٥) فى ظ : صابرون - كذا (٦) من م وظ و مد ، و فى الأصل : استناد (٧) ليس فى م (٨) فى ظ : يتمنون ، و فى مد : يتمونه - كذا (٩ - ١٠) فى مد : فيكون ود (١٠) فى مد : بد .

وانقطاعه - قاله الحرالي . ﴿ الف سنة ﴾ خوفا من الموت أو ما بعده ،
والآلف كمال العدد بكمال ثالثة رتبة ؛ والسنة أمد تمام دورة الشمس
وتمام ثنتي عشرة دورة القمر - قاله الحرالي ٢ . وهذا المعنى وإن كان
موجودا في الحول و العام و الحجة غير أن مأخذ الاشتقاق ملاحظ في
الجملة ، فلبلاغة القرآن لا يطلق واحد من هذه الألفاظ إلا فيما يناسب
السياق من أصل اشتقاق هذه الألفاظ ، فهذا السياق لما كان المراد به
ذمهم بتهالكهم على بقائهم في الدنيا على أى حالة كانت علما منهم بأنها
ولو كانت أسوأ الأحوال خير لهم بما بعد الموت لتحقيق شقايمهم عبر
بما منه الإنسان ٣ وهو القفط وسوء الزمان ، أو ما منه الدوران
الذى فيه ٤ كد و تعب ٥ إن كان أصلها من سنا يسنو إذا دار حول البئر . ١٠
قال السهيلي في الروض : وقد تسمى السنة دارا في الخبر : إن بين آدم
ونوح ألف دار - أى سنة ، ثم قال : فتأمل هذا فان العلم بتنزيل الكلام
ووضع الألفاظ في مواضعها اللائقة بها يفتح بابا من العلم باعجاز القرآن
والله المستعان . ﴿ وما هو ﴾ ١٠ أى تعميره ١١ ﴿ بمزحزحه ﴾ والزحزحة
إبعاد الشيء المستقل ١١ المتراعى لما يبعد عنه - قاله الحرالي . ﴿ من العذاب ﴾ ١٥

(١) في م : و (٢) وقال أبو حيان الأندلسي : الألف عشر من المئين ، وقد يتجاوز
فيه فيدل على الشيء الكثير ، وهو من الألفه إذ هو مألّف أنواع الأعداد ،
إذ العشرات مألّف الآحاد ، والمئون مألّف العشرات ، والألف مألّف المئين -
انتهى كلامه (٣) في مد : بلاغة (٤) في م : كما (٥) في مد : ان (٦) في ظ : الاستناب -
خطأ (٧) في م : و (٨) في مد : له (٩) زيد في الأصل و م و ظ « و » ولم تكن
الزيادة في مد لحذفها (١٠ - ١٠) ليست في ظ و مد (١١) في م : المستقل .

١ أى زحزحة مبتدأة ٢ من ٣ العذاب ، و عبر بمن دون عن إعلاما
 ٤ بأنهم لم يفارقوا العذاب دينا ولا آخرة ٥ وإني لم يحسوا به في الدنيا ؛
 ثم فسر الضمير بقوله ﴿ ان يعمر ﴾ إنما تزحزحه انطاعة المقرونة بالإيمان
 الصحيح الذى ليس فيه ٦ تفرقة . ولما كان التقدير : لأنهم يعملون في
 ٥ أعمالهم الأعمال السيئة المخيطة ، عطف عليه قوله ﴿ والله ﴾ الذى له
 الأمر كله ٧ ﴿ بصير بما يعملون ٨ ﴾ .

ولما ذكر عذارتهم لأخص البشر واجتراءهم عليه ١٠ بالتكذيب

(١) العبارة من ها إلى «اعلاما» ليست في ظ و مد (٢ - ٣) في م : زحزحه
 مبتدئ (٢) زيد في م : بذلك (٤) العبارة من ها إلى «في الدنيا» ليست في ظ .
 (٥) في م : أخرى (٦) ليس في ظ (٧-٧) ليست في ظ (٨) وهذه الجملة تتضمن
 التهديد والوعيد ، وأتى هنا بصفة بصير وإن كان الله تعالى متنزها عن الجارحة
 إعلاما بأن علمه بجميع الأعمال علم إحاطة وإدراك للخفيات - قاله أبو حيان
 الأندلسي (٩) وقد تضمنت هذه الآيات السكرية الامتنان على نبي إسرائيل
 وتذكارتهم بنعم الله إذ آتى موسى التوراة المشتملة على الهدى والنور وإلى
 بعده بالرسول لتجديد دين الله وشرائعه وآتى عيسى الأمور الحارقة من إحياء
 الأموات وإبراء الأكف والأبرص وإيجاد الخلق ونفخ الروح فيه والإنباء
 بالمقبيات وغير ذلك ، وأيده بمن ينزل الوحي على يديه وهو جبريل عليه السلام ،
 ثم مع هذه المعجزات والنعم كانوا أبعد الناس عن قبول ما يأتيهم من عند الله -
 البحر المحيط (١٠) في مد : عليهم .

والقتل، وختم ذلك بعداوتهم لا كمل الخلق وأخصهم^١ حسدا لنزول هذا الذكر عليه عبارة ثم إشارة^٢ بما رمزه^٣ إلى نصبهم لقتله وأنهى ذلك بأنه لا يحصى لهم من العذاب، لأنه بصير بأعمالهم الموجبة له ذكر ما هو من دقيق أعمالهم من عراقتهم^٤ في الكفر بعداوتهم لخواص الملائكة الذين هم خير محض لا حامل أصلا على بغضهم إلا الكفر. وبدئ^٥ بذكر المنزل للقرآن، لأن عداوتهم للمنزل عليه لأجل ما نزل عليه عداوة للمنزله. لأنه سبب ما كانت العداوة لأجله، فقال أمر الله صلى الله عليه وسلم إعلاما بما أبصره من خفي مكرمهم الفاضى بضرهم^٦: ﴿قل﴾؛^٧ أو يقال - وهو أحسن وأبين وأمتن: ولما أمره صلى الله عليه وسلم بما دل على كذبهم في ادعائهم خلوص الآخرة لهم وأخبر بأنه^٨ لا بد من^٩ عذابهم^{١٠} أمره^١ بدليل آخر على كلا الأمرين، فعلى تقدير كونه دليلا على الأول يكون^{١١} منسوقا على "قل" الأولى بغير عاطف إشعار بأن كلا من الدليلين كاف^{١٢} فيما سبق له، وعلى تقدير كونه دليلا على الثاني^{١٣} الذي خصه^{١٤} يكون جوابا لمن كأنه قال: لم لا يرحمهم التعيير عن العذاب^{١٥}؟ "قل"

(١) في ظ: أحضهم - كذا (٢) في م: اشار (٣) في م: رمزه (٤) في م: عراقتهم. (٥) وفي: مد بدا (٦) في م: بضرهم - كذا (٧) في م: و (٨-٨) في م: لا يومن. (٩) من م وظ ومد، وفي الأصل: أبصره (١٠) في الأصل: يكون (١١) في م: كان (١٢-١٢) ليس في م وظ ومد (١٣) وفي البحر المحيط ١/٣١٧: ثم ختم الآيات بأن الله تعالى مطلع على قبائح أفعالهم ومجازيهم عليها، وتبين بمجموع هذه الآيات ما جبل عليه اليهود من فرط كذبهم وتناقض أفعالهم وأقوالهم ونقص عقولهم وكثرة بهتهم - أعاذنا الله من ذلك وسلك بنا أنهج المسالك.

أى لهؤلاء الذين ادعوا أن دار الملك خالصة لهم^٢ وهم يعادون خواص جنده^٣ (من) وهى اسم مبهم يشمل الذوات العاقلة آحادا وجموعا واستغراقا - قاله الحرالى^٤ . (كان عدوا لجبريل) أى فانه لا يضر إلا نفسه ، لأنه لا يبلغ ضره بوجه من الوجوه و لعداوته بعداوته له لله^٥ الذى خصه بقربه واختياره لرسالته^٥ ، فكفر حيثذ هذا المعادى له^٦ بجميع كتب الله ورسله ؛ وجبريل قال الحرالى / "يقال هو" اسم عبودية ، لأن إيل اسم من أسماء الله عز وجل فى الملا الأعلى وهو يد بسط لروح^٧ الله فى القلوب بما يحييها الله به من روح أمره إرجاعا إليه فى هذه الدار قبل إرجاع روح الحياة بيد القبض من عزرائيل^٨ عليه السلام - ١٠ انتهى .

/ ١٠٤

ثم علل هذا الخبر المحذوف بما أرشد إليه فقال: (فانه) أى جبريل (نزله) أى القرآن الذى كفروا به ، لحسدهم للذى أنزل عليه بعد ما كانوا يستفتحون به^٩ . الآتى بما يفهمهم ، الداعى إلى ما يصلحهم

(١) فى ظ : خالص (٢) من مد و ظ ، وفى الأصل : له (٣) زيد فى الأصل : ما تكلمت به من قولى العظيم ، ولم تكن الزيادة فى م و مد و ظ لحذفناها . (٤ - ٤) ليست فى م و مد (ه - ه) ليست فى ظ (٦) زيد فى ظ : أى حين معاداته له ، لأن من عادى رسولا أو صادقا فقد عاداهم كلهم كما تقرر ، يدل على ذلك ما سياتى من قوله " . . . قوم نوح المرسلين " ، «عاد المرسلين» إلى غير ذلك بل عليهم (٧ - ٧) فى م : هم (٨) زيد فى م : الروح - كذا (٩) فى ظ : عزرائيل .

فيعفهم . او لما كان المراد تحقيق أنه كلام الله ٢ وأنه ٣ أمر بابلاغه جمع بين "قل" وبين (على قلبك) أى وهو أكمل القلوب ، دون أن يقال: على قلبى - المطابق لقل ؛ وأداة الاستعلاء ٤ دالة على أن المنزل تمكن فى القلب فصارت مجامعه مغمورة ٥ به ، فكان مظهرها له (بإذن الله) الملك الأعظم الذى له الأمر كله . فليس لأحد إنكار ما أذن فيه ، و النازل به ٦ لم يتعد شيئاً مما أمر به ٧ ؛ والإذن رفع المنع و إيتاء المكتنة كونا و خلقا ما لم يمنعه حكم تصريف - قاله الحرالى . (مصدقا لما بين يديه) من كتب الله التى ١١ أعظمها كتابهم ، فكانوا أحق الناس بالإيمان به و كان جبريل عليه السلام أحق الملائكة بمحبتهم له

(١) العبارة من هنا إلى « وبين » ليست فى ظ (٢ - ٢) ليس فى م (٣) ليست فى مد (٤) ليس فى ظ (٥) العبارة من هنا إلى « مظهرها له » ليست فى ظ . (٦) أتى بلفظ "على" لأن القرآن مستعمل على القلب ، إذ القلب سامع له و مطيع يمثل ما أمر به و يجتنب ما نهى عنه ، وكانت أبلغ من إلى ، لأن إلى تدل على الانتهاء فقط و على تدل على الاستعلاء ، و ما استعمل على الشيء يضمن الانتهاء إليه ؛ و خص القلب و لم يأت : عليك ، لأن القلب هو محل العقل و العلم و تلقى الواردات ، أو لأنه صحيفته التى يرقم فيها و خزائنه التى يحفظ فيها ، أو لأنه سلطان الجسد - قاله أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/ ٣٢٠ (٧) فى م و مد : معمورة . (٨ - ٨) قدمها فى ظ على « الملك الأعظم » ، وفى الأصل : لم يعدا - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد (٩) فى مد : او (١٠) زيد فى م : أى ما تكلمت به من قولى العظيم (١١) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : الذى - كذا .

لإنزاله ، وكان كفرهم به كفرا بما عندهم ، ١ فلا وجه لعداوتهم له ؛
والبين حد فاصل في حس أو معنى - قاله الحزالي . ﴿ وهدى ﴾ إلى
كل خير ، ١ لأنه يان ما وقع التكليف به من أفعال القلوب والجوارح
﴿ وبشرى ﴾ ١ أى ببيان الثواب ١ ﴿ للمؤمنين ﴾ ٢ أى الذين لهم الإيمان
٥ وصف لازم ، فلا يفرقون ٢ بين كتب الله ولا بين رسله ، بل حيثما قادم
الحق انتقادوا ؛ فلا يدخل في ذلك الذين آمنوا بألسنتهم ” فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به ٤ “ ولا من علم الله منه ذلك ولو كان قبل مبعته صلى الله
عليه وسلم - الله أعلم بما كانوا عاملين ؛ فلو أنهم مؤمنون لما عادوا من
نزل به بشرى لهم ولكنهم كفره فهم في العذاب ، والآخرة ليست
١٠ لهم ١ بل عليهم ١ .

ولما كانت عداوة واحد من الحزب لكونه من ذلك الحزب عداوة
لجميع ذلك الحزب تلاه بقوله ﴿ من كان عدوا لله ﴾ ٥ اذى الجلال
والإكرام لعداوته واحدا من أوليائه لكونه من أوليائه ﴿ وملئته ﴾

(١-١) ليست في ظ (٢) خص الهدى والبشرى للمؤمنين لأن غير المؤمنين
لا يكون لهم هدى به ولا بشرى كما قال ” وهو عليهم عى “ ولأن المؤمنين هم
المبشرون ” فبشر عبادى “ ، ” يبشرهم ربهم برحمة منه “ ودلت هذه الآية على
تعظيم جبرئيل والتنويه بقدره حيث جعل الوسطة بينه تعالى وبين أشرف خلقه
والمنزّل بالكتابات الجامع للأوصاف المذكورة ، ودلت على ذم اليهود حيث
أبغضوا من كان بهذه المنزلة الرفيعة عند الله تعالى - قاله أبو حيان الأندلسي .
(٣) في مد : فلا يفرقوا (٤) سورة ٢ آية ٨٩ (٥) زيد في مد : اى .

١ النازلين بأمره ١ (ورسله) من البشر وغيرهم ١، ١ وخص من بينهم
بالذكر من جاءه بالفضل فقال: (وجبريل ١ وميكائيل) ، فانه قد كفر
فأهلك نفسه بكفره ، وعلى ذلك دل قوله (فان الله) ١ الملك الاعلى
(عدو للكافرين) ١ حيث أظهر ولم يضر ١ ، وعبر بالوصف اللازم
صرفا للخطاب عن يتعظ منهم فيرجع فلا تلحقه المعادة لذلك ؛ وميكائيل ه
يقال هو اسم عبودية أيضا وهو يد بسط للأرزاق ٢ المقيمة للأجسام
كما أن إسرافيل يد بسط للأرواح التي بها الحياة - قاله الحرالي .

ولما فرغ من ترغيهم في القرآن بأنه من عند الله وأنه مصدق
لكتابهم وفي جبريل بأنه الآتي به باذن الله ومن ترهيهم من عداوته
اتبعه مدح هذا القرآن وأنه واضح الأمر لمريد الحق وأن كفر به ١٠
منهم أو من غيرهم فاسق أى خارج عما يعرف من الحق فانه بحيث لا يخفى
على أحد ٥ فقال تعالى - عطفًا على قوله : "فانه نزله على قلبك باذن الله" ،
أو قوله : "ولقد جاءكم موسى بالبينات" ، أو على ما تقديره : فلقد بان
بهذا الذى نزله جبريل عليه السلام أن الآخرة ليست خالصة لهم ٦ وأنهم ٦

(١ - ١) ليست في ظ (٢) جبريل اسم ملك علم له . . . وأبعد من ذهب إلى
أنه مشتق من جبروت الله ، ومن ذهب إلى أنه مركب تركيب الإضافة ومعنى
جبر عبد وإبل اسم من أسماء الله ، لأن الأعجمي لا يدخله الاشتقاق العربي ،
ولأنه لو كان مركبا تركيب الإضافة لكان مصروفا - قاله أبو حيان الأندلسي ؛
وفيه مزيد تحقيق فليراجع ثمة (٣) في مد : الارزاق (٤) في مد فقط : لمزيد -
كذا (٥) ليس في م (٦) في ظ : و (٧-٧) ليس في ظ .

من أحاطت به خطيئته لكفره - : ﴿ ولقد أنزلنا ﴾ ١ بعظمتنا في ذلك وغيره ﴿ اليك ﴾ و أنت أعظم الخلق ﴿ ايئت يئنت ﴾ في الدلالة على صدقك وصحة أمرك ، ٢ والبيئة الدلالة الفاصلة بين القصة ٣ الصادقة والكاذبة ، ففسقوا بكفرهم بها ﴿ وما يكفر بها ﴾ منهم ومن غيرهم ٥ ﴿ الا الفسقون ﴾ الذين الفسق ٤ لهم صفة ٤ لازمة ، ٥ وعن الحسن أن الفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي وقع على أعظمه من كفر وغيره ٦ ،

(١) سبب نزولها فيما ذكر الطبراني أن ابن صوريا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما جئت بآية بينة فنزلت ، وقال الزمخشري : قال : ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فتنبئك لها ، فنزلت - انتهى . ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنه لما ذكر تعالى جملا من قبائح اليهود و ذمهم على ذلك وكان فيما ذكر من ذلك معاداتهم لجبريل فلما سب ذلك إنكارهم لما نزل به جبريل فأخبر الله تعالى بأن الرسول عليه السلام أنزل عليه آيات بينات وأنه لا يحدد نزولها إلا كل فاسق وذلك لوضوحها - قاله أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٧٣ (٢) العبارة من هنا إلى « والكاذبة » ليست في ظ (٣) في م : القضية (٤-٤) في م ومد : صفة لهم . (٥) العبارة من هنا إلى « وغيره » ليست في ظ (٦) قال أبو حيان الأندلسي ما نصه : و ناسب قواه ﴿ يئنت ﴾ لفظ الكفر وهو التغطية ، لأن البين لا يقع فيه إلا باس ، فعدم الإيمان به ليس لشبهة لأنه بين ، وإنما هو تغطية وستر لما هو واضح بين ، وستر الواضح لا يقع إلا من متمرد في فسقه و كنى بالفسق هنا عن الكفر لأن الفسق خروج الإنسان عما حده وقد تقدم قول الحسن أنه يدل على أعظم ما يطلق عليه فكأنه قيل : وما يكفر بها إلا المبالغ في كفره المنتهى فيه إلى أقصى غاية - انتهى كلامه .

وفي ذلك رجوع إلى وصف الكتاب الذي هو مقصود السورة .
 ولما أنكر عليهم أولا ردهم للرسول لأمرهم^١ بمخالفة الهوى في قوله
 "افكلما جاءكم رسول" واتبعه بما يلائمه إلى أن ختم بأن آيات هذا
 الرسول من الأمر البين الذي يشهد^٢ به كتابهم و قد أخذ عليهم العهد
 باتباعه كما أرشد إليه قوله تعالى "فأما يأتينكم منى هدى - الآية" أنكر^٣
 عليهم ثانيا كفرهم بما أتى به الرسل بقوله ﴿٣١﴾ وكلموا عهدوا عهدا نبذه
 أى طرحه محققا له ﴿فريق منهم﴾ أى ناس^٤ شأنهم السعى في الفرقة .
 ولما كان هذا مترددا بين التقليل والتكثير لتردد^٥ التووين بين التعظيم
 والتحقير رد احتمال التقليل^٦ بقوله ﴿بل﴾ أى وليس الفريق الكافر
 بالنبد أقلهم بل ﴿أكثرهم لا يؤمنون﴾ حالا ولا مآلا .
 ١٠

ثم اتبع هذا الإنكار ذكر الكتاب والرسول كما فعل في الإنكار
 الأول غير أنه صرح هنا بما طواه هناك فقال ﴿ولما جاءهم رسول﴾ أى^١
 عظيم محيطه^٢ دعوته بما أشعر به الاسم^٣ الأعظم في قوله ﴿من عند الله﴾
 أى الملك الذى له^٤ جميع الملك والأمر ﴿مصدق لما معهم﴾ لكونه

(١) فى مد: امرهم (٢) فى م و مد: شهد (٣) والمراد بهذا الاستفهام الإنكار
 وإعظام ما يقدمون عليه من تكرار عهودهم ونقضها، فصار ذلك عادة لهم
 وسجية فينبغى أن لا يكثر بأمرهم وأن لا يصعب ذلك، فهى تسلية للرسول
 صلى الله عليه وسلم إذ كفروا بما أنزل عليه، لأن ما كان ديدنا للشخص وخلقنا
 لا ينبغي أن يحتفل بأمره - قاله أبو حيان (٤) فى مد: من (٥) زيد فى م وظ:
 أى (٦) وقع فى م و مد: التعليل - مصحفا (٧) ليس فى م (٨) ليس فى مد .

أتى بكتاب محقق أنه من عند الله لإعجاز نظمه و تصديق معناه لكتابهم
 (نبد) أي رمى رمى استخفاف (فريق من الذين اوتوا الكتب) الأول
 (كتب الله) الملك الأعلى الذي أخذ عليهم فيه الميثاق على لسان
 نبيهم باتباع النبي الأسمى أسوأ النبد يجعله ٢ لاستخفافهم به ٢ (وراء
 ظهورهم) ٢ بتركهم للعمل به وإن حلوه بالذهب ووضعوه على الكراسي
 بين أيديهم ٢. وأشعر بنسأدهم بقوله (كانهم لا يعلمون ه) ° ولما
 كانت سنة الله جارية بأنه ما أمات أحد سنة إلا زاد في خذلانه بأن أحيى
 على يده بدعة أعقبهم نبذهم لكلام الله / أولى الأولياء إقبالهم على كلام
 الشياطين الذين هم أعدى الأعداء فقال تعالى (واتبعوا ما تتلوا) أي
 ١٠. 'تقرأ أو تتبع' ١، 'وعبر بالمضارع إشارة إلى كثرته وفشوه'

/١٠٥

(١ - ١) ليس في ظ (٢ - ٢) ليس في ظ، وفي م: لاستحقاقهم (٣) العبارة
 من هنا إلى «أيديهم» ليست في ظ (٤ - ٤) ليس في مد (ه) قال أبو حيان:
 ومتعلق العلم محذوف أي كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك
 لثبوت ذلك عندهم وتحققه، وإنما نبذوه على سبيل المكابرة والعناد، وقال
 الشعبي: هو بين أيديهم يقرءونه ولكنهم نبذوا العمل به، وعن سفيان: أدرجوه
 في الديباج والحريرو حلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه - انتهى
 كلامه . . . وقال الثاوري: كأنهم لا يعلمون ما أمروا به من اتباع محمد
 صلى الله عليه وسلم، وقيل معناه: كأنهم لا يعلمون أنه نبي صادق، وقيل معناه:
 كأنهم لا يعلمون أن القرآن والتوراة والإنجيل كتب الله وأن كل واحد منها
 حق والعمل به واجب - انتهى كلامه (٦ - ٦) في مد: يقرأ ويتبع (٧ - ٧) العبارة
 من هنا إلى «استمراره» ليست في ظ (٨ - ٨) في مد: كدته وتسوة - كذا .

واستمراره ﴿الشيطان على ملك﴾ أى زمن^١ ملك ﴿سليمن﴾ من
 السحر الذى هو كفر . قال الحرالى : من حيث أن حقيقته أمر يطل
 بذكر اسم الله و يظهر أثره فيما قصر عليه من التخييل و التمريض و نحوه
 بالاختصار به من ٢ دون اسم الله الذى هو كفر - انتهى . وكأن السحر
 كان فى تلك الأيام ظاهرا عاليا على ما يفهمه التعبير بعلی ، ٣ و أحسن ٥
 من هذا أن يضمن "تلاوا" تكذب^٢ ، فيكون التقدير : تتلو كذبا على
 ملكه ، كما أشار إليه ما رواه البغوى وغيره عن الكلبي و كذا ما روى عن
 السدى . ٢ و قال أبو حاتم أحمد بن حمدان^٣ الرازى فى كتاب الزينة :
 و روى فى الحديث أنه لما مات سليمان عليه السلام عمدت الشياطين
 فكتبت أصناف السحر : من كان يحب أن يبلغ كذا فليفعل كذا ، ١٠
 و جعلوه فى كتاب ثم ختموه بخاتم سليمان و كتبوا فى عنوانه : هذا كتاب
 آصف بن برخيا الصديق لسليمان^٤ بن داود عليهما السلام من ذخائر
 (١) فى مد : روى - كذا (٢) ليس فى م (٣) العبارة من هنا إلى « فى يهود انتهى »
 ليست فى ظ (٤) فى البحر المحيط ٣٢٦/١ : وقال أصحابنا : لا تكون « على »
 فى معنى « فى » بل هذا من التضمين فى الفعل ضمن تقول فعديت بعلی لأن
 تقول تعدى بها ، قال تعالى "ولو تقول علينا" ومعنى "على ملك سليمان"
 أى شرعه و نبوته و حاله ، و قيل على عهده و فى زمانه ، و هو قريب ، و قيل :
 على كرمى سليمان بعد وفاته ، لأنه كان من آلات ملكه (ه) فى م : احمدان .
 (٦) فى مد : سليمان .

کینوز العلم، ثم دفنوه تحت کرسیه؛ فاستخرجہ بعد ذلک بقایا بنی اسرائیل
حين أحدثوا ما أحدثوا، فلما عبروا علیہ قالوا: ما کان ملک سلیمان
إلا بهذا، فأفشوا السحر فی الناس؛ فلیس هو فی أحد أكثر منه فی یهود-
اتہی .

۵ و سلیمان - علی ما ذکر فی أول إنجیل متى أثناء إنجیل لوقا - هو
ابن داود بن لسی^۱ بن عونید^۲ بن باعاز^۳ بن سلمون^۴ بن یصون بن
عمیناداب^۵ بن ارام بن یورام بن حصرون^۶ بن فارض بن یھودا بن یعقوب
ابن إسحاق بن إبراهیم علیہم السلام و الحاصل أنهم مع ترکہم للکتب
المصدقة لما معهم، الکفيلة بكل ددی و بركة، الآتية من عند الله المتجب
۱۰ إلى عباده بكل جمیل، علی السنة رسله الذین هم أصدق الناس و أنصحهم
و أهدام، لا سيما هذا الکتاب المعجز الذی کانوا یتباشرون بقرب زمن
صاحبه؛ اتبعوا السحر الذی هو أضر الأشياء و أبغضها^۷، الآتی به الشیاطین
الذین هم أعدی الأعداء^۸ و أظلمها^۹، و أعجب ما فی ذلک أنهم نسبوا السیجر
إلی سلیمان علیہ السلام کذبا و فجورا و کفروہ به ثم کانوا هم أشد الناس
۱۵ تطلبا له و مصاحبة علما و عملا و أكثر ما یوجد فیهم، فکانوا بذلك
شاهدين علی أنفسهم بالکفر؛ و من المجاسن أيضا أنه لما کان قوله ”و لقد

(۱) هکذا فی الأصل و ظ، و فی م: یسی، و فی مد: سی - کذا (۲) فی مد:
عونید (۳) کذا فی الأصل و م، و فی ظ و مد: باعاز (۴) فی م: عمینادات بن
- کذا (۵) فی ظ: حصرون (۶) فی مد: استفها (۷-۷) فی م: أعداء الأعداء،
و فی ظ: أعداء الأعداء (۸) فی م: اظلمها .

١٥ "إننا موسى الكتيب و قفينا من بعده بالرسول ١" و ما بعده في ٢ الكتيب
و الانبياء ٢ و الرسل من البشر و الملائكة كانت فذلكته ٣ أن الكفرة من
أهل الكتاب نبذوا ذلك كله و ناهضوه و أقبلوا على السحر الذي كان
إبضاله من أول معجزات نبهم و أعظمها؛ فهو أشد شيء منافاة لشرعهم مع
علمهم بأن ذلك ٥ يضرهم في الدارين و لا ينفعهم .

و لما اعتقد أهل الكتاب بعد موت سليمان ٦ عليه السلام أن السحر
منه ، و أن انتظام ملكه على الإنس و الجن و الطير و الوحش و الرخ
إنما كان به ، نفي الله تعالى ذلك عنه بقوله : ﴿ و ما كفر سليمان ٧ ﴾ ، قال
الحرالي : يقال ٨ هو ٩ من السلامة ، فانه من سلامة صدره ١٠ من تعلقه بما
خوله الله تعالى من ملكه " هذا من فضل ربي ليبلوني أشكرام اكفر ١١ " ١٠

(١) سورة ٢ آية ٨٧ (٢-٢) في م : الانبياء و الكتب (٣) في م : فذلكته (٤) في
ميد : ناهضوا (٥) زيد في الأصيل : ١٤ و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها
(٦) في مد : موسى (٧) قال أبو حيان الأندلسي : تنزيه لسليمان عليه السلام عن
الكفر ، أي ليس ما اختلقته الجن من نسبة ما تدعيه إلى سليمان تعاطاه سليمان ،
لأنه كفروا من نبأه الله تعالى منزله عن المعاصي الكبائر و الصغائر فضلا عن الكفر ؛
و في ذلك دلائل على صحة نفي الشيء ، عمن لا يمكن أن يقع منه الكفر ؛ و لا يدل
هذا على أن ما نسبوه إلى سليمان من السحر يكون كفرا ، إذ يحتمل أنهم نسبوا
إليه الكفر مع السحر ، و روى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما ذكر سليمان في
الأنبياء قال بعض اليهود : انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء و ما كان إلا
ساحرا ، نسبته إلى السحر و العمل به - انتهى كلامه (٨) ليس في مد (٩) زيد
في م : اسم (١٠) في ظ : مقدره (١١) سورة ٢٧ آية ٤٠ ،

وهو واحد كمال ١ في ملك العالم المشهود من الأركان الأربعة وما منها من المخلوقات - انتهى . أى ما وقع منه ٢ كفرًا فضلًا عن أن يكون بالسحر الذى هو أبعد الأشياء عن آيات الأنبياء ﴿ولكن الشيطانية كفروا﴾ . ثم بين كفرهم بقوله ﴿يعلمون الناس﴾ أى المضطربين ٣ الذين لم يصلوا إلى سنّ الذين آمنوا ﴿السحر﴾ أى الذى ولدوه هم بما يزينونه من حاله ^٤ليعتقد أنه مؤثر بنفسه ونحو ذلك ، كما أن الأنبياء ^٥ وأتباعهم يعلمون الناس الحق بما يبينونه ^٦ من أمره . والسحر قال الحرالي : هو قلب الحواس في مدركاتنا عن الوجه المعتاد لها في صحتها عن سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله عليه . وقال الكرماني : أمر خارق للعادة ١٠ صادر عن نفس شريفة ١٠ لا تتعدى ١١ معارضته ١٢ وقال الأصفهاني : اختلفوا في تعلمه على ثلاثة أوجه : أحدها ١٣ أنه حرام ، الثانى أنه مكروه ، الثالث أنه مباح ؛ والحق أنه إن كان تعلمه للعمل فهو حرام ، وإن كان لتوقيه وعدم الاغترار به فهو مباح " ، وقال : و ^{١٤} المراد بالسحر ما يستعان (١) في ١٠ : كما قال (٢) في م : من (٣) أخره في ظ عن « آمنوا » (٤) في ظ : المضطربين (٥) في م : خاله - كذا (٦) في م : ليعتقدوا (٧) زيد في م : عليهم السلام (٨) من م ومد وظ ، وفي الأصل : يبينونه (٩) من م ومد ، وفي الأصل : ضار ، وفي ظ : صار (١٠) في م : سريرة (١١) في مد : لا يتعدى (١٢) العبارة من هنا إلى « لا خفى سببه » ليست في ظ (١٣) ليس في م (١٤) ذكر أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ١/ ٣٢٧ في حقيقة السحر سبعة أقوال . . . وقال بعد ذكر السابع : قال بعض معاصرينا : هذه الأقوال كلها التى قالوها في حقيقة السحر أنواع =

في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بما لا يستقل به الإنسان ، وذلك لا يستتب^١ إلا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس ، فإن تناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا يميز الساحر عن^٢ الولي والنبى^٣ ؛ وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية أوربه^٤ صاحب خفة^٥ اليد فقير حرام ، وتسميته سحرا^٦ على التجوز^٧ لما فيه من الدقة^٨ ، لأنه في الأصل لما خفى سبه .

وقوله : ﴿وما﴾ ، أى واتبعوا^٩ أو ويعلمون ﴿ما أنزل على الملوك﴾ قال الحرالى : فيه إنباء بأن هذا التخيل ضربان : مودع في الكون هو أمر الشياطين ، ومنزل من غيب^{١٠} هو المتعلم من الملوك ؛ وقال : ﴿يابل﴾ تحقيقا لنزولها إلى الأرض ﴿هاروت وماروت﴾ بدل ١٠ من الملوك ١٠ ، كأنهما لما كانا مع الحاجة إليهما لا يحتاجان إلى أحد^{١١} = السحر وقد ضم إليها أنواع أخر من الشعبة والدك والنازجيات والأوقاف والعزائم وضروب المنادل والصرع وما يجرى ذلك - انتهى كلامه . ولا يشك في أن السحر كان موجودا انطق القرآن والحديث الصحيح (١٢) ليس في م .

(١) في م : لا تستتب ، وفي مد : لا يستتب^(٢-٢) في مد : النبى والولى (٣) في م : برية (٤) في م فقط : خفة - الحياء المهمة - كذا (٥) ليس في مد (٦) في م : البخور - كذا (٧) في م : الرقة (٨) زيد في ظ : ما (٩) من م و مد وظ ، وفي الأصل : عيب - كذا بالعين المهمة (١٠) زيد في الأصل « و » ولم تكن الزيادة في م و مد وظ لحذفها (١١) لعله إشارة إلى قصة ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٢٩ وفيها : وامتنعت (زهرة) إلا أن يعبد صنما ويشربا =

وَصَفَا أَيْضًا بِكَوْنِهَامَا مُلْكَيْنِ - بِكَسْرِ اللَّامِ، وَعِبَارَةُ الْحَرَالِ: مُلْكَانِ جَمْعًا
 مُلْكَيْنِ فِي الْأَرْضِ، وَالآيَةُ مِنْ إظهارِ اللَّهِ لِلثَّلَاثَةِ أَفْضَلِ الْخَلِيفَةِ^١، ثُمَّ بَيْنَ
 نَصِيحَةِ الْمُلْكَيْنِ بِقَوْلِهِ^٢ ﴿وَمَا﴾ فَأَبْنَأُ أَنْ التَّقْدِيرُ: وَمَا كَفَرَ الْمَلَكَانِ
 كَمَا كَفَرَ الشَّيَاطِينُ فَانْهَاهَا مَا ﴿يَعْلَمْنَ﴾، وَزِيَادَةُ مِنْ فِي قَوْلِهِ^٢ ﴿مِنْ
 ١٠٦ / ٥ أَحَدٍ﴾ لِتَأْكِيدِ الْإِسْتِفْرَاقِ ﴿حَتَّى يَقُولَا / إِنَّمَا نَحْنُ قَتْنَةٌ﴾ أَيْ عَلَى صُورَةِ
 الْإِخْتِبَارِ^٣ مِنْ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، فَانَّهُ يَعْلَمُ نَبَأًا مِنْ يَخْتَارُ السَّحَرُ لِمَا فِيهِ مِنَ النِّفْعِ
 الْعَاجِلِ عَلَى أَمْرِ النَّبُوَّةِ فَيَكْفُرُ، وَمَنْ يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ لِثَلَاثٍ يَقَعُ فِيهِ وَهُوَ
 لَا يَشْعُرُ ثُمَّ يَتْرَكَهُ إِقْبَالًا عَلَى دِينِ اللَّهِ؛ وَوَحْدٍ وَالتَّخْبِيرُ عَنْهُ اثْنَانِ لِأَنَّهَا
 مَصْدَرٌ وَهُوَ لَا يَتْنَى وَلَا يَجْمَعُ^٤ ٢٠ قَالَ الْحَرَالِ^٢: وَأَصْلُ مَعْنَاهَا مِنْ قَتْنٍ
 ١٠. الذَّهَبِ وَهُوَ تَسْخِيرُهُ^٥ لِيُظْهِرَ جَوْهَرَهُ وَيَتَخَلَّصَ طَبِيعَهُ مِنْ خَبِيثَةٍ - انْتَهَى.
 ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾^٦ بِالْعَمَلِ بِمَا نَعْلَمُكَ، فَإِنَّ الْعَمَلَ بِهِ كَفَرٌ،^٨ أَوْ بِإِعْتِقَادِ أَنَّهُ
 حَقٌّ مَغْنٍ عَمَّا جَاءَ عَنِ اللَّهِ، أَوْ مُؤَثِّرٌ بِنَفْسِهِ^٩ ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا مَا يَفْرُقُونَ بِهِ﴾
 مُخَالَفَةً لِلْمُلْكَيْنِ فِي الْهَيِّ عَنْ ذَلِكَ، وَذَكَرَ الْفَرْقَةَ فِي أَشَدِّ الْإِتِّصَالِ^{١٠}
 لِيَفْهَمَ مِنْهُ مَا دُونَهُ فَقَالَ: ﴿بَيْنَ الْمَرْءِ^{١١} وَزَوْجِهِ﴾، وَالْمَرْءُ اسْمُ سِنٍّ مِنْ أَسْنَانٍ

= الْحَمْرُ وَيَقْتُلَا - الْخ.

(١ - ١) فِي م: فَضْلًا الْخَلِيقَةُ (٢ - ٢) لَيْسَتْ فِي مَد (٣) مِنْ مَد وَظ، وَفِي
 الْأَصْلِ: الْإِخْتِبَارُ - كَذَا (٤) الْعِبَارَةُ مِنْ هُنَا إِلَى «وَلَا يَجْمَعُ» لَيْسَتْ فِي م
 وَظ (٥) فِي الْأَصْلِ: لَيْلًا (٦) فِي ظ: تَسْخِيرٌ (٧) قَالَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ: كَمَا يَعْلَمَانِ
 تَعْلِيمَ الْإِنذَارِ لَا تَعْلِيمَ دَعَاءٍ إِلَيْهِ كَأَنَّهُمَا يَقُولَانِ: لَا تَفْعَلْ كَذَا، كَمَا لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ
 عَنْ صِفَةِ الزَّوْنَا أَوْ الْقَتْلِ فَأَجَبَ بِصِفَتِهِ اجْتَنِبْهُ، فَكَانَ الْمَعْنَى فِي «يَعْلَمْنَ» يَعْلَمَانِ - قَالَ
 أَبُو جِيَانِ الْأَنْدَلُسِيُّ (٨ - ٨) لَيْسَتْ فِي ظ (٩) فِي م: الْإِمْتَالُ^{١٠} (١٠) قِرَاءَةُ الْجَمْهُورِ =

الطبع يشارك الرجل به المرأة و يكون له فيه ١ فضل ما ويسمى معناه المروءة - قاله الحرالي .

ولما ذكر السبب القريب ٢ للضرر رده إليه ترقية ٣ للذهن الثاقب إلى أعلى ٤ المراتب وصونا له عن اعتقاد ما لا يناسب فقال : ﴿ و ما م بضارين ﴾ وهو من الضر - بالفتح و الضم - وهو ما يؤلم الظاهر من ٥ الجسم و ما يتصل بمحسوسه ، في مقابلة الأذى وهو إيلام النفس و ما يتصل بأحوالها ، وتشعر ٦ الضمة في الضر بأنه عن علو ٧ وقهر ، والفتحة بأنه ما يكون عن مماثل ونحوه ، و قل ما يكون عن الأذى ٨ إلا أذى ٩ ومنه " لن يضروكم الا أذى " قاله الحرالي ﴿ به من احد ﴾ . ولما أكد استغراقه بضروب من التأكيد تلاه بمعيار ١٠ العموم فقال : ﴿ الا باذن الله ﴾ ، ١١ المحيط ١٠

بكل شيء قدرة وعلما ولا كفوء له ١١ ، وفيه إعلام لهم بأن ضرره = بفتح الميم وسكون الراء والهمز ، وقرأ الحسن والزهرى و قتادة : المر - بغير همز مخففا ، وقرأ ابن أبي إسحاق : المرء - بضم الميم والهمزة ، وقرأ الأشهب العقيلي : المرء - بكسر الميم والهمز ، ورويت عن الحسن ، وقرأ الزهرى أيضا : المرء - بفتح الميم وإسقاط الهمز وتشديد الراء - البحر المحيط ١/ ٣٢٧ .

(١) ليس في م (٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : القرب - كذا (٣) من م وظ ، وفي الأصل : ترقية (٤) من م ومد وظ ، وفي الأصل : اعلا (٥) في الأصل : وشعر - كذا (٦) في م عتو (٧) في الأصل : الأذى ، وفي م ومد : الأذى ، وفي ظ : الأذى - كذا (٨) سورة ٣ آية ١١١ (٩) من م وظ ومد ، وفي الأصل : خيار - كذا (١٠) وفي هذه الجملة أى ﴿ الا باذن الله ﴾ دليل على أن ما يتعلمون =

الرسول لله صلى الله عليه وسلم ذلك الضرر الضعيف حيث سحره ليد
ابن الأعصم إنما هو كضرر غيره من الأسباب التي قد تنقضي فيضاف الأمر
في ضررها إلى الله تعالى ، وقد تعرف فيضاف الضرر إليها كما كان يحصل
لغيره من إخوانه من الأنبياء منهم ومن غيرهم ، والعلم حاصل بأن المؤثر
في الجميع في الحقيقة هو الله تعالى ، وسيأتي عند قوله تعالى ” وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها “ في سورة الأنعام ما ينفع استحضاره هنا .
ولما كان هذا الذي تقدم وإن كان للعامل^١ به^٢ نفع على زعمه فضرره
أكبر من نفعه اتبعه قسماً آخر ليس للعامل^١ به شيء غير الضرر ؛ فليس الحامل
على تعلمه إلا إثارة للحاق بابليل وحزبه فقال^١ : ﴿ ويتعلون ﴾ ، أي من السحر
الذي ولده الشياطين لا من ” الملوك (ما يضرهم) ” لأن مجرد العمل به كفر
أو مصيبة ثم حقق أنه ضرر كله لاشائبة للنفع^{١١} فيه بقوله ١٢ : ﴿ ولا ١٣ ينفعهم ﴾

== له تأثير و ضرر لكن ذلك لا يضر إلا باذن الله ، لأنه ربما أحدث الله عنده
شيئاً وربما لم يحدث - قاله أبو حيان (١١ - ١١) ليست في ظ .

(١ - ١) في م : لرسوله (٢ - ٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : علم (٣) في مد
يعرف (٤) ٦ آية ٩٧ (٥) من م ومد ، وفي الأصل : تقدم - كذا (٦) من م
ومد وظ ، وفي الأصل : للحامل (٧) في ظ : بل (٨) في م : قسم (٩) ليس في
ظ (١٠) في ظ : لامر - كذا (١١) وفي مد : للنقض (١٢) في م : بقولهم (١٣) لما ذكر
انه يحصل به الضرر لمن يفرق بينهما ذكر أيضاً أن ضرره لا يقتصر على من يفعل
به ذلك بل هو أيضاً يضر من تعلمه ، ولما كان إثبات الضرر بشيء لا ينفي النفع
لأنه قد يوجد الشيء فيحصل به الضرر ويحصل به النفع نفى النفع عنه بالكلية
وأقرب بلفظ ” لا ، لأنها ينفي بها الحال والمستقبل - البحر المحيط ١ / ٣٣٣ .

لأنه لا تأثير له أصلاً، والنفع وصول موافق الجسم الظاهر وما يتصل به في مقابلة الضرر، ولذلك يخاطب به الكفار كثيراً لوقوع^٢ معنيهما^٣ في الظاهر الذي هو مقصدهم من ظاهر الحياة الدنيا - قاله الحرالي .

ثم اتبعه ما يعرف أنهم ارتكبوه على علم فقال محققاً مؤكداً: ﴿ ولقد علموا ﴾ ، يانا لأنهم أسفه الناس ﴿ لمن اشترته ﴾ أى آثره ه على ما يعلم نفعه من الإيمان ﴿ ما له في الآخرة ﴾ * الباقية الباقى نفعها ﴿ من خلاق ﴾ أى نصيب موافق أصلاً ، والخلاق الحظ اللائق لمن يقسم له النصيب من الشيء كأنه موازن^٤ به خلق نفسه وخلق جسمه - قاله الحرالي .

ثم جمع لهم المذام^٥ على وجه التأكيد فقال: ﴿ ولبئس ما شروا ﴾ ، ١٠ . أى باعوا على وجه اللجاجة ﴿ به انفسهم ﴾ إشارة إلى أنه بما أحاط بهم فاجتثت^٦ نفوسهم من أصلها فأوجب لهم الخلود في النار ، ثم قال بعد اثبات العلم لهم: ﴿ لو كانوا يعلمون ه ﴾ ، أى لو كان لهم قابلية لتلقى واردات^٧

(١) ليس في م (٢) في ظ : للوقوع (٣) هكذا في الأصل و مد ، وفي م و ظ : معنيهما (٤) قال أبو حيان الأندلسي : والضمير المنصوب في اشترته عائده على السحر أو الكفر أو كذبهم الذي باعوه بالسحر أو القرآن لأنه تعوضوا عنه بكتب السحر - أقوال أربعة . والخلاق النصيب - قاله مجاهد ، أو الدين - قاله الحسن ، أو انقوام - قاله ابن عباس ، أو الخلاص أو القدر ، قاله قتادة - أقوال خمسة - انتهى كلامه (هـ) زيد في ظ : أى (٦) في مد : موافق (٧) في الأصل : الزام (٨) وقع في الأصل : فاجتثت ، وفي م و ظ : فاجتث ، وفي مد : فاحسست - مصحفاً (٩) في ظ : وارات .

الحق ، إشارة إلى أن هذا لا يقدم عليه من له أدنى علم ، فعلهم الذى
أوجب لهم الجرأة على هذا عدم بل تعدم خير منه .

ولما بين ما عليهم فيما ارتكبه من المضار اتبعه ما فى الأعراض

عنه^١ من المنافع فقال : ﴿ ولو انهم ['امنوا - '] ﴾ أى بما دعوا إليه من هذا

القرآن ،^٢ ومن اعتقاد أن الفاعل فى كل شيء إنما هو الله لا السحر^٣

﴿ واتقوا ﴾ ما يقدح فى الإيمان^٤ من الوقوف مع ما كان حقا ففسخ

من التوراة فصار باطلا ، ومن الإقدام على ما لم يكن حقا أصلا من

السحر لاثبيوا خيرا عما تركوا ، لأن^٥ من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا

منه ؛ هكذا الجواب ولكنه^٦ عبر عنه بما يقتضى الثبوت والدوام والشرف

١٠ إلى غير ذلك بما^٧ يقصر^٨ عنه الأذهان من بلاغات القرآن فقال :

﴿ لمثوبة ﴾^٩ صيغة مفعلة من الثواب وهو الجزاء بالخير^{١٠} ، وفى الصيغة

(١) ليس فى مد (٢) زيد من م ومد وظ والقرآن المجيد ، وقد سقط من

الأصل (٣-٣) ليست فى ظ (٤) وقع فى الأصل : الايماء - خطأ ، والتصحيح

من م وظ ومد (٥) فى ظ : الان - كذا (٦) فى ظ : واسكن (٧) من م

ومد وظ ، وفى الأصل : بما - كذا (٨) فى م ومد وظ ، تقصر (٩) اللام لام

الابتداء لا الواقعة فى جواب لو وجواب لو محذوف لفهم المعنى أى لاثبيوا ،

ثم ابتداء على طريق الإخبار الاستثنائى لا على طريق تعليقه بإيمانهم وتقواهم

ورتبة عليهما - هذا قول الأخفش أغنى أن الجواب محذوف - البحر المحيط

١/٣٣٥ (١٠) من م ومد وظ ، وفى الأصل بالخبر - كذا .

إشعار بعلو وثبات - قاله الحرالي ، و شرفها بقوله : ﴿ من عند الله ١ ﴾ الذي^٢ له جميع صفات الكمال^٣ ، وزادها شرفاً بقوله : ﴿ خير ٢ ﴾ ، مع حذف المفضل عليه .^٤ قال الحرالي : و سوى بين هذه المثوبة و مضمون الرسالة في كونها من عند الله تشريفاً لهذه المثوبة وإحافاً لها بالنمط العلي من علمه و حكمته و مضاء^٥ كلمته^٦ - انتهى . و هذه المثوبة عامة لما يحصل في الدنيا و الأخرى ه من الخيرات التي منها ما يعطيه الله لصالحى عباده من التصرف بأسماء الله الحسنی على حسب ما تعطيه مفهوماتها من المنافع ، و من ذلك واردات الآثار^٧ ككون الفاتحة شفاء و آية الكرسي حرزا من الشيطان و نحو ذلك من منافع القرآن و الأذكار و التبرك بآثار الصالحين و نحوه .

ثم أكد الخبر^٨ بأن علمهم جهل بقوله : ﴿ لو كانوا يعلمون ه ﴾ ١٠ . و قال الحرالي : فيه إشعار برتبة من العلم أعلى و أشرف من الرتبة التي كانت تصرفهم عن^٩ أخذ السحر ، لأن تلك الرتبة زهد في علم ما هو

(١) قال في البحر المحيط : وفي وصف المثوبة بكونها من عند الله تفخيم و تعظيم لها ، و لمناسبة الإيمان و التقوى لذلك كان المعنى أن الذي آمنتم به و اتقيتم محارمه هو الذي ثوابكم منه على ذلك فهو المتكفل بذلك لكم ؛ و اكتفى بالتذكير في ذلك إذ المعنى شيء من الثواب :
قليلك لا يقال له قليل

(٢ - ٣) ليست في ظ (٣) و قال أبو حيان : و ليس " خير " هنا أفعل تفضيل بل هي للتفضيل لا للأفضلية فهي كقوله " أفن يلقي في النار خير " و خير مستقراً :
فشر كما لخير كما الفداء

(٤) في م : قاله (٥) في م فقط : امضاء (٦) في ظ : كلمة (٧) في ظ : للآثار .
(٨) في م : الخير (٩) في مد : على .

شر و هذه ترغب في منال^١ ما هو خير ؛ وفيه بشرى لهذه الأمة بما في
 ١٠٧ / كيانها من / قبول هذا العلم الذي هو علم الاسماء و منافع القرآن يكون^٢
 لهم عوضا من علم السيميا الذي هو باب من السحر . و عساه أن يكون
 من نحو المنزل على الملكين ، قال صلى الله عليه وسلم : من اقتبس علما من
 ٥ النجوم اقتبس بابا من السحر ، زاد ما زاد .

و حقيقة السيميا^٣ أمر من أمر الله أظهر آثاره في العالم الأرضي على
 سبيل أسماء و أرواح خيثة من واطن الفتن في العلويات من النيرات^٤
 و الكواكب و الصور ، و ما أبداه منه في علوم و أعمال لا يثبت شيء
 منه مع اسمه تعالى ، بل يشترط في صحته إخلاؤه عن اسم الله و ذكره
 ١٠ و القيام بحقه و صرف التحنثات و الوجهة إلى ما دونه ، فهو لذلك كفر
 موضوع فتنة من الله تعالى لمن شاء^٥ أن يفتنه به ، حتى كانت فتنة اسم
 السيميا من هدى الاسم^٦ بمنزلة اسم اللات و العزى من هداية اسم الله
 العزيز، و لله كلية الخلق و الأمر هدى و إضلالا إظهارا^٧ لكلمته الجامعة
 الشاملة لمقابلات الأزواج^٨ التي متنهاها قسمة^٩ إلى دارين : دار نور رحمان
 ١٥ من اسمه العزيز الرحيم ، و دار نار اتقامى من اسمه الجبار المنتقم ” و يوم
 تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ” .

ولما جعل سبحانه من المضرة في السحر و نحو ذلك من المثوبة لمن

(١) في م و ظ : مثال (٢) في مد : تكون (م) ايس في مد (٤) في م : النيران -
 كذا (٥) في م و ظ : يشاء (٦) في ظ : لاسم (٧) في مد : اظهار (٨) من م
 و ظ و مد ، و في الأصل : الأرواح (٩) في ظ : قسمة (١٠) سورة ٣٠ آية ١٤ .

آمن و اتقى من هذه الأمة سورة الفلق و الناس المعوذتان حرزا و إبطالا و تلقفا لما يأفك سحر الساحرات عوضا دائما ١ باقيا لهذه الأمة من عصا موسى، فهما عصا هذه الأمة التي تلقف ما يأفك سحر الساحرات عوضا دائما بما فيها ٢ من التمويذ الجامع للعوذة من شر الفلق الذي من لمحة ٣ منه كان السحر مفرقا، فهما عوذتان من وراء ما وراء السحر و نحوه، ٥ و ذلك من مثوبة الدفع مع ما أوثوا من مثوبة النفع ٥، و يكاد أن لا يقف ٦ من جاءه ٧ هذه الآية لهذه الأمة عند غاية من منال الخيرات و وجوه الكرامات - انتهى .

ولما كان من الحق كما قال الحرالي إجراء الأمور على حكم ما أثبتها الحق لأنها ٨ بذلك حق هو مثال ٩ للحق المبين و صرفها ١٠ إلى من لم يثبتها الحق في حيزه إفك و قلب ١١ عن وجهه فهو خيال باطل ١١ هو في باب لرأى ١٢ بمنزلة السحر في الحس فهو خيال لما صحته النسبة فيه مثال اتباع الآيات الدامة للسحر الحقيقي التنبيه على السحر المجازي الذي خيلوا به الخير و قصدوا به الشر ليكون النهى عنه نهيا عن الأول بطريق ١٣ الأولى فقال ملتفتا عن ذكرهم إلى خطاب المؤمنين الذي هو أخص ١٥ من "يُنبئ إسرائيل" الأخص من "يا أيها الناس اعبدوا ربكم" ١٤ "يا أيها الذين

(١) العبارة من عنا إلى « دائما » الآتى ليست في م (٢) من مد و ظ . وفي الأصل و م : فيها (٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لمح (٤) ايس في م (٥) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : للنفع (٦) في م و ظ : تقف (٧) من مد ، وفي الأصل و م و ظ : مرجاة - كذا (٨) في م : لان (٩) في م : امثال (١٠) في م : قلبه . (١١) زيد في مد : و (١٢) في مد : الراى (١٣) كذا . والظاهر : بالطريق (١٤) قال =

«نموا»، أى أقروا بالإيمان صدقوا إقراركم به بأن ﴿ لا تقولوا ﴾ للنبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ راعنا ﴾ التى تقصدون بها الرعاية والمراقبة لمقصد الخير وخفض الجانب . فاعتمها اليهود لموافقة ٣ كلمة سبته ٣ عندهم فصاروا يلون بها ألسنتهم ويقصدون بها الرعونة وهى إفراط الجهالة فتهام عن موافقتهم فى القول منعاً للصحيح الموافق فى الصورة لشبهه من القبيح . عوضهم منها ما لا يتطرق إليه فساد فقال : ﴿ وقولوا نظرنّا ﴾ فأبقى المعنى ٤ . وصرف اللفظ . قال الخراسانى : فبه إلزام تصحيح الصور ٥ لتطابق تصحيح المقاصد وليقع الفرق بين الصورتين كما وقع الفرق بين المعنيين فهى آية فرقان خاصة بالعرب ، ٦ قال الأصفهانى ٧ :

== أبو حيان الأندلسى : ولما كانت الآيات السابقة فيها ما يتضمن من الوعيد من قوله "فإن الله عدو للكافرين" وقوله "وما يكفر بها إلا الفسقون" وذكر نبيذ العهود ونبيذ كتاب الله واتباع الشياطين وتعلم ما يضر ولا ينفع والإخبار عنهم بأنهم علموا أنه لا نصيب لهم فى الآخرة اتبع ذلك بآية تتضمن الوعد الجميل لمن آمن واتقى ، فجمعت هذه الآيات بين الوعيد والوعد والترغيب والترهيب والإنذار والتبشير وصار فيها استطراد من شىء إلى شىء وإخبار بمغيب بعد مغيب متناسقة تناسق اللآلى فى عقودها متضحة انضاح الدرارى فى مطالع سعودها معلمة صدق من أتى بها وعو ما قرأ الكتب ولا دارس ولا رحل ولا عاشر الأخبار ولا مارس " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى " صلى الله عليه وأوصل أزكى تحية إليه .

(١) فى مد : يقصدون (٢) من ظ ، وفى الأصل وم ومد : حفظ (٣) من م وظ ، وفى مد : سبية ، وفى الأصل : سبية (٤) زيد فى م : الذى هو (ه) فى م : للصور . (٦) العبارة من هنا إلى « الآن » ليست فى ظ (٧) وفى البحر المحيط ٣٣٩/١ =

وهذا النهى اختص^١ بهذا الوقت، قال الواحسي: لإجماع الأمة على جواز مخاطبة بهذا اللفظ الآن وقال: ﴿واستمعوا﴾ أى قولوا ما أمرتكم به وامتلوا جميع أوامرى ولا تكونوا كاليهود فى حملهم^٢ السماع على حقيقته وقولهم "سمعنا وعصينا"؛ وعطف^٣ ﴿والكافرين﴾ على غير معطوف عليه مذكور مرشد إلى أن التقدير: فان السماع أى القبول إيمان^٥ وللسماعين نعم كريم والإعراض كفر وللکافرين من اليهود وغيرهم ﴿عذاب اليم^٥﴾.

ولما أرشد ختم الآية إلى العلة الحاملة^٤ على الامتنال علل^٥ بعله أخرى فقال^١: ﴿ما يود الذين كفروا﴾ مطلقا ﴿من اهل كتب^٢﴾ اليهود والنصارى ﴿ولا﴾ من ﴿المشركين﴾ بأى نوع كان من أنواع^{١٠}

«قال ابن عطية: وهذه لفظة مخصصة لعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، والظاهر عندى استدعاء نظر العين المقرون بتدبر الحال وهذا هو معنى «راعنا» فبدلت للمؤمنين اللفظة ليزول تعلق اليهود - انتهى .

(١) فى م: اخص (٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: حملهم (٣) قال أبو حيان الأندلسي: ولما نهى أولا وأمر ثانيا وأمر بالسمع وحض عليه إذ فى ضمنه انطاعة أخذ يذكر لمن خالف أمره وكفر^٢ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم^٤ (٤) فى م: الحاصلة (٥) فى م: علله . (٦) ليس فى ظ (٧) ذكر المفسرون أن المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بحمد صلى الله عليه وسلم فقالوا: ودنا لو كان خيرا لما نحن عليه فنتبعه . فأكذبهم الله بقوله: ﴿ما يود الذين كفروا﴾ فعلى هذا يكون المراد بأهل الكتاب الذين بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والظاهر العموم فى أهل الكتاب وعم اليهود والنصارى، وفى المشركين وهم مشركو العرب وغيرهم - قاله =

الشرك بغضا فيكم^١ حسدا لكم ﴿ان ينزل عليكم﴾ وأكد الاستفراق بقوله: ﴿من خير من ربكم﴾ أى^٢ المحسن إليكم، فكأنه^٣ قيل: للسباع علتان حاملتان عليه داعيتان^٤ إليه^٥: إحداهما أخروية وهى النعيم للطبع والعذاب للعاصي، والآخرى دنيوية وهى مخالفة الأعداء^٦، فانهم ما يودون أن ينزل عليكم شئ. لكم فيه خير فضلا عن أن تمتثلوه^٧، ومخالفة الأعداء من الأغراض العظيمة للمتمكنين فى الاخلاق الفاضلة من ذوى الأدوات^٨ الكاملة، ولم يعطف "ما يود" لأنه مع ذلك علة للعلّة، فكأنه قيل: لهم عذاب اليم لأنهم يودون^٩ لكم خيرا؛ فسماعكم من جملة عذابهم، لأنه واقع على خلاف ودادتهم^{١٠} مع ما يدخر لهم فى الآخرة بكفرهم وتمنيهم^{١١} كفرهم^{١٢}، ولا يخفى ما فيها وفى التى بعدها^{١٣} من التحريض على الكتاب الذى لا ريب فيه.

ولما بين سبحانه ما يودون اتبعه التعريف بأن له التصرف التام^{١٤}، رضى من رضى و سخط من سخط فقال معلقا الأمر بالاسم الأعظم

= أبو حيان الأندلسي .

- (١) زيد فى م : و (٢) زيد فى مد : من (٣) فى م : فانه (٤) وقع فى الأصل : راعيتان - كذا، والتصحيح من م و ظ و مد (٥) فى ظ : اليهما (٦) ليس فى مد (٧) العبارة من هنا إلى « الأعداء » ليست فى مد (٨) فى ظ : يمتثلوه . (٩) فى م : الاودات - كذا (١٠) فى م : لا يودون (١١) فى مد : ودادهم . (١٢) فى الأصل : مئتهم - كذا، والتصحيح من م و ظ و مد (١٣) فى م : كفرهم (١٤) فى ظ : يجدها - كذا (١٥) فى ظ : العالم .

الجامع: ﴿ والله ﴾ أى ' ما يودون و الحال أن ' ذا م الأسماء الحسنی
 ﴿ يختص ﴾ ٢٠ و لما كان المنزل أتم الرحمة عبر عنه بقوله ٢: ﴿ برحمته ﴾
 التى وسعت كل شىء من الهداية و العلم و غير ذلك ﴿ من يشاء ﴾ أى
 يجعله مختصا أى منفردا بها من^٥ بين الناس ، ولو كان عند غيره بمحل

الاحتقار كما كان العرب عند بنى إسرائيل لما كانوا / يرون من جهلهم ٥
 و ضلالهم و جفائهم و اختلال^٦ أحوالهم ؛ و "الاختصاص" عناية
 تعين المختص لمرتبة^٧ ينفرد بها دون غيره ، و "الرحمة" ^٨ نحلة^٩
 ما يوافى المرحوم فى ظاهره و باطنه ، أدناه كشف الضر و كف الأذى ،
 و أعلاه الاختصاص برفع الحجاب - قاله الحرالي ١٠ و لما كان ذلك ربما
 أؤم أنه إذا فعله لم يبق من رحمته ما يسع غير المختص نقاه^{١١} بقوله مصدره له^{١٢} ١٠
 بالاسم الأعظم أيضا ١٢ عاطفا على ما أفهمه الاختصاص من نحو أن يقال

(١) زيد فى م: الذى يعلم (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى ظ: ذوا (٤) العبارة
 من هنا إلى « بين الناس » ليست فى ظ (٥) ليس فى م (٦-٦) فى مد: اختلال -
 فقط (٧) فى مد: لرتبة (٨) و "الرحمة" هنا عامة بجميع أنواعها، أو النبوة
 و الحكمة و النصرة ، اختص بها محمد صلى الله عليه و سلم - قاله على و الباقر
 و مجاهد و الزجاج ، أو الإسلام - قاله ابن عباس ، أو القرآن أو النبي صلى الله
 عليه و سلم "و ما أرسلناك الا رحمة للعالمين" و هو نبى الرحمة - أنوال خمسة
 أظهرها الأول - البحر المحيط ١ / ٣٤١ (٩) من ظ و م ، و فى الأصل: نحلة ،
 و فى مد: نحلة - كذا (١٠) فى ظ: بقا - كذا (١١) ليس فى م (١٢) العبارة من هنا
 إلى « الرحمة عليهم » ليست فى ظ .

تعريضا باليهود: قاله بمن^١ يزوي^٢ عنه الرحمة عليم^٣ ﴿والله﴾^٤ أى الملك الأعلى الذى له جميع العظمة والرحمة فلا^٥ كفوء له ﴿ذو الفضل العظيم﴾^٥ أى الذى لا يحصر^٦ بحد ولا يدخل تحت عد .

ولما حرم سبحانه قولهم "راعنا" بعد حله وكان ذلك من باب النسخ وأنهى^٧ ما يتعلق به بالوصف بالفضل العظيم بعد التخصيص الذى من^٨ مقتضاه نقل ما يكون من المنافع من ملك أو دين أو قوة أو علم من ناس إلى ناس^٩، وكان اليهود يرون أن دينهم لا ينسخ، فكان تنسخ لذلك من مظائعهم فى هذا الدين وفى كون هذا الكتاب هدى للدينين، لأنه على زعمهم لا يجوز على الله، قالوا: لأنه يلزم منه البدا - ١٠ أى بفتح الموحدة^{١٠} مقصورا - وهو أن يبدو الشيء أى يظهر بعد أن لم يكن . وذلك لا يجوز على الله تعالى؛ هذا مع أن النسخ فى كتابهم الذى بين أظهرهم، فإن فيه أنه^{١١} تعالى أمرهم بالدخول إلى بيت المقدس بعد مقاتلة الجبارين، فلما أبوا حرم عليهم دخولها ومنعهم منه ومن القتال بالقدرة والأمر، كما ستراه عن نص التوراة فى سورة المائدة إن شاء الله

(١) فى م: ممن، وفى مد: عن (٢) فى مد: روى (٣) فى مد: عليهم . (٤) العبارة من هنا إلى "له" ليست فى ظ (٥) فى م: ولا (٦) فى م: لا يحضر، وفى مد: لا يحصر، وفى الأصل: لا يحضر - كذا (٧) من م وظ ومد، وفى الأصل: انتهى (٨) ليس فى مد (٩) قال أبو حيان الأندلسي: ﴿الفضل العظيم﴾ يجوز أن يراد به هنا جميع التفضلات فتكون "ال" للاستغراق، وعظمه من جهة سعته وكثرته (١٠) فى ظ: الباء (١١) فى م: إن .

تعالى ، وأمرهم بالجمعة فاختلفوا فيه ، كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم
 وبأني في قوله تعالى ” إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ١ “
 واختاروا السبت ، ففرض عليهم وشدد عليهم فيه وأحل لهم جميع
 اللحوم والشحوم ، فلما اتخذوا العجل حرم عليهم الشحوم ؛ وأعظم ٢
 من ذلك تعاطيهم من النسخ ما لم يأذن به الله في تحريفهم الكلم عن ٥
 مواضعه ، وتحريم الاحبار والرهبان وتحليلهم لهم ما شاؤوا من الاحكام
 التي ٣ تقدم عدد جملة منها أصولا وفروعا ، كما قال تعالى ” اتخذوا احبارهم
 وrehبانهم اربابا من دون الله “ ، ولما قال عدى بن حاتم للنبي صلى الله
 عليه وسلم : يا رسول الله ! إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، قال ٤ أليسوا يحلون
 لهم ويحرمون ؟ قال : بلى ، قال : فلك عبادتهم لهم - كما هو مبين ١٠
 في السيرة في وفادة عدى ؛ وكما فعلوا في إبدال الرجم في الزنا ٥ بالتحميم
 والجلد ٦ ؛ وفي اتباع ما تتلو الشياطين مع أن فيه إبطال كثير من شرعهم ؛
 وفي نبذ فريق منهم ٨ كتاب الله ؛ وفي قوهم ” سمعنا وعصينا “ ؛ وفي
 اتخاذهم العجل مع النهي عن ذلك - وكل ما شاكله في كثير من فصول
 التوراة وفيما أشير إليه بقوله ” افتؤنون ببعض الكُتُب وتكفرون ١٥
 ببعض “ إلى غير ذلك ؛ لما كان ذلك قال تعالى جوابا عن طعنهم

(١) سورة ١٦ آية ١٢٤ (٢) في م ومد : اعجب (٣) في ظ : الذي (٤) سورة
 ٩ آية ٣١ (٥) من م ومد وظ ، وفي الأصل : قالوا (٦) زيد في م : انهم (٧-٧) في
 ظ : بالجلد والتحميم ، وفي م : بجلد والتحميم (٨) في ظ : فيهم (٩) سورة ٢
 آية ٩٣ (١٠) سورة ٢ آية ٨٥ .

سابقاً له في مظهر العظمة معلماً أنه قد ألبس العرب المحسودين ما كان قد زين به أهل الكتاب دهوراً ٢ فابتذلوه و دنسوا محياه و رذلوه و غيروه و بدّلوه ٣ إشارة إلى أن الحسد لكونه اعتراضاً على المنعم يكون سبباً لإلباس المحسود ثوب الحاسد: ﴿ ما ننسخ ﴾ و النسخ ٤ قال الحرالي نقل باد من أثر أو كتاب و نحوه من ٥ محله بمعاقب ٥ يذهب ٥ أو باقتباس يعنى عن غيبته و هو وارد الظهور في المعنيين في موارد الخطاب ؛ و المعاقبة في هذا أظهر - انتهى . و ساقها بغير عطف لشدة التباسها بما قبلها لاختصاصنا لأجل التمشية على حسب المصالح بالفضل و الرحمة ، لأنه إن كان المراد نسخ جميع الشرائع الماضية بكتابتنا فلما فيه من التشريف بالانفراد بالذكر و عدم التبعية و التخفيف للأحمال ٦ التي كانت ، و إن كان المراد نسخ ما شرع لنا فللنظر في المصالح الدنيوية و الآخروية بحسب ما حدث

(١) في ظ : سابقاً - كذا (٢) في م : وهوراً (٣) من مد و ظ ، و في م : بدلوا ، و في الأصل : بذلوه - بالذال المعجمة (٤) النسخ إزالة : الشيء بغير بدل يعقبه نحو نسخت الشمس الظل و نسخت الريح الأثر ، أو نقل الشيء من غير إزالة نحو نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه إلى مكان آخر . سبب نزولها فيما ذكروا أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة و طعنوا في الإسلام قالوا : إن هذا يأمر أصحابه بأمر اليوم و ينهاهم عنه غداً و يقول اليوم قولاً و يرجع عنه غداً ، ما هذا القرآن إلا من عند محمد ، وإنه يناقض بضمه بعضاً فنزلت - البحر المحيط ١/ ٣٤٠ (٥ - ٥) في م : محلة بمعاقب (٦) في م : التسمية (٧) من م و مد و ظ ، و يقع في الأصل : الاجمال - بالجيم خطأ .

من الاسباب ﴿من اية﴾ أى قرفع^١ حكمها ، أو تلاوتها بعد إنزالها ،
أو تأمر^٢ بذلك على أنها من النسخ^٣ [على -^٤] قراءة ابن عامر ، سواء
كانت فى شرع من قبل كاستقبال بيت المقدس أو لم تكن ؛ وفى صيغة
فعل إشعار بأن من تقدم ربما نسخ عنهم ما لم يعوضوا به مثلاً ولا خيراً ،
ففى طيه ترغيب للذين آمنوا فى كتابهم الخاص بهم ، أن يكون لهم عند
النسخ حسن قبول فرحاً^٥ بمجديده^٦ أو اغتباطاً^٧ بما هو خير من المنسوخ ،
ليكون حالهم عند تناسخ الآيات مقابل حال الآيين^٨ من قبوله المستمسكين
بالسابق المتقاصرين عن^٩ خير لاحق وجدته - قاله الحرالى - ﴿أو ننساها﴾
أى تؤخرها ، أى ١٢ ترك إنزالها عليكم أصلاً ، وكذا معنى "أو ننساها"
من أنسى^{١٣} فى قراءة غير ابن كثير وأبى عمرو ، أى تأمر بترك^{١٤} إنزالها ١٠

(١) من ظ ، وفى الأصل : فیرفع ، وفى م : فتوقع (٢) فى مد : ناسن - كذا .
(٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : أنسخ (٤) زيد من م ومد وظ (٥) من م
ومد وظ ، ووقع فى الأصل : فرحاً - كذا (٦) وقع فى الأصل وم ومد : تحديداً ،
والتصحيح من ظ (٧) وقع فى الأصل وظ : اعتباطاً - كذا بالعين المهملة ،
والتصحيح من م ومد (٨) فى ظ : الآيين ، وفى الأصل وم ومد : الآيين -
كذا (٩) فى م : على (١٠) من مد ، وفى بقية الأصول : ننساها (١١) النسيئة التأخير
نسا ينسا ، ويأتى نسا بمعنى أمضى الشيء ، قال الشاعر :

أمون كالأواح الأران نساتها على لاحب كأنه ظهر برجد

- البحر المحيط ١/ ٣٣٧ (١٢) كذا ، والظاهر : أو (١٣) من م وظ ، وفى
الأصل ومد : النسى - كذا ، وفى البحر المحيط ١/ ٣٤٤ : وقرأ بأى السبعة =

﴿ نأت بـخـير منها او مثلها ﴾ كما فعلنا في ” راعنا “ و غيرها . أو يكون

المعنى ” ما ننسخ من آية “ فنزيل حكمها أو لفظها عاجلا كما فعلنا في

” راعنا “ أو ” ننسأها “ بأن تؤخر نسخها أو تتركه^١ - على قراءة ” ننسأها “

زمنائهم فنسخها كالقبة ” نأت^٢ “ عند نسخها ” بخير منها او مثلها “؛

١٠٩ / ٥ وقال الحرالي : وهو الحق / إن شاء الله تعالى . والنسء^٣ تأخير عن وقت

إلى وقت ، ففيه مدار بين السابق و اللاحق بخلاف النسخ ، لأن النسخ

معقب للسابق والنسء مداول^٤ للتأخر ، وهو مط من الخطاب على

خفي المنحى ، لم يكد يتضح معناه لأكثر العلماء إلا اللائمة^٥ من آل محمد

صلى الله عليه وسلم لحقاه الفرقان بين ما شأنه المعاقبة وما^٦ شأنه المداولة^٧.

١٠ ومن أمثاله ما وقع في النسء^٨ من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لحوم

الاضاحى فتقبله^٩ الذين آمنوا نسخا ، وإنما كان إنساء و تأخيرا لحكم

= ” ننسأها “ بضم النون و كسر السين من غير همز فتحصل في

هذه اللفظة دون قراءة الأعمش إحدى عشرة قراءة (١٤) وقع في الأصل :

سترك .

(١) وقع في الأصل : بتركه - كذا ، والتصحيح من م و ظ و مد (٢) في مد

فقط : ننسأها - كذا (٣) من م و مد ، و في ظ : نأت - كذا ، و وقع في الأصل :

يات - مصحفا (٤) في م و مد : النسي (٥) في مد و ظ : مدلول (٦) في الأصل

وم : الائمة ، و في مد : لائمة ، والكلمة لا تتضح في ظ (٧) ليس في ظ (٨) من مد

و ظ ، و في م : المدالة ، و في الأصل : المداواة (٩) من م و ظ ، و في الأصل :

فيقبله ، و في مد : يقبله .

الاستمتاع بها بعد ثلاث إلى وقت زوال الدافّة التي كانت دفت عليهم من
البوادي ، فلم يلقن ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى فسره فقال :
إنما نهيتكم^١ من أجل^٢ الدافّة ، ففي متسع فقهم^٣ أن أحكاما تؤخر فتشابه
النسخ من وجه ثم تعاد فتخالفه من هذا الوجه من حيث أن حكمة المنسوخ
منقطعة وحكمة المنسقى مترابطة . ومنه المقاتلة للعدو عند وجدان المنة^٤
والقوة والمهادنة^٥ عند الضعف عن المقاومة هو^٦ من أحكام المنسقى ،
وكل ما^٧ شأنه أن يمتنع في وقت لمعنى ما ثم يعود في وقت لزوال ذلك
المعنى فهو من المنسقى^٨ الذي أهمل عليه أكثر الناظرين وربما أضافوا
أكثره إلى نمط النسخ لخصاء الفرقان بينهما ؛ فيحق أن^٩ هذه الآية من
جوامع^{١٠} آي الفرقان ، فهذا حكم النساء و الإنساء^{١١} وهو في العلم بمنزلة^{١٢}
تعاقب الفصول بما اشتملت عليه من الأشياء المتعاقبة في وجه المتداولة في
الجملة . قلت : وحاصله تأخير الحل كما ذكر^{١٣} أو الحرمة كما في المتعة ونحو
ذلك إلى وقت آخر وذلك هو مدلول النساء على ما كانت العرب تتعارفه
كما سيأتى تحريره في سورة براءة عند ” إنما النسيء زيادة في الكفر ”
قال : وأما النسيان والتنسية فمعناه أخفى من النسيء^{١٤} وهو ما يظهره الله^{١٥}

(١ - ٢) في م : عن (٢) في مد : ففهمه - كذا (٣) في الأصل المهادنة ،
والتصحيح من م وظ و مد (٤) ليس في مد (٥) في م : من (٦) زيد في ظ :
به (٧) في م : جوامعه (٨) من ظ ، وفي الأصل : الاتساء ، وفي مد : الانساء ،
وفي م : الانسيا - كذا (٩) في مد : لما (١٠) سورة ٩ آية ٣٧ (١١) في مد : النفس .
(١٢) ليس في م .

من البيانات ١ على سبيل إدخال النسيان على من ليس شأنه أن ينسى
كالسنن التي أبداه النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه ٢ كما ورد من ٣
قوله: إني لَأَنْسَى لَأَسَنَّ . وقال عليه الصلاة والسلام في ٤ إفصاح القول
فيه ٥: بئسما لاحدكم أن يقول: نسيت ، بل هو نُسِيَ . ومنه قيامه من اثنتين
و سلامه من اثنتين حتى أظهر الله سنة ذلك لأمته ، وكانت تلك الصلاة
بسببها ليست بدورها من غير سهو بل هي مثلها أو خير ٦ ؛ ومن نحوه
منامه عن الصلاة حتى أظهر الله توقيت الصلاة بالذكر كما كان قد أظهرها

(١) في مد: البيان (٢) في مد: تنسيه (٣) في ظ: في (٤) في م: على (٥) ليس في
مد (٦) وفي البحر المحيط ٣/٤٤٤: وقال الزجاج: قراءة "نفسها" بضم
النون وسكون النون الثانية وكسر السين لا يتوجه فيها معنى الترك ،
لأنه لا يقال أنسى بمعنى ترك ؛ وقال أبو علي الفارسي وغيره: ذلك متجه
لأنه بمعنى نجهلك تركها ، وكذلك ضعف الزجاج أن تحمل الآية على النسيان
الذي هو ضد الذكر وقال: إن هذا لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ولا نسي قرآنا ،
وقال أبو علي وغيره: ذلك جائز وقد وقع ، ولا فرق بين أن ترفع الآية بنسخ
أو بئسما ، واحتج زجاج بقوله تعالى "ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك" أي
لم نفعل ، قال أبو علي: معناه لم نذهب بالجميع ، وحكى الطبري قول الزجاج
عن أقدم منه . قال ابن عطية: والصحيح في هذا أن نسيان النبي صلى الله عليه
وسلم لما أراد الله أن ينساه ولم يرد أن يثبت قرآنا جائز ، وأما النسيان الذي هو
آفة في البشر فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه قبل التبليغ وبعد التبليغ ما
لم يحفظه أحد من الصحابة وأما بعد أن يحفظه بفائز عليه ما يجوز على البشر ، =
بالوقت (٢٤) ٩٦

- بالوقت الزماني، فصار لها وقتان : وقت نور عياني من مدارها مع الشمس ،
 ووقت نور وجداني من مدارها مع الذكر ، و لصحة وقوعها للوقتين
 كانت الموقفة بالذكر أداء بحسبه ، قضاء بحسب فوت الوقت الزماني ؛ فله
 تعالى على [هذه - ١] الأمة فضل عظيم فيما يكمل لها على طريق النسخ
 وعلى سبيل النسء وعلى جهة النسيان الذي ليس عن تراخ ولا إهمال ٥
 وإنما يوقفه إجبارا مع إجماع العزم ، وفي كل ٣ ذلك إنباء ٦ بأن ما وقع
 من الأمر بعد هذا النسيان خير من موقع ذلك الأمر الذي كان يقع
 على إجماع ورعاية لتستوى أحوال هذه الأمة في جميع تقلبات ٧ أنفسها ،
 كل ذلك من اختصاص رحمته وفضله العظيم - انتهى ٨ . واستدل ٩ سبحانه
 على إثباته ١٠ بذلك بقدرته ، والقدرة ١١ الشاملة التامة مستلزمة للعلم أي ١٢
 وليس هو كغيره من الملوك إذا أمر بشيء خاف غائلة ١٣ أتباعه ورعاياه
 في نقضه ، واستدل على القدرة بأن له جميع الملك وأنه ليس لأحد معه
 = لأنه قد بلغ وأدى الأمانة ، ومنه الحديث حين أسقط آية فلما فرغ من
 الصلاة قال : أفي القوم أبي ؟ قال : نعم يا رسول الله ! قال : فلم لم تذكرني ؟ قال :
 خشيت أنها رفعت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لم ترفع ولكنني نسيتها -
 انتهى كلام ابن عطية .
- (١-١) ليست في مد (٢) زيد من م وظ ومد ، وقد سقط من الأصل .
 (٣) ليس في م (٤) في مد : اتينا - كذا (٥) في م : تقلبات ، وفي مد : تقلباب .
 (٦) زيد في م : أي اوجد الدليل لغيره . او فعل فعل من يطلب الدليل (٧) وفي
 ظ : اثباته (٨) زيد في م : له (٩) في ظ : غائلته .

أمر؛ وحاصل ذلك أنه لما ذكر سبحانه هذا الكتاب وأكد أمره مرارا
وكان ناسخا لفروع شريعتهم ولا سيما ما فيها من الآصار والأغلال أشار
سبحانه إلى أن من أعظم ضلالهم وغيهم ومحالهم^١ ادعاؤهم أن النسخ
لا يجوز على الله، فنعوا من "لا يستل عما يفعل^٢" بما هو موجود في
كتابهم كما مر آفا، وبما سوغوه لأنفسهم بالتحريف والتبديل، ولزم
من ذلك تكذيب كل رسول أتاهم بما لا تهوى أنفسهم، وفعّلوا خلاف
حال المؤمنين المصدقين بما أنزل إلى نبيهم وما أنزل إلى غيره، وضمن
ذلك عيهم بالقدح في الدين بالامر بالشيء اليوم والنهي عنه غدا، وأنه
لو كان من عند الله لما تغير^٣ لأنه عالم بالعواقب، ولا يخلو إما أن يعلم
١٠ أن الامر بذلك الشيء مصلحة فلا ينهى عنه بعد، أو مفسدة
فلا يأمر به اليوم؛ وجوابهم عن ذلك معرضا عن خطابهم تعريضا بغاوتهم
إلى خطاب أعلم الخلق بقوله: ﴿الم تعلم أن الله﴾ أي الحائز لجميع أوصاف
الكمال ﴿على كل شيء قدير﴾ على وجه الاستفهام المتضمن الإنكار
والتقرير المشار فيه للتوعد والتهديد، فيخلق بقدرته من الأسباب ما يصير
/ ١١٠
١٥ الشيء في وقت مصلحة وفي وقت آخر مفسدة لحكم ومصالح دبرها لتصرم
هذا العالم، ويقضي^٤ هذا الكون بشمول عليه بكل ما تقدم وما تأخر،
(١) في م: محالهم - كذا بالخاء المعجمة (٢) سورة ٢١ آية ٢٣ (٣) من م وظ
و د، وفي الأصل: غير - كذا (٤) في مد: و (ه) في مد: صفات (٥) زيد
في م وظ: لاجل قصد اليهودية (٦) في م ومد: تقضي .

ولو أراد لجعل الأمر على سنن واحد^٢ والناس على قلب رجل واحد
 "ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعاً"^٣ "لجعل" الناس
 امة واحدة^٤ "ولكنه مالك الملك وملك^٥ السماوات والأرض، يتصرف
 على حسب ما يريد، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا يسوغ الاعتراض
 عليه بوجه، وهل يجوز أن يعترض العبد الذي لا ينفك أصلاً من الرق^٥
 على السيد الثابت السودد على أنه لا يلزمه شيء أصلاً فلا يلزمه الأمر على
 حسب المصالح؛ ثم اتبع ذلك بما هو كالدليل على شمول القدرة فقال:
 ﴿الم تعلم ان الله﴾ الجامع لأنواع العظمة ﴿له ملك السموات والأرض﴾
 يفعل في ذواتها وأحوالها ما يشاء. قال الحرالي: فهو بما هو على كل
 شيء قدير يفصل الآيات، وهو بما له ملك السماوات والأرض يدبر^{١٠}
 الأمر - انتهى^٧.

ولما أتم^٨ سبحانه ما أراد من إظهار قدرته وسعة ملكه وعظمته بالاسم
 العلم الذي هو^٩ [أعظم -^{١٠}] من مظهر [العظمة -^{١١}] في تنسخ و تنسا بالإقبال
 على خطاب من لا^{١٢} يعلم ذلك حق عليه غيره فتهايات^{١٢} قلوب السامعين
 وصغت^{١٣} لفت الخطاب إليهم ترهيباً في إشارة إلى ترغيب فقال: ﴿وما لكم

- (١) في م: بجعل (٢) من م ومد وظ، وفي الأصل: واحدة (٣) سورة ١٠.
 آية ٩٩ (٤) في م فقط: فجعل - كذا؛ راجع سورة ١١ آية ١١٨ (٥) ليس في م.
 (٦) في م: مالك (٧) ليس في ظ (٨) في ظ: ثم (٩) زيد في م: من (١٠) زيد
 من م ومد وظ (١١) ليس في مد (١٢) من م وظ، وفي الأصل: فتهايات -
 كذا، وفي مد: نهيات (١٣) من م، وفي بقية الأصول: صغت - كذا بالقاء.

من دون الله المتصف بجميع صفات العظمة (من ولي) يتولى أموركم ،
 وهو من الولاية ، قال الحرالي : وهي ١ القيام بالأمر عن وصلة واصله ٢
 (ولا نصير ه) فأقبلوا بجميع قلوبكم إليه ولا تلفتوها ٣ عنه ، وفي ذلك
 تعريض بالتحذير للذين آمنوا ولم يبلغوا درجة المؤمنين من مخالفة أمره
 ٥ إذا حكم عليهم بما أراد كائنما كان لثلاث تلقن ٤ بواطنهم عن اليهود نحو
 مما لقنت ٥ ظواهر ألسنتهم ، بأن تستمسك ٦ بسابق ٧ فرقانها فتتناقل ٨ عن
 قبول لاحقه ٩ مكمله ، فيكون ١ ذلك تبعا لكثرة أهل الكتاب في
 إبانها ١٠ نسخ ما لحقه التغيير من أحكام ١١ كتابها - أفاده الحرالي وقال :

وهو في الحقيقة خطاب جامع لتفصيل ما يرد ١٢ من النسخ في
 ١٠ تفاصيل الأحكام والأحوال بمنزلة الخطاب المتقدم في صدر السورة
 المشتمل على جامع ١٣ ضرب الأمثال في قوله تعالى : " ان الله لا يستحي
 أن يضرب مثلا ما " الآية ، وذلك لأن هذه السورة هي فسطاط القرآن

(١) زيد في م : الأمر بالقيام ، وفي مد : القيام بالأمر (٢) في مد : فاصله (٣) وفي
 ظ : لا تلقنوها (٤) من م وظ ، وفي الأصل : يلقتن ، وفي مد : بلقتن - كذا (٥) في
 الأصل : لقيت ، والتصحيح من م وظ ومد (٦) من م وظ ومد ، وفي الأصل :
 يستمسك (٧) في م : سابق ، وفي مد : بظاهر (٨) من م وظ ، وفي الأصل :
 فيتناقل ، وفي مد : فتسائل - كذا (٩-٩) من م وظ ومد ، وفي الأصل : بكلمه
 فيكون - كذا (١٠) من م وظ ومد ، وفي الأصل : إبانها - كذا (١١) زيد
 في م وظ ومد : في (١٢) زيد في الأصل « الله » ولم تكن الزيادة في م ومد
 فحذفناها (١٣) ليس في م وظ .

الجامعة لجميع ما تفصل^١ فيه؛ وهى سنام القرآن، وسنام الشئ أعلاه؛ وهى سيدة سور^٢ القرآن؛ ففيها لذلك^٣ جوامع ينظم بعضها ببعض أثر تفاصيله خلالها^٤ فى سنامية معانيها وسيادة خطابها نحو من انتظام آى^٥ سورة الفاتحة المنتظمة من غير تفصيل وقع أثناءها^٦ ليكون بين المحيط الجامع^٧ والابتداء الجامع مشاكلة ما - انتهى . ولما كان^٨ رسخ^٩ ما ذكره سبحانه من تمام قدرته وعظيم مملكته وما أظهر لذاته المقدس من العظم بتكرير اسمه العلم^{١٠} وإثبات أن ما سواه عدم^{١١} فأهلت القلوب للوعظ صدعها^{١٢} بالتأديب بالإنكار الشديد فقال: ﴿ام﴾ أى أتريدون أن تردوا أمر خالقكم فى النسخ أم ﴿تريدون ان﴾ تتخذوا من دونه إلهًا لا يقدر على شئ بأن ﴿تسئلوا رسولكم﴾ أن يجعل لكم إلهًا غيره ﴿كما سئل موسى﴾ ذلك^{١٣} . ولما كان سؤالهم ذلك فى زمن يسير أثبت^{١٤} الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى قبل هذا الزمان إذ قال قومه بعد ما رأوا من الآيات وقد مرّوا بقوم يعكفون على أصنام لهم: ”اجعل لنا إلهًا كما لهم إلهة“ وقالوا: ”ارنا الله جهرة“^{١٥}، وقالوا: ”لن نصبر على طعام (١) فى مد: بفضل (٢) فى م: سورة (٣) ليس فى مد (٤) فى الأصل: حلالها - كذا بالخاء المهملة، والتصحيح من بقية الأصول (٥) من م. وفى الأصل ومد: أى (٦) فى الأصل: أثناء، وفى م: أثناء، وفى مد: استأ - كذا. (٧) وفى م: فى (٨) ليس فى م وظ (٩) وفى م: بما (١٠ - ١١) ليست فى ظ (١١) فى م: صدعها (١٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ. (١٣) من م ومد، وفى الأصل: انت - كذا (١٤) سورة ٧ آية ١٣٨. (١٥) سورة ٤ آية ١٥٣.

واحد^١، وكانوا يتعتون عليه في أحكام الله بأنواع التعتات كما تقدم .
 و "الإرادة" في الخلق نزوع النفس لباد تستقبله - قاله الحرالي . وأدل
 دليل على ما^٢ قدرته قوله عطفًا على ما تقديره: فيكفروا^٣ فانه من سأل
 ذلك فقد تبدل الكفر بالإيمان ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان ﴾^٤ أى
 يأخذ الكفر بدلًا من الإيمان بالإعراض عن الآيات و سؤال غيرها^٥ .
 أو^٦ التمسك بما نسخ منه ، و عبر بالمضارع استجلا ب^٧ لمن زل بسؤال شيء
 من ذلك إلى الرجوع بالتوبة ليزول عنه الاستمرار فيزول الضلال ﴿ فقد ضل
 سواء السبيل ﴾^٨ أى عدله و وسطه فلم يهتد إليه وإن كان في بينات منه ،
 فان من حاد عن السواء أوشك أن يبعد بعدًا لا سلامة معه^٩ " و ان هذا
 ١٠ صراطى مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله^{١٠} "
 وكثيرا ما كان يتزلزل طوائف من الناس عند تبدل الآيات و تناسي
 الأحكام و بحسب ما يقع في النفس^{١١} من تناقل^{١٢} عنه أو تحامل على قبوله

(١) سورة ٢ آية ٦١ - (٢) ليس في ظ و مد (٣) وفسر الزمخشري هذا بأن قال :
 ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها . و قال أبو العالية :
 الكفر هنا الشدة و الإيمان الرخاء . و هذا فيه ضعف إلا أن يريد أنها مستعاران
 في الشدة على نفسه و الرخاء لها عن العذاب و النعيم - قاله أبو حيان الأندلسي .
 (٤) العبارة من هنا إلى « الضلال » ليست في ظ (٥) و في م و مد : غيرهما .
 (٦) في مد فقط : و (٧) و في مد : استجئنا - كذا (٨) في مد : منه .
 (٩) سورة ٦ آية ١٥٣ (١٠) من مد و ظ . و في الأصل : شاقل ، و في م :
 تناقل - كذا .

يلحقه من هذا الضلال عن سواء هذا السبيل ١؛ وفيه إشعار بأن الخطاب
للذين آمنوا ١. لأن المؤمنين المعرفين بالوصف لا يتبدل أحوالهم من إيمان
للكفر، لأن أحدا لا يرتد عن دينه بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلبه
”فن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
لها“ ٢. ”و من يسلم وجهه إلى الله فهو محسن فقد استمسك بالعروة
الوثقى ٣“؛ وقال عليه الصلاة والسلام: إن الله لا يتزعزع العلم انتزاعا
بعد أن أعطاكموه. فذلك يتضح مواقع ٤ خطاب القرآن مع المترتين ٥
”في أسنان القلوب بحسب الحظ من الإيمان والإسلام والإحسان“ -
قاله الحرالي. و عرف ”السبيل“ بأنه المشتمل على قوام السائر فيه
و السالك له من نحو الرعى والسقى و شبهه، و السواء بأنه من الشيء أسمع ١٠

(١) وفي البحر المحيط ١/٣٤٧: لما كانت الشرطية توصل سالكها إلى رضوان
الله تعالى كنى عنها بالسبيل، و جعل من حاد عنها كالضلال عن الطريق، و كنى
عن سؤالهم نبيهم ما ليس لهم أن يسألوه بتبدل الكفر بالإيمان، و أخرج ذلك
في صورة شرطية و صورة الشرط لم تقع بعد تنفيرا عن ذلك و تبعيدا منه،
فونهم أولا على تعلق إرادتهم بسؤال ما ليس لهم سؤاله و خاطبهم بذلك، ثم
أدرجهم في عموم الجملة الشرطية و ان مثل هذا ينبغي أن لا يقع لأنه ضلال عن
المنهج القويم؛ فصار صدر الآية إنكارا و توبيخا و عجزا تكفيرا و ضلالا،
و ما أدى إلى هذا فينبغي أن لا يتعلق به غرض ولا طلب ولا إرادة (٢) سورة ٢
آية ٢٥٦ (٣) سورة ٢١ آية ٢٢ (٤) من م وظ و مد، وفي الأصل: لا يتزعزع.
(٥) ليس في م (٦) في مد: المترين (٧ - ٧) ليست في مد.

بالأمر الذى قصد له ، قال : ويقال هو وسطه و خياره .

و لما كان أكثر المثيرين لهذه الشكوك فى صور أهل الإسلام قال تعالى مخاطبا للؤمنين وهم فى غمارهم تنفيرا لهم عن الضلال الذى هو فى نفسه أهل لأن ١ ينفر عنه فكيف وهو شامة العدو وبتخيله وودادته ٢ تحذيرا لهم من مخالطتهم : ﴿ود كثير﴾ ٣ وهو تعليل لمعنى الكلام وهو : فلا تبدلوا الكفر بالإيمان ، بعد تعليله بالضلال ؛ وذلك كما مضى فى "ما يود الذين كفروا" سواء .

و لما كان المشركون عربا عالمين بأن طبع العرب ٤ الثبات لم يدخلهم معهم فى هذا الود و قال : ﴿من اهل الكشب﴾ ٥ فأنبأ ٦ أن المصافى منهم قليل ٧ ، و بشر سبحانه بأن ما يودونه من قسم المحال بسوقه ٨ سوق التمنى فقال : ﴿لو يردونكم﴾ ٩ أى بأجمعكم ١٠ ؛ ثم حقق أمر التمنى 'فى كونه' محالا ١١ ١١ مشيرا بأثبت الجار إلى قناعتهم به و لو فى زمن يسير ١٢ فقال : ﴿من بعد ايمانكم﴾ ١٣ أى الراسخ ١٤ ﴿كفارا﴾ ١٥ أى لتكونوا مثلهم فتخلدوا معهم فى النار ١٦ ﴿حسدا﴾ ١٧ على ما آتاكم الله من الخير الهادى إلى الجنة ، ١٨ و الحسد قلق النفس من رؤية النعمة على الغير ، و عبر عن بلوغ الحسد ١٩

(١) فى ظ : لا (٢) فى م : ردادته (٣) وفى عبارة م من قوله "وهو تعليل" إلى قوله "سوق التمنى فقال" تقديم و تأخير (٤) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : للعرب (٥) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : فاسا - كذا (٦) سقط من مد (٧) فى مد : يسوقه (٨) فى مد : جمعكم (٩-١٠) كرره فى مد ثانيا (١٠) زيد فى مد : فقال . (١١-١٢) ليست فى ظ .

إلى غاية لا حيلة معها في تركه بقوله : ﴿ من عند أنفسهم ﴾ أي أنه راسخ في طبائعهم فلا تطمعوا في صرفه بشيء^١ ، فإن أنفسهم غالباً على عقولهم ، ثم زاده تأكيداً بقوله^٢ مشيراً بأثبات الجار إلى ذمهم^٣ بأنهم استمروا على الضلال بعد الدعوة ، لا يطلبون الحق مع القدرة على تعرفه ، حتى هجم عليهم^٤ بيانه وقهرهم عرفانه ، ثم لم يرجعوا إليه ؛ وما كفاهم هـ ضلالتهم في أنفسهم حتى تمنوا إضلال غيرهم بالرجوع عنه ﴿ من ﴾ بعد ما تبين ﴿ أي يسانا عظيماً بوضوحه ﴾ في نفسه ﴿ لهم الحق ﴾ أي من صحة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم النبيين المرسلين إلى الناس^٥

(١) ويتعلق المجرور الذي هو "من عند أنفسهم" إما بملفوظ به وهو ود أي ودوا ذلك من قبل شهوتهم لا أن ودادتهم ذلك هي من جهة التدين واتباع الحق ، ألا ترى إلى قوله تعالى "من بعد ما تبين لهم الحق" ؟ وإما بمقدّر فيكون في موضع الصفة التقدير : حسداً كأننا من عند أنفسهم ؛ وعلى كلا التقديرين يكون توكيداً ، أي ودادتهم أو حسدهم من تلقائهم - البحر المحيط ١/٣٤٨ (٢) في م : لشيء (٣) العبارة من هنا إلى « بالرجوع عنه » ليست في ظ (٤) في م : دينهم . (٥) من م ومد ، وفي الأصل : عليه (٦) في البحر المحيط ١/٣٤٨ تتعلق "من" هذه بقوله "ود" أي أن ودادتهم كفرهم للحسد المنبعث من عند أنفسهم ، وتلك الودادة ابتدأت من زمان وضوح الحق وتبينه لهم ، فليسوا من أهل الغباوة الذين قد يعزب عليهم وضوح الحق بل ذلك على سبيل الحسد والعناد ؛ وهذا يدل على أن الكفر يكون عناداً ، ألا ترى إلى ظاهر قوله ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ (٧) العبارة من هنا إلى « نفسه » ليست في ظ (٨) في م : بوضوح . (٩) العبارة من هنا إلى « التوراة » ليست في ظ (١٠-١٠٠) في مد : للناس .

كافة ١ بشهادة ما طابقه من التوراة ١ ، ومن أنهم خالدون في النار ، لأنهم
من ٢ أحاطت به خطيئته بما دل عليه سبحانه في جميع هذه الآيات إبطالا
لدعواهم في مس النار لهم ٣ أيا ما معدودة .

ثم أرشد إلى الدواء بقوله مسيا عن الإخبار بأن ودم محال و بعدم
٥ رجوعهم : ﴿ فاعفوا ﴾ أى عاملوهم معاملة العافي بأن لا تذكروا لهم
شيئا مما تظهره تلك الودادة الناشئة عن هذا الحسد من الأقوال و الأفعال
ولا تأخذوا في مؤاخذتهم به ، فانهم لا يضررونكم و لا يرجعون إليكم ،
﴿ واصفحوا ﴾ أى أظهروا لهم أنكم لم تطلعوا على شيء من ذلك ، و أصل
معناه من الإعراض بصفحة العنق عن الشيء كأنه لم يره ، و أمرهم بمطلق
١٠ الصفح و لم يقيد بالجميل الذى اختص به خطاب نبيهم صلى الله عليه و سلم
في قوله " فاصفح الصفح الجميل " لتنزل الخطاب على مراتبه و مستحق
مواقفه . و حثهم ٤ على أن يكون فعلهم ذلك اعتمادا على تفريجه سبحانه
بقوله : ﴿ حتى ٥ يأتى الله ١٠ الذى لا أمر لأحد معه ﴾ (بامرهم) فبشرهم

(١-١) ليست في م (٢) في م : من (٣) ايس في ظ (٤) من م و مد و ظ ، و في
الأصل : لا يذكرُوا (٥) من م و ظ و مد ، و في الأصل : امره (٦) سورة ١٥
آية ٨٥ (٧) في ظ : مستجمع (٨) في مد : حتم - كذا (٩) في البحر المحيط ١/٢٤٩ :
غيا العفو و الصفح بهذه الغاية و هذه موادة إلى أن أتى أمر الله بقتل بنى قريظة
و إجلاء بنى النضير و إذ لا لهم بالجزية و غير ذلك مما أتى من أحكام الشرع فيهم
و ترك العفو و الصفح . و قال الكلبي : هو إسلام بعض و اصطلام بعض ،
و قيل آجال بنى آدم ، و قيل : القيامة ، و قيل : المجازاة يوم القيامة ، و قيل : =
بذلك

بذلك بظهورهم على من أمروا^١ بالصفح والعفو عنهم ، وقد كان مبدأ ذلك ويتم في زمن عيسى عليه السلام .

ولما كان النصر وهم في القلة^٢ والضعف بحال عظيم وقوة عدوهم وكثرتهم أعظم مستبعدا قال : ﴿ ان الله ﴾ و أظهر موضع الإضمار^٣ تحقيقا للبشرى بالإيماء إلى استحضار ما يدل عليه هذا الاسم الأعظم من صفات الجلال والإكرام ﴿ على كل شيء قدير ﴾^٤ ففي هذا الحتم بشرى للمؤمنين بتقديرهم كما أن في الحتم بالعلم بشرى بتعليمهم ، وفي إفهامه نذارة للكافرين بمقابل ذلك .

ولما أمرهم بالثقة^٥ بهذا الكتاب ما نسخ منه و ما لم ينسخ و أن = قوة الرسالة وكثرة الأمة ؛ والجمهور على أنه الأمر بالقتال . وعن الباقر أنه لم يؤمر بقتال حتى نزل ” اذن للذين يقتلون “ والأمر بالعفو والصفح هو أن لا يقاتلوا وأن يعرض عن جوابهم ، فيكون أدعى لتسكين الشائنة وإطفاء الفتنة وإسلام بعضهم لأنه يكون ذلك على وجه الرضا لأن ذلك كفر (١٠) زيد في مد : أى . والعبرة من هنا إلى « معه » ليست في ظ .

(١-١) في م و ظ : بالعفو والصفح ، وفي مد : بالمعروف والصفح (٢) في م : العلة - كذا (٣) في م : للاضمار (٤) وفيه إشعار بالانتقام من الكفار ، و وعد للمؤمنين بالنصر والتمكين ، ألا ترى أنه أمر بالموادعة بالعفو والصفح وغيا ذلك الى ان ” ياتي الله بامرهم “ ثم أخبر بأنه قادر على كل شيء - البحر المحيط ١/٤٤٩ (٥) في مد : المقابل (٦) من مد ، وفي الأصل محرف غير واضح ، وفي م : النقد ، وفي ظ : الثقة .

لا يعوقهم عنه طعن الطاعنين ولا حسد الحاسدين وأمرهم^١ بالإعراض
 عن الغير أمرهم بالإقبال على إصلاح النفس والإحسان إلى الغير^٢ مما
 اتصف به المهتدون في قوله تعالى "و يقيمون الصلوة و مما رزقنهم ينفقون"،
 و لما كان المقصود من الصلاة قصر الهمة و النية على الحضرة الإلهية
 و تفرغ البال من جميع الشواغل علم أن التقدير بعد الحتم بشمول القدرة
 فاعلموا/ ذلك^٣ و ثقوا به^٤ ﴿واقموا الصلوة﴾^٥ التي هي مع كونها^٦
 سنبتليكم^٧ في قبلتها بالنسخ قوام الدين و المعينة على جميع النوائب بأعانة
 الخالق الذي قصد بها الإقبال عليه و التقرب إليه ﴿واتوا الزكاة﴾ التي
 هي قرينة الصلاة، فمن فرق بينهما^٨ فقد نسخ^٩ ما أثبت الله فاستحق
 ١٠ القتال^{١٠} ليرجع عما ارتكب من الضلال، "وهي" من أعظم نفقات
 المؤمنين إحصانا إلى الخلائق إن كنتم مصلين بالحقيقة، فإن المال بعض
 (١) في ظ : امر (٢-٢) ليست في ظ (٣) في م : بما (٤-٤) في مد : و بقوله .
 (٥) لا أمر بالعفو و الصفح أمر بالمواظبة على عمودى الإسلام : العبادة البدنية ،
 و العبادة المالية، إذ الصلاة فيها مناجاة الله تعالى و التلذذ بالوقوف بين يديه ،
 و الزكاة فيها الإحسان إلى الخلق بالإيثار على النفس ، فأمرُوا بالوقوف بين يدي
 الحق و بالإحسان إلى الخلق . قال لطبري : إنما أمر الله هنا بالصلوة و الزكاة ليحط
 ما تقدم من ميلهم إلى قول اليهود : راعنا ، لأن ذلك نهى عن نوعه ثم
 أمر المؤمنون بما يحطه - البحر المحيط (٦) في الأصل فقط : كوننا ، و التصحيح
 من بقية الأصول (٧) في مد : مستبليكم (٨-٨) في م : فلسج - كذا (٩) في مد :
 النار (١٠-١٠) في مد : فهي .

ما صرفت عنه الصلاة من أعراض الدنيا .

ولما كان قوله ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا زَعْمًا “ وما بعده خطاباً للمؤمنين تحذيراً من كيد أعدائهم بالتهوى عما يرد بهم والأمر بما ينجيهم وختمه بهذه الآية فذلك كله جميعاً لمعانيه وفتحها برأس العبادات البدنية والكمالية وكانت ” ال ١ “ مشيرة ٢ إلى الواجب من هـ ذلك ختم الآية نفسها بالأمر العام الجامع فقال: ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير ﴾ أى من الصلاة والزكاة وغيرهما فرضاً ونقلاً ﴿ تجددوه ﴾ وزاد ٣ ترغيباً فيه بقوله: ﴿ عند الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال، فهو يحفظه بما له من العلم والقدرة ويريه ٤ بما له من الكرم والرحمة - إلى غير ذلك من أمور الفضل .

١٠

ولما كان الشيء قد يهمل لكونه صغيراً وقد لا يطلع عليه لكونه خفياً حقيراً قال مرغباً مرهباً: ﴿ ان الله ﴾ المحيط قدرة وعلماً ﴿ بما تعملون بصيره ﴾ وأظهر الاسم في موضع الإضمار إشعاراً بالاستئناف للخير ليكون ختماً جامعاً ، لأنه لو عاد على خصوص هذا الخطأ ٦ لكان ” انه “ ، وذلك لأن تجديد الإظهار يقع ٧ بمعنى رد ٨ ١٥

(١) في م وظ : ان (٢) في م : مسيرة (م) من م ومد وظ ، وفي الأصل : زاده (٤) من م ومد وظ ، وفي الأصل : ربه - كذا (هـ - هـ) لبست في ظ . (٦) في الأصل : الكتاب ، والتصحيح من م وظ ومد (٧) من م ، وفي مد : نفع (٨) في مد : رده .

ختم الخطاب على إحاطة جملته ١ - قاله الحرالي ٢ . والمعنى أنه لو أضمر
 لكان ربما أفهم تقيد ٣ عليه بجميئة ما تقدم من عمل الخير ؛ وعلى مثل
 هذا دل قول العلامة شمس الدين الغزى ٤ فى أول شرحه لإيساغوجى ٥ :
 الغالب ٦ فى المضمحل لإرادة المعنى الأول ، وأما حديث : إعادة ٧ الشيء معرفة ٨ .
 ٥ فأصل يعدل عنه كثيرا للقارئ ٩ .

ولما ذكر دعواهم فى مس النار وأبطلها من وجوه كثيرة أحاطت
 بهم فيها الخطايا إحاطة اقتضت خلودهم فيها من جهة [ضلالهم إلى آية
 (١) فى مد : قلته - كذا (٢) العبارة من هنا إلى « للقارئ » ليست فى ظ (٣) فى
 مد : تقيد ، وفى البحر المحيط : وهذه جملة خبرية ظاهرة التناسب فى ختم
 ما قبلها بها ، تتضمن الوعد والوعيد ، وكفى بقوله ” بصير “ عن علم المشاهد
 أى لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيعه ومن كان مبصرا ففعلك لم يخف عليه هل
 هو خير أو شر ، وأتى بلفظ بصير دون مبصر إما لأنه من بصر فهو يدل على
 التمكن والسجية فى حق الإنسان أولاً لأنه فعيل للبالغة بمعنى مفعول الذى هو للتكثير .
 قال بعض الصوفية : على المرید إقامة المواصلات وإدامة التوسل بفنون القربات
 واثقاً بأن ما تقدمه من صدق المجاهدات ستركو ثمرة فى آخر الحالات وأنشدوا :

سابق إلى الخير وبادر به فانما خلقك ما نعلم
 وقدم الخير فكل امرئ على الذى قدمه يقدم

(٤) من م ، وفى الأصل : الغزى ، وفى مد : بن الغزى (٥) فى م : لا تساغوجى .
 (٦) فى م : الغالب (٧) فى م : اعاره ، وليس فى مد (٨) فى م : معرفة (٩) زيد فى
 مد : وقال الشيخ سعد الدين فى المختصر فى بحث التشبيه : فلم يأت بالضمر لئلا
 يعود إلى المشبه المذكور هو أخص ، وما يقال إن المعرفة إذا أعيدت كانت عين
 الأول فليس على إطلاقه .

النسخ مرقيا الخطاب من سيئة إلى أسوأ منها ثم من جهة - ١ [إضلالهم
لغيرهم من آية الفسخ عطف على تلك الدعوى الإخبار بدعواهم في دخول
الجنة تصريحاً بما أفهمته الدعوى الأولى تلويحاً وقرن بذلك مثل ما ختم
به ما قبلها من أن^٢ من فعل خيراً وجد^٣ على وجه بين فيه أن ذلك الخير
الإسلام والإحسان فقال تعالى: ﴿ وقالوا ﴾ أى أهل الكتاب من ه
اليهود والنصارى حسداً منهم على المسبب الذى هو الجنة كما حسدوا على
السبب وهو إنزال ما اقضى الإيمان الموصل إلى الرضوان الذى به تسباح
الجنة ﴿ لن يدخل الجنة ﴾ المعدة لأولياء الله ﴿ الا من كان هودا ﴾
هذا قول اليهود منهم ﴿ او نصارى ﴾ وهذا قول النصارى نشر^٤ لما
لفته^٥ الواو^٦ فى ” وقالوا^٧“ .

١٠

(١) زيد من م وظ ومد (٢) زيد فى مد: ما (٣) فى م: أوجده، وفى مد وظ:
وحده (٤) فى ظ فقط: فبشرا (٥) فى مد: نفت (٦) ليس فى مد (٧) وفى البحر
المحيط ١ / ٣٥٠: والضمير فى ﴿ وقالوا ﴾ عائد على أهل الكتاب من اليهود
والنصارى، ولفهم فى القول ﴿ لن يدخل الجنة ﴾ لأن القول صدر من الجميع
باعتبار أن كل فريق منهما قال ذلك لا أن كل فرد فرد قال ذلك كما على أن
حصر دخول الجنة على كل فرد فرد من اليهود والنصارى، ولذلك جاء فى
العطف با و التى هى للتفصيل والتنويع، وأوضح ذلك العلم بمعادة الفريقين
وتضليل بعضهم بعضاً، فامتنع أن يحكم كل فريق على الآخر بدخول الجنة،
ونظيره فى لف الضمير وفى كون أو للتفصيل قوله ” وقالوا كونوا هودا
او نصارى تهتدوا“ إذ معلوم أن اليهود لا يأمر بالنصرانية ولا النصارى يأمر
باليهودية .

ولما كانوا أبعد الناس عن هذه الأمانى التى تمنوها لأنفسهم
لمناذتهم لما عندهم من العلم ، التى حسدوا فيها المؤمنين لأن ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء قال مشيرا إلى بعدهم عن ذلك على وجه الاستئناف 'معترضا
بين الدعوى و طلب الدليل عليها تعجيلا لتوهيتها ٣ : (تلك) بأداة
البعد (أمانهم) تهكما بهم ، ' أى * أمثال هذه الشهوة من ودهم أن لا ينزل
على المؤمنين خير من ربهم ، و أن يردوهم كفارا ، و أن لا يدخل الجنة
غيرهم - و أمثال ذلك من شهواتهم ' .

ولما كان كل مدع لغيب مفتقرا فى تصحيح دعواه إلى دليل
وكان مثل هذا لا يقنع فيه إلا بقاطع " أمر أعلم " الخلق لأنه لا ينهض
١٠ بأخراستهم فى علمهم و لددهم غيره بمطالبتهم بذلك ناقضا لدعواهم فقال :
(قل هاتوا برهانكم) بلفظ البرهان . قال الحرالى : و هو علم قاطع
الدلالة غالب القوة بما تشعر به صيغة الفعلان ضم أولها و زيادتا آخرها ،

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كان (٢) العبارة من هنا إلى «لتوهيتها»
ليست فى ظ (٣) فى مد : لتوهيتها (٤) العبارة من هنا إلى «شهواتهم» ليست
فى ظ (٥) من م و مد ، و فى الأصل : الى (٦) قال أبو حيان الأندلسي :
و الأظهر أن تلك إشارة إلى مقاتلتهم " لن يدخل الجنة " أى تلك المقالة أمانهم
أى ليس ذلك عن تحقيق و لا دليل من كتاب الله و لا من إخبار من رسول و إنما
ذلك على سبيل التمنى و إن كانوا هم حازمين بمقاتلتهم لكنها لما لم تكن عن برهان
كانت أمانى ، و التمنى يقع بالخاص و المتنع ، فهذا من المتنع ، و لذلك أتى بلفظ
الأمانى و لم يأت بلفظ مرجواتهم ، لأن الرجاء يتعلق بالخاص ، تقول : ليتنى طائر ،
و لا يجوز : ليتنى طائر (٧-٧) فى ظ : امر أعلم (٨) فى مد : زيادة .

وهذا كما اقتح تلك بالنقض بقوله "قل اتخذتم" وفي ذلك إعلام بأنه تعالى ما غيب شيئا إلا وأبدي عليه علما ليكون في العالم المشهود شفاف عن العالم الغائب - قاله الحرالي ٢٠ قالوا: وهذا أهدم شيء ٣ لمذهب المقلدين ودليل على أن كل قول لا برهان عليه باطل ٤.

ولما نادى عليهم بالكذب في قوله: ﴿ان كنتم صدقين﴾ أثبت ٥ لغيرهم بقوله: ﴿بلى﴾ ما ادعوا الاختصاص به، ثم بين أهل الجنة بقوله: ﴿من أسلم وجهه﴾ أى كليته، لأن الوجه أشرف ما ظهر من الإنسان، فمن أسلمه أسلم كله، كما أن الإيمان، إذعان القلب الذى هو أشرف ما بطن وإذعانه إذعان جميع الأعضاء؛ وفي الإسلام، قال الحرالي الإلقاء بما يكون من منه ٦ في باطن أو ظاهر؛ وفي الوجه، مجتمع حواس ١٠ الحيوان، وأحسن ما في الموتان ٦ - وهو ما عدا الحيوان، وموقع الفتنة من الشيء الفتان؛ وهو أول ما يحاول إبداءه من الأشياء لذلك ٧ ﴿لله﴾ من أجل أنه الله ٨ الجامع للكمال.

ولما كان ذكر الأجر لكل واحد بعينه أنص على المقصود وأنى

(١) من م وظ ومد، وفي الأصل، غير - كذا (٢) العبارة من هنا إلى «باطل» ليست في ظ (٣) في م: لى (٤) وفي البحر المحيط ١ / ٣٥١: وفي هذا دليل على أن من ادعى نفيًا أو إثباتًا فلا بد له من الدليل، وتدل الآية على بطلان التقليد وهو قبول الشيء بغير دليل. قال الزمخشري: وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل (٥) في م: منه (٦) وقع في م: الموتات - محرقة (٧) ليس في ظ (٨) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست في ظ.

نظم الدرر (سورة البقرة ٢: ١١٢ و ١١٣) ج - ٢

للتنت ١، أفرد الضمير فقال: ﴿وهو محسن﴾ في جانب الحق ٢، بإذعان القلب، وفي جانب الخلق بما يرضى الرب ٣، فـصلو يعبد الله كأنه يراه ٣، فطابق سره ٤، علنه . ولما تقوا الأجر عن غيرهم و أثبتة سبحانه للتصف بالإسلام منهم ومن سواهم وكان ربما قيل إنه أعطى غيرهم لكونه الملك المطلق بغير سبب ربط الأجر بالفاء دليلا على أن إسلامهم هو السبب فقال: ﴿فله﴾ خاصة ٥ ﴿أجره عند ربه﴾ إحسانا إليه بأثبات نفعه على حسب ما ربه به في كل شريعة .

٦ ولما كان ربما ادعى أنه ما ٧ أفرد الضمير إلا لأن المراد واحد بعينه فلا يقدح ذلك في دعوى أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود أو النصراني ١٠ جمع فقال: ﴿ولا خوف عليهم﴾ من آت ﴿ولا هم يحزنون ٥﴾ على شيء فات دفعا لضرهم ، وهذا كما أثبت سبحانه خلاف دعواهم في مس النار بقوله: "بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته" الآية ٨، فالتحم الكلام بذلك أشد التحام وانتظم أى انتظام .

ولما أبطل دعوى اختصاصهم بالرحمة ٩ قدحا منهم في غيرهم ١٥ و أثبتتها للحسين اتبع ذلك ١٠ قدح كل فريق منهم في الآخر و ١١ يان انتفاتها عنهم باساءتهم بابطال كل فرقة منهم دعوى الأخرى مع ما يشهد به (١) في م: للتنت، والكلمة لا تتضح في مد (٢) العبارة من هنا إلى «علنه» تأخرت في م عن «هو السبب فقال» وقد ثبت في هامشه (٣-٢) ليست في ظ (٤) زيد بعده في م «و» (٥) ليس في مد (٦) العبارة من هنا إلى «جمع فقال» ليست في ظ (٧) من م ومد، وفي الأصل: انما (٨) سورة ٢ آية ٨١ (٩-٩) ليست في ظ (١٠-١٠) ليست في ظ، وفي م «الأجر» مكان «الآخر» كذا .

كتاب كل من بطلان قوله فقال : ﴿ وقالت اليهود ليست ﴾^١ أنت فعلهم لضعف قولهم و جمع أمرهم ﴿ النصارى على شيء ﴾ أى يعتد به لكونه صحيحا ، وليس مخففة^٢ من وزن فرح^٣ ، ومعناها مطلق النفي لمتقدم إثبات أو مقدره - قاله الحرالى^٤ . ﴿ وقالت النصارى ﴾ كذلك^٥

(١) العبارة من هنا إلى « أمرهم » ليست فى ظ و إلى « صحيحا » ليست هنا فى مد بل أخرت عن « الحرالى » و لفظها ﴿ النصارى على شيء ﴾ أى يعتد به لكونه صحيحا أنت فعلهم لضعف قولهم وجميع أمرهم (٢) وقع فى م : انس - كذا بالسین محرّفا (٣) فى الأصل : محفقه ، وفى م و مد : مخفقه - كذا (٤) فى ظ : قرح ، وفى مد : فرح (٥) وقال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحیط ٣٥٢ / ١ : قيل المراد عامة اليهود و عامة النصارى ، فهذا من الإخبار عن الأمم السالفة و تكون " ال " للجنس و يكون فى ذلك تقرير لمن بحضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم من الفريقين و تسلية له صلى الله عليه و سلم إذ كذبوا بالرسول و بالكتب قبله ، و قيل المراد يهود المدينة و نصارى نجران حيث تماروا عند الرسول و تسابوا و أنكرت اليهود الإنجيل و نبوة عيسى و أنكرت النصارى التوراة و نبوة موسى ، فتكون حكاية حال و " ال " للعهد و المراد بذلك رجلا من رجل من اليهود يقال له نافع بن حرملة قال لنصارى نجران : لستم على شيء ، و قال رجل من نصارى نجران لليهود : لستم على شيء ، فيكون قد نسب ذلك للجميع حيث وقع من بعضهم ، كما يقال : قتل بنو تميم ، و إنما قتله واحد منهم ، و ذلك على سبيل المجاز و التوسع ؛ و نسبة الحكم الصادر من واحد إلى الجمع و هو طريق معروف عند العرب فى كلامها نثرها و نظمها (٦) ليس فى ظ .

﴿ليست اليهود على شيء﴾^١ فعجب منهم في هذه الدعوى^٢ العامة لما قبل التبديل والنسخ وما بعده بقوله: ﴿وهم﴾^٣ أى والحال أنهم^٤ يتلون الكتب^٥ أى مع أن^٦ في كتاب كل منهم حقية أصل دين الآخر.

٥ ثم شبه بهم في نحو هذا القول الجهلة الذين ليس لهم كتاب الذين هم عندهم ضلال، وفي ذلك غاية العيب لهم لتسوية حالهم مع علمهم بحال الجهلة في القطع في الدين بالباطل كما سوى حالهم بهم في الحرص على الحياة في الدنيا ومنهم عبدة الأصنام الذين منهم العرب الذين أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم من بلده ومنعوه من مسجد أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام الذي^٧ هو الحقيق به^٨ دونهم، وساق ذلك جواب سائل كأنه قال: هذا قول العلماء بالكتاب فما حال من لا علم له؟ فقال: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا القول البعيد عن القصد ﴿قال الذين لا يعلمون﴾^٩ ولما كان صدور هذا من أهل العلم في غاية الغرابة وصدوره من الجهلة

(١) زيد في مد: أى لنسخ ديننا لدينهم وتعجب (٢) في ظ: الدعوة. (٣-٤) ليست في ظ (٤) ليس في مد (٥) في الأصل: الذين، والتصحيح من م وظ ومد (٦) في ظ: بهم (٧) وفي البحر المحيط ٣٥٣/١: ﴿الذين لا يعلمون﴾ هم مشركو العرب في قول الجمهور، وقيل: مشركو قريش، وقال عطاء: أم كانوا قبل اليهود والنصارى؟ وقال قوم: المراد اليهود وكأنه أعيد قولهم أى قال اليهود مثل قول النصارى ونفى عنهما العلم حيث لم ينتفعوا به فجعلوا لا يعلمون؛ والظاهر القول الأول، وقال الزمخشري: أى مثل ذلك الذى =

أغرب (٢٩) ١١٦

أغرب به تعالى 'على أن' سامعه جدير بأن يقول لعه له عداد ما لا يصدق:
 كيف قال الجهلة؟ فقال أو يقال: ولما كان قولهم هذا لا يكاد يصدق
 من شدة غرابته كان كأنه قيل: أحق كان هذا منهم حقيقة أم كنى به
 عن ٢ شيء آخر ٣؟ فأجيب بقوله: "كذلك"، أى الأمر كما ذكرنا
 عنهم حقيقة لا كناية عن شيء غيره، فلما استقر في النفس كان كأنه قيل: هـ
 هل وقع هذا لأحد غيرهم؟ فقيل: نعم، وقع أعجب منه وهو أنه
 قال الجهلة: "كعبدة الأصنام والمعطلة" (مثل قولهم) فاندبوا وضلوا
 المؤمنين أهل العلم بالكتاب الخاتم الذى لا كتاب مثله هـ وضلوا أهل
 كل دين* .

ولما وقع الخلاف بين هذه الفرق تبسبب عنه حكم الملك الذى ١٠
 لم يخلقهم سدى بينهم فقال: (فأله) الملك الأعظم* (يحكم بينهم)
 والحكم قصر المصروف على بعض ما يتصرف فيه وعن بعض ما تشوف
 إليه - قاله الحرالى ٧ - وحق أمر البعث بقوله: (يوم القيمة فيما كانوا
 فيه يختلفون هـ) والاختلاف افعال من الخلاف وهو تقابل بين رأيين
 = سمعت على ذلك النهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة
 الأصنام والمعطلة ونحوهم قالوا اكل أهل دين: ليسوا على شيء، وهو توبيخ
 عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم .
 (١ - ١) فى م: بيان (٢) فى م: مرا - كذا (٣) ليس فى ظ (٤) فى م وظ:
 واجيب (هـ) ليست فى ظ (٦) من مد وظ، وفى الأصل: شوف - كذا،
 وفى م: يشوف (٧ - ٧) ليس فى مد (٨) من مد، وفى الأصل وظ: يقابل
 - كذا، وفى م: يقابل .

فيا ينبغي انفراد الرأى فيه - قاله الحزالى ١ .

ولما اشتركت جميع هذه الفرق فى الظلم و زاد الجهلة منع حزب الله من عمارة المسجد الحرام بما يرضيه من القول و الفعل فازدادوا بذلك ظلما آخر و كان من منع مسجدا واحدا لكونه مسجدا مانعا لجميع المساجد . قال ٣ : ﴿ ومن اظلم ﴾ أى منهم ، و إنما أبدل الضمير بقوله : ﴿ ممن منع ﴾ مسجدا لله ﴿ أى الجامع لصفات الكمال ﴾ التى هى جنان الدنيا لكونها أسباب الجنة التى قصروها^٦ عليهم ، ثم أبدل من ذلك تفضيلا له تذكرة مرة بعد أخرى . قوله : ﴿ ان يذكر فيها اسمه ﴾ و عطف بقوله : ﴿ وسعى فى خرابها ﴾ أى بتعطيلها عن ذكر الله لبعد وجوه ظلمهم زيادة فى تبكيتهم .
١٠ . والمنع الكف عما يترامى^٧ إليه . و المسجد مفعول لموضع السجود و هو

(١) وقال أبو حيان الأندلسى : و قد تضمنت هذه الآيات الشريفة أشياء ، منها افتتاحها بحسن النداء و إثبات وصف الإيمان لهم و تنبيههم على تعلم أدب من آداب الشريعة بأن نهوا عن قول لفظ لإيهام ما إلى لفظ أنص فى المقصود و أصرح فى المطالب (٢) وقع فى ظ : رليه - كذا مطموسا (٣) ليس فى ظ .
(٤) المنع الحيلولة بين المريد و مراده ، و لما كان الشيء قد يمنع صيانة صار المنع متعارفا فى التنافس فيه - قاله الراغب ، البحر المحيط ٣٥٧/١ ؛ و ذكرت فيه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه جرى ذكر النصارى فى قوله ” و قالت النصارى ليست اليهود على شيء “ و جرى ذكر المشركين فى قوله ” كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم “ و فى أى نزلت منهم كان ذلك مناسبا لذكرها تلى ما قبلها .
(٥-هـ) ليست فى ظ (٦) فى م : قصورها (٧) فى مد : يرامى .

أخفض^١ محط القائم . والسعى الإسراع في الأمر حسا أو معنى .
والخراب ذهاب العمارة ، والعمارة إحياء المكان وإشغاله بما وضع له -
قاله الحرالي .

ثم ذكر سبحانه مارتبه على فعلهم من الخوف في المسجد الذي

أخافوا فيه أوليائه وفي جميع جنسه^٢ ، والحزى في الدنيا والآخرة / ضد ه ١١٤/
ما رتبته لمن أحسن فقال^٣: ﴿ أولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ ما كان لهم ﴾
أى ما صح وما انبغى^٤ ﴿ ان يدخلوها ﴾ أى المساجد الموصوفة
﴿ الا خائفين ﴾^٥ وما كان أمنهم فيها إلا بسبب كثرة المساعد على^٦
ما ارتكبه من الظلم والتماثل على الباطل وسنزيل ذلك ، ثم عمم الحكم
بما يندرج فيه هذا الخوف فقال: ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ أى عظيم ١٠
بذلك وبغيره ، ثم زاده بأن عطف عليه قوله: ﴿ ولهم في الآخرة ﴾
التي هم لها منكرون بالاعتقاد أو الأفعال ﴿ عذاب عظيم ه ﴾ فدل بوصف
العذاب على وصف الخزي الذي أشار إليه بالتووين . قال الحرالي : وفيه
إنباء باحباط ما يصرف عنهم وجهها من وجوه العذاب ، فنالهم من العذاب
العظيم ما نال الكافرين حتى كان ما كان لهم من ملة وكتاب لم يكن ، وذلك ١٥
أسوأ الخسار ؛ قال : ومن الموعود أن من أعلام قيام الساعة تضييع

(١) من م وظ ، وفي الأصل : اخفض - كذا ، وفي مد : اخفض - كذا بالصاد

المهملة (٢) في الأصل : جلسه ، والتصحيح من م وظ ومد (٣) زيد في مد :

تعالى (٤-٤) ليست في ظ (ه) العبارة من هنا إلى « ذلك » ليست في ظ .

(٦-٦) ليست في مد (٧) زيد في ظ : اى .

المساجد^١ لذلك^٢ كل أمة و كل طائفة و كل شخص معين تطرق بجرم^٣ في مسجد يكون فعله سببا لخلائته فان الله عز و جل يعاقبه بروعة و مخافة تناله^٤ في الدنيا ، حتى ينتظم^٥ بذلك من خرب مدينة من مدن الإسلام أو كانت أعماله سبب خرابها ، و في ضمن ذلك ما كان من أحداث السلطين على البيت المقدس بما جرّت إليه أعمال يهود فيه ؛ قال : كذلك أجرى الله سنته أن من لم يقيم حرمة مساجده شرده منها و أحوجه^٦ لدخولها تحت رقبة^٧ و ذمة من أعدائه ، كما قد شهدت مشاهدة^٨ بصائر أهل التبصرة^٩ و خصوصا في الأرض المقدسة المتناوب^{١٠} فيها دول الغلب^{١١} بين هذه الأمة

(١) في البحر المحيط ١/ ٣٥٨ : و أضيفت المسجدة لله على سبيل التشريف كما قال تعالى ” وان المسجدة لله “ و خص بلفظ المسجد و إن كان الذي يوقع فيه أفعالا كثيرة من القيام و الركوع و القعود و العكوف و كل هذا متعبدا به و لم يقل مقام ولا مكره ولا مقعد ولا معكف لأن السجود أعظم الهيئات الدالة على الخضوع و الخشوع و الطوعية التامة ، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم : أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد . و هي حالة يلقى فيها الإنسان نفسه للانقياد التام و يباشر بأفضل ما فيه و أعلاه و هو الوجه التراب الذي هو موطن قدميه . (قال ابن عطية) و هذه الآية تتناول كل من منع من مسجد إلى يوم القيامة أو خرب مدينة إسلام ، لأنها مساجد و إن لم تكن موقوفة ، إذ الأرض كلها مسجد (٢) في م : كذلك (٣) في مد : محرم (٤) في م : تناله ، و في مد : تناوله (٥) من م وظ ، و في مد : تنتظم ، و في الأصل : ينتظم - كذا (٦) في م : أخرجه (٧) في الأصل و م وظ : رقيه ، و في مد : رقه - كذا (٨) ليس في ظ . (٩) في م : التبصرة (١٠) من م وظ ، و في مد : المتناوب ، و في الأصل : المتناول . (١١) في مد : القلب .

وأهل الكتاب " آسم ٥ غلبت الروم ٥ في اذنى الارض وهم من بعد غلبهم
 سيغلبون ٥ في بضع سنين ١ " فكل طائفة في بضعها إذا ساء عملها في مسجد
 شردت منه ودخلته في بضع الأخرى خائفة كذلك ٢ حتى ٣ تكون ٤ العاقبة
 للثقلين حين ٥ يفرح المؤمنون ٦ بنصر الله ٧ ، قال : وفى إشعاره تحذير من
 غلق المساجد وإيصادها ٨ وحجرها ٩ على القاصدين ١٠ للتحث ١١ فيها ٥
 والخلة بذكر الله ؛ وليس رفع المساجد منعها بل رفعها ١٢ أن لا يذكر
 فيها غير اسم الله ، قال تعالى " فى بيوت اذن الله ان ترفع ١١ " قال عمر
 رضى الله عنه لما بنى الرحبة : من أراد أن يلفظ أو يتحدث أو ينشد
 شعرا فليخرج إلى هذه الرحبة . وقال صلى الله عليه وسلم : جنبوا مساجدكم
 صيانكم و بحائنينكم و سل سيفكم و بيعكم و شراءكم ، وابتوا على أبوابها ١٠
 المطاهر . ففى كل ذلك إنباء ١٢ بأن من عمل فى مساجد الله بغير ما رضعت
 له من ذكر الله كان ساعيا فى خرابها و ناله الخوف فى محل الأمن - انتهى ١٣ .

(١) سورة ٣ آية ١ - ٣ (٢) فى م فقط : اذلك (٣) فى م : حين (٤) من م ومد ،
 وفى ظ : يكون ، وفى الأصل : يكون - كذا (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل وم :
 حتى (٦) فى م : المؤمنين - خطأ (٧) فى مد : اصادها (٨-٨) فى م : للقاصدين (٩) فى
 ظ : التحث (١٠) فى مد : منعها (١١) سورة ٢٤ آية ٣٦ (١٢) هكذا فى الأصل ،
 وفى ظ وم : انبا ، وفى مد : انبا (١٣) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط
 ٣٥٩/١ : هذا الجزاء مناسب لما صدر منهم ، أما الخزي فى الدنيا فهو الهوان
 والإذلال لهم وهو مناسب للوصف الأول ، لأن فيه إجمال المساجد بدمم ذكر الله
 و تعطيلها من ذلك بفوزوا على ذلك بالإذلال والهوان ، وأما العذاب العظيم =

ولما أفهميت الآية أنه حصل لأولياء الله منع من عمارة بيت الله
بذكره وكان الله تعالى قد منّ على هذه الأمة بأن جعل الأرض كلها لها
مسجدا سقى المؤمنين بأنهم أينما صلوا بقصد عبادته لقيهم ثوابه، لأنه
لا يختص به جهة دون جهة، لأن ملكه للكل على حدّ سواء؛ فكان كأنه
هـ قيل: فأقيموا الصلاة التي هي أعظم ذكر الله حينما كنتم فانه الله، كما
أن المسجد الذي مُنعموه لله؛ وعطف عليه قوله: ﴿وَلِلَّهِ﴾ أى الذى
له الكمال كله^٢ (المشرق) أى موضع الشروق وهو مطلع الأنوار
(والمغرب) وهو موضع أفرها، فأنبأ تعالى كما قال الحرالى بإضافة
جوامع الآفاق إليه إعلاما بأن الوجهة لوجهه لا للجهة، من حيث أن
١٠ الجهة له - انتهى .

ولما كان هذان* الأفاقان^١ مدارا^٢ للكواكب^٣ من الشمس
وغيرها عبر^٤ بهما عن جميع الجهات، لتحول الأفلاك حال^٥ الدوران
= فى الآخرة فهو العذاب بالنار وهو إنلاف هياكلهم وصورهم وتخريب لها
بعد تخريب "كلما نضجت جلودهم بدانهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب"
وهو مناسب للوصف الثانى وهو سعيهم فى تخريب المساجد فحورزوا على ذلك
بتخريب صورهم وتمزيقهم بالعذاب (١) زيد فى م: كان (٢) ليس فى مد.
(٣-٢) ليست فى مد وظ، ولفظ "أى" فقط ليس فى م (٤) من م وظ ومد،
وفى الأصل: فأنباء (هـ) فى م: هذان (٦) فى م: الآفاق، وفى مد: الأفاقان (٧) فى
م: مدار (٨) فى م: الكواكب (٩) وفى البحر المحيط ١/ ٢٦٠: والذى يظهر
أن انتظام هذه الآية بما قبلها هو أنه لا ذكر منع المساجد من ذكر الله =
إلى

إلى كل منها^١ ، فلذلك تسبب عن ذكرهما قوله : ﴿ فإنيما^٢ تولوا ﴾
 أى فأى مكان أوقفتم فيه التولية للصلاة إلى القبلة التى أمرتم بالتولية
 إليها من بيت المقدس أو الكعبة أو غيرهما فى النافلة ﴿ فثم ﴾ أى فذلك
 الموضع ، لأن "ثم" إشارة لظرف مكان ﴿ وجه الله ﴾ أى جهته^٣ التى
 وجهكم إليها^٤ أو مكان استقباله والتوجه إليه وما يستقبلكم من ° جلاله
 وجماله ° ويتوجه^٥ إليكم من يره وفضاله ، فان نسبة^٦ جميع الأماكن
 والجهات فى الإبداع^٧ والقرب والبعد وغير ذلك إليه واحدة . قال
 الحرالى : وأبهم المولى ليقع تولى القلب لوجه الله حين تقع^٨ محاذاة
 وجهه^٩ الوجه الظاهر للجهة المضافة لله - انتهى^{١٠} .

= والسعى فى تخريبها به على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات ولا من ذكر الله
 إذ المشرق والمغرب لله تعالى ، فأى جهة أديتم فيها العبادة فهى لله يشيب على ذلك ،
 ولا يختص مكان التأدية بالمسجد ؛ والمعنى والله بآراء المشرق والمغرب وما بينهما ،
 فيكون على حذف مضاف (١٠) كرره فى ظ ثانيا .

(١) من مد ، وفى بقية الأصول : منها (٢) فى الأصل : فإن ما - كذا (٣) فى م :
 وجهته (٤-٥) ليس فى ظ (٥-٥) فى ظ : جماله وجلاله (٦) فى مد : متوجه
 (٧) من م ومد وظ ، وفى الأصل : نسبة - كذا (٨) فى مد : الإبداع .
 (٩) من مد ، وفى م وظ : يقع ، وفى الأصل : تقع - كذا (١٠) ليس فى مد .
 (١١) قال أبو حيان الأندلسى : وفى قوله ﴿ إنما تولوا ثم وجه الله ﴾ ود على من
 يقول إنه فى حيز وجهة ، لأنه لما خير فى استقبال جميع الجهات دل على أنه ليس
 فى جهة ولا فى حيز ، ولو كان فى حيز لكان استقباله والتوجه إليه أحق من جميع
 الأماكن ، فحيث لم يخص مكانا علمنا أنه لا فى جهة ولا حيز بل جميع الجهات =

ولما أخبر من سعة فضله مبثوثا^١ في واسع ملكه بما وقفت^٢ انقول
عن منتهى علمه عليه^٣ بما صغر ذلك في جنبه فقال: ﴿ان الله﴾ فذكره
بالاسم الاعظم الجامع لجميع^٤ الاسماء ﴿واسع﴾ أى محيط بما لا تدركه
الآروهام، فلا يقع شيء إلا في ملكه؛ أصل الوسع* تباعد الأطراف
والحدود ﴿عليم﴾ فلا يخفى عليه فعل فاعل أين ما كان وكيف ما كان،
فهو يعطى المتوجه إليه على قدر نيته بحسب بلوغ إحاطته وشمول علمه
وقدرته. قال الحرالى في شرح الاسماء: والسعة المزيد على الكفاية من
نحوها إلى أن ينبسط إلى ما وراء امتدادا [و-^١] رحمة وعلما "ورحمتى
وسعت كل شيء"^٥ / "للذين احسنوا الحسنى وزيادة"^٦ "لهم ما يشاؤون

/ ١١٠

١٠ فيها ولدينا مزيد"^٧، ولا تقع السعة إلا مع إحاطة العلم والقدرة
وكمال الحلم وإفاضة الخير. النعمة لمقتضى كمال الرحمة، وللمسرى^٨
النعمة في وجوه الكفايات ظاهرا وباطنا خصوصا وعموما لم يكذب
الخلق إلى حظ من السعة، أما ظاهرا فلا تقع^٩ "منهم ولا تكاد"^{١٠} وإنكم
لن تسعوا الناس بمعروفكم، وأما باطنا بخصوص حسن الخلق ففساد

= في ملكه وتحت ملكه، فأى جهة توجهنا إليه فيها على وجه الخضوع كما
معظمين له ممثلين لأمره - البحر المحيط ٣٦١/١.

(١) في ظ: مبثوثا (٢) في م: وقفت (٣) ليس في م (٤) في ظ: جميع - كذا.
(٥) في م: الواسع (٦) زيد من ظ (٧) سورة ٧ آية ١٥٦ (٨) سورة ١٠
آية ٢٦ (٩) سورة ٥٠ آية ٣ (١٠) في مد: لمسى - كذا (١١) من م، وفي
الأصل: فلا تقع - كذا، وفي مد و ظ: فلا يقع (١٢) في مد: لا يكاد.

يكاد . وقال في تفسيره : قدم تعالى " المشرق " لأنه موطن بدر^١
الأنوار التي منها رؤية الأبصار ، وأعقبه بالمغرب الذي هو مغرب
الأنوار الظاهرة [وهو مشرق الأنوار الباطنة ، فيعود التعادل إلى أن
مشرق الأنوار الظاهرة - ٢] هو مغرب الأنوار الباطنة ، الفتنة ههنا من
حيث يطلع قرن الشيطان - وأشار بيده نحو المشرق ، لا يزال أهل هـ
المغرب ظاهرين على الحق ، انتهى . قلت : ومن ذلك حديث صفوان
ابن عسال^٣ رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن لله بالمغرب
بابا - وفي رواية : باب التوبة مفتوح من قبل المغرب - مسيرة عرضه
سبعون عاما ، لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله - أخرجه الطبراني
والبغوي في تفسيره ، وقد ظهر أن المغرب في الحديث المتقدم وهو في ١٠
الصحيح ما عدا المشرق الذي أشار إليه بالفتنة في الحديث الآخر ؛
فالمغرب حيث المدينة وما ينسب إليها من جهة المشرق^٤ ، وما وراء
ذلك من جهة الجنوب والشمال^٥ ، وما وراء ذلك من جهة الغرب إلى
متنهي الأرض ، فلا يعارض حيث حديث « وهم بالشام ، فانها من جملة
المغرب على هذا التقدير » ، فدونك جمعا طال ما دارت فيه الرؤس و حارت ١٥
فيه الأفكار في المحافل و الدروس - والله الموفق .

(١) من م ، وفي الأصل ومد : بدء ، وفي ظ : بدى (٢) زيدت من م وظ ومد .

(٣) في مد : غسال - كذا بالقيين المعجمة ، خطأ (٤) - (٥) ليست في م . و وقع في ظ

« ورأى » ، وفي الأصل « ورأى » مكان « وراء » (هـ) في ظ : التقدير - كذا .

ولما أفاد ما تقدم وصفه تعالى بتمام القدرة واتساع الملك
والفضل وشمول العلم^١ كان من المحال افتقاره إلى شيء ولد أو غيره
قدّم أهل الأديان الباطلة كلهم باقترائهم^٢ في الولد اليهود في عزير
والتصاوي في المسيح وعبدّة الأوثان في الملائكة فقال معجبا بمن اجترأ
ه على نسبة ذلك إليه مع معرفة ما تقدم عاطفا على ما سبق من دعاويهم:
(وقالوا اتخذ الله^٣) الذي له الكمال كله^٤ وعبر بقوله: ((ولدا))
الصالح للذكر والآثي لينظم^٥ بذلك مقالات الجميع . ولما كان العطف
على مقالات أهل الكتاب ربما أوهم اختصاص الذم بهم حذف واو
العطف في قراءة ابن عامر على طريق الاستئناف^٦ في جواب من كأنه
١٠ قال: هل انقطع جبل اقترائهم^٧ ؟ إشارة إلى ذم كل من قال بذلك ،
وذلك إشارة إلى شدة التباسها بما قبلها كما قال الإمام أبو علي الفارسي
في كتاب الحجة ، لأن جميع المتحزبين^٨ على أهل الإسلام مانعون لهم من
إحياء المساجد بالذكر لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها ؛ والحاصل أنه إن
عطف كان نصيب الكلام إلى أهل تكتاب و أما غيرهم فتبع لهم للمساواة

(١-١) ليست في مد (٢) في مد: باقرايهم ، وفي الأصل: باقترانهم ، وفي م:
باقترايهم ، وفي ظ: باقترايهم (٣-٣) ليست في ظ (٤) في البحر المحيط ١/٣٦٢:
وقال القشيري: أتى بالولد وهو إحدى الذات لا جزء لذاته ولا تجوز الشهوة
في صفاته - انتهى (٥) في ظ: لينتظم (٦-٦) ليست في ظ ومكانه فيه: و (٧) من
م ومد وظ ، وفي الأصل: المتحررين .

في المقالة ١ ، وإذا حذف الواو انصب إلى الكل انصبابا واحدا ،
ونزه نفسه الشريفة استئنافا بقوله : ﴿ سجنه ﴾ فذكر ٢ علم التسيح
الجامع لإحاطة المعنى في جوامع التنزيه كله ، ثم جاء بكلمة الإضراب
المفهومة الرد بالنفي فكأن الخطاب يفهم : ما اتخذ الله ولدا ولا له ولد
﴿ بل له ما ﴾ ٣ فعبر بالأداة التي هي لغير العاقل ، تصلح له تعميما وتحقيرا لهم ٥
﴿ في السموات والأرض ﴾ مما ادعت كل فرقة منهم ، فيه الولدية
وغير ذلك .

ثم علله بقوله معبرا بما يفهم غاية الإذعان : ﴿ كل له قتون ٥ ﴾
أي مخلصون خاشعون متواضعون ، لاستسلامهم لقضائه من غير قدرة
على دفاع ، ولا تطلع إلى نوع امتناع العاقل ، غيره ، حتى كأنهم يسمعون ١٠

(١) في مد : المقالة (٢) قال أبو حيان الأندلسي : ولما كانت هذه المقالة من أقصد
الأشياء وأوضحها في الاستحالة أتى باللفظ الذي يقتضي التنزيه والبراءة من الأشياء
التي لا تجوز على الله تعالى قبل أن يضرب عن مقاتلتهم ويستدل على بطلان
دعواهم ، وكان ذكر التنزيه أسبق لأن فيه ردعا لدعى ذلك وأنهم ادعوا أمرا تنزه
الله عنه ، ثم أخذ في إبطال تلك المقالة - البحر المحيط ١ / ٣٦٢ (٣) العبارة من
« فعبر » إلى « تحقيرا لهم » ليست في ظ (٤) زيد في م : وكل ، وفي مد : و -
نقط (٥) ليس في م (٦) قال أبو حيان الأندلسي : ﴿ قستون ﴾ خبر عن كل ، وجمع حملا
على المعنى ، وكل إذا حذف ما تضاف إليه جاز فيها مراعاة المعنى فتجمع ، ومراعاة
اللفظ فتفرد ؛ وإنما حسنت مراعاة الجمع هنا لأنها فاصلة رأس آية ، ولأن الأكثر
في لسانهم أنه إذا قطعت عن الإضافة كان مراعاة المعنى أكثر وأحسن قال تعالى
« وكل كانوا ظالمين » « وكل اتوه داخرين » « وكل في فلك يسبحون » .

في ذلك ويبادرون إليه مبادرة اللبيب الحازم . قال الحرالي : فجاء بالجمع
المشعر كما يقال بالعقل^١ والعلم لما تقدم من أنه لا عجمة ولا جمادية بين
الكون والمكوّن ، إنما يقع جمادية و عجمة بين آحاد من المقصرين في
الكون عن الإدراك التام ؛ والقنوت ثبات القائم بالأمر على قيامه
تحققاً^٢ بتمكنه^٣ فيه . انتهى .

تم^٤ علل ذلك بما هو أعظم منه فقال : ﴿ بديع السموات
والارض ﴾ أي خالقهما على غير مثال سبق ، وما أبدع كلية أمر كان
أخرى^٥ أن يكون ما في طيه وإحاطته وإقامته من الأشياء المقامة به من
مبدعه فكيف يجعل له شبيه^٦ منه ؟ لأن الولد مستخرج شبيه بما استخرج
١٠ من عينه - ذكره الحرالي . ﴿ واذا قضى ﴾ أي أراد ﴿ امراً ﴾ منهما
أو من غيرهما^٧ ، والقضاء إنفاذ^٨ المقدّر . والمقدّر ما حد من مطلق المعلوم -
قاله الحرالي . ﴿ فانما يقول له كن ﴾ من الكون وهو كمال البادئ^٩

(١) من م و مد و ظ . وفي الأصل : بالعائل (٢) في ظ : تحقيقاً (٣) في م :
بتمكينه (٤) لما ذكر أنه مأنك لجميع من في السماوات والأرض وأنهم كل
قانون^٥ وهم المظروف للسماوات والأرض ذكر الظرفين ، وخصها بالبداعة
لأنها أعظم ما نشاهده من المخلوقات - قاله أبو حيان في البحر المحييط ١/ ٣٤٤ -
(٥) في م : أخرى - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : شبيه ، وفي مد : سبب .
(٧-٨) العبارة أخرت في مد عن « قاله الحرالي » (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل
وم : نفاذ - كذا بالبدال (٩-١٠) في مد : كما قال الرازي .

في ظاهره وباطنه ﴿ فيكون ٥ ﴾ فهو منزّه عن حاجة التوالد و كل
 حاجة ، و سر التعبير بالمضارع يذكر إن شاء الله تعالى في آل عمران .
 ٢ قال الحرالي : و صيغته تمادى الكائن في أطوار و أوقات و أسنان يمتد
 تواليها في المكون / إلى ٣ غاية كمال ٢ - انتهى . قالوا : و رفع ٥ يكون ،
 ١١٦/ للاستئناف أى فهو يكون ، أو العطف على " يقول " إيذاً بسرعة التكوين ٥
 على جهة التمثيل ، و من قال بالأول منع العطف على " يقول " لاقضاء
 الفاء أن القول مع التكوين فيلزم قدم التكوين . و قال الإمام أبو على
 الفارسي في كتاب الحجة : إن ذلك لا يطرد في مثل ثاني حرفي آل
 عمران و هو قوله تعالى " ثم قال له كن فيكون ٥ " لأنه لا يحسن تخالف
 الفعلين^٦ المتعاطفين بالمضى وغيره ، و أول قوله :
 ١٠

و لقد أمر على اللّيم يسبى فضيت ثم أقول لا يعنيني

بأن معناه : مررت ماضياً ، و طعن فيه أبو شامة بأن يكون في الآية ماض
 مثله و قد صرح أبو على و الحق معه بأنه على بابه يعنى ؛ و فائدة التعبير

(١) و في البحر المحيط : لما ذكر ما دل على الاختراع ذكر ما يدل على طواعية
 المخترع و سرعة تكوينه . . . و المعتقد في هذه الآية أن الله لم يزل أمراً للمعد
 و مات بشرط وجودها قادراً مع تأخر المقدورات علماً مع تأخر وقوع
 المعلومات ، و كل ما في الآية مما يقتضى الاستقبال فهو بحسب المأمورات
 و المحدثات تجيء بعد أن لم تكن ، و كل ما استند إلى الله من قدرة و علم فهو قديم
 لم يزل (٢) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست في مد (٣-٣) من م و ظ ، و في
 الأصل و مد : كمال غاية (٤) في مد : يكون (٥) سورة آية ٩٥ (٦) ليس في ظ .

به مضارعاً ١ تصوير الحال و الإرشاد إلى أن التقدير: كن فكان، لأنه متى
قضى شيئاً قال له: كن، فيكون؛ وجعل الأحسن عطفه على "كن"
لأنه وإن كان بلفظ الأمر فعناه الخبر أى يكون؛ و قال: إن ذلك
أكثر اطرادا لاتظامه لمثل قوله "ثم قال له [كن - ٣] فيكون؟" . وهذا
الموضع يجمع على رفعه، وكذا قوله تعالى في الأنعام "ويوم يقول كن
فيكون". وإنما الخلاف في ستة مواضع اختص ابن عامر منها بأربعة:
وهي هذا الموضع، وقوله تعالى في آل عمران "إذا قضى أمرا فأنما
يقول له كن فيكون" ٦، وفي مريم مثله سواء، وفي غافر "فاذا قضى
أمرا فأنما يقول له كن فيكون" ٨؛ وواقعه الكسائي في حرفين ٩
في النحل "فإنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" ١٠، وفي
يونس "فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" ١١ "فجعلوا نصب

(١) زيد في مد: ان (٢) في م: الخير - كذا (٣) زيد من ظ و م (٤) كناية
عن سرعة تكوين ما أراد، ولا خطاب هناك، لأن المعدوم لا يؤمر والموجود
لا يؤمر بإيجاده، وهو من مجاز التمثيل؛ وقرئ برفع "فيكون" أى فهو
يكون، وبالنصب على جواب الأمر، شبه الأمر المجازى بالأمر الحقيقي إذ
الأمر الحقيقي ينتظم منه شرط وجزاء فلا بد من التغير، إذ لا يصح تقدير: إن
يكن يكن، ومن قال: إن النصب لحن، فهو مخطئ والقراءة في السبعة فهمي من
التواتر - المدمن البحر المحيط ١/٣٦٤-٣٦٦ (٥) زيد في الأصل «له» ولم تكن الزيادة
في م وظ ومد والقرآن المجيد سورة ٩ آية ٧٣ لحذفها (٦) سورة ٣ آية ٤٧ (٧) زيد
في مد: له - خطأ (٨) سورة ٤٠ آية ٦٨ (٩-٩) ليس في ظ (١٠) سورة ١٠
آية ٤ (١١) سورة ٣٦ آية ٨٢ .

في هذين عطفًا على " يقول " وفي الأربعة الأولى جوابًا للأمر في قوله "كن" اعتبارًا بصورة اللفظ وإن لم يكن المعنى على الأمر فالتقدير ٢ : يقول له يكون فيكون ، أى فيطأوع ، فطاح قول من ضعفه بأن المعنى على الخبر وأنه لا يصح النصب إلا إذا تخالف الأمر وجوابه ، وهذا ليس كذلك بل يلزم فيه أن يكون الشيء شرطًا لنفسه ، لأن التقدير : إن يكن ٥ يكن ؛ وصرح ابن مجاهد بوجه ابن عامر وأن هذا غير جائز في العربية ، كما نقله عنه الإمام أبو شامة في شرح الشاطبية ؛ فأمنت النظر في ذلك لوقوع القطع بصحة قراءة ابن عامر لتوارها نقلًا عن أنزل عليه القرآن ، فلما رأيت لم ينصب إلا ما في حيز «إذا» علمت أن ذلك لأجلها لما فيها من معنى الشرط . فيكون مثل قوله تعالى في الشورى "ويعلم الذين يجادلون في ١٠" "يتنا" نصب "يعلم" في قراءة غير نافع وابن عامر على بعض التوجيهات ، وذلك ماش على نهج السداد من غير كلفة ولا استبعاد إذا تؤمل الكلام على «إذا» ؛ قال الرضى وهو العلامة نجم الدين محمد بن حسن الإستراباذى في الظرف من شرحه لقول العلامة أبى عمرو عثمان بن الحجاج في كافيته : ومنها «إذا» وهى للمستقبل وفيها معنى الشرط ، فلذلك اختير ١٥ بعدها الفعل ، والأصل في استعمال "إذا" أن تكون لزمان من أزمنة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث فيه مقطع به ، ثم قال : وكلية الشرط ما يطلب جملتين يلزم من وجود مضمون أولاهما فرضًا حصول

(١) في م : أنه (٢) في م : والتقدير (٣) سورة ٤٢ آية ٣٥ (٤) زيد في م : محمد بن .
(٥) في م : وظ و مد : الظروف (٦) ليس في م .

مضمون الثانية ، فالمضمون الأول مفروض ملزوم ، والثاني لازمه ؛ ثم
قال : و « إن » ، موضوعه لشرط مفروض وجوده ١ في المستقبل مع عدم
قطع المتكلم لا بوقوعه ولا بعدم وقوعه ، وذلك لعدم القطع في الجزاء
لا بالوجود ولا بعدم ، سواء شك في وقوعه كما في حقنا ، أو لم يشك
٥ كان الواقعة في كلامه تعالى ؛ وقال : ولا يكون الشرط في اسم إلا بتضمن
معناها ؛ ثم قال : فنقول ٢ : لما كان « إذا » ، للأمر ٣ المقطوع بوجوده
في اعتقاد المتكلم في المستقبل لم يكن لمفروض وجوده ، لتنافي ٤ القطع
و الفرض في الظاهر ، فلم يكن فيه معنى « إن » ، الشرطية ، لأن الشرط
كما بينا هو المفروض وجوده ، لكنه لما كان ينكشف لنا الحال كثيرا
١٠ في الأمور التي توقعها قاطعين بوقوعها عن خلاف ما توقعه ٥ جوزوا
تضمين « إذا » ، معنى « إن » ، كما في « متى » ، وسائر الأسماء الجوازم ،
فيقول القائل : إذا جئني فأنت مكرم - شاكا في مجيء المخاطب غير مرجح
وجوده على عدمه بمعنى متى جئني سواء ؛ ثم قال : ولما كثر دخول معنى
الشرط في « إذا » ، وخروجه عن أصله من الوقت المعين جاز استعماله
١٥ وإن لم يكن فيه معنى « إن » ، الشرطية ، وذلك في الأمور القطعية استعمال
« إذا » المتضمنة لمعنى « إن » ، وذلك لمجيء جملتين بعده على طرز الشرط
والجزاء وإن لم يكونا شرطا وجزاء ، ثم قال في الكلام على الفاء في
نواصب الفعل : وقد تضرر « أن » ، الناصبة بعد الفاء والواو الواقعتين

(١) في م : وجوه (٢) من مد ، وفي م : يقول ، وفي الأصل وظ : فقول -
كذا (٣) في مد : الأمر (٤) في م : ليتنا (٥) في م : يتوقع ، ولا يتضح في مد .

بعد الشرط ١ قبل الجزء ، نحو إن تأتني فسكرمى - أو : و تكرمى -
آتك ، أو بعد الشرط و الجزء ، نحو إن تأتني آتك فأكرمك - أو :
وأكرمك - و ذلك لمشابهة الشرط فى الأول و الجزء فى الثانى المنفى ،
إذ ٢ الجزء مشروط وجوده بوجود الشرط ، و وجود الشرط مفروض ،

فكلاهما غير موصوفين بالوجود / حقيقة ، و عليه حمل قوله تعالى ” ان يشا ٥ ١١٧/
يسكن الريح فيظللن - إلى قوله : و يعلم الذين يحمدون ٣ “ على ٢ قراءة
النصب ؛ ثم قال : وإنما صرفوا ما بعد فاء السبية من الرفع إلى النصب
لأنهم قصدوا التنصيص على كونها سبية و المضارع المرتفع بلا قرينة
مخالصة للحال و الاستقبال ظاهر فى معنى الحال ، كما تقدم فى باب المضارع ،
فلو أبقوه مرفوعا لسبق إلى الذهن أن الفاء لعطف ١ جملة حالية الفعل ١٠
على الجملة التى قبل الفاء ، يعنى ٢ فكان يلزم أن يكون الكون قديما كالقول ،
فصرفه إلى النصب منبه فى الظاهر على أنه ليس معطوفا ، إذ المضارع
المنصوب بأن مفرد ، و قبل الفاء المذكورة جملة ، و يتخلص المضارع
للاستقبال اللاتق بالجزائية كما ذكرنا فى المنصوب بعد إذن ، فكان فيه

شيثان : رفع جانب كون الفاء للعطف ، و تقوية ٣ كونه للجزاء ؛ فيكون ١٥
إذن ما بعد الفاء مبتدأ محذوف الخبر وجوبا - انتهى . فالتقدير هنا
و الله أعلم : فكونه واقع حق ليس بخيال كالسحر و التوبيهات ، فعلى هذا
قراءة النصب أبلغ لظهورها ٤ فى ٥ الصرف عن الحال إلى الاستقبال مع

- (١) فى م : و (٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : اذا (٣) سورة ٢٤ آية ٣٥ .
(٤) فى ظ : فى (٥) فى مد : تنطف (٦) ليس فى ظ (٧) من مد ، وفى الأصل :
نقوة - كذا ، وفى ظ و م : تقويته (٨) فى مد : لظهور ما (٩) زيد فى ظ : معنى .

ما دلت عليه من سرعة^١ الكون وأنه حق، ثم رأيت البرهان [بن-^٧]
 إبراهيم بن محمد السفّاقسى حكي^٢ في إعرابه ما خرجته عن ابن الضائع^٣ -
 يعنى بالضاد المعجمة والعين المهملة - وهو الأستاذ أبو الحسن علي بن
 محمد بن يوسف الكُتّامى^٤ شيخ أبي حيان فقال ما نصه: زاد ابن الضائع
 ٥ في نصب "فيكون" وجهاً حسناً وهو نصبه في جواب الشرط وهو إذا،
 وكان مراده التسبيب عن الجواب كما ذكرت، قال السفّاقسى: ويصح
 فيه وجه ثالث على مذهب الكوفيين وهو نصبه في جواب الحصر بانما،
 لأنهم أجازوا: إنما هي ضربة أسد فيتحطم^٥ ظهره.

ولما تقر بما أنبأ^٦ من بدیع آیاته^٧ في منبث^٨ مصنوعاته أن عظمته
 ١٠ تقصر عنها الأوهام وتنكص خاصته^٩ دونها نوافذ الأفهام عجب من
 الجرأة عليه بما استوى فيه حال الجهلة من العرب بالعلماء من أهل الكتاب
 تبيكتا^{١١} لهم وتغيرا منهم بأنه لا حامل لهم^{١٢} على الرضى لأنفسهم بالنزول
 من أوج العلم إلى حضيض أهل الجهل إلا اتباع الهوى فقال: ﴿وقال
 الذين لا يعلمون﴾ أى ليس لهم علم من العرب ﴿لولا﴾ أى هلا
 ١٥ ﴿يكلمنا الله﴾ أى يوجب^{١٣} كلامه لنا على ما له من جميع الصفات

(١) في: شرعة (٢) زيد من م (٣) في: حلي - كذا (٤) في م: الصانع (ه) في مد:
 الكتامى - كذا (٦) من ظ، وفي م ومدة فتحطم، وفي الأصل: فتحطم - كذا.
 (٧) من م ومدوظ، وفي الأصل: انباء (٨) في م ومدوظ: آياته، وفي الأصل: آياته.
 (٩) من مد، وفي الأصل وم وظ: منبث (١٠) في الأصل: خاصة - كذا، وفي
 م وظ ومد: خاصة (١١) من مد وظ، وفي م: تفكيكتا، وفي الأصل: تبيكتا - كذا.
 (١٢) ليس في ظ (١٣) من مد وظ، وفي الأصل: توجد، وفي م: يوجب - كذا.

﴿ أو تأتينا آية ﴾ أى على حسب اقتراحنا عاذين^١ ما آتاهم من الآيات -
على ما فيها من آية ٢ القرآن التى لا يوازىها ٣ آية أصلا - عدما .
ولما كان قوهم هذا جديرا^٤ بأن لا يصدق نبه عليه بقوله
﴿ كذلك ﴾ أى الأمر كما ذكرنا عنهم^٥ . ولما كان كأنه قيل : هل وقع
مثل هذا قط ؟ قيل : نعم ، وقع ما هو أعجب منه وهو أنه ﴿ قال الذين ﴾ ه
٦ ولما كان المراد بعض من تقدم أدخل الجار فقال^٦ : ﴿ من قبلهم ﴾
٧ بمن ينسب إلى العلم من أهل الكتاب^٧ ﴿ مثل قوهم ﴾ ، ثم علله بقوله :
﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ فى هذا وإن كانت مختلفة باعتبار العلم ، وفى ذلك
تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه كما تعنت عليه تعنت على من قبله .
ولما كان ذلك توقع^٨ السامع الإخبار عن البيان فكان كأنه قيل : هل
قالوا ذلك جهلا أو عنادا ؟ فقيل : بل عنادا لأننا ﴿ قد بينا الآية ﴾ فى
كل آية^٩ فى الكتاب المبين المسموع والكتاب الحكيم المرتى . ولما
كان يقع البيان خاصا بأهل الإيقان قال : ﴿ لقوم يوقنون ه ﴾ وفى بعث
(١) فى م : علم دين (٢) فى الأصل : أنه ، والتصحيح م وظ و مد (٣) فى مد :
لا توازىها (٤) فى م : حذرا (٥) من مد ، وفى ظ : عنهم ، وفى الأصل : معهم ،
وفى م : بمفهم . وقال أبو حيان الأندلسي : ولما حكي عنهم نسبة الولد إلى الله
تعالى أعقب ذلك مقالة أخرى لهم تدل على تعنتهم وجهلهم بما يجب لله تعالى من
التعظيم وعدم الاقتراح على أنبيائه - البحر المحيط ١ / ٣٦٦ (٦-٧) ليست فى ظ .
(٧-٧) آخر هذه العبارة فى م عن « باعتبار العلم » (٨) فى م : يوقع ، وفى ظ :
وقع - كذا (٩) من م ، وفى الأصل و مد وظ : امة .

لشاك على تعاطى أسباب الإيقان ، و هو ١ صفاء العلم عن كدر ' بطرق
الريب ' لاجتماع شاهدى السمع و العين . قال ٣ الحرالى : و فيه إشارة
لما حصل للعرب من اليقين ، كما قال سيد العرب على رضى الله عنه : لو
كشف الغطاء ما ازددت يقينا . استظهارا لما بطن من عالم الملكوت
٥ على ظاهر عالم الملك ! كالا للفهم عن ٤ واضح هذا البيان الذى تولاه الله
و من اصطفاه الذى اشتمل عليه استبعا ضمير "بينا" ؛ و فى استواء
العالم و غيره فى الجهل بعد البيان دليل على مضمون التى قبلها فى أن ما أراد
كان . و لما تضمن هذا السياق الشهادة بصحة رسالته صلى الله عليه و سلم
و أنه ليس عليه إلا البيان صرح بالأمرين فى قوله ٥ مؤكدا لكثرة
١٠ المنكرين ٥ ﴿ انا ارسلنك ﴾ ١ هذا على أن يكون المراد بذلك جميع الأمم ،

(١) فى البحر المحيط : الإيقان وصف فى العلم يبلغ به نهاية الوثاقة فى العلم ، أى
من كان موقنا فقد أوضحنا له الآيات فآمن بها و وضحت عنده و قامت به الحجة
على غيره ، و فى جمع الآيت رد على من اقترح آية ، إذا الآيات قد بينت فلم يكن آية
واحدة فيمكن أن يدعى الالتباس فيها بل ذلك جمع آيات بينات لكن لا ينتفع بها
إلا من كان من أهل العلم و التبصر و اليقين (٢-٢) فى مد : بطرق الريب ، و فى
م : تطرق الريب ، و فى ظ : تطرق الريب (٣) فى ظ : قاله (٤) فى م : على .
(٥-٥) ليست فى ظ (٦) هذه الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان
يضيق صدره لتماذيههم على ضلالهم ، (و مناسبة هذه الآية لما قبلها) أنه لما ذكر
أنه بين الآيات ذكر من ينت على يديه فأقبل عليه و خاطبه صلى الله عليه وسلم
ليعلم أنه هو صاحب الآيات فقال : ﴿ انا ارسلنك بالحق ﴾ أى بالآيات الواضحة -
البحر المحيط ١ / ٣٦٧ .

أما إذا أريد هذه الأمة فقط فيكون المعنى: قد بينا الآيات الدالات^١ على طريق الحق بأعظم برهان و بالإخبار عن دقائق لا يعلمها إلا حذّاق أهل الكتاب لقوم يحق عليهم الإيقان لما وضع لهم من الأدلة، ثم علل ذلك بقوله: "إنا أرسلناك" إرسالاً ملتبساً (بالحق) ٢ أى ٣ بالامر الكامل الذى يطابقه الواقع فى كل جزئية يخبر بها. قال الحرالى: ٥ [و الحق - ٤] اتمام المكل بكلمة «ال» هو استنطاق الخلق عن أمر الله فيهم عن وجهه^٥ أعلى لرسالته العلية الخاصة به عن عموم ما / وقعت به رسالة المرسلين من دون هذا الخصوص، وذلك «حق» منكر، كما تقدم أى عند قوله: "وهو الحق مصداقاً لما معهم" لأن ما أحق غيباً بما أنزله الله فهو «حق» حتى السحر، وما أظهر غيب القضاء والتقدير وأعلن ببدء ١٠ حكمة الله على ما أبدأها من نفوذ مشيئته فى مقابل ما أبدأه من خلقه فهو «الحق» الذى خلقت به السماوات والأرض ابتداء وبه ختمت الرسالة انتهاء ليتطابق^٦ الأول والآخر كلاً؛ حال كونك (بشيراً ونذيراً) وقال الحرالى^٨: لما أجرى الله سبحانه من الخطاب عن أهل الكتاب والعرب نبأ^٩ ردّهم لما أنزل أولاً وآخراً نبأ ما اقتروه بما^{١٠} لا شبهة فى ١٥ دعواه أعرض بالخطاب عن الجميع وأقبل به على النبي صلى الله عليه وسلم تسلياً له وتأكيذاً لما أعلمه به^{١٢} فى أول السورة من أن الأمر مجرى على

(١) فى مد: الدالة (٢) العبارة من هنا إلى «يخبر بها» ليست فى ظ (٣) ليس فى مد (٤) زيد من م ومد، وفى ظ: فالحق (٥) فى م وظ ومد: وجهه. (٦) فى مد: عباً - كذا (٧) فى مد: لتطابق (٨) ليس فى ظ (٩) فى الأصل: نبأ (١٠) فى مد: بما.

تقديره وقسمته^١ الخلق بين مؤمن وكافر و منافق ، فأنبأه تعالى أنه ليس
مضمون رسالته أن يدعو الخلق إلى غير ما جبلوا عليه ، وأن مضمون
رسالته أن يستظهر خبايا الأفتدة والقلوب على الألسنة والأعمال ،
فيشر المهتدى والثابت على هدى سابق ، وينذر^٢ الأبي^٣ والمنكر لما
سبق إقراره به قبل ، فعم بذلك الأولين والآخرين من المبشرين والمنذرين -
انتهى - أى^٤ فليس عليك إلا ذلك فيشر وأنذر فانما عليك البلاغ
وليس عليك خلق الهداية في قلوب أهل النعيم ﴿ولا تسئل﴾^٥ ويجوز أن
يكون حالا من "ارسلتك" أو من "بشيرا"^٥ ﴿عن اصحاب الجحيم﴾^٥
والمراد بهم من ذكر في الآية السابقة من الجهلة ومن قبلهم ، أى عن
أعمالهم لتذهب نفسك عليهم^٦ حسرات لعدم إيمانهم ، كما قال^٦ تعالى
﴿ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾ أى^٧ فخالك مستو بالنسبة إلينا وإليهم^٧
لأنك إن بلغتهم جميع ما أرسلت به إليهم لم نحاسبك بأعمالهم ، وإن تركت
بعض ذلك محاسبة^٨ لهم لم يحبوك ما دمت على دينك فأقبل على أمرك
ولا تبال بهم ، وهو معنى قراءة^٩ نافع ﴿ولا تسئل﴾ على النهى ، أى
(١) في م : قسمه ، وفي مد : قسمة (٢) في الأصل : و بدر - كذا ، والتصحيح
من بقية الأصول (٣) في ظ : للآبي ، وفي مد : للآي - كذا (٤) ليس في مد .
(٥-٥) ليست في ظ (٦-٦) ليست في م وظ (٧) ليس في ظ (٨) في مد : محاسبه -
كذا (٩) قال أبو حيان الأندلسي : قراءة الجمهور بضم التاء واللام ، وقرأ أبي
«وما تسأل» وقرأ ابن مسعود «ولن تسأل» وهذا كله خبر ، فالقراءة الأولى
وقراءة أبي يحتمل أن تكون الجملة مستأنفة وهو الأظهر ، ويحتمل أن تكون =

احقرهم فانهم أقل من [أن - ^١] يلتفت إليهم، فبلغهم جميع الامر
فانهم لا يحبونك ^١ إلا إذا ^٢ انسلخت عما أنت عليه؛ وفي الحكم بكونهم أصحابها
إثبات لما نفوه عن أنفسهم بقولهم " لن تمسنا النار - الآية ^٥ " ونفى لما
خصصوا به أنفسهم في قولهم: " لن يدخل الجنة - الآية ^٦ ". والجحم
قال الجرجاني انضمام الشيء و عظم فيه، ومن معنى حروفه الجحم و هو ه
التضام و ظهور المقدار إلا أن الجحم فيما ظهر كالأجسام و الجحم -
بتقديم الجيم - فيما يالطف ^٧ كالصوت و النار .

ولما جرت العادة بأن المبشر يسرّ بالبشير ^٨ أخبر تعالى أن أهل
الكتاب في قسم المنذرين فهم لا يزالون عليه غضابا فقال عطفًا على
ما اقتضاه ما قبله: (ولن ترضى) من الرضى و هو إقرار ما ظهر عن ^٩ ١٠

= في موضع الحال، وأما قراءة ابن مسعود فيتعين فيها الاستئناف، والمعنى على
الاستئناف أنك لا تسأل عن الكفار ما لهم لم يؤمنوا، لأن ذلك ليس إليك،
إن عليك إلا البلاغ، أنك لا تهدي من أحببت، إنما أنت منذر؛ وفي ذلك تسلية له
صلى الله عليه وسلم وتخفيف ما كان يجده من عنادهم، فكأنه قيل: لست مسؤولاً
عنهم فلا يحزنك كفرهم .

(١) زيد من م ومد وظ (٢) من مد وظ، وفي الأصل وم: لا يحبوك (٣) في
م ومد وظ: إن (٤) في مد: عما (٥) سورة ٢ آية ٨. (٦) سورة ٢ آية ١١١ .
(٧) في م وظ: لطف (٨) في م: بالبشر (٩) في م: على .

إرادة - قاله الحرالي . (عنك اليهود و لا النصارى) لشيء من الأشياء
 (حتى تتبع ملتهم) أى حتى تكون بشيرا لهم ، و لن تكون بشيرا لهم
 حتى توافقهم فيما أحدثوه من أهوائهم بأن تتبع ' كتابهم على ما بدلوا
 فيه و حرفوا و أخفوا ' على ما أفهمته إضافة الملة إليهم لا إلى صاحبها
 ٥ المعصوم و هو إبراهيم عليه السلام ٣ ، و يكون ذلك برغبة ' منك ' تامة
 على ما أفهمته صيغة الاقتعال و تترك ' كتابك الناسخ لقروع كتابهم ؛
 و الملة قال الحرالي الاخذ والعمل بما فى العقل هدايته من اعلام المحسوسات .
 و لما قيل ذلك اقتضى الحال سؤالا و هو : فما ٦ أقول ؟ فقال : (قل)
 ' و لم يقيده ' بلهم إعراضا عنهم ' (ان هدى الله) ' الذى هو جميع

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سمع - كذا (٢) روى أن اليهود والنصارى
 طلبوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم الهدنة و وعدوه أن يتبعوه بعد مدة
 خداعا منهم فاطلعه الله على ستر خداعهم فزلت ، نفى الله رضاهم عنه إلا بمتابعة
 دينهم و ذلك بيان أنهم أصحاب الحليم الذين هم أصحابها لا يطمع فى إسلامهم .
 و الظاهر أن قوله تعالى (و ان ترضى) خطاب للنبي صلى الله عليه و سلم ، تلقى
 رضاهم عنه بأمر مستحيل الوقوع منه صلى الله عليه و سلم و هو اتباع ملتهم ،
 و المعلق بالمستحيل مستحيل - البحر المحيط ١ / ٣٦٨ (٣) زيد فى مد : و سياتى
 تفسير الملة قريبا (٤) فى الأصل : برغبة ، و التصحيح من بقية النسخ (٥) فى
 مد : منه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ترك - كذا (٧) فى ظ : كما ،
 و زيد بعده فى ظ و م و مد : ذا (٨-٨) ليس فى ظ (٩) فى م : لهم (١٠) زيد
 فى ظ : أى .

ما أنزل^١ 'الجامع لصفات الكمال' على رسله من كتابي وكتابكم (هو)
 ٢ أى خاصة^٢ (الهدى) ٢ أى كله^٣ مشيراً بأداة التعريف إلى كمال معناه،
 ٣ وبالحرص إلى^٤ أن غيره هو الهوى؛ وأضافه إلى الاسم الأعظم
 وأكدته^٥ بيان وأعادته بلفظه وعبر عنه بالمصدر واستعمل فيه ضمير الفصل
 رداً لإنكارهم له، فإن اتبعوه كله فآمنوا بأن كتابهم داع إلى كتابك فبشرهم،
 وإن لم يتبعوه فالزم إنذارهم؛ وفي الآية إشارة إلى ذلك الكتاب
 لا ريب فيه.

ثم عطف على ما أفهمه السياق من نحو: فلئن زغت^٦ عنه لتترك^٧
 الهدى كله 'باتباع الهوى'، قوله: (٢ واثنين ٢ اتبعوا هواهم)^٨ الداعية
 لهم^٩ إلى تغيير كتابهم. قال الحرالي: فأظهر إفصاحاً^{١٠} ما أفهمته إضافة^{١١}
 الملة إليهم من حيث كانت وضعا بالهوى لا هداية نور عقل كما هي في
 حق الخنيفين - انتهى. ولما كان الكلام هنا في أمر الملة التي هي ظاهرة
 للعقل أسقط "من" وآتى الذي بخلاف ما يأتي ١١ في ١٢ القلة ١٣ فقال:

(١) زيد في ظ: الله (٢-٣) ليس في ظ (٣) العبارة من هنا إلى «لإنكارهم له»
 ليست في ظ (٤) وفي م: على (٥) في مد: أكد (٦) في ظ: رغبت (٧) في م:
 لترك، وفي مد: لتترك، وفي ظ: لتترك (٨) والأهواء جمع هوى وكان
 الجمع دليلاً على كثرة اختلافهم، إذ لو كانوا على حق لكان طريقاً واحداً
 "و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً"، وأضاف الأهواء
 إليهم لأنها بدعهم وضلالهم، ولذلك سمي أصحاب البدع أرباب الأهواء.
 (٩) ليس في مد (١٠) في مد: أيضاً (١١) وهو قوله تعالى "من بعد ما جاءك"
 راجع السورة ٢ آية ١٤٥ (١٢) زيد في مد وظ «امر» (١٣) في ظ: القلة.

﴿ بعد الذى ﴾ قال الحرالى : أشارت ' كلمة " الذى " إلى معنى قريب من الظاهر المحسوس كأنه علّم ظاهر، فقيه إنباء بأن أدنى ما جاءه ٢ من العلم مظهر لإبطال ما هم عليه فى وجوه تلييسهم وأهوائهم ﴿ جاءك من العلم ﴾ بأنهم على ضلال وأنك ٣ على جميع الهدى . وخاطبه بذلك صلى الله عليه وسلم والمراد والله أعلم من اتبع أهواءهم بعد الإسلام من المنافقين ٥ تمسكا بولايتهم / طمعا فى نصرتهم ولذا ٤ ختم بقوله : ﴿ ما لك من الله ﴾ الذى نه الأمر كله ولا كفوء له ٥ ، وأكد التنبى بالجار فقال : ﴿ من ولى ولا نصير ﴾ ٦ .

/ ١١٩

ولما أفصح بمن يستحق النذارة منهم بتغيير الدين بأهوائهم فافهم ٧

(١) فى ظ : اشارت ، وفى م ومد : اشارة - كذا (٢) من م وظ ومد ، وفى الأصل : جاء (٣) فى الأصل : وانكر ، والتصحيح من بقية الأصول (٤) فى م : كذا (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦) فى البحر المحيط ٣٦٩/١ ، قالوا : تدل هذه الآية على أمور، منها أن من علم الله منه أنه لا يفعل الشيء يجوز أن يخاطب بالوعيد، لاحتمال أن يكون الصارف له ذلك الوعيد، أو يكون ذلك الوعيد أحد الصوارف، ونظيره "لئن اشركت ليحبطن عملك"؛ ومنها أن قوله ﴿ بعد الذى جاءك من العلم ﴾ يدل على أنه لا يجوز الوعيد إلا بعد العذرة أولا فيبطل بذلك تكليف ما لا يطاق؛ ومنها أن اتباع الهوى باطل فيدل على بطلان التقليد . . . وفى قوله : ﴿ مالك من الله من ولى ولا نصير ﴾ قطع لإطاعتهم أن تتبع أهواءهم ، لأن من علم أنه لا ولى له ولا نصير ينفعه إذا ارتكب شيئا كان أبعد فى أن لا يرتكبه وذلك إياس لهم فى أن يتبع أهواءهم أحد (٧) من م ومد وظ ، وفى الأصل : فافهم .

من يستحق البشارة تلاه بالإفصاح بالقسمين: من يستحق البشارة منهم،
 ومن يستحق النذارة، فقال: ﴿الذين اتينهم الكتب﴾ أى التوراة
 والإنجيل ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما: يتبعونه
 حق اتباعه، من تلا فلان فلانا إذا تبعه - رواه عنه أبو عبيد ١. وهى
 ناظرة إلى قوله قريبا: "وهم يتلون الكتب" أى لا حق تلاوته بل ٢ ٥
 تلاوة ليس فيها تيسر لمعانيه ولا عمل بما فيه؛ هذا إذا جعلناه حالا،
 وإن جعلناه خبرا وقوله: ﴿اولئك﴾ أى العظمى الرتبة خاصة ٣
 ﴿يؤمنون به﴾ خبرا ثانيا فالمعنى أن من لم يؤمن بالكتاب ٤ حق الإيمان
 من غير تحريف له ولا إخفاء لشيء فيه ٥ لما اتقى عنهم المقصود بالذات
 وهو الانتفاع بالكتاب المؤتى اتقى عنهم أصل الإيتاء لأنه تجرد عن ١٠
 الفائدة؛ والضمير فى "به" يصح أن يكون للهدى. قال الحرالى: وحقية
 الأمر هى وفاؤه إلى غايته والإحاطة به إلى جماع حدوده حتى لا يسقط
 منه شيء ولا يقصر ٦ فيه غاية إشعارا ٧ باشتغال ٨ الكتاب على أمر محمد
 صلى الله عليه وسلم ٩.

(١) فى مد: أبو عبيدة (٢) فى الأصل: فريقا - كذا، والتصحيح من بقية
 الأصول (٣) فى مد: بلا - كذا (٤-٤) ليست فى ظ (٥) كذا فى الأصل، وفى
 مد وظ حقيقة، وفى م: حممه - كذا (٦) فى م ظ و مد: تقصر (٧) فى م
 و مد: اشعار (٨) فى ظ: اشمال (٩) قال أبو حيان الأندلسى فى بيان سبب نزول
 الآية: قال ابن عباس: نزلت فى أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب
 وكانوا اثنين وثلاثين من أهل الحبشة وثمانية من رهبان الشام، وقيل: كان =

ولما وصف المؤمنين به ولم يبين ما لهم اتبعه بالكافرين^١ فقال :
 ﴿ ومن يكفر به ﴾^٢ أى بالكتب ، ثم حصر الخسر^٣ فيهم بقوله :
 ﴿ فاولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ هم ﴾ خاصة ﴿ الخسرون ﴾ فافهم أن
 المؤمنين به هم الراجحون^٤ ؛ ومن الوصف بالخسار^٥ يعلم أنهم كانوا على
 حق و شيء يمكن الرجح فيه بتكلمة الإيمان بكتابتهم بالإيمان^٦ بالكتاب الخاتم
 فضميوه فخرى ، فانه لا يخسر إلا من له أصل مال متهيئ للنماء والرجح -
 والله أعلم .

ولما طال المدى في^٦ استقصاء تذكيرهم بالنعم^٧ ثم^٨ في بيان عوارهم
 وهتك أستارهم وختم ذلك بالترهيب بخسارهم^٩ لتضييع^{١٠} أديانهم بأعمالهم

= بعضهم من أهل نجران وبعضهم من أهل الحبشة ومن الروم ، وثمانية
 ملاحون أصحاب السفينة أقبلوا مع جعفر ؛ وقال الضحاك : هم من آمن من
 اليهود كابن سلام وابن سوريا وابن يامين وغيرهم ، وقيل : في علماء اليهود
 وأخبار النصرى ، وقال ابن كيسان : الأنبياء والمرسلون ، وقيل : المؤمنون ،
 وقيل : الصحابة - قاله عكرمة و قتادة ، وعلى هذا الاختلاف يتنزل الاختلاف
 في " انكتب " ، أهو التوراة أو الإنجيل أوهما والقرآن أو الجنس فيكون يعنى
 به المكتوب فيشمل الكتب المتقدمة .

(١) في مد : الكافرين (٢) ليس في م (٣) في م : الخسر (٤) من م ، وفي بقية
 الأصول : راسخون (٥) في مد : بالخسارة ، وفي ظ : بالخساره (٦-٧) ليست في
 ظ (٧) العبارة من هنا إلى « وأقوالهم » ليست في ظ (٨) في م : لتضييع .

و أحوالهم و أقوالهم أعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم^١ و التحذير
من حلول النقم يوم يجمع الأمم و يدوم فيه الندم لمن زلت به القدم ،
ليعلم أن ذلك فذلك القصة و المقصود بالذات في ' الحث على ' انتهاز^٢
الفرصة في التفصّي^٣ عن حرمة^٤ النقص إلى لذة الرّيح بدوام الشكر .
قال الحرالي : فليعده^٥ بالتقدم كرره تعالى إظهارا لمقصد التثام آخر الخطاب ه
بأرله و ليتخذ^٦ هذا الإفصاح و التعليم أصلا لما يمكن أن يرد من نحوه
في سائر القرآن حتى كأن الخطاب إذا انتهى إلى غاية خاتمة يجب أن يلحظ
القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته جامعا لطرفي البناء^٨
' في تفهمه جامعا لمعاني طرفي المعنى ؛ انتهى - فقال تعالى : ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ﴾
أى ولد الأنبياء الأصفياء و والد الأنبياء السعداء ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ أى ١٠
الشريفة بالنسبة إلى ﴿ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ بها في الدنيا ﴿ وَاِنِّي فَضَّلْتُكُمْ ﴾
واقصر هنا على نعمة التفضيل و لم يذكر الوفاء الذى هو فضيلة النفس
الباطنة ١٠ إشارة إلى جودهم باقتصارهم على النظر في الظاهر ﴿ عَلَى الْعَالَمِينَ ه ﴾
في تلك ١١ الأزمان كلها بآتمام نعمة الدنيا بشرع الدين المقتضى للنعمة في
الأخرى ، فانكم إذا ذكرتم النعمة شكرتموها فقيدتموها و استوجبتم من ١٥

- (١) في ظ : بالنعم (٢-٣) ليست في ظ (٤) وقع في ظ : انتهاض - خطأ (٤) في
م و مد و ظ : التفصّي (٥) في م : حرفة ، وفي ظ : حدة - كذا (٦) في م :
فليعده (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : ليتحد - كذا بالبدال المهملة .
(٨) في م : البناء ، وفي مد : البنا ، وفي الأصل : النبا ، وفي ظ : البناء - كذا .
(٩) العبارة من هنا إلى « الأصفياء و » ليست في ظ (١٠) زيدت « و » في ظ .
(١١) زيد في ظ : في .

الله الزيادة في الدنيا والرضى في العقبى ﴿واَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي أَيُّ تَقْضَى ١﴾
 أى يصنع ١ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أى من الجزاء .

ولما ختمت الآية الماضي بحصر الخسارة فيهم ناسب تقديم نفي
 القبول فقال: ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يذلل ٢ في فكأكلها من غير الأعمال
 الصالحة ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ غير مأذون فيها ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ٣﴾
 وإن كثرت جموعهم . قال الحارثي: أجراها تعالى في هذا التكرار على
 حدها في الأول إلا ما خالف بين الإبرادين في قوله "واَتَّقُوا يَوْمًا -
 إلى آخره" ليجمع النبأ في كل واحد من "لشفاعة" و"لعدل" بين مجموع
 الردين من الأخذ والقبول فيكون شفاعتها لا مقبولة ولا نافعة ، ويكون
 ١٠ عدلها لا مأخوذا ولا مقبولا ٤ ، وذلك لأن المعروض للقبول ٥ أول

ما يؤخذ أخذا بحسبه من أخذ سمع أو عين ، ثم ينظر ٦ إليه نظر تحقيق
 في المسموع و تبصر ٧ في المنظور ؛ فإذا صححه التحقيق والتبصير قبل ،
 وإذا لم يصححه رد ، وإنما يكون ذلك المن في ١ حاله حظ صحة ظاهرة
 لا يثبت ١١ مع الخبرة ، فأنبأ تعالى بمضمون الآيتين الفاتحة والخاتمة أن

(١) من ظ ، وفي م : يقضى . وفي الأصل : يقضى - كذا (٢) من ظ ، وفي
 الأصل : يصنع - كذا ، وفي م : يضع ، وفي مد : تضع (٣) في مد : يعدل .
 (٤) في ظ : تكون ، وفي مد : تكون (٥ - ٥) في الأصول : لا مأخوذ
 ولا مقبول (٦) في مد : المقبول (٧) في ظ : تنظر (٨) في مد فقط : يبصر .
 (٩) في م : ان (١٠ - ١٠) ليس في مد (١١) من م ، وفي الأصل وظ : لا يثبت -
 كذا ، وفي مد : تثبت .

هؤلاء ليس في حالهم حظ صحة البتة لا في شفاعه ولا في عدل فلا يقبل ولا يؤخذ 'إنباء بغرائه' عن لبسه' ظاهر صحة يقتضى أخذه بوجه مّا، فقيه تبرئة^٢ بمن حاله حال ما' نبى^٥ به^٦ عنهم على ما تقدم معناه في مضمون الآية؛ وبهذه الغاية انصرف^٨ الخطاب عنهم على خصوص

ما أوتوا من الكتاب الذى كان / يوجب لهم أن يتدينوا بقبول ما جاء^٥ ١٢٠ / مصداقاً لما معهم^٨ فاتخذوا لهم^٨ بأهوائهم ملة اقتعلتها^٩ أهوائهم، فظم تعالى بذلك ذكر صاحب الملة التى يرضاها وافتتح بابتداء أمره في ابتلائه ليجمع عليهم الحجتان السابقة بحسب الملة الحنيفة الإبراهيمية و اللاحقة بحسب الدين المحمدى^{١٠} كان صلى الله عليه وسلم يقول في الصباح: أصبحنا^{١١} على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه ١٠ / وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم . فخص المحمدية بالدين والإبراهيمية بالملة لينظم ابتداء الآبوة الإبراهيمية بطوائف أهل الكتاب سابقهم ولاحقهم بنبي^{١٢} ابتداء الآبوة الآدمية في مقدم قوله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة - الآيات" لينظم رؤس الخطابات ١٢ بعضها ببعض و تفاصيلها بتفاصيلها، وليكون إظهار ذلك ١٥

١ - ١) في م و ظ : أنباء بغرائه (٢) في م و ظ : لبسه (٣) في ظ : بتوبة .
(٤) في ظ : من (٥) في مد : بنى ، وفي م : بنى (٦) ليس في مد (٧) في ظ :
انصرف (٨ - ٨) من ظ ، وفي م و مد : فاتخذوهم ، وفي الأصل : فاتخذوهم .
(٩) في مد : اقتلعها (١٠) في مد : بحيث - كذا (١١) في م و مد : بنى ، وفي ظ :
بنى (١٢) في مد : الخطاب .

في سورة سنام القرآن أصلا لما في سآره^١ من ذلك، وذكر قبل ذلك أن الملة ما يدعو إليه هدى العقل المبلغ عن الله توحيده من ذوات الخيفين، وأن الدين الإسلام، والإسلام إلقاء ما باليد ظاهرا وباطنا، وذلك إنما يكون عن بادی غيب التوحيد - انتهى .

٥ ولما عاب سبحانه أهل الضلال و كان مجلهم^٢ من ذرية إبراهيم عليه السلام^٣ و جميع طوائف الملل تعظمه^٤ و منهم العرب و بيته الذي بناه أكبر مفاخرهم و أعظم مآثرهم ذكر الجميع ما أنعم به عليه تذكيرا يؤدي إلى ثبوت هذا الدين باطلاع هذا النبي الأسمى الذي لم يخالط عالما قط على ما لا يعلمه إلا خواص العلماء . و ذكر البيت الذي بناه فجعله الله عماد صلاحهم ، و أمر بأن يتخذ بعض ما هناك مصلی تعظيما لأمره و تفخيمًا لعلی قدره ؛ و في التذكير يوفائه بعد ذكر الذين وفوا بحق التلالة و بعد دعوة بني إسرائيل عامة إلى الوفاء بالشكر حث على الاقتداء به ، و كذا في ذكر الإسلام و التوحيد هز^٥ لجميع من يعظمه إلى اتباعه في ذلك . و قال الحرالي : لما وصل الحق تعالى بالدعوة العامة الأولى في قوله تعالى ”يا أيها الناس“^٦ ذكر أمر^٧ آدم و اقتتاح استخلافه ليقع بذلك جمع الناس كافة^٨ في طرفين في اجتماعهم في أب^٩ ١٠ واحد

(١) في مد : سآره - كذا (٣) في ظ : حلهم (ب) العبارة من هنا إلى « تعظمه » ليست في ظ (٤) في م و مد : جمع (هـ) في مد : يعظمه (٦) العبارة من هنا إلى « في ذلك » ليست في ظ (٧) في م و مد : هو (٨-٨) في م و مد : ذكرهم امر . (٩) من ظ و م و مد و في الأصل : كانه (١٠) في ظ : باب .

والدين ١ واحد نظم تعالى بذلك وصل خطاب أهل الكتاب بذكر إبراهيم،
 يقع بذلك اجتماعهم أيضا في أب واحد وملة واحدة اختصاصا بتبعية
 [الإمامة- ٢] الإبراهيمية من عموم تبعية الخلافة الآدمية تنزيلا للكتاب
 وترفعًا للخلق إلى علو اختصاص الحق؛ فكما ٢ ذكر تعالى في الابتداء
 تذكيرا معطوفا على أمور تجاوزها الإفصاح في أمر آدم عطف أيضا تذكير ٥
 بابتداء أمر إبراهيم عليه السلام على أمور تجاوزها ٣ الإفصاح هي أخص
 من متجاوز الأول كما أن إفصاحها أخص من إفصاحها وأعلى رتبة من ٤
 حيث أن الخلق والأمر مبدوء من حد لم يزل ولا يزال يتكامل إلى غاية
 ليس وراءها مرمى فقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ انتهى ٦
 والمعنى أنه عامله بالأمر ٨ بأمور شاقة ٩ معاملة المختبر الممتحن، وقال: ١٠

- (١) كذا في الأصل، والظاهر: ودين (٢) زيد من م ومد، وفي ظ: للإمامة.
 (٣) في م: كما، وفي مد: فلما (٤) في م: يجاوزها (ه-ه) ليست في مد (٦) مناسبة
 هذه الآية لما قبلها أنه لما جرى ذكر الكعبة والقبلة وأن يهود عيروا المؤمنين
 بتوجههم إلى الكعبة وترك بيت المقدس كما قل "ماولهم عن قبائهم" ذكر
 حديث إبراهيم وما ابتلاه به الله واستطرد إلى ذكر البيت وكيفية بنائه وأنهم
 لما كانوا من نسل إبراهيم كان ينبغي أن يكونوا أكثر الناس اتباعا لشرعه
 واقتفاء لآثاره فكان تعظيم البيت لارما لهم فيه الله بذلك على سوء اعتمادهم
 وكثرة مخالفتهم وخروجهم عن سنن من ينبغي اتباعه من آبائهم وأنهم وإن
 كانوا من نسله لا ينالون لظلمهم شيئا من عهد - البحر المحيط ١/ ٣٧٤ -
 (٧) العبارة من هنا إلى "الممتحن" ليست في ظ (٨) ليس في م (٩) من م =

﴿ ربه ﴾ أى المحسن ١ إليه إشعاراً ١ بأن تكليف العباد هو غاية الإحسان إليهم وفى ابتداء قصته بقوله : ﴿ بكلمت فآتمن ﴾ بيان لأن أسفى أحوال العباد الإذعان والتسليم لمن قامت الأدلة على صدقه ٢ المبادرة لأمره ٣ دون اعتراض ولا توقف ولا بحث عن علة ، وفى ذلك إشارة إلى تبكيت المدعين لاتباعه من بنى إسرائيل حيث اعتراضوا فى ذبح البقرة ٥ وارتكبوا ٤ غاية التعت ٥ مع ما فى ذبحها من وجوه الحكم بعد أن أساؤا الأدب على نبيهم فى ذلك وفى غيره فى أول أمرهم وأثنائه وآخره فأورثهم ذلك نكالا وبعدا ، فظهر أن الصراط المستقيم حال إبراهيم ومن ذكر معه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ٦ وأنهم المنعم عليهم ٧ ، والظاهر عطف "اذ" على "نعمتى" فى قوله "يبنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم" أى واذكروا إذ ابتلى أبابكم ٢ إبراهيم فآتم ما ابتلاء به فما لكم أتم ١ لا تقتدون به ففعلوا عند الابتلاء فعله فى إيفاء العهد والثبات على الوعد لأجازيكم على ذلك جزائى للحسنين ، والإتمام التوفية لما له صورة تلتئم ٨ من أجزاء وآحاد - قاله الحرالى . ١٥ فكأنه قيل : فما جوزى على شكره بالإتمام قبل ؟ ﴿ قال ﴾ له ربه ، ويجوز أن يكون "قال" ، بيانا لابتلى ﴿ انى جاعلك للاس ﴾ أى كافة ﴿ اماما ﴾ كما كانت خلافة أبيه آدم لنيه كافة ، والإمام ما يتبع هداية إلى سداد -

= وفى الأصل : شانه ، وفى مد : سانه .

(١-١) ليس فى ظ ومد ، ولفظ «إليه» ليس فى م (٢) ليس فى ظ (٣) فى م : لاسر . وفى مد : لايره - كذا (٤) فى ظ : فارتكبوا (٥) فى م : التمسب (٦) فى م : ان (٧) فى م : تليم - كذا .

قاله الحرالى^١ . واستأنف قوله ﴿ قال ﴾ أى^٢ إبراهيم ﴿ ومن ﴾ أى
واجمل من ﴿ ذرى ﴾ آئمة ﴿ قال لا ينال ﴾ أى قد أجبتك وعاهدتك
بأن أحسن إلى ذريتك لكن لا ينال ﴿ عهدي ﴾^٣ الذى عهدته إليك^٤
بالإمامة ﴿ الظلمين ﴾ منهم . لأنهم نقوا أنفسهم عنك فى أبوة الدين ؛
وفى ذلك أتم ترغيب فى التخلق بوفائه لا سيما للذين دعوا قبلها إلى الوفاء^٥
بالعهد ، وإشارة إلى أنهم إن شكروا أتى رفعتهم كما أدام رفعتهم . إن
ظلمو لم تنلهم دعوته فضربت عليهم الذلة / ما معها ولا يحزى أحد
عنهم شيئا ولا هم ينصرون ؛ والذرية مما^٦ يجمع^٧ معنى الذر والذرة ،
والذرى مختلف وزنه على وجوه اشتقاقه ، فيكون فعולה^٨ كأنه ذرورة
ثم خفف بقلب الراء^٩ ياء استقلا للتضعيف ثم كسر ما قبل الياءين تحقيقا^{١٠}
لها^{١١} لأنه اجتمع بعد القلب^{١٢} واء^{١٣} وياء^{١٤} سبقت إحداهما بالسكون
فقلبت الواو ياء ، أو^{١٥} تكون^{١٦} فعلية^{١٧} من الذر منسوباً ، ومن الذرة
مخفف فعولة بقلب^{١٨} الهمزة ياء ثم الواو ياء لاجتماعها معها سابقة إحداهما

(١) و قال أبو حيان الأندلسي : الإمام القدوة الذى يؤتم به ، ومنه قيل لحيط
البناء إمام ، وللطريق : إمام ، وهو مفرد على فعال كالإزار الذى يؤتر به ،
و يكون جمع آم اسم فاعل من أم يؤم بكائع وجياع وقائم وقيام وقائم ونيام .
(٢) ليس فى مد (٣) العبارة من هنا إلى « بالإمامة » ليست فى ظ (٤) فى م :
اليكا (٥) فى ظ : بما (٦) من ظ ، وفى الأصل : جمع ، وفى م : جمع - كذا (٧) فى
مد : معاوله (٨) فى م : الذر (٩) فى ظ : تخفيفاً ، وفى م : تحقيقاً - كذا .
(١٠) ليس فى م (١١) فى م - راوية (١٢) زيد فى م ومد : و (١٣) فى ظ :
و (١٤) فى م ومد : يكون (١٥) فى مد : فعلية (١٦) فى مد : قلب .

بالسكون ثم الإدغام ، أو فعيلة ١ إن يكن في الكلام لما فيه من ثقل اجتماع
الضم والكسر - قاله الحرالي ٢ ، وفيه تصرف .

ولما كان من إمامته اتباع الناس له في حج البيت الذي شرفه الله
ببنائه قال إثر ذلك ناعيا على أهل الكتاب مخالفته وترك دينه وموطئا
ه لأمر القبله : ﴿ واذ جعلنا البيت ﴾ أى الذى بناه إبراهيم بأمر انقرى
﴿ مثابة للناس ﴾ أى مرجعا يرجعون إليه بكلياتهم ٢ . كلاء تفرقوا
عنه اشتاقوا إليه هم أو غيرهم آية ٦ على رجوعهم من الدنيا إلى ربهم .
قال الحرالي : وهو مفعلة من الثوب ، هو الرجوع تراميا إليه بالكناية .
وفي صيغة المفعلة دوام المعارضة ٣ مثابة ﴿ وامنّا ﴾ لكونه بيت الملك .

(٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : فعيلة (٢) وقال أبو حيان الأندلسي :
الذرية النسل مشتقة من ذروت أو ذريت أو ذرا الله الخلق أو الذر ويضم
ذالها أو يكسر أو يفتح ، فأما الضم فيجوز أن تكون ذرية فيلة من ذرا الله
الخلق وأصله ذريعة تحففت الهمزة بابدالها ياء كما خففوا همزة النسيء فقالوا :
النسيء ، ثم أدغموا الياء التى هى لام الفعل فى الياء التى هى للـد ، ويجوز أن
تكون فعولة : من ذروت ، الأصل ذرووة أبدلت لام الفعل ياء ، اجتمع لك
واو وياء واو المد والياء المنقلبة عن الواو التى هى لام الفعل وسبقت إحداهما
بالسكون فقلبت واو المد ياء وأدغمت فى الياء وكسر ما قبلها لأن الياء تطلب
الكسر ، ويجوز أن تكون فعيلة من ذررت ، أصلها ذريوة - البحر المحيط
١/٣٧٢ (٣) العبارة من هنا إلى « غيرهم » ليست فى ظ (٤) فى مد : كما (ه) ليس
فى مد (٦) فى الأصل : انه . والتصحيح من مد وم وظ (٧) زيد فى م : له .

من حرب الدنيا ومن عذاب الآخرة إلا في حق من استثناه الله من الكافرين فعلا بالشرك وقوة بالإلحاد؛ والأمين برامة عيب^١ من تطرق أذى إليه - قاله الحرالي ٢٠ وقد كانوا في الجاهلية يرى الرجل قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض^٢ له . قال الأصمهاني^٣ : وهذا شيء توارثوه من زمن^٤ إسماعيل عليه السلام فبقوا عليه إلى أيام النبي صلى الله عليه وسلم^٥ ، فاليوم من أصاب في الحرم جريرة أقيم عليه الحد بالإجماع .

ولما كان التقدير : قتال الناس إليه^٦ ائتماً بآنيه وآمنوا بدعوته فيه عطف عليه قوله : « واتخذوا » ، وعلى قراءة الأمر يكون التقدير : فتوبوا إليه أيها الناس ائتماً به واتخذوا « من مقام إبراهيم » خليلنا « مصل » وهو مفعول لما تداوم فيه الصلاة ، ومقام إبراهيم هو الحجر ١٠ الذي قام عليه حين جاء لزيارة ولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام فلم يحمده ، ففعلت امرأة إسماعيل رأسه وهو معتمد برجله عليه وهو راكب ، غسلت شق رأسه [الأيمن -^٨] وهو معتمد^٩ على الحجر برجله اليمنى ، ثم

(١) ليس في ظ . وزيد بعده في م ومد : المرء (٢) العبارة من هنا إلى « بالإجماع » ليست في ظ (٣) وقع في الأصل : يعوض - مصحفاً ، والتصحيح من مد ، وفي م : فلا يعرض (٤) في م ومد : الأصمهاني (٥) في م ومد : دين (٦) والظاهر أن جعله أمنا هو في الدنيا ، إذ كان العرب يقتلون ويغير بعضهم على بعض ومكة آمنة من ذلك ، فيلقى الرجل قاتل أبيه فيها فلا يهيجه . فأمن الناس فيه والطير والوحش إلا الجنس الفواسق - البلد من البحر المحيط ١/ ٣٧٩ (٧) ليس في ظ ومد . (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) زيدت في الأصل « برجله عليه وهو راكب غسلت شق رأسه وهو معتمد » وقد كانت مكررة ولم تكن في م ومد وظ فحذفناها .

أدارت الحجر إلى الجانب الأيسر و غسلت شقه الأيسر ، فغاصت رجلاه فيه ؛ ولهذا أثر قدميه مختلف ، أصابع هذه عند عقب هذه ١ ، وهو قيل أن يبنى ٢ البيت - والله أعلم بمراده . (و عهدنا) عطف على قوله " جعلنا " (إلى إبراهيم) الوفي (و اسمعيل) ابنه الصادق الوعد ، وفي ذكره إفصاح بأجابه دعوته فيه في قوله " ومن ذريتي " وإشارة إلى أن في ذريته من يختم ٣ الأمم بأمته ويكون استقباله بيته في أجل العبادات من شرعته و أتم الإشارة بقوله : (ان طهرا بيتي) أى عن كل رجس حسى و معنوى ، فلا يفعل بحضرتة شئ لا يليق فى الشرع ؛ و البيت موضع المبيت المخصوص من الدار المخصوصة من المنزل المخصص من البلد - قاله الحرالى ٤ . (للطائفين) به الذين فعلهم فعل العارف بأنه ليس وراء الله مرمى ولا مهرب منه إلا إليه (و العاكفين) فيه ، و العكوف الإقبال على الشئ و ملازمته و الإقتصار عليه ، و الطواف التحليق بالشئ فى غيب أو لمعنى غيب - قاله الحرالى ٥ . (و الركع السجوده)

(١-١) ليس فى م و مد (٢) فى م : إلى - كذا (٣) فى م فقط : تختم (٤) فى ظ : عبادته (٥-٥) ليست فى ظ (٦) قال أبو حيان الأندلسى : هذه إضافة تشريف لا أن مكانا محل الله تعالى ، و لكن لما أمر ببنائه و تطهيره و إيقاد الناس من كل فج إليه صار له بذلك اختصاص لحسنت إضافته إلى الله بذلك و صار نظير قوله " ناقة الله " و " روح الله " من حيث أن فى كل منها خصوصية لا توجد فى غيره فتاسب الإضافة إليه تعالى . و الأمر بتطهيره يقتضى سبق وجوده إلا إذا حملنا التطهير على البناء و التأسيس على الطهارة و التقوى و قد تقدم أنه كان مبنيًا على عهد نوح - البحر المحيط ١ / ٣٨٢ .

قال الحرالي: وفي ذكر الركوع تخصيص للعرب الذين إنما شرع الركوع في دينهم، وفي ذلك تبكيت لمن أخرج المؤمنين و منعهم من البيت، وفي تكرير تفصيل هذه الآيات باذتنبيه على تويخهم بترك دينه وهو الخليل واتباع من لا يعلم وهو العدو.

- ١٠ ولما ذكر أمر البيت الشريف فيما تكفل به ٢ سبحانه وفيما أمر به الخليل ١ ولده عليهما السلام من تطهيره ذكر باهتمامه بأهله ودعائه لهم مبكثا لمن عقه من ذريته بالتصريح بكفرهم بيوم ٣ الجزاء الأمر بكل خير الزاجر عن كل ضير فقال: ﴿واذ قال إبراهيم رب﴾ فأسقط أداة البعد إنباء بقربه ٤ كما هو حال أهل الصفوة ٥ ﴿اجعل هذا﴾ أي الموضع ٦ الذي جعلت فيه بيتك وأمرتني بأن أسكنته من ذريتي ٧ .
- ١٠ ولما كان السياق للنع من المسجد والسعي في خرابه وكان ذلك شاملا بعمومه للبادي ولذلك ٨ قرر أنه مثابة للناس عامة وأمن ٩ كان الأنسب تكثير البلد فقال: ﴿بلدا﴾ يأنس ٨ من يحل به ﴿أمن﴾ إفصاحا بما أفهمه "واذ جعلنا البيت - الآية"؛ والمعنى أنكم عققتم أعظم آبائكم في دعوتيه كليهما: في كونه بلدا فانه ٩ إذا انقطع الناس عن ١٥ أهله خرب ١٠، وفي كونه آمنا، وهذا بخلاف ما يأتي في سورة إبراهيم عليه السلام.

(١) ليس في م (٢) ليس في مد (٣) في م: ينوم - كذا (٤) من م وظ ومد، وفي الأصل: بقربه - كذا (٥) زيد في ظ «و» (٦) زيد في ظ: أي (٧) في م: بذلك (٨) زيد في م وظ ومد «به» (٩) في ظ: قاله - كذا (١٠) في مد: حذب - كذا.

ولما ذكر القرار والامن اتبعه الرزق وقال ١: ﴿ وارزق اهله ﴾ ٢
 وقال: ﴿ من الثمرت ﴾ ، ولم يقل: من الحبوب ، لما في تعاطيها
 من الذل المنافي للامن ، لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى سكة
 حرت فقال: ما دخلت هذه بيتا إلا ذل . وقال: ﴿ من امن منهم بالله ﴾
 ٣ الجامع لصفات الكمال ٣ ﴿ و اليوم الآخر ﴾ تقييدا لدعوة الرزق بما
 قيدت به دعوة الإمامة تأديبا معه . حيث قال ” لا ينال عهدي الظلمين “
 ﴿ قال ﴾ الله تعالى معلما أن شمول الرحمانية ٤ بأمن الدنيا ورزقها لجميع ٥
 عمرة الأرض ﴿ ومن كفر ﴾ أى أنيله ٦ أيضا ما أهتمك من الدعاء
 بالامن و الرزق ، وعبر عن ذلك بقوله: ﴿ فامتعه ٧ ﴾ تخصيصا له بما
 ١٠ أفهمه لفظ المتاع بكونه كما مضى من أسماء الجيفة التى إنما هى مثال ١٠ المضطر
 على شعور برفضه على قرب من مترجى الغناء عنها ، و أكد ١١ ذلك بقوله:

(١) فى ظ : فقال (٢) قال أبو حيان الأندلسى : لما بنى إبراهيم البيت فى أرض
 مقفرة وكان حال من يتمدن من الأماكن يحتاج فيه إلى ماء يجرى ومزرعة
 ويمكن بهما القطان بالمدينة دعا الله للبلد بالامن وبأن يجيى له الأرزاق ، فانه
 إذا كان البلد ذا امن أمكن وفود التجار إليه لطلب الربح ، ولما سمع فى
 الإمامة قوله تعالى ” لا ينال عهدي الظلمين “ قيد هنا من سأل له الرزق
 فقال ﴿ من امن منهم بالله و اليوم الآخر ﴾ والضمير فى ” منهم “ عائذ على
 ” اهله “ ، دعا لمؤمنهم بالامن والخصب لأن الكافر لا يدعى له بذلك .
 (٣-٣) ليست فى ظ (٤) العبارة من هنا إلى ” الظلمين “ ليست فى ظ (٥) زيد
 فى مد : تعالى (٦) فى م : الرحمة (٧) فى ظ : بجميع (٨) فى مد : ابتله - كذا .
 (٩) زيد فى م : قليلا ، وسيأتى (١٠) فى م : مثال - كذا (١١) زيد فى م : فى .

﴿ قليلا ﴾ لكن فيه إيماء إلى أنه يكون أطيب حالا في الدنيا و أوسع رزقا من المؤمن ، وكذا في قوله : ﴿ ثم اضطره ﴾ ١ بما لى من العظمة الباهرة ١ ﴿ الى عذاب النار ﴾ أى ٢ بما أستدرجه ٢ به من النعم الحاملة له على المعاصى التى هى أسباب النقم ، و فى التعبير بلفظ الاضطرار إلى ما لا يقدم عليه أحد باختيار إشعار بجبار الله خلقه على ما يشاء ٤ منهم من إظهار حكمته ٥ و أن أحدا لا يقدر على حركة و لا سكون إلا بمشيئته ؛ و الاضطرار الإلجاء إلى ما فيه ضرر بشدة و قسوة ٥ . و لما كان التقدير : فبئس المتاع ما ذكر له فى الدنيا ، عطف عليه قوله : ﴿ و بئس المصير ٥ ﴾ أى العذاب له فى الآخرة ، و هو مفعول بما ٦ منه التصير ٦ و هو التثقيب ٧ فى أطوار و أحوال ينتهى ٨ إلى غاية تجب ٩ أن تكون ١٠ غير حالة الشئ الأولى ١١ ١٠ بخلاف المرجع .

و لما ذكر بما مهده من أمر البيت دينا و دينا اتبعه بينائه مشيرا إلى ما جباهم ١٢ به من النعمة و ما قابلوه به من كفرها باختيارهم لأن يكونوا من غير الأمة المسلمة التى دعا لها لما دعا للرسول فقال ١٣ عاطفا على " اذ ابتلى " تعديدا لوجوه النعم على العرب بأبيهم الأعظم استعطافا إلى التوحيد ١٣ : ١٥ ﴿ و اذ يرفع ابراهيم ﴾ ١٠ أى اذكر الوقت الذى يياشر بالرفع ١٣ ﴿ القواعد ١٤

- (١-١) ليست فى ظ (٢) ليس فى مد (٣) فى م : استدرجته (٤) فى مد : شاء .
 (٥) فى م : نشر (٦-٦) فى م : فيه التعبير (٧) من م و ظ . وفى الأصل : التفقيد ،
 وفى مد : التنقل (٨) فى م و مد : تنتهى (٩) فى مد : تحت ، وفى بقية الأصول :
 يجب (١٠) فى ظ : يكون ، وفى مد : يكون - كذا (١١) فى م و مد : الاول .
 (١٢) فى ظ : احيائهم (١٣-١٣) ليست فى ظ (١٤) القواعد قال الكسائى =

من البيت ﴿ قال الحرالي : عدّد تعالى وجوه عنايته بسابقة العرب في هذه الآيات كما عدد وجوه نعمته على بنى إسرائيل في سابقة الخطاب ، فكانت هذه في أمر إقامة دين الله ، وكانت تلك في محاولة مدافعة ، يظهر بذلك تفاوت ما بين الاصطفاء والعناية ؛ والقاعدة ما يقعد عليه الشيء .
 هـ أى ١ يستقر ويثبت ٢ ويجوز أن يراد بهاسافات البناء ، لأن كل ساف ٣ قاعدة للذى يبنى ٤ عليه - قاله الأصهباني ٥ .

ولما أفرد الخليل عليه السلام بهذا الرفع إظهارا لشرفه بكونه هو السبب الأعظم في ذلك عطف عليه ولده فقال : ﴿ واسمعيلى ﴾ أى يرفع القواعد أيضا ، وصل بهذا العمل الشريف قوله : ” ربنا “ مرادا ١٠ فيه القول محذوفا منه أداة البعد أى يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا ﴾ أى عملنا ١ بفضلك ولا ترده علينا . شعارا بالاعتراف بالتقصير لحقارة العبد وإن اجتهد في جنب عظمة مولاه . ولما تضمن سؤال القبول المشعر بخوف الرد علم الناقد البصير بالتقصير علله بقوله : ﴿ انك ﴾ وأكدته

= والفراء : هى الجدر ، وقال أبو عبيدة : الأساس فان كانت الأساس فرفعها بأن يبنى عليها فتنتقل من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتتناول بعد انتقاصه . قال الرمحسرى : ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء ، ويجوز أن يكون المعنى ما قعد من البيت أى استوطى . يعنى جعل هيئة القاعدة المستوطاة مرتفعة عالية بالبناء - البحر المحيط ١ / ٣٧٣ و ٣٨٧ .

(١) فى م : ان (٢) العبارة من هنا إلى « الأصهباني » ليست فى ظ (٣) فى مد : ساق (٤) فى م : يبنى (٥) فى مد : الاصهباني (٦) فى ظ : علمنا - كذا .

بقوله: ﴿ انت السميع العليم ﴾ أى فان كنت سمعت أو علمت انا حسنا
فرده حسنا، وإن كنت سمعت أو علمت ا غير ذلك من نحو قول ناشئ
عن اختلاج فى النفس بما سبه كلال أو إعياء فاعفوه .

ولما سأل القبول^٢ سأل الزيادة عليه بقوله: ﴿ ربنا ﴾ على ما مضى من
طرز دعاء المقربين باسقاط أداة البعد ﴿ واجعلنا ﴾ أى أنا و ابني هذا ه
الذى أعاننى ﴿ مسلمين لك و من ذريتنا ﴾ قال الحرالى: لما تحقق
مرجو الإيمان فى ذريته فى قوله: ” من امن منهم “ طلب التكملة باسلام
الوجه و المسألة* له و لابنه و لمن رزق الإيمان من ذريته و ذرية ابنه ،
فان الإسلام لما كان ظاهر الدين كان سريع الاتسلام لأجل مضايقة أمر

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى م : اعتيآء (٣) قال أبو حيان الأندلسى : وحقى بعض
المفسرين عن بعض الناس فرقا بين القبول و التقبل ، قال : التقبل تكلف القبول
وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق أن يقبل ، قال : فهذا اعتراف من إبراهيم
و إسماعيل بالتقصير فى العمل ؛ و لم يكن المقصود إعطاء الثواب ، لأن كون الفعل
واقعا موقع القبول من المخدم ألد عند الخادم العاقل من إعطاء الثواب عليه ؛
وسؤالها التقبل بذلك على أن ترتيب الثواب على العمل ليس واجبا على الله تعالى -
البحر المحيط ٣٨٨/١ (٤) لما تقدم الجواب له بقوله ” لا ينال عهدى الظلمين “ علم أن
من ذريتهما الظالم و غير الظالم فدعانا بالتبعيض لا بالتعميم فقال : ﴿ ومن ذريتنا ﴾
وخص ذريته بالدعاء للشفقة و الخنو عليهم ولأن فى صلاح نسل الصالحين نفعا
كثيرا لمتبعهم ، إذ يكونون سببا لصلاح من وراءهم ؛ و الذرية هنا قيل أمة محمد
صلى الله عليه وسلم بدليل قوله ” وابعث فيهم “ و قيل هم العرب لأنهم من ذريتهما .
قال النفال : لم يزل فى ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ و لم يزل
الرسل عليهم السلام من ذريتهما - البحر المحيط ٣٨٩/١ (٥) فى م : المسألة .

الدنيا، وإنما يتم الإسلام بسلامة الخلق من يد العبد و لسانه و الإلقاء بكل ما بيده لربه^١ مما ينازع فيه وجود النفس و متضابق الدنيا، ولذلك^٢ هو مطلب لأهل الصفوة في خاتمة العمر ليكون الخروج من الدنيا عن إلقاء للحق و سلام للخلق كما قال يوسف عليه السلام "توفى مسلماً^٣" و طلب بقوله :
 ٥ ﴿ امة مسلمة لك ﴾ أن ؛ يكونوا بحيث يؤم بعضهم بعضا .

و لما كان المسلم مضطرا إلى العلم قال ﴿ و اربنا مناسكنا ﴾ و في ذلك ظهور لشرف^٤ عمل الحج حيث كان متلقى عن الله بلا واسطة لكونه علما على آتى^٥ يوم الدين حيث لا واسطة هناك بين الرب و العباد ، و المنسك^٦ مفعول من النسك و هو ما ينحل قربة و تدبنا . تشارك حروفه
 ١٠ حروف السكون - قاله الخراساني . و لما كان الإنسان محل العجز فهو أضر

شيء إلى التوفيق قال : ﴿ و تب علينا ﴾ إنباء بمطلب التوبة أثر الحسنة كما هو مطلب العارفين بالله المتصلين بالحسنات^٨ رجعا بها إلى من له الخلق و الأمر ، ثم علل طمعه في ذلك بأن عاداته تعالى التطول و الفضل فقال :
 ﴿ انت التواب ﴾ أي الرجاء بعباده إلى موطن النجاة من حضرته بعد
 ١٥ ما سلب عليهم عدوهم بغاوتهم^٩ ليعرفوا فضله عليهم و عظيم قدرته ثم اتبعه

(١) زيد في م و مد : و ذلك (٢) في م : ذلك (٣) سورة ١٢ آية ١٠١ (٤) في م : اي (٥) وقع في الأصل : الشرف - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد . (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اي (٧) و قال تاج القراء الكرمانى : إن كان المراد أعمال الحج و ما يفعل في المواقف كالطواف و السعى و الوقوف و الصلاة فتكون المناسك جمع منسك المصدر جمع لاختلافها ، و إن كان المراد المواقف التي يقام فيها شرائع الحج كبنى و عرفة و المزدلفة فيكون جمع منسك و هو موضع العبادة . و روى عن على أن إبراهيم لما فرغ من بناء البيت و دعا بهذه الدعوة بعث الله إليه جبريل عليه السلام فحج به - البحر المحيط (٨) في م : من الحسنات . (٩) في مد : بغاوتهم - كذا .

وصفا هو كالتعليل له فقال: ﴿ الرحيم ٥ ﴾ .

ولما طلب ما هو له في منصب النبوة من تعليم الله له المناسك بغير واسطة طلب لذريته مثل ذلك بواسطة من جرت العادة به لأمثالهم فقال: ﴿ ربنا و ابث فيهم ﴾ أى الأمة المسلمة التى من ذرىتي و ذرية ابني إسماعيل ﴿ رسولا منهم ﴾ ١ ليكون أرفق بهم و أشفق عليهم و يكونوا ٥ هم أجدر باتباعه و الترامى فى نصره ، و ذلك الرسول ٢ هو محمد صلى الله عليه و سلم ، فانه لم يبعث من ذريتهما بالكتاب غيره ، فهو دعوة إبراهيم عليه السلام أبى العرب و أكرم ذريته ؛ ففى ذلك أعظم ذم لهم بعداوتهم مع كونه مرسلًا لتطهيرهم بالكتاب الذى 'هو الهدى' لاريب فيه ، و إليه الإشارة بقوله: ﴿ يتلوا ﴾ أى يقرأ متابعًا مواصلا ﴿ عليهم آيتك ﴾ ١٠ أى علاماتك الدالات عليك أعم من أن يكون نزل بها الكتاب أو استنبطت منه ﴿ و بعلمهم الكتب ﴾ الكامل شامل لكل كتاب أوتيت جوامع الكلم ﴿ و الحكمة ﴾ و هى كل أمر يشرعه لهم فيحفظهم فى صراطى معاشهم و معادهم ١ من الزيغ المؤدى إلى الضلال الموجب للهلاك .

و لما كان ظاهر دعوته عليه السلام أن البعث فى الأمة المسلمة ١٥

(١) لما دعا ربه بالأمن لامة و بالرزق لأهلها و بأن يجعل من ذريته أمة مسلمة ختم الدعاء لهم بما فيه سعادتهم دنيا و آخرة و هو بعثة محمد صلى الله عليه و سلم فيهم ، فشمّل دعاءه لهم الأمن و الخصب و الهداية - البحر المحيط ١/ ٣٩٢ (٢) فى ظ : فيكون (٣) فى م : للرسول (٤-٤) ليس فى م (٥) فى ظ : قرآنا ١-٦ - فى ظ : معاشهم و معادهم .

كانوا إلى تعليم ما ذكر أحوج منهم إلى التزكية فإن أصلها موجود بالإسلام
فآخر قوله: ﴿ويزكيهم﴾ أى يظهر قلوبهم بما أوتى من دقائق الحكمة،
فترقى بصفاتها ١ و لطفها من ذروة الدين إلى محل يؤمن عليها فيه أن
ترتد ٢ على أدبارها وتحرف كتابها كما فعل من تقدمها ٣، و التزكية
٥ إكساب الزكاة، و هى نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم - قاله الحرالى.

و لما ذكر سبحانه فى سورة الجمعة بعثه فى الأميين عامة اقتضى المقام
تقديم التزكية التى رأسها البراءة من الشرك الأكبر ليقبلوا ما جاءهم
من العلم، و أما تقديمها فى آل عمران مع ذكر البعث للمؤمنين فلاقتضاء
الحال بالمعاتبة على الإقبال على الغنائم الذى ٤ كان سبب الهزيمة لكونها
١٠ إقبالا على الدنيا التى هى أم الأدناس؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿انك انت
العزیز﴾ أى الذى يغلب كل شىء و لا يغالبه شىء، لأن العزة كما
قال الحرالى الغلبة الآتية على كلية الظاهر و الباطن، ﴿الحكيم﴾ أى
الذى يتيقن ما أراد فلا يتأنى نقضه، و لا متصف بشىء من ذلك غيرك؛
و فى ذلك إظهار عظيم لشرف العلم و طهارة الأخلاق، و أن ذلك لا ينال
١٥ إلا بمجاهدات لا يطيقها البشر و لا تدرك أصلا إلا بحمد تطهره ٥ العزة

(١-١) فى م: فترقى بصفاتها (٢) من م، و فى الأصل: يرتد، و فى مد و ظ:
رتد - كذا (٣) فى ظ: مقدمها (٤) فى م: الدين (٥) و فى البحر المحیط
١/٢٩٣: المنيع الذى لا يرام - قاله المفضل بن سلمة، أو الذى لا يعجزه شىء -
قاله ابن كيسان، أو الذى لا مثل له - قاله ابن عباس، أو المنتقم - قاله النكلى،
أو القوى و منه "عززنا بثالث" أو المعز و منه "و تعز من تشاء" (٦) فى م:
لا يتصف، و فى ظ: لا متصفه (٧) و فى م: نظيره.

و ترتيب أرمته الحكمة ؛ هذا لمطلق ذلك فكيف بما يصلح منه للرسالة !
وفيه إشارة إلى أنه يكتب ' أعداء الرسل وإن زاد عدوم وعظم جدم ،
و يحكم أمورهم فلا يستطيع أحد نقض شيء منها .

و لما كان التقدير : فمن يرغب في مخالفة من يرسله من ' هو بهذه

الصفة ! عطف ٣ عليه قوله : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم ﴾ المستقيم ٥
الطريقة ، الظاهر : الخليفة ، الشفيق على ذريته ، الباني لهم أعظم المفاخر ،
المجتهد لهم في جليل المناقب والمآثر ﴿ الا من سفه نفسه ﴾ أى ° امتنها
واحتقرها واستخف بها ، أى فعل بها ما أدى إلى ذلك ؛ وفى ° ذلك
تعريض بمعاذى أهل الكتاب . قال الحرالى : والسفاهة خفة الرأى فى

مقابلة ما يراد منه من المتانة والقوة ، وفى نصب النفس إنباء بلحاق ١٠
السفاهة بكلية ذى النفس ، لأن من سفهت نفسه اختص السفه بها ، ومن
سفه نفسه - بالنصب - استغرقت السفاهة ذاته و كليته وكان بدء ذلك
وعاديته ٦ من جهة نفسه ، يفهم ذلك نصبها ؛ وذلك لأن الله عز وجل
جعل النفس مبدأ كل شر أبداه فى ذات ذى النفس ، فانه تعالى يعطى

الخير بواسطة وبغير واسطة . ولا يُحذى ٧ الاشر ٨ إلا بواسطة نفس ليكون ١٥
فى ذلك حجة الله على خلقه ؛ وإنما استحق السفاهة من يرغب عن ملة
إبراهيم لظهور شاهدها فى العقل وعظيم بركتها فى التجربة ، لأن من ألقى

(١) فى م و ظ : يكتب (٢) فى ظ : بم (٣) ليس فى م (٤) فى م و ظ :
الظاهر (هـ) ليست فى ظ (٦) فى م : عادته ، وفى مد : عايدته - كذا (٧) من
ظ و م ، وفى الأصل : يحذى - كذا ، وفى مد : يحذى (٨) فى الأصل : الخير ،
و التصحيح من م و ظ و مد .

يده لم يؤاخذ في كل مرتبة^١ من رتب الدنيا والآخرة، فلا عذر لمن
 رغب عن ذلك، لظهوره في شاهدي العقل والحس اللذين هما أظهر
 حجج الله على خلقه "وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه^٢" انتهى .
 ولما كان التقدير: فلقد آتيناها من المزايا ما قدمنا لكم بما لا يعدل^٣
 ٥ عنه ذو مسكة عطف عليه قوله: ﴿ولقد اصطفيه﴾ فذكره بمظهر
 العظمة تعظيماً له، فإن العبد يشرف بشرف سيده، و تشرافاً لا صطفائه
 فإن الصنعة تجل بجلالة^٤ مبدعها ﴿في الدنيا﴾ بما ذكرناه^٥ من كريم
 المآثر التي يجمعها إسلامه؛ وهو افتعال من الصفوة وهي ما خلص من
 اللطيف عن كشفه^٦ ومكدره، وفي صيغة الافتعال من الدلالة على الاعتماد
 ١٠ والقصد ما يزيد فيما أشير إليه من الشرف ﴿وأنه في الآخرة لمن
 الصالحين﴾ / ^٨ وفي هذا أكبر تفخيم لرتبة الصلاح حيث جعله من
 / ١٢٤
 (١) في م ومد: رتبة (٢) سورة ٦ آية ٨٣ (٣) في م: لا تعدل (٤) في البحر
 المحيط ١/ ٣٩٥: أي جعلناه صافياً من الأدناس، و اصطفاؤه بالرسالة والخلة
 والكلمات التي وفي وصي بها وبناء البيت والإمامة واتخاذ مقامه مصلي
 وتطهير البيت والنجاة من نار نمرود والنظر في النجوم وأذانه بالحج وإراءته
 مناسكه - إلى غير ذلك مما ذكر الله في كتابه من خصائصه وجوه اصطفاؤه -
 انتهى (٥) في م: جلالة (٦) في مد: ذكرنا (٧) في ظ: كتفه (٨) وقال أبو حيان
 الأندلسي: ذكر تعالى كرامة إبراهيم في الدارين بأن كان في الدنيا من صفوته وفي
 الآخرة من المشهود له بالاستقامة في الخير، ومن كان بهذه الصفة فيجب على كل
 أحد أن لا يعدل عن ملته؛ وهاتان الخلتان مؤكدتان، أما الأولى فباللام وأما
 الثانية فبان وباللام .

المتصفين بها ، فهو حقيق بالإمامة لعلو رتبته عند الله في الدارين ؛ ففي ذلك أعظم ترغيب في اتباع دينه و الاهتداء بهديه ، و أشد ذم لمن خالفه ؛ و كل ذلك تذكير لأهل الكتاب بما عندهم من العلم بأمر هذا النبي الكريم ٢ و ما هو سبب له ، و إقامة للحجة ٣ عليهم ، لأن أكثر ذلك معطوف على ” اذكروا “ قوله ” يبنى اسرائيل اذكروا نعمتي “ . هـ

و لما ذكر إمامته ذكر ما يؤتم به فيه و هو سبب اصطفاؤه و صلاحه و ذلك دينه ، و ما أوصى به عليه السلام بنيه ، و ما أوصى به بنوه بنهم سلفاً ؛ الخلف* و لا سيما يعقوب عليه السلام المتوه بنسبة أهل الكتاب إليه فقال : ﴿ اذ ﴾ أى اصطفيناه بعظمتنا لأنه ﴿ قال له ربه اسلم ﴾ أى لإحسان ربك إليك ، و حذف المفعول ليتناول كل ما يصح إسلامه إلى ١٠ المسلم إليه و قصره عليه و تحلى^١ المسلم عنه ﴿ قال اسلمت لرب العالمين ﴾ أى المحسن إلى و إلى جميع الخلائق ﴿ و وصى بها ﴾ أى بهذه المقالة أو الوصية أو الخصلة التي اصطفاها الله بها ، و لعله لم يذكر الضمير اثلاً يوم

(١) ليس في م (٢) زيد في م : صلى الله عليه وسلم (٣) في ظ : الحجة (٤) في ظ : سلماً - كذا (٥) من مد و ظ ، وفي الأصل : تخلف - كذا (٦) من م و ظ ، وفي الأصل : تحلى - كذا ، وفي مد : تحلى . و قال أبو حيان الأندلسي : وفي قوله : ﴿ اسلم ﴾ تقدير محذوف ، أى أسلم لربك ، و أجاب بأنه أسلم لرب العالمين ، فتضمن أنه أسلم لربه لأنه فرد من أفراد العموم ، وفي العموم من الفخامة ما لا يكون في الخصوص ، لذلك عدل أن يقول : اسلمت لربي ، و من كان رباً للعالمين ينبغي أن يكون جميعهم مسلمين له منقادين .

الرجوع إلى ربه؛ وقرئ "واوصى" فهو^١ من إيصاء و الوصية
وهي التقدم في الشيء النافع المحمود عاقبه، وقراءة التشديد أبلغ
لدلائها على التكرر والتكثر^٢ (إبراهيم بنه ويعقوب) وصى بها أيضا
بنه فقال كل منهم: (يبنى ان الله) بعظمته و كماله (اصطفى لكم الدين)
٥ وهو الإسلام، فأغناكم^٣ عن تطلبه وإجالة الفكر فيه رحمة منه لكم
(فلا) أى قدسب عن ذلك أنى أقول لكم: لا (تموتن) على حالة
من الحالات (الا واتم) أى و الحال أنكم (مسلون) أى ملقون
بأيديكم و جميع ما ينسب إليكم لله لا حظ لكم في شيء أصلا ولا الثفات
إلى غير مولاكم، فان من كمل افتقاره إلى الغنى الحكيم أغناه بحسب
١٠ ذلك. و قرر سبحانه بالآيات الآتية بطلان ما عليه المعتنون من اليهودية
و النصرانية، و برأ خليله و الأنبياء من ذلك على وجه أوجب القطع
بأنهم عالمون بطلانه.

ذكر قصة إبراهيم عليه السلام من التوراة: ذكر في السفر
الاول منها أنه إبراهيم^٤ بن^٥ تارح بن ناحور^٦ بن شارغ^٧ بن

(١) ليس في مد (٢-٢) ليست في ظ (٣) زيد في ظ: به (٤) وفي البحر المحيط
١/ ٣٧٢: إبراهيم اسم علم أعجمي، قيل ومعناه بالسريانية قبل النقل إلى العلمية
أب رحيم، وفيه لغى ست بألف و ياء ومعنى الشهيرة المتدواله وألف مكان الياء،
و باسقاط الياء مع كسر الهاء أو فتحها أو ضمها أو بحذف الألف والياء ففتح الهاء،
قال عبد المطلب:

نحن آل الله في كعبته لم نزل ذاك على عهد إبراهيم

وفي ص ٣٧٤: هو الجلد الحادي والثلاثون لتبيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وهو خليل الله بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر وهو =

١ ارغو بن^١ فالغ^٢ بن عابر^٣ بن شالح^٤ بن ارغشدد^٥ بن سام بن نوح ؛ لأنه قال في التوراة : لما أتت علي سام مائة سنة ولد له ارغشدد^٥ فأنت عليه خمس^٦ و ثلاثون سنة فولد له شالاح^٧ و سماه في موضع آخر شالح^٨ ، فأنت عليه ثلاثون سنة فولد له عابر^٩ فأنت عليه أربع و ثلاثون سنة فولد له فالغ^{١٠} ، فأنت عليه ثلاثون سنة فولد له آرغو^{١١} ، فأنت عليه اثنتان^{١٢} و ثلاثون سنة فولد له شارغ^{١٣} ، فأنت عليه ثلاثون سنة فولد له ناحور^{١٤} ،

= هود النبي عليه السلام ، و مولده بأرض الأهواز ، و قيل بكوئي و قيل بابل و قيل بنجران ، و نقله أبوه إلى بابل أرض نمرود بن كنعان (هـ) زیده بعده في الأنساب للسماعی ١٣/١ : أزر ، و في نسب قريش : أزر (٦) من م وظ و مد ، و في الأصل : ناخور ؛ و في البحر المحيط : ناجور ؛ و في الأنساب للسماعی ١٣/١ : ماخور - راجع نسب قريش ٤/١ (٧) من الأنساب ، و في الأصل و م و مد : ساروغ ، و في ظ : ساوغ ، و في نسب قريش : أسرع .

(١-١) من نسب قريش ، و في الأصول : ارغو بن ، و ليس في الأنساب (٢) في الأصل و م و مد : فالاع ، و في م : قلاع ؛ و التصحيح من البحر المحيط و الأنساب و نسب قريش (٣) في الأصول : عابار ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش . (٤) في الأصول : شالاح ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (هـ) في الأصول : ارغشدد ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (٦) في م : خمسة - كذا (٧) مر التعليق عليه آنفا (٨) في الأصل و م و ظ : فالاغ ، و في مد : فالاع ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (٩) في الأصول : ارغو ، و التصحيح من نسب قريش (١٠) في ظ : اثنتان (١١) من الأنساب ، و في الأصول : ساروغ ، و في نسب قريش : أسرع (١٢) هكذا في الأصول و نسب قريش ، و في الأنساب : ماخور .

فَأَتَتْ عَلَيْهِ [تسع و عشرون سنة فولد له تَارَحَ فَأَتَتْ عَلَيْهِ - '] خمس
و سبعون سنة 'فولد له' ابرم و ناحور ٣ و هاران . و خالقه في الإنجيل
بعض المخالفة فقال في إنجيل لوقا: ناحور ٣ بن شارغ ٤ بن ارغو ٥ بن
فالغ ٦ بن عابر بن ٧ صالا بن قينان ٨ بن أرغشاد ٩ بن سام بن نوح ؛
و نوح على ما قال في التوراة ابن ملك ١٠ بن متوشلح ١١ بن خنوخ ١٢ بن
يارد ١٣ بن هليل ١٤ بن قينان ١٥ بن أنوش ١٦ بن شيث ١٧ بن آدم
عليه السلام . و هكذا ١٨ قال في أثناء ١٩ إنجيل لوقا إلا أنه قال في ملك :

(١) زيد من م وظ و مد (٢-٢) ليست في م (٣) هكذا في الأصول و نسب
قريش ، وفي الأنساب : ماخور (٤) من الأنساب ، وفي ظ و مد : شارغ ،
وفي الأصل و م : سارخ ، وفي نسب قريش : أسرع (٥) في الأصول : ارغو ،
و التصحيح من نسب قريش (٦) في الأصول : فائق ، و التصحيح من
الأنساب و نسب قريش (٧-٧) كذا في الأصول ، وفي الأنساب و نسب
قريش : شالغ (٨) في الأصول : ارغشاد ، و التصحيح من الأنساب و نسب
قريش (٩) هكذا في الأصول و الأنساب ، وفي نسب قريش : لأمك (١٠) هكذا
في الأصول و الأنساب ، وفي نسب قريش : متوشالغ (١١) من ظ
و الأنساب و نسب قريش ، وفي الأصل و م و مد : حنوح (١٢) في م : يارد ،
و في نسب قريش : يادر ، وفي الأنساب : ادد (١٣-١٣) من نسب قريش ،
و ليس في الأنساب ، وفي الأصول : بن مهلائيل (١٤) هكذا في الأصول
و الأنساب ، وفي نسب قريش : قنان (١٥) هكذا في الأصول و الأنساب ، وفي
نسب قريش : أنش (١٦) من الأنساب ، وفي نسب قريش : شاث ، وفي
الأصول : شيث - كذا بالتاء المثناة (١٧) في م : كذا (١٨) من م وظ و مد ،
و في الأصل : أثناء ، و زيد فيه بعده « و » .

لامك ، وفي ۱ يارد: يرذبن مهلا لايل ۱ . ثم قال في التوراة : وولد هاران لوطا ، ومات هاران في حياة أبيه تارح في الأرض التي ولد فيها وهي أور^۲ الكلدانيين ۳ - وفي نسخة^۴ : الكردانيين - فتزوج إبرم سري وكانت عاقرا فلم يولد لها ولد ، فانطلق تارح بابنه إبرم وبلوط ابن ابنه هاران وبكتته سري^۵ من اور الكلدانيين متيما أرض كنعان ، فاتتها ۵ إلى حرّان فسكنوها ، فتوفي تارح بحرّان عن مائتي سنة وخمس سنين ؛ وقال الرب لإبرم : اخرج من أرضك من حيث ولدت ومن آل^۶ أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك^۷ لشعب عظيم وأباركك وأعظم اسمك وكن مباركا وأبارك بنيك وألن لأعنيك ويتبارك بك جميع قبائل الأرض وبزرعك ، فصنع إبرم كما أمره الرب وانطلق معه لوط ابن ۱۰ أخيه وسري زوجته وكان إذ ذاك ابن خمس وسبعين سنة ومعهم جميع مواشيهم وما اتخذوا بحرّان من ولدان وخدم ، فخرجوا يريدون أرض كنعان فاتوها ، فجاء إبرم حتى^۸ أتى بلاد^۹ سحام وإلى بلوط ممرى وكان الكنعانيون بعد سكانا في الأرض فاعتلن الرب لإبرم وقال له : إني معطر ذريتك هذه الأرض ، وبنى إبرم هنالك مذبحا للرب إذ ظهر له ، ۱۵

(۱-۱) في م : ذيردمهلا لايل ، وفي ظ : بارد برذبن مهلا ليل ، وفي مد : بارد يرذبن مهلا لايل (۲) في مد فقط : اوار (۳) في م : للكلدانيين (۴) زيد في م ومد : اتون (۵) زيد في م : وتقل الأصهباني عن السدي أن اور أرض بين الكوفة والبصرة (۶) من م ومد وظ ، وفي الأصل : كاقرا (۷) زيد في م : و . (۸) في مد : الى (۹) في م : فاجعل (۱۰) ليس في ظ .

وَاتَّقِلْ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى بَيْتِ إِبِلٍ ١، فَصَبَّ خِيَمَتَهُ
فِي بَيْتِ إِبِلٍ مِنْ غَرْبِهَا قِبَالَ الْبَحْرِ وَعَايَ ٢ مِنْ شَرْقِهَا، وَبَنَى ثُمَّ لِلرَّبِّ
مَذْبَحًا وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ، ثُمَّ ظَنَّنَ مَنْطَلِقًا وَكَانَ مَظْنَعُهُ إِلَى مَهَبِ ٣ الْجَنُوبِ
وَكَانَ جُوعٌ فِي الْأَرْضِ، فَهَبَّطَ إِبْرَمَ إِلَى مِصْرَ لِيَسْكُنَهَا، لِأَنَّ الْجُوعَ
اشْتَدَّ فِي الْأَرْضِ؛ فَلَمَّا دَنَى / مِنْ مِصْرَ قَالَ لِسَرَى امْرَأَتِهِ: إِنِّي عَالِمٌ أَنَّكَ
امْرَأَةٌ حَسَنَاءُ، فَإِنَّ رَأْيَ الْمِصْرِيِّينَ يَقُولُونَ: امْرَأَتُهُ، فَيَقْتُلُونَنِي؛ قَوْلِي:
إِنِّي أَخْتُهُ - فَذَكَرَ قِصَّةَ أَخْذِ فِرْعَوْنَ مِصْرَ لَهَا وَالْقَوَارِعَ الَّتِي أَصَابَتْهُ فَنَالَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا تَغْلِي سَيْلِهَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ - إِلَى أَنْ قَالَ: فَخَرَجَ
إِبْرَمَ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَلُوطٌ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ ٤ التِّيمَنِ - وَفِي
١٠ نَسْخَةٍ: إِلَى الْبَقِيلَةِ - وَهِيَ ٥ جِهَةُ الْجَنُوبِ فَاسْتَقْنَى إِبْرَمَ جَدًّا، فَظَنَّ ٦ لِمَظْنَعِهِ
مِنْ الْجَنُوبِ حَتَّى أَتَى بَيْتَ إِبِلٍ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ نَصَبَ فِيهِ خِيَمَتَهُ
مِنْ قَبْلِ وَلُوطٍ مَعَهُ وَكَانَتْ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخَيْرٌ كَثِيرٌ جَدًّا وَأَخِيَّةٌ،
وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْأَرْضُ تَسْعُهُمَا كِلَاهُمَا ٨، لِأَنَّ مَوَاشِيَهُمَا كَثُرَتْ جَدًّا؛ فَذَكَرَ
أَنَّ لُوطًا رَفَعَ بَصْرَهُ فَظَنَرَ إِلَى أَرْضِ الْأُرْدُنِّ فَذَا هِيَ كُلُّهَا أَرْضٌ سَقَى وَشَرَبَ
١٥ مِثْلُ فِرْدَوْسِ اللَّهِ وَمِثْلُ أَرْضِ مِصْرَ الَّتِي فِي مَدْخَلِ صَاغَارَ - وَفِي نَسْخَةٍ:
زَعَرٌ ١ فَاخْتَارَ لُوطٌ أَرْضَ الْأُرْدُنِّ؛ فَسَكَنَ إِبْرَمَ أَرْضَ كَنْعَانَ، وَسَكَنَ
لُوطٌ قَرْيَةَ عَايَارَ وَوَرثَ - وَفِي نَسْخَةٍ: قَرْيَةَ الْمَرْجِ - وَخَجِمَ إِلَى سِدُومَ وَكَانَ
(١) فِي م: آيِل - كَذَا (٢) فِي م فَقَطْ: وَعَايَ (٣) لَيْسَ فِي مَد (٤) مِنْ م وَمَد
وَوَظْ، وَفِي الْأَصْلِ: الْأَرْضُ - كَذَا (٥) مِنْ م وَمَد وَظْ، وَفِي الْأَصْلِ:
هُوَ (٦) مِنْ م وَمَد، وَفِي الْأَصْلِ وَظْ: فَظَنَّ - كَذَا (٧) وَفِي ظْ: لِمَظْنَعِهِ،
وَفِي مَد: بِمَظْنَعِهِ، وَفِي م: بِمَظْنَعِهِ (٨) فِي ظْ: كِلَاهُمَا (٩) فِي مَد: زَعَرٌ.

أهل سدوم أشرازا حطأة شجدا، فقال الرب لإبرم بعد ما اعتزله لوط :
 مد بصرك فانظر من المكان الذي أنت فيه إلى الجربيا^١ و التيمن : وفي
 نسخة : إلى الشمال و الجنوب و المشرق و المغرب - لأن جميع الأرض
 التي ترى إياك أعطيها و ذريتك من بعدك إلى الأبد ، و أجعل ذريتك
 مثل ثرى الأرض ، فان قدرت أن تحصى تراب الأرض فان زرعك ه
 يحصى^٢ ، فأتى إبرم فسكن بين بلوط - وفي نسخة : في مرج عمرى
 الأموراني التي يحبرون^٣ - وبنى هناك مذبحا للرب ، و كان على عهد
 أمرقال^٤ ملك شععار - وفي نسخة : شنوار - و ارنوخ ملك ذى^٥ اللاشار -
 و في نسخة : الخزر - و كدر لعمر^٦ ، ملك عيلم^٧ - و في نسخة : خوزستان -
 و رغيل ملك جيلان^٨ - و في نسخة : الأمم - اجتمع هؤلاء في قاع ١٠
 السدوميين و هو البحر الملح قتلوا الجبارة الذين^{١١} في العشرة القرى
 و الأبطال الذين بها و الحورانيين الذين في جبال ساعير - و في نسخة :
 شراة - إلى بطمة فاران ١١ التي في البرية ، و رجعوا و أتوا عين الدنيا ١٢ -
 و في نسخة : الحكم ١٣ - و هي رقيم و قتلوا كل رؤساء العمالقة و الامورانيين
 سكان عين جاد ، و خرج بارع ملك سدوم و برشع ١٤ ملك عامرا ١٥

(١) من ظ ، و في الأصل : الجربيا ، و في م : الجربيا ، و في مد : الجربيا (٢) في
 الأصل : محصى - كذا (٣) من م و مد ، و في ظ : يحبرون ، و في الأصل :
 مجرون (٤) من م و ظ و مد ، و في الأصل : امرقال (٥) من م و ظ و مد ،
 و في الأصل : دى (٦) من م و ظ و مد ، و في الأصل : الآتار (٧) في م : لعمرى .
 (٨) في م : هيلم (٩) هكذا في الأصل و ظ ، و في م و مد : جيلان (١٠) في
 الأصل : الذي ، و التصحيح من م و مد و ظ (١١) في ظ : ماران (١٢) من
 م و ظ و مد ، و في الأصل : دنيا (١٣) في ظ : الحكيم (١٤) في ظ : مرسع .

وَسَنَابَ مَلِكٍ اِدُومًا ١ وَشَالِيمَ مَلِكٍ صَبُؤِيمَ وَمَلِكٍ بِالَاعِ ٢ الَّتِي هِيَ صَاغَارُ -
وَفِي نَسْخَةٍ: زَغَرُ ٣ - خَمْسَةَ مَلُوكَ ٤ ، قَاتَلُوا الْارْبَعَةَ بِقَاعِ السُّدُومِيِّينَ ،
فَهَرَبَ مَلِكُ سُدُومَ وَمَلِكُ عَامِرًا فَوْقَعُوا هُنَاكَ ٥ ، وَهَرَبَ الْبَقِيَّةُ إِلَى الْجَبَلِ
فَاسْتَبَاحُوا جَمِيعَ مَوَاشِي سُدُومَ وَعَامِرًا وَجَمِيعَ طَعَامِهِمْ وَاسْتَاقُوا ٦ لُوطًا
ابْنَ أَخِي إِبْرَمَ وَمَاشِيَتِهِ وَانْطَلَقُوا ٧ ، فَأَتَى مِنْ نَجَا مِنْهُمْ وَأَخْبَرَ إِبْرَمَ ٨ الْعِبْرَانِيَّ ،
فَعَبِيَ قَبِيلَانَهُ وَمَوْلَدِيَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا ٩ وَسَارَ فِي طَلَبِهِمْ إِلَى دَارِيَا -
وَفِي نَسْخَةٍ: بَانِيَّاسَ - فَأَحَاطَ بِهِمْ لَيْلًا ، فَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ إِلَى الْجَوْفِ -
وَفِي نَسْخَةٍ: الْمَرَّةُ ١٠ - الَّتِي عَنْ شِمَالِ دِمَشْقَ وَهِيَ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا حَلْبُونُ ١١
وَرَدَ لُوطًا ابْنَ أَخِيهِ ١٢ وَمَاشِيَتَهُ وَجَمِيعَ الْمَوَاشِي وَالنِّسَاءَ وَالشَّعْبَ ، فَخَرَجَ
مَلِكُ سُدُومَ فَتَلَقَّاهُ فَرَدَ إِلَيْهِ جَمِيعَ مَا سَلَبَ مِنْهُ ١٣ ، وَ مِنْ بَعْدِ هَذَا حَلَّ وَحَى ١٤ .

اللَّهُ عَلَى إِبْرَمَ فِي الرُّؤْيَا وَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَمَ! أَنَا أَكَاثِفُكَ وَأَسَاعِدُكَ ، لِأَنَّ
ثَوَابَكَ قَدْ جَزَلَ جَدًّا ؛ فَقَالَ إِبْرَمَ: اللَّهُمَّ! رَبِّ مَا الَّذِي تَنْحَلُنِي وَأَنَا خَارِجٌ
مِنَ الدُّنْيَا بِلَا نَسْلِ وَيَرِثُنِي الْيَعَازَرُ ١٥ غُلَامِي الدِّمَشْقِيُّ ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ:
لَا يَرِثُكَ هَذَا بَلْ ابْنُكَ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْ صُلْبِكَ فَهُوَ يَرِثُكَ ، وَ ١٦ قَالَ لَهُ ١٧:

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ بِالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفِي م وَ مَد: اِدُومًا - بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ .
(٢) فِي م: بِالْأَلِفِ (٣) فِي مَد: زَغَرُ - بِالزَّوْأِ الْفَارِسِيَّةِ (٤) زَيْدَتْ فِي ظ: وَ .
(٥) مِنْ مَد وَ ظ ، وَفِي م: اسْتَاقُوا ، وَفِي الْأَصْلِ: اسْتَاقُوا - كَذَا (٦) زَيْدَتْ
فِي م: وَ (٧) فِي ظ فَقَطْ: الْمَرَّةُ (٨) فِي م وَ مَد: حَلْبُونُ (٩) مِنْ م وَ مَد وَ ظ ،
وَفِي الْأَصْلِ: خَبِيَه - كَذَا (١٠) مِنْ م وَ مَد وَ ظ ، وَ وَقَعَ فِي الْأَصْلِ: وَهِيَ -
مَحْرَفًا (١١) فِي م: الْعِيَاذَرُ - كَذَا (١٢-١٣) فِي م: قَالَهُ .

انظر إلى السماء و أحص النجوم إن كنت تقدر أن تحصيها^١، ثم قال له:
 كذلك تكون ذريتك، فأمن إبرم بالله^٢، وقال له الرب: [أنا الرب - ٣]
 إلهك الذي أخرجك^٣ من اور الكلدانيين - وفي نسخة: اتون الكردانيين -
 لأعطينك^٤ هذه الأرض لترثها؛ فلما كان غروب الشمس وقع الصمت
 على إبرم وغشيه خوف وظلمة عظيمة فقال الرب لإبرم: اعلم علما ه
 يقينا أن نسلك سيسكنون^٥ في أرض ليست لهم، فيتعبونهم ويكدونهم
 أربعانة سنة، والشعب الذين يتعبونهم فاني أدينهم ويخرجون من هناك
 بعد ذلك بمال عظيم، وأنت تنتقل إلى آبائك بسلام وتدفن^٦ بشيخوخة^٧
 خير وصلاح، والحقب الرابع يرجعون إلى ههنا، لأن إثم^٨ الامورانيين
 لم يكمل بعد؛ فلما غربت الشمس صار دجى و حندسة وإذا بتور يدخن ١٠
 ومصباح نار يلهب و يتردد بين تلك الانصبه، وفي ذلك اليوم عاهد
 الرب إبرم عهدا وقال: إني معط ذريتك هذه الأرض من نهر مصر
 وإلى الفرات النهر الأعظم، وإن سُرَى امرأة إبرم لم تكن تلد وكانت
 لها أمة مصرية اسمها هاجر فقالت سُرَى / لإبرم وهما بأرض كنعان: ١٢٦/
 إن الرب قد حرمنى الولد فادخل^٩ على أمتى وابن بها لعلى أتغزى^{١٠} بولد ١٥
 منها، تسمع^{١١} إبرم قول سُرَى وأطاعها، وذلك بعد ما سكن أرض
 (١) في م: تحصيها (٢) في ظ: الله (٣) زيد من وظ و مد (٤) في مد: اخرج.
 (٥) في مد: لا عينك (٦) زيد في م: أرض (٧) في مد: لا تدفن (٨) في م:
 بشيخوخه - كذا (٩) في م: اسم، وفي مد: اثم - كذا (١٠) في م: فاخل.
 (١١) في م: اتغز (١٢) في م و مد وظ: فسمع.

كنعان عشر سنين ؛ فجلت فقالت سرى لإبرم : أنت صاحب ظلامق ،
 أنا وضعت أمتي في حضنك ' ، فلما جلت هنت عليها بحكم الرب يني
 وبينك ؛ فقال : هذه أمتك مسلمة إليك . اصنى بها ما أحببت ، فأهاتها
 سرى ' سيدتها فهربت منها ، فلقىها ملاك الرب على عين ماء في البرية في
 ٥ طريق سور - وفي رواية ٣ : في طريق حذر ، وفي نسخة : على العين
 التي بطريق الجفار - فقال لها : يا هاجر أمة سرى ! ارجعى إلى سيدتك
 واستكدي تحت يدها ، ثم قال لها ملاك الله : لا كثرن نسلك حتى
 لا يحصى ، ثم قال لها : ها أنت حامل - وفي نسخة : إنك حبل - وستلدين
 ابنا وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد عرف لك خضوعك ، ويكون
 ١٠ ابنك هذا رجلا يأوى البرية ويده في جميع الناس - وفي نسخة : وحشى
 الناس - يده على كل ويد كل به ، وسيحل على جميع حدود إخوته ، فدعت
 اسم الرب الذى كلمها فقالت : أنت الله ذو الوحي والرؤيا ، وذلك لأنها
 قالت : إني رأيت رؤيا ، ولذلك دعت تلك الطوى بـثر الحى وهى
 بئر رقيم وحذر* - وفي نسخة : فيما بين قادس وبارد^١ - ثم ولدت هاجر
 ١٥ لإبرم ابنا فدعا إبرم اسمه إسماعيل ، وكان إبرم ابن ست وثمانين سنة
 إذ^٢ ولدت هاجر له إسماعيل ، فلما أتى على إبرم تسع وتسعون سنة
 اعتلن له الرب وقال له : أنا الله إله المواعيد ، أرضنى تكن غير ذى^٣
 (١) فى م : حصفك - كذا بالصاد والفاء (٢) زيدت فى م : و (٣) فى ظ : نسخة .
 (٤) فى م ومد : حذر ، وفى ظ : حدود (٥) فى م ومد : حذر (٦) فى مد :
 بادرا (٧) فى ظ : او - كذا (٨) ليس فى م .

عيب وأثبت عهدي بيني وبينك - وفي رواية: فأحسن أمانى ولا تكن
ملوما فاني جاعل بيني وبينك ميثاقا، وأكثرك جدا جدا؛ فخر إبراهيم
على وجهه فكلّمه الله وقال له: [أنا - ١] أثبت لك عهدي - وفي
نسخة: فأوحى الله إليه قائلا له: إني قد جعلت ميثاق معك - وتكون
أبا لشعوب كثيرة، و لا يدعى اسمك فيما بعد إبرم بل يكون اسمك ه
إبراهيم، لأنني جعلتك أبا لشعوب كثيرة، وأميك وأثريك جدا جدا،
وأجعلك للشعوب رئيسا، والملوك من صلبك يخرجون، وأثبت
العهد - وفي نسخة: وأفي بميثاق - بيني وبينك وبين نسلك من بعدك
عهدا دائما، وأكون لك إلها ولزرك من بعدك، وأعطيك وذريتك
من بعدك أرض سكناك وجميع أرض كنعان ميراثا إلى الأبد، ١٠
وأكون لهم إلها؛ وقال الله لإبراهيم: احفظ عهدي أنت وزرعتك
من بعدك لأحقاقهم، هذا عهدي الذي آمركم به لتحفظوه ليكون بيني
وبينك وبين نسلك من بعدك أن تحتوا كل ذكر وتحتوا لحم
عُرْلِكُمْ ويكون علامة العهد بيني وبينكم؛ وليختن كل ذكر منكم ابن
ثمانية أيام لأحقاقكم ولاد البيت والمبتاع بالمال. وكل من كان من أبناء ١٥
الغرباء الذين ليسوا من زرعتك فليختن اختان المولود في بيتك والمبتاع
بمالك، ويكون عهدي ميسما في أجسادكم عهدا دائما إلى الأبد؛ وكل

(١) في م: كلم (٢) زيد من م وظ ومد (٣) في ظ: يكون (٤ - ٥) ليست
في م (٥) في م: ميثاق (٦) من م ومد وظ، وفي الأصل: تحتوا - كذا .
(٧) من م ومد وظ، وفي الأصل: الغرباء - كذا .

ذكر ذى غرلة ' لا تختن غرله ' في اليوم الثامن فلتهلك تلك النفس من
 شعبها ، لأنها أبطلت عهدي . وقال الله لإبراهيم : سرى صاحبك ، لا تدع
 اسمها سرى لأن اسمها سارة و أبارك فيها ، و أعطيك منها ابنا و أباركه ،
 و يكون رئيسا لشعوب كثيرة و ملوك الشعوب من نسله يخرجون ؛
 ٥ غر إبراهيم على وجهه ضاحكا و قال في قلبه - و في رواية متعجبا يقول
 في نفسه - و هل يولد لابن مائة سنة ابن سارة تلد و قد أنى عليها
 تسعون سنة ! و قال إبراهيم لله : ياليت إسماعيل يحني بين يديك ! و قال
 الله لإبراهيم : حقا - و في نسخة : نعم - إن سارة صاحبك ستلد ابنا
 و تسميه إسحاق ، و أثبت العهد بيني و بينه إلى الأبد و لذريته من بعده ؛
 ١٠ و قد استجبت لك في إسماعيل فباركته و كثرته و أمته جدا جدا ،
 و يولد له اثنا عشر عظيما ، و أجعله رئيسا لشعب عظيم ؛ و أثبت عهدي
 لإسحاق الذي تلد لك سارة في هذا الحين ؛ من قابل . فلما فرغ من كلامه
 ارتفع استعلان الرب عن إبراهيم ، فانطلق إبراهيم بإسماعيل ابنه و جميع
 أولاد بيته و المتباعين بما له كل ذكر من بيت إبراهيم فخن غرلهم في
 ١٥ ذلك اليوم كما أمره الله ، و كان قد أنى على إبراهيم تسع^٥ و تسعون سنة إذ ختن
 غرله . و كان قد أنى لإسماعيل ابنه إذ اختن ثلاث عشرة سنة ، و ختن

(١) في م : غرله (٢) في م : عزائه - كذا (٣) ليس في ظ (٤) في م و مد : حين ،
 و في ظ : الحيز (٥) في م : تسعة (٦) قال المؤرخون : نقل إبراهيم ولده إسماعيل إلى
 مكة و هو رضيع و قيل ابن سنتين و قيل ابن أربع عشرة سنة ، و ولد قبل إسحاق
 بأربع عشرة سنة ، و مات و له مائة و ثلاثون سنة ، و كان لإسماعيل لما مات
 أبوه إبراهيم تسع و ثمانون سنة ، و عاش إسحاق مائة و ثمانين سنة ، و مات =

أيضا معه أبناء الغرباء المشايخين ثم أكل البشارة بإسحاق ، كما سيأتي في سورة هود إن شاء الله تعالى - إلى أن قال: وذكر الرب سارة كما قال: وصنع الله تبارك وتعالى بسارة كما وعد، فحبلت وولدت لإبراهيم ابنا على كبره في الوقت الذي وعد الله، فسمى إبراهيم ابنه من سارة إسحاق، فختن إبراهيم إسحاق ابنه / في اليوم الثامن كما أمره الرب، وكان ١٢٧ / إبراهيم ابن مائة سنة؛ فقالت سارة: لقد أنعم الله علي وفرحني فرحا عظيما، فمن سمع فليفرح لي، وقالت: من كان يقول لإبراهيم: إن سارة ترضع غلاما وتلد ابنا بعد الكبر؛ فشب الغلام وفطم وصنع إبراهيم يوم فطم^٣ مأدبة عظيمة - ثم أعاد ذكر أمر سارة باخراج هاجر وإبعادها وأن هذا شق على إبراهيم جدا وقال: فقال الله لإبراهيم: لا يشق عليك حال الصبي وأمتك، فعدا إبراهيم باكرا وأخذ خبزا وإدابة من ماء فأعطاهما هاجر وحملها والصبي والطعام فانطلقت وتاهت في بركة بئر سبع - وفي نسخة: بئر الخلف، لأن إبراهيم حالف صاحب تلك الأرض عندها - ونقد^١ الماء من الإداوة فألقت الصبي تحت

= بالأرض المقدسة ودفن عند أبيه إبراهيم؛ وكان بين وفاة إبراهيم ومولد محمد صلى الله عليه وسلم نحو من ألفي سنة وستائة سنة واليهود تنقص من ذلك نحواً من أربعائة سنة - البحر المحيط ١ / ٤٠٠ .

(١) في م: وضع (٢) من م ومد وظ، وفي الأصل وم: للذي (٣) في م: فطمه .
 (٤) في م ومد وظ: فاخذ (هـ) من م ومد، وفي الأصل: حيزا، وفي ظ: خبرا - كذا (٦) في م ومد: نفذ .

شجرة من الشيح^١ وانطلقت وجلست قبالة و تباعدت عنه كرمية بسهم
 كيلا تعين موته ، فلما صرخ الغلام وبكى سمع الرب صوته فدعا ملاك
 الرب هاجر من السماء وقال لها : ما لك يا هاجر ؟ لا تخافى ، لأن الرب
 قد سمع صوت الصبي حيث هو ، قومى فاحملى الصبي وشدى به يديك ،
 ٥ لأنى أجعله رئيسا لشعب عظيم ؛ فحلى الله عن بصرها فرأت بئر ماء ،
 فانطلقت فلأت الإداوة وسقت الغلام^٢ ؛ و كان الله مع الغلام فشب
 وسكن بيرة فاران وكان يتعلم الرمي فى تلك البرية وزوجته أمه امرأة -
 انتهى . وفيه : إن هذا الكلام فى إخراج هاجر وولدها ظاهره مناقض
 لما تقدم فى ختان إسماعيل عليه السلام ، فان فيه أنه كان ابن ثلاث عشرة
 ١٠ سنة ، وهذا ظاهره أنه كان رضيعا ؛ و فى الحديث الصحيح أنه وضعه
 عند البيت وهو يرضع . ويمكن حمل هذا عليه بهذا الكلام الأخير ،
 وأما الأول فلم يقل فيه إنه كان عند الختان بيت المقدس ، فيمكن أن
 إبراهيم عليه السلام طوى له الله الأرض بالبراق أو غيره فذهب إلى
 مكة المشرقة فختنه ثم رجع . وفيه بشارة بنينا محمد صلى الله عليه وسلم
 ١٥ أصرح بما ذكره وهى قوله : و يتبارك بك جميع قبائل الأرض ، لأن
 ذلك لم يحصل بأحد من أولاد إبراهيم^٣ عليه السلام إلا بالنبي صلى الله
 عليه وسلم ، فقد أثبت البركة به صلى الله عليه وسلم والخير فى غالب قبائل
 (١) من م ومد ، وفى الأصل : السج ، وفى ظ : الشيح - كذا والشيح شجرة -
 قطر المحيط ١٠١٧/٢ (٢) ليس فى ظ (٣) من م ومد و ظ ، وفى الأهل :
 آدم - كذا .

الأرض، ويكون الباقي بعد نزول عيسى عليه السلام . وكذا قوله :
وبده في جميع الناس - إلى آخره ، لأن إسماعيل عليه السلام لم ينقل
أحد أن يده كانت على جميع الناس ، ولا حل على جميع حدود إخوته ،
ولا اتصف من أولاده أحد بهذا الوصف إلا النبي صلى الله عليه وسلم ؛
ثم رأيت في شرح المقاصد للشيخ سعد الدين التفتازاني و شرح الصحائف ه
للإمام السمرقندي التنبيه على هذا النص .

ولما قرر سبحانه لبي إسرائيل أن أباهم يعقوب ممن أوصى بنيه
بالإسلام قال مبكتا لهم : ﴿ ام ﴾^١ فلم قطعاً من ذكر حرف العطف أن
المعطوف عليه محذوف كما قالوه في أحد التقادير^٢ في هذه الآية وفي
” أمّن هو قانت أثناء الليل^٣ “ في سورة الزمر ؛ فكان التقدير هنا^٤ ١٠
” لتويعهم وتقريبهم بأن أي شق اختاروه لزمهم ما يكرهون^٥ : ” أ كتم
غائبين عن هذه الوضعية من إبراهيم ويعقوب عليهما السلام أم حاضرين
و كتم غائبين^٦ في أمر يعقوب عليه السلام خاصة أم ﴿ كتم شهداء ﴾
الآية ، أي أ كتم غائبين عن علم ذلك أم لا حين حكمت بتخصيص أنفسكم
بالجنة ليمنعكم ذلك عن مثل هذا الحكم ؟ وعلى كل تقدير لا يضركم^٧ ١٥
جهله ، لأن عندكم في كتاب الله المنزل على بيتكم من الأمر بمثله عن الله
ما يغنيكم عنه ، وهو مانع لكم أيضاً من هذا الحكم على وجه قطعي ؛

(١) ليس في م (٢) زيدت في م ” و “ (٣) سورة ٣٩ آية ٩ (٤) زيد في م ومد
” كما يأتي في سورة الجاثية “ (٥) في م : بها (٦-٧) ليست في ظ (٧) في م : ام ؛
(٨) من م ومد وظ ، في الأصل : عاملين .

و في ذلك إشارة إلى عدم وجوب التقيد^١ بالآباء، وإرشاد إلى توسيع^٢ الفكر إلى المنعم الأول وهو رب الآباء للتقيد^٣ بأوامره والوقوف عند زواجه^٤ سواء كان ذلك موافقا لشرع الآباء أو مخالفا؛ ولما كان هذا لازما لمضمون قوله تعالى: "تلك أمة قد دخلت - الآية" اتبعه بها، أي^٥ فإلهم و للسؤال عنها في ادعائكم أنهم كانوا هودا أو نصارى؟ كما سيأتي النص بالتوبيخ على ذلك و اتباعه مثل هذه الآية، لأنه إما أن يكون السؤال عن النسب أو عن العمل ولا ينفعكم شيء منهما، لأنه ليس للإنسان إلا ما سعى، فليس السؤال عنهم حيثئذ لمن عنده علم ما يأتي وما يذر إلا فضولا؛ وفيه تنبيه على أنهم قطعوا أنفسهم عنهم، لأنهم لما لم يتبعوهم في الإسلام فصلوا ما بينهم وبينهم من الوصلة بالنسب وحصلت براءتهم منهم، لأن نسب الدين أعظم من نسب الماء والطين، أو يقال وهو أحسن: لما ادعى أهل الكتاب أن اللجنة خاصة بهم ورد ذلك سبحانه عليهم بأنها لمن أسلم محسنا و ذكرهم بأحوال الخليل عليه السلام حتى ختم بأنه^٦ من رؤس المتصفين بهذا الوصف وأنه أوصى بنيه به ١٢٨ / ١٥ فكان كأنه قيل إنكارا عليهم في دعوائهم الاختصاص باللجنة و تقريراً لهم: ٧١ كنتم شهداء لذلك منه حتى تكونوا ممن ائتمر بأمره في وصيته فتكونوا أهلاً للجنة أم كنتم شهداء يا بني يعقوب ﴿اذ حضر يعقوب﴾ صاحب (١) في م: التقييد (٢) في م: توسع (٣) في م: للتقييد (٤) من م ومد و ظ، وفي الأصل: زواجه (٥) ليس في م (٦) في ظ: بابيه، ولا يتضح في م - (٧) في م: أم.

نسبكم الأشهر ﴿ الموت ﴾ وهو [على - ١] ما أوصى به إبراهيم بنه
﴿ اذ قال ﴾ أي يعقوب ﴿ لبنه ﴾ .

٢ ولما كان مراده صلى الله عليه وسلم التعميم في كل شيء ليقع
التخصيص موقعه فلا يحتاج إلى سؤال آخر ٣ عبر بما العامة للعاقل وغيره
فقال : ﴿ ما تعبدون ؟ ﴾ ٤ ولو عبر بمن لم يفد جوابهم هذا التصريح بنى ٥
عبادة شيء بما لا يعقل ٥ ؛ وقيده بقوله : ١ ﴿ من بعدى ﴾ لأن الخليفة
كثيرا ما يخلف ٢ الغائب بسوء وإن كان مصلحا ٣ في حضوره ،
٤ وأدخل الجار لأن أعمارهم لا تستغرق الزمان ٥ ﴿ قالوا نعبد الهك ﴾
الذى خلقك ﴿ واله ابائك ﴾ الذى خلقهم وبقى بعدهم وبقى بعد كل

(١) زيد من م ومد وظ (٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ .
(٣) زيد في مد : كان صنف (٤) في البحر المحيط ١ / ٤٠٠ : نزلت في اليهود
قالوا : أأنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية ؟ قال الكلبي :
لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيرين فجمع بنيه وخاف عليهم
ذلك فقال لهم : ما تعبدون من بعدى ؟ فأنزل الله هذه الآية إعلاما لبنيه بما وصى به
يعقوب وتكذيبا لليهود ، و « أم » هنا منقطعة تتضمن معنى بل وهمة
الاستفهام الدالة على الإنكار ، والتقدير : بل أكنتم شهداء ، فعنى الإضراب
الانتقال من شيء إلى شيء لأن ذلك إبطال لما قبله ، ومعنى الاستفهام هنا التقرع
والتوبيخ وهو في معنى النفي ، أي ما كنتم شهداء فكيف تنسبون إليه ما لا تعملون
ولا شهدتموه أنتم ولا أسلافكم - انتهى (٥ - ٥) ليست في ظ (٦) زيد في م :
ما تعبدون (٧) من م ومد وظ ، وفي الأصل : يختلف (٨) في الأصل :
ماصحا ، والتصحيح من م ومد وظ (٩ - ٩) ليست في ظ .

شيء ولا بدله ، كما كان قبل كل شيء ولا قبل له ؛ ثم بينوا الآباء بقولهم : ﴿ ابراهيم ﴾ أى جدك ﴿ واسماعيل ﴾ لأنه عم والعم صنو الأب فهو أب مجازا ﴿ واسحق ﴾ .

ولما تقدم ذكر الإله في إضافتين بينوا أن المراد به^١ فيهما واحد^٢ .
 ٥ تحقيقا للبراءة من الشرك وتسجيلا على أهل الكتاب بتحتم بطلان قولهم فقالوا : ﴿ الها واحدا ﴾ ثم أخبروا بعد توحيدهم الذى تقدم أنه معنى الإحسان فى قوله ” وهو محسن “ باخلاصهم فى عبادتهم بقولهم ﴿ ونحن له ﴾ أى وحده لا للأب ولا غيره ﴿ مسلمون ﴾ أى لا اختيار لنا معه بل نحن له كالجلجلى الآتف^٣ حيثما قادنا انقذنا ، أى أم كنتم شهداء^٤ له فى هذه الوصية لنشهد^٥ لكم بما شهدنا لبنه الموجودين^٦ . إذ ذاك^٧ من الإسلام فتكونوا^٨ من أهل الجنة .

ولما كان فى ذلك أعظم تسجيل عليهم بأنهم نابذوا وصية الأصفياء من أسلافهم ومرقوا من دينهم وتعبدوا بخلافهم وكان من المعلوم قطعا أن الجواب أنهم ما شهدوا^٩ ذلك ولا هم مسلمون عبر عنه بقوله :
 ١٥ ﴿ تلك أمة قد خلت ﴾ أى قبلكم بدهور لم تشهدوها^{١٠} . ونه على أنهم عملوا بغير أعمالهم بقوله : ﴿ لها ﴾ أى الأمة ﴿ ما كسبت ﴾ أى من دين
 (١) ليس فى مد (٢) فى م : واحدا ، وزيد بعده فى م ومد : فحكي - سبحانه ذلك عنهم (٣) من م وظ ومد ، وفى الأصل : الآتف (٤) من م ومد وظ ، وفى الأصل : ليشهد (٥-هـ) فى م : او ذلك (٦) من م وظ ومد ، وفى الأصل : فيكونوا (٧) فى م : شاهدوه .

الإسلام خاص^١ بها لا شركة لكم فيه ﴿ولكم ما كنتم﴾ أى مما أنتم عليه من الهوى خاص بكم لا يسألون هم عن أعمالكم ﴿ولا تسألون﴾ أى أنتم ﴿عما كانوا يعملون هـ﴾ 'ولما أخبر تعالى أنهم تركوا السنة في تهذيب أنفسهم بالاقتداء في الاهتداء بالأصفياء من أسلافهم وبين بطلان ما هم عليه الآن من كل وجه وأرضح أنه محض الضلال بين أنه عاقبهم على هـ ذلك بأن صيرهم دعاة إلى الكفر، لأن سنته الماضية سبقت ٣ ولن تجد لسنة تحويلاً أن من أمارت سنة أحيى على يديه^١ بدعة عقوبة له . قال الحرالي: لأنها متاويبان في الآديان تناوب المتقابلات في الأجسام فقال تعالى معجبا منهم عاطفا على قوله "وقالوا لن يدخل^٢" : ﴿وقالوا﴾ أى الفريقان من أهل الكتاب لا تباع الهدى ﴿كونوا هودا أو نصرى ١٠ تهتدوا﴾ أى لم يكفهم ارتكابهم للباطل وسلوكهم طرق الضلال حتى دعوا إلى ما هم عليه ووعدوا بالهداية الصائرة^٣ إليه فأمره تعالى بأن

(١) في ظ: خاصة (٢) جملة توكيدية لما قبلها لأنه قد أخبر بأن كل أحد يختص بكسبه من خير وشر، وإذا كان كذلك فلا يسأل أحد عن عمل أحد، فكما أنه لا ينفعكم حسناتهم فكذلك لا تسألون ولا تؤاخذون بسيئات من اكتسبها "ولا ترزوا زرة وزر أخرى" كل شاة برجلها تناط وفي قوله ﴿لها ما كنتم﴾ إلى آخره دلالة على بطلان من يقول بجواز تعذيب أولاد المشركين بذنوب آبائهم، وفي الآية قبلها دلالة على أن الأبناء يثابون على طاعة الآباء - البحر المحيط ١/ ٤٠٥ (٣) زيد في م: ولن تجد لسنة الله تبديلاً (٤) في م: يده (هـ) زيد في م: اللجنة (٦) في م: طريق (٧) من ظ، وفي بقية الأصول: الصائر - كذا .

يحييهم أنه^١ مستن بسنة^٢ أيهم^٣ لا يحول^٤ عنها كما حالوا فقال موجهها
الخطاب إلى أشرف خلقه لعلو مقام ما يخبر به وصعوبة التقيد^٥ به على
النفس: ﴿قل بل﴾ مضرباً عن مقابلهم^٦، أي لا يكون شيئاً بما ذكرتم
بل نكون^٧ أو نلبس^٨ أنا ومن لحق بي من كل أهل الإسلام
﴿ملة إبراهيم﴾ ملابسة نصير^٩ بها إياها كأننا^{١٠} نجسدا^{١١} منها، وهو كناية عن
عدم الاتفكاك عنها، فهو أبلغ مما لو قيل: بل أهل ملة إبراهيم. قال
الحرالي: فقيه كمال تسنن محمد صلى الله عليه وسلم في ملته بملة إبراهيم
عليه السلام الذي هو الأول لمناسبة ما بين الأول والآخر، وقد ذكر
أن الملة ما أظهره نور العقل من الهدى في ظلم ما التزمه الناس من عوائد
١٠ أمر الدنيا، فكان آتم ما أبداه نور العقل ملة إبراهيم ﴿حنيفاً﴾ أي

- (١) في م: بانه (٢) في مد: لسنة (٣) في م وظ: ومد: إبراهيم (٤) من ظ،
وفي الأصل: تحول، وفي مد: يحول - كذا غير منقوط (٥) وفي م: التقيد.
(٦) وفي م: مقابلهم (٧) من م ومد، وفي الأصل: يكون، وفي ظ: نكون.
(٨) من م وظ ومد، وفي الأصل: نلبس (٩) من م ومد وظ،
وفي الأصل: نصير (١٠) من م ومد وظ، وفي الأصل: كائناً - كذا.
(١١) في مد: نجسدا - كذا (١٢) قال أبو حيان في البحر المحيط ٤٠٦/١: وذكر
حنيفاً ولم يؤنث لتأنيث ملة، لأنه حمل على المعنى، لأن الملة هي الدين فكأنه
قيل: بل تتبع دين إبراهيم حنيفاً، وعلى هذا خرجه هبة الله بن الشجري في المجلس
الثالث من أماليه... والحنيف هو المائل عن الأديان كلها - قاله ابن عباس،
أو المائل عما عليه العامة - قاله الزجاج، أو المستقيم - قاله ابن تقيية، أو الحاج -
قاله ابن عباس أيضاً وابن الحنفية... وإنما خص إبراهيم دون غيره =

لينا هشا، سهلا قابلا للاستقامة مائلا مع داعي الحق منقادا له مسلما
 أمره إليه، لا يتوجه إليه شيء من العشاوة، والكثافة والغلظة والجود
 التي يلزم منها العصيان والشاخة والطفیان، وذلك لأن مادة حنف بكل
 ترتيب تدور على الحفة واللطافة، ويشبه أن تكون الحقيقة الأولى منها
 النحافة، ويلزم هذا المعنى الانتشار والضمور والميل، فيلزمه سهولة الانقياد
 والاستقامة، ويكشفه آية آل عمران "ولكن كان حنيفا مسلما ٣"
 فبذلك حاد عن بنيات طرق الخلق في انحرافهم عن جادة طريق الإسلام.
 وقال الحرالي: الحنيف المائل عن متغير ما عليه الناس عادة إلى ما تقتضيه
 الفطرة / حنان؛ قلب إلى صدق حسه الباطن.

ولما أثبت له الإسلام بالحنيفية نفى عنه غيره بقوله: ﴿وما كان ١٠﴾

= من الأنبياء وإن كانوا كلهم مائلين إلى الحق مستقيمي الطريقة حنفاء،
 لأن الله اختص إبراهيم بالإمامة لما سنه من مناسك الحج والختان وغير ذلك
 من شرائع الإسلام مما يقتدى به إلى قيام الساعة، وصارت الحنيفية علما يميز بين
 المؤمن والكافر، وسمى بالحنيف من تبعه واستقام على هديه، وسمى المنكث
 عن ملته بسائر أسماء الملل فقيس: يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك من
 ضروب النحل - انتهى.

(١) في م: مشا هشا، وفي مد: مشا (٢) في ظ: عاوة، وفي مد: العشاوة.

(٢) سورة ٣ آية ٦٧ (٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ: جنان - كذا بالهيم.

(٥) في م: خشية.

نظم الدرر (سورة البقرة ٢: ١٣٥ و ١٣٦) ج - ٢

من المشركين ٥ ﴿١﴾ قال الحرالي: فيه إنباء بترثة كيانه من أمر الشرك
في ثبت ٣ الأمور والأفعال والأحوال وفي إفهامه أنه من أمر محمد
صلى الله عليه وسلم في الكمال الخاتم كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم منه في
الابتداء الفاتح، قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: "قل إن صلاتي -
٥ إلى قوله: وانا أول المسلمين ٢" فهذه أولية رتبة الكمال التي هي خاصة به
ومن سواه فهو منه فيها، لأن نفي الشيء يفهم البراءة واللاحق بالتأصل
في مقابله ٥، فمن لم يكن مثلاً من الكافرين فهو من المؤمنين، لأنه لو كان
هو المؤمن لذكر بالصفة المقابلة لما نفي عنه، لما في ذلك من معني إثبات
الوصف ونفي مقابله، ومثل هذا كثير الدور ٦ في خطاب القرآن،
١٠ وبين من له الوصف ومن هو منه تفاوت ما بين السابق واللاحق في
جميع ما يرد من نحوه يعني ومثل هذا التفاوت ظاهر للفهم خفي عن
(١) أخبر الله تعالى أنه لم يكن يعبد وثناً ولا شمساً ولا قمرًا ولا كوكباً ولا شيئاً
غير الله وكان في قوله ﴿بل مله إبراهيم﴾ دليل على أن ملته مخالفة لملة اليهود
والنصارى، ولذلك أضرب بيل عنها، فنبت أنه لم يكن يهودياً ولا نصرانياً،
وكانت العرب ممن تدين بأشياء من دين إبراهيم ثم كانت تشرك، فنفي الله عن
إبراهيم أن يكون من المشركين؛ وقيل في الآية تعريض بأهل الكتاب وغيرهم،
لأن كلا منهم يدعى اتباع إبراهيم وهو على الشرك - قاله الزمخشري؛ البحر
المحيط ١/ ٤٠٧ (٢) في م: المشركين (٣) في الأصل: تدت - كذا (٤) سورة ٦
آية ١٦٢ و ١٦٣ (٥) في م: مقابلة (٦) في م وظ: الوردود.

مشاهد

مشاهد ١ العلم : لأن العلم من العقل بمنزلة النفس ، والفهم من العقل بمنزلة الروح ، فالفهم مدرك لا يتاله العلم ، كما أن للروح ٢ معنًى لا تصل إليه النفس ، لتوجهه النفس إلى ظاهر الشهود ووجهة الروح إلى على الوجود - انتهى .

ولما قيل ذلك توجهت النفس إلى ما به يوصل إلى ملة إبراهيم ، ه
فصرف الخطاب الذي كان عد الحجاج للأكل على وجه يشمل من قاربه إلى من دونه بما يشمله . لأن المراد العموم ٣ ، وساقه تعالى في جواب من كأنهم قالوا : ما نقول ٤ حتى نكون إياها ٥ فقال : ﴿ قولوا ﴾ ٦ أى يا أيها الذين آمنوا ﴿ آمنا بالله ﴾ ٧ الذى له جميع صفات الكمال ٨ .

(١) فى مد وظ : شاهد (٢) فى م : الروح (٣) زيد فى م ومد : فى سورة الكتاب الذى هم بالأمر بالإيمان به أحق (٤) فى م : تقول (هـ) من م ومد ، وفى الأصل : تكون ، وفى ظ : تكون (٦) أخرج البخارى عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ولكن "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - الآية" فان كان حقا لم تكذبوه ، وإن كان كذبا لم تصدقوه وارتبطت هذه الآية بما قبلها لأنه لما ذكر فى قوله ﴿ بل ملة إبراهيم ﴾ جوابا للزاميا وهو أنهم وما أمروا باتباع اليهودية والنصرانية وإنما كان ذلك منهم على سبيل التقليد هذا وكل طائفة منها تكفر الأخرى أجيبوا بأن الأولى فى التقليد اتباع إبراهيم لأنهم أعنى الطائفتين المختلفتين قد اتفقوا على صحة دين إبراهيم ، والأخذ بالتفق أولى من =

ولما كان المأمور المؤمنين وكانت تعدية الإنزال بالى تقتضى الانتهاء
 وكان ذلك يقتضى واسطة قبل الانتهاء وكان الانتهاء إلى الاتباع إنما هو
 بالقصد الثانى كان الأنسب فى هذه الآية لتوجيه الأمر إليهم التعبير بالى
 بخلاف آية آل عمران كما سيأتى إن شاء الله تعالى فقال: ﴿وما أنزل
 ٥ النينا﴾ أى من الكتاب الذى تقدم ١ أنه الهدى على أى وجه كان من
 الأحكام والنسخ والنسئ وغير ذلك. وقيل ﴿وما أنزل الى إبراهيم﴾
 ليكون المهيح ١ واحدا ﴿واسمعيلى واسحق﴾ ابنه. قال الحرالى: فلن
 العرب الامين المحسودين على ما آتاهم الله من فضله نسق ما أجرى من
 لفظ بنى إسرائيل فى عهده لهم، فكان فيه وصل ٣ العرب الذين هم أبناء
 ١٠ إسماعيل إبراهيم وبنيه وقطع بنى إسرائيل عنهم، وفيه إظهار لمزية
 فضل الله على العرب حين يلقنهم ولا يستنطقهم فيقصروا فى مقامهم
 فأغناهم بما لقنهم قتلوه عما كانوا يقولونه لو وكلوا ١ إلى أنفسهم فسكنهم ٥

= الأخذ بالمختلف فيه إن كان الدين بالتقليد، فلما ذكر هنا جوابا لإلزاميا ذكر
 بعده برهانا فى هذه الآية وهو ظهور المعجزة عليهم بأزال الآيات وقد ظهرت
 على يد محمد صلى الله عليه وسلم فوجب الإيمان بنبوته، فان تخصيص بعض بالقبول
 وبعض بالرد يوجب التناقض فى الدليل وهو ممتنع عقلا - البحر المحيط ١/ ٤٠٧ .
 (٧-٧) ليست فى ظ .

(١) زيد فى م: على، وزيدت العبارة فى ظ: وقدم ﴿ما أنزل النينا﴾ على غيره
 فى الإيمان به فى اللفظ لأنه أولى بالإضافة إليها وسبب للإيمان بغيره (٢) فى م
 بياض (٣) فى م: وصلة (٤) من م ومد وظ، وفى الأصل: واكلوا (٥) من
 ظ، وفى م ومد: فسكنهم، وفى الأصل: فسكنهم - كذا .

ربهم فأقرأهم^١ ما يصلح من القول لهم وقال: ﴿ويعقوب والاسباط﴾
 تكملة لما تقدم في العهد السابق - انتهى . ﴿وما اوتى موسى وعيسى﴾
 أى من ربهم من المنزل من التوراة والإنجيل وغير المنزل، وغير^٢
 الأسلوب تفضيلاً لما لهما من الكتابين والمعجزات وغير ذلك من
 الممكنة؛ ثم أسند الإتياء إلى الجميع لكون أهل الكتب العظيمة فيهم على
 سبيل التغليب فقال^٣ مؤكداً الكلام لأنه على لسان الاتباع وهم بالتأكيد
 أحق: ﴿وما اوتى النبيون﴾ أى قاطبة من تقدم وغيرهم من المنزل من
 كتاب وغيره^٤ ﴿من ربهم﴾ المحسن إليهم بذلك ﴿لا تفرق بين احد
 منهم﴾ فى أمر الإيمان باصطفايتهم مع توجيه الاوامر^٥ إليهم ﴿ونحن له﴾
 أى لربهم المحسن إلينا باحسانه إليهم وحده ﴿مسلون﴾ أى متقادون^{١٠}
 فى الظاهر بعد انقياد الباطن، لا أمر^٦ لنا معه أصلاً. قال الحرالى: فأجرى
 على السنة الذين آمنوا من هذه الأمة تلقيناً لهم ما أجراه على السنة
 الأسباط قولاً منهم. فكانت العرب أحق بهم من أبناء إسرائيل بما استووا
 فى الدين وإن اختلفوا فى نسب الإسرائيلىة - انتهى . والاسباط جمع سبط،
 قال فى القاموس: والسبط - بالكسر - ولد الولد والقبيلة من اليهود^{١٥}
 وجمعه أسباط . وقال البيضاوى: والاسباط جمع سبط وهو الحافد،
 يريد به حفدة يعقوب وأبنائه وذراريهم فانهم^{١١} حفدة لإبراهيم وإسحاق .

(١) فى ظ: فأقرأهم (٢) فى ظ: عزّ (٣) العبارة من هنا إلى «أحق» ليست
 فى ظ (٤) فى م: يحل (٥) فى ظ: غيرهم (٦) من م وظ ومد، وفى الأصل:
 الاولين (٧) زيد فى مد: بذلك (٨) من م، وفى بقية الأصول: امر (٩) زيد
 فى م: بنى (١٠) من م ومد وظ، وفى الأصل: فانهم - كذا .

١ وقال الاصبهاني: قيل أصل السبط في اللغة شجرة ملتفة كثيرة الأغصان من شجرة واحدة ١. وقال البغوي: و الأسباط يعني أولاد يعقوب، واحد سبط، وهم اثنا عشر سبطا، وسبط الرجل حافده، ومنه قيل للحسن والحسين: سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم. و الأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب من بني إسماعيل، والشعوب من العجم؛ و كان في الأسباط أنبياء فلذلك قال: "وما أنزل إليهم" وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء - انتهى. قلت: وهذا هو الذي يظهر إذا تأملت هذه الآية مع التي بعدها وآية النساء، فان الأسباط - أعني القبائل - كان منهم الضلال، وقد أنكر الله على من قال: إنهم كانوا هودا ١٠ أو نصارى، وأخبر في آية النساء أنه أوحى إليهم، وقد عدّ الأسباط -

أعني أولاد يعقوب - جماعة، فاختلفت عباراتهم عنهم، والذي حررته أنا من التوراة من عدة ٣ نسخ أصح، عدّهم في آخر السفر الأول منها ثم قال في أول السفر ثاني: وهذه / أسماء بني إسرائيل الذين دخلوا

/ ١٣٠

(١ - ١) ليست في ظ (٢) في ظ: و عدد (٣) ليس في م (٤) ليس في م، وفي ظ: الذي - مكان: الذين. وفي البحر المحيط ١/٤٠٧: قال الشريف أبو البركات الجواني النسابة: و ولد يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم يوسف النبي صلى الله عليه وسلم صاحب مصر وعزيزها وهو السبط الأول من أسباط يعقوب عليه السلام الاثنى عشر، والأسباط سوى يوسف: كاد و بنيامين و يهوذا و يفتالي و زبولون و شمعون و روبين و يساखा و لاوى و دان و ياشيرخا من يهوذا بن يعقوب و سليمان النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء من سليمان عليه السلام النبي مريم ابنة عمران أم المسيح عليه السلام، وجاء من لاوى بن يعقوب =

مصر مع يعقوب أيهم ، دخل كل أمرئ منهم وأهل بيته : روبيل وشمعون
 و لاوى ويهوذا وإسحاق^١ وزبولون^٢ و بنيامين^٣ و دان و نفتالي^٤ و جاد
 و اشير^٥ ، و يوسف كان بمصر - انتهى . قلت : و بنيامين شقيق يوسف
 عليهما السلام و ربما قيل فيه : بنمن ، و في روبيل : روبال ، و في شمعون : شمعان ،
 و في إسحاق : إسحاق ، و في زبولون : زبولون و زبالون - و الله أعلم^٦ . ٥
 و لما قدم تعالى ما أمرهم به و كان عين الهدى تسبب عنه قوله معبرا^٧
^٨ بأداة الشك إشارة إلى أن إيمانهم لما لهم من الكثافة و الغلظة و الجلالة
 في غاية البعد^٩ : ﴿ فان امنوا ﴾ أى أهل الكتاب الذين أرادوا أن يستتبعوكم
 ﴿ بمثل ﴾ أى بنفس و حقيقة ﴿ ما امنتم به ﴾ كما يأتي بيانه في ” ليس
 كمثل شيء “^{١٠} من الشورى ، فكانوا تبعوا لكم ﴿ فقد اهتدوا ﴾ عكس ما قالوا^{١١} : ١٠
 كونوا مثلنا تهتدوا ، و عبر بفعل المطاوعة لكون الإيمان مع ظهوره
 بظهور دلائله موافقا للفطرة الأولى ، و أما الكفر فانه لما كان لأجل
 = موسى كلم الله و هارون أخوه عليهم السلام - انتهى كلامه و قيل :
 روبيل أكبر ولده ، و قال الحسين بن أحمد بن عبد الرحيم البستاني : روبيل أصح
 و أثبت - يعنى باللام ، قال : و قبره في قراة مصر في لطف الجبل في تربة
 اليسع عليها السلام .
 (١) كذا ، و في تفسير روح المعاني ٤/ ١٢ : يشجر (٢) كذا ، و في الروح :
 دبالون (٣) و في الروح : دينه ، و قال بعده : و يعد بنيامين بدل دينة (٤) كذا ،
 و في الروح : نفتالي (٥) كذا ، و في الروح : آش (٦) ليس في مد (٧) في
 م : خبرا ، و ليس في ظ (٨-٨) ليست في ظ (٩) وقع في مد : انتم - مصحفا .
 (١٠) سورة ٤ آية ١١ (١١) في م : قانونه - كذا .

ظهور الإيمان وانطباعه في الجنان بعيدا عن المزاج لا يكون إلا بنوع
من العلاج بين الهوى والعقل وكان لا يكون إلا بعد الإعراض عن
الإيمان وغيبته عن العيان عبر عن ارتكابه بما يشعر بذلك بصيغة
التفعل فقال: ﴿وإن تولوا﴾ قال الحرالي: فيه إشعار بإيمان مؤمن منهم
و تولى متول منهم، لأن الله تعالى إذا صنف الخطاب كان نبأ عن تصنيف
الكيان، فهو تعالى لا يخرج نبأه على غير كائن فيكون نبأ لا كون له، إنما
ذلك من أدنى أوصاف بعض الخلق ﴿فإنما هم في شقاق﴾ أي يريدون
أن يكونوا في شق غير شقكم، لأنهم يعلمون أن الهدى ليس في شيء
غيره كما اقتضته "إنما".

١٠. ولما كان اللازم لمشاقتهم^٣ على هذا الحال المكيدة و المحاربة وكان
ذلك على وجه العناد لم يكل سبحانه كفاية أوليائه إلى غيره فسبب عن
ذلك قوله: ﴿فسيكفيهم الله﴾ ٤ أي بوعده لا خلف فيه أصلا وإن تأخر
شيئا من تأخره بما له من قدرة و غيرها من صفات الكمال التي أفهمها الاسم
الشريف، والكفاية إغناء المقاوم عن مقاومة عدوه بما لا يحوجه إلى

(١) قال أبو حيان الأندلسي: أكد الجملة الواقعة شرطا بأن وتأكد معنى
الجبر بحيث صار ظرفا لهم وهم مظروفون له، فالشقاق مستول عليهم من جميع
جوانبهم ومحيط بهم لإحاطة البيت بمن فيه، وهذه مبالغة في الشقاق الحاصل لهم
بالتولى، وهذا كقوله "أنا لترك في ضلال مبين"، "أنا لترك في سفاهة" وأبلغ
من قولك: زيد مشاق لعمر و زيد ضال و بكر سفيه - البحر المحيط ١/ ٧١٠.
(٢) من م و مد و ظ، وفي الأصل: شق (٣) في الأصول: لمشاقتهم - كذا.
(٤-٤) ليست في ظ.

دفع له - قاله الحرالي . ولما كان المناوى لشخص إما أن يكيد به بقوله
 أو بفعله و كان الفعل مسبوqa بالارتسام^١ في الضمير و كان الكافي^٢
 لشخص إنما يتوقف^٣ كفايته على العلم بما يصلحه^٤ قال: ﴿وهو السميع﴾
 أى لما يقول أعداؤكم ﴿العليم^٥﴾ بما يضمرون^٦ فهو يسبب لكل قول
 و ضمير منهم ما يرد ضرره عليه، فخطكم منهم مقصور على أذى في القول^٥
 و سوء وُدّ في الضمير ، و حظهم منكم قهرهم و سيدهم و الاستيلاء على
 ديارهم و أمواهم . و جعل الحرالي ﴿صبغة الله﴾^٧ أى هيئة صبغ الملك
 الأعلى التى هى حلية المسلم و فطرته كما أن الصبغة حلية المصبوغ^٨ حالا تقاضاها
 معنى الكلام، و^٩ غاب على^{١٠} النحاة كونهم لا يعرفون الحال إلا من الكلم
 المفردة و لا يكادون يفهمون^{١١} الأحوال من جملة الكلام ، و قال: الصبغة^{١٢}
 تطوير معاجل بسرعة^{١٣} وحيه، و قال: فلما كان هذا التلقين تلقينا و حيا سريع
 التصير من حال الضلال المبين الذى كانت فيه العرب فى جاهليتها إلى حال
 الهدى المبين الذى كانت فيه الأنبياء فى هدايتها من غير مدة جعله تعالى صبغة
 (١) فى م . ارتسال (٢) فى م: المكافى (٣) فى م و ظ و مد: تتوقف (٤) فى ظ:
 تصلحه (٥) مناسبة هاتين الصفتين أن كلا من الإيمان و ضده مشتمل على أقوال
 و أفعال و على عقائد ينشأ عنها تلك الأقوال و الأفعال فناسب أن يخدم ذلك بها
 أى و هو السميع لأقوالكم العليم بنياتكم و اعتقادكم ، و لما كانت الأقول هى
 الظاهرة لنا الدالة على ما فى الباطن قدمت صبغة السميع على العلم و لأن العلم
 فاصلة أيضا - البحر المحيط ١/ ١١١ (٦) فى م: يضمرونه (٧-٧) ليست فى ظ .
 (٨-٨) فى م: غاب عن (٩) فى ظ: يتفهمون - كذا (١٠) فى م: بشرعة .

كما يصبغ الثوب في الوقت فيستجبل من لون إلى لون في مقابلة ما يصبغه
 أهل الكتاب بأتباعهم المتبعين لهم في أهوائهم في نحو ' الذي يسمونه
 ' الغطاس ' ٢ (و من احسن من الله) ' أى الذى له الكمال كله ' ٢

(١) في م و ظ : يصنعه (٢) ليس في م (٣) وقد تضمنت هذه الآية أصل الدين
 الخيفي فكفى بالصبغة عنه ومجازه ظهور الأثر أو ملازمته لمن ينتحله فهو كالصبغ
 في هذين الوصفين كما قال ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، والعرب
 تسمى ديانة الشخص لشيء واتصافه به صبغة ؛ قال بعض شعراء ملوكهم :

و كل أناس لهم صبغة و صبغة همدان خير الصبغ

صبغنا على ذاك أبناءنا فأكرم بصبغتنا في الصبغ

وقد روى عن ابن عباس أن الأصل في تسمية الدين صبغة أن عيسى حين قصديحي
 ابن زكريا فقال : جئت لأصبغ منك ، واغتسل في نهر الأردن ، فلما خرج نزل
 عليه روح القدس ، فصارت النصارى يفعلون ذلك بأولادهم في كنائسهم تشبيها
 بعيسى و يقوون : الآن صار نصرانيا حقا ، وزعموا أن في الإنجيل ذكر عيسى
 بأنه الصانع و يسمون الماء الذى يغمسون فيه أولادهم « المعمودية » بالدال ، ويقال :
 المعمورية - بالراء ؛ قال : و يسمون ذلك الفعل « التغميس » ومنهم من يسميه
 « الصبغ » فرداه ذلك بقوله (صبغة الله) . وقال الراغب : الصبغة إشارة
 إلى ما أوجده في الناس من بدائة العقول التي ميزنا بها عن البهائم ورشحنا بها
 لمعرفته ومعرفة طلب الحق وهو المشار إليه بالفطرة ، وسمى ذلك بالصبغة من
 حيث أن قوى الإنسان إذا اعتبرت جرت مجرى الصبغة في المصبوغ -
 البحر المحيط ١/ ٤١١ (٤-٤) ليست في ظ .

﴿صبغة﴾ لأنها صبغة قلب لا تزول لثباتها بما تولاهما الحفيظ العليم ،
و تلك صبغة^١ جسم لا تنفع ، وفيه إفهام بما يختص به الذين آمنوا من
انقلاب جوهرهم نورا ، كما قال عليه الصلاة والسلام : اللهم اجعلني
نورا ! فكان ما انقلب إليه جوهر الأئمة انصبغت به قلوب الأمة ﴿ ونحن
له ﴾ [أى خاصة -^٢] ﴿عبدون هـ﴾ تكلمة لرد الخطاب على خطاب هـ
عهد إسرائيل حيث قال : " ما تعبدون من بعدى " إلا أن العبادة في عهد
إسرائيل سابقة والإسلام ختم ، والإسلام في هذا التلقين بدء لتقع العبادة
شكرا - يختص برحمته من يشاء ، وجاء به بالوصف الثابت الدائم فقيه إشعار
بأن أحدا منهم لا يرتد عن دينه سخطه له بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلبه ،
وهو حظ عام من العصمة الثابت خاصها للنبي صلى الله عليه وسلم في علي ١٠
أمره - انتهى .

ولما أمر تعالى بقوله : " قل بل ملة ابراهيم " وما بعده بإعلام
الخصم بالمخالفة وأن لا موافقه إلا بترك الهوى واتباع الهدى أمر
بمجادلتهم بما يوهى أقوالهم ويزيح شبههم فقال معرضا بالخطاب عن
الجمع موجهاله إلى رسوله ٣ صلى الله عليه وسلم رفعا لمقامه وتعريفا بعلى ١٥
منصبه إعلاما بأنه لا ينهض بذلك غيره لما لهم من العلم مع ما عندهم من
الجدل واللدد : ﴿ قل ﴾ منكرا لمحتاجتهم^٤ وموبخا لهم عليها^٥
/ ﴿ اتجاوتنا^٥ ﴾ ولما كان الأنسب في المقارنة إعلام الخصم بالمخالفة

١٣١ /

(١) ليس في ظ (٢) زيد من م وظ ومد (٣) في ظ : رسول الله .
(٤-٥) ليست في ظ (٥) سبب الزول قيل إن اليهود والنصارى قالوا : =

لأنه أقطع لطمعه وأمكن لغيظه مع أنه هنا أقرب إلى رضى الخالق قدم
على المجادلة، ومعنى قوله: ﴿ في الله ﴾ في اختصاصكم بالملك الذى لا ملك
سواه، لأن له الكمال كله المشار إلى إبطاله فيما سبق بقوله: "قل ان
كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة - الآية" أى أحتاجونا في
هـ ذلك ولا وجه لاختصاصكم به ﴿ وهو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ ربنا وربكم ﴾
نحن و أتم في العبودية له سواء ﴿ ولنا اعمالنا ﴾ نختص بها دونكم
﴿ ولكم اعمالكم ﴾ تحتصون بها دوننا، لا نخاف منه أن يخصكم
بأعمالنا ولا بشيء منها لتختصوا بها عنده ولا أن يخصنا بأعمالكم
ولا بشيء منها لنبعد بها عنه ظلما ولا غلطا^٢، لأنه السميع العليم الغنى الحميد
١٠ ﴿ ونحن ﴾ أحسن أعمالا منكم لأننا دونكم ﴿ له ﴾ وحده ﴿ مخلصون هـ ﴾
لا نشرك به شيئا و أتم تشركون به عزيرا و المسيح و الأخبار و الرهبان،
و أتم تعلمون ذلك فى باطن الأمر و إن أظهرتم خلافه، فلم قطعنا
أنا أخص به منكم؛^٢ و الإخلاص عزل انفس جملة، فلا يبلغ عبد حقيقته
حتى لا يجب^٥ أن يحمد على عمل . ولما كان قد بقى من مباحاتهم أنهم

= يا عهد ! إن الأنبياء كانوا منا و على ديننا و لم تكن من العرب، و لو كنت
نبيا لكنت منا و على ديننا؛ و قيل: حاجوا المسلمين فقالوا: نحن أبناء الله
و أحياءه و أصحاب الكتاب الأول و قبلتنا أقدم فنحن أولى بالله منكم، فأنزلت -
البحر المحيط ٤١٢/١ .

(١) فى ظ فقط: يخاف (٢) فى م و مد: يخصكم - كذا (٣) فى م فقط: غلطا .
(٤) العبارة من هنا إلى « على عمل » ليست فى ظ (هـ) من مد، و فى الأصل:
لا يجب، و فى م: لا يجب .

يدعون أن أسلافهم كانوا على دينهم فيكون ١ دعواهم الاختصاص بالجنة
 صحيحة أبطالها سبحانه بقوله: ﴿ام﴾ أي أرجعوا عن قولهم: "كونوا
 هودا أو نصارى تهتدوا"، لما ثبت من مخالفة ذلك لملة إبراهيم وآله أم
 ﴿تقولون ٢﴾ ولا يخفى أن التقدير على قراءة ابن عامر ٣ وحزرة ٢
 والكسائي وخلف وحفص ورويس بالخطاب: أرجعتم عن قولكم ٤: ه
 ﴿ان ابراهيم﴾ خليل الله ٥ ﴿واسماعيل واسحق﴾ ابنه ﴿ويعقوب﴾
 ابن إسحاق ﴿والاسباط﴾ أولاد يعقوب ﴿كانوا هودا أو نصارى﴾
 لنصح دعواهم في أن الجنة خاصة لأهل ملتهم، فكأنه قيل: فإيقال لهم
 إن قالوا ذلك؟ فقيل: ﴿قلء اتم اعلم﴾ بذلك وبغيره ﴿ام الله﴾
 ٣ الذي له الإحاطة كلها ٢ أعلم، فلا يمكنهم أي يقولوا: نحن، وإن ١٠
 قالوا: الله، فقد برأ الله إبراهيم من ذلك فبطل ما ادعوا.

ولما كان العلم عندهم عن الله بأن الخليل ومن ذكر معه عليهم
 السلام على دين الإسلام وكانوا يكتمون ما عندهم من ذلك
 مع تقرير الله لهم به واستخبارهم عنه ونهيه لهم عن كتمانهم وما يقاربه
 بقوله: "ولا تلبسوا الحق بالباطل - الآية" وكان التقدير: فمن أظلم ١٥
 ممن ادعى أنه أعلم من الله بدعواه ذلك صريحا أو لزومه له باخباره
 بخلاف ما ثبت في القرآن المعلوم صدقه بعجزه! قال تعالى عطفًا على هذا
 المقدور: ﴿ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده﴾ أي موجودة ومودعة عنده

- (١) في م ومد: فنكون (٢) في الأصول: يقولون (٣-٢) ليست في ظ .
 (٤) زيد في ظ: إلى آخره (٥) زيد في م: وصفيه (٦) زيد في م
 ومد: أي .

﴿من الله﴾ أى كتبها من الملك الأعظم، أو هى عنده منه وهو يستخبره عنها مع علمه بأنه فاضحه لأنه العالم بالسرائر . ولما كان التقدير: فانه يعلم ما عمله ١ من كتابه عطف عليه ما هو أعم منه فقال: ﴿وما الله﴾ المحيط بكل شيء قدرة وعلما ٢ ﴿بغافل عما تعملون ه﴾ إشعارا بصيغة المضارع بتأديهم بعد هذا كله على سوء أعمالهم وتحذيرا من مثل ذلك .

ولما لم يدع لهم متمسكا من جهة إبراهيم عليه السلام اتبع ذلك الإشارة على تقدير صحة دعواهم إلى أن الدين دائر مع أمره فى كل زمان لا مع ما قرره لأحد من خلقه فانه لا حجر عليه ولا اعتراض بل له أن يأمر اليوم بأمر وغدا مثلا بضده وأن يفعل ما يشاء من إحكام ونسخ ونسء ١٠ وإنشاء ٢ فقال: ﴿تلك أمة﴾ أى إبراهيم وآله ﴿قد خلت﴾ أى ذهب أنهم على ما زعمتم فقد مضوا وقدم زمانهم فلا ينفعكم إلا ما تستجدونه فى وقتكم هذا بحكم ما تجدد من المنزل المعجز لكافة أهل الأرض أحمرهم

(١) من م وظ، ووقع فى الأصل ومد: ما علمه - مصحقا (٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) من م ومد وظ، وفى الأصل: انشاء (٤) تضمنت الآية معنى التخويف والتهديد وايس ذلك بتكرار لأن ذلك ورد إثرتىء مخالف لما وردت الجمل الأولى بآثره، وإذا كان كذلك فقد اختلف السياق فلا تكرار، بيان ذلك أن الأولى وردت إثر ذكر الأنبياء فتلك إشارة إليهم هم، وهذه وردت عقب أسلاف اليهود والنصارى فالمشار إليهم فقد اختلف الخبر عنه والسياق، والمعنى أنه إذا كان الأنبياء على فضلهم وتقدمهم يجازون بما كسبوا فأنتم أحق بذلك - البحر المحيط ١/ ٤١٦ (ه) فى ظ: يسجدونه .

وأسودهم، [و- ١] يجوز أن يقال: لما كان مضمون ما سبق من إثبات
الأعلية لله وكتابتهم الشهادة ٢ بما عندهم ثبوت ما أخبر به سبحانه على
لسان هذا النبي الكريم من كون أصفياه على دينه ٣ الإسلام فهم برآء منهم
كان المعنى: إن ادعيتهم بهتاً أن العلم جاءكم عن الله بما ادعيتموه قيل: إن
من تدعون ٥ عليه ذلك ٦ من الأنبياء قد انقضت معجزته بموته ٧ وكتابكم ٥
غير مأمون عليه التحريف والتبديل لكونه غير معجز ٨ وهذا النبي الآتي
بالقرآن قائم بين أظهركم وهو يخبركم عن الله بكذب دعواكم ٩، ويؤيد
قوله بالمعجزات التي منها هذا القرآن الذي عجزت العرب كلها عن الإتيان
بسورة من مثله وأنتم كذلك مع مشاركتكم لهم في الفصاحة نظماً ونثراً
واختصاصكم عنهم بالعلم فلزمكم قبوله ١٠ لأنكم لا تستندون في ترويج
كذبكم بعد الجهد إلا إلى من ثبت صدقه بثبوت رسالته، وثبت رسالته
بظهور معجزته، فوجب عليكم قبول أمره، وذلك ينتج قطعاً أنه يجب ١١
عليكم قبول هذا الداعي بهذا القرآن لمثل ١٢ ذلك سواء، وإلا كان قبول
بعض من ثبت له هذا الوصف دون البعض / تحكما واتباعاً للهوى المذموم
في كل شرعة المنعى عليكم بقوله تعالى: " أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى
أنفسكم - الآية " هذا مع أن رد قولكم هذا فيهم أظهر ظاهر من حيث أنه
(١) زيد من م وظ ومد (٢) في م: للشهادة (٣) في م: دين (٤) في ظ:
برأوا - كذا (٥) من م ومد وظ، وفي الأصل: يدعون (٦) قدمه في م ومد
وظ على « عليه » (٧) من م وظ، وفي الأصل: تجب، وفي مد يجب - كذا.
(٨) من م ومد، وفي ظ: بمثل، وفي الأصل: بمثل - كذا.

لا يعقل أن يكون السابق على نسبة اللاحق ١ ما حدثت به إلا بعده
بمُدّد متطاولة، وسيأتى النص الصريح بإبطال ذلك في ال عمران ٣٢ إن شاء الله
تعالى ٣ و الإشارة إلى منابذته للعقل بقوله: " أفلا تعقلون " ليتطابق على
إبطاله صادق النقل : حاكم العقل ، وإلى هذا كله ٤ الإشارة بقوله: " تلك " ٥
امة قد خلت " أى من ٦ قبلكم بدهور ٧ ولا يقبل الإخبار عنهم بعدها
إلا بقاطع، ولا سبيل لكم إليه وقد قام القاطع على مخالفتكم لهم بهذا القرآن ٨
المقطوع بصدقه بأعجازه بما تقدم وبما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت﴾
أى من أعمالها ﴿ولكم ما كسبتم﴾ أى من أعمالكم ، فلا يسألون هم عن
أعمالكم ﴿ولا تسألون﴾ أى أتم ﴿عما كانوا يعملون ٩﴾ .

١٠ . ولما كان ادعاؤهم أن أسلافهم على دينهم لثلاث تنقضى دعواهم

أن الجنة خاصة بهم مع كونه فضولا لا سند له يثبت به شيء محاولة لعدم

(١-١) فى الأصل: شبه اللاحق - كذا، والتصحيح من بقية الأصول (٢) سورة ٣

آية ٦٥ (٣-٣) ليس فى م وظ ومد (٤) زيد فى م : اشارة (٥) ﴿تلك﴾ إشارة إلى

إبراهيم ويعقوب وأبنائهما، ومعنى ﴿خلت﴾ ماتت وانقطعت وصارت إلى الخلاء،

وهو الأرض الذى لا أنيس به، والمخاطب هم اليهود والنصارى الذين ادعوا لإبراهيم

وبنيه اليهودية والنصرانية، والجملة من قوله: ﴿قد خلت﴾ صفة لامة... افتخروا

بأسلافهم، فأخبروا أن أحدا لا ينفع أحدا متقدما كان أو متأخرا، وروى: يا بنى

هاشم! لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم، يا فاطمة! لا أغنى عنك من الله

شيئا - البحر المحيط ٤/١٠٤ و ٤٠٥ (٦) ليس فى مد وظ (٧) ليس فى ظ و م

ومد (٨) فى ظ : اقران - كذا (٩) فى ظ : ينتقض .

جواز النسخ وكان إبطال الله تعالى لقولهم و عيهم بما أحدثوا في دينهم
و تقرعهم به ملزوما لأن يكونوا أباحوا لأنفسهم منه ما منعوا منه
خالقهم و هو لا يسأل عما يفعل كانوا أسفه الناس فعقبه بالتصريح بعيهم
و التعجب منهم في إنكارهم لنسخ القبلة و خفتهم بالاعتراض على ربه
فقال واصلا له^١ بما قبله على وجه أعم: ﴿سَيَقُولُ﴾ إلى آخره، لأنهم ه
إذا لم يكونوا يعلمون حقيقة ذلك فلم يتبعوهم فلا أقل من أن يكفوا عن
عيهم^٢ فكيف وهم عالمون^٣ بأنه الحق! وقال: ﴿السفهاء﴾^٤ ولم يقل:
سيقولون، إظهارا للوصف الذي استخفهم إلى هذا القول الظاهر عواره^٥
لأهل كل دين^٦؛ و السفه الذي يعمل بغير دليل، إما بأن لا يلتفت إلى
دليل فلا يتوقف إلى أن^٧ يلوح له بل يتبع هواه، أو^٨ يرى غير الدليل ١٠

(١) ليس في مد (٢) في م و ظ: غيبتهم (٣) في متن م: يعلمون، و بهامشه:
عالمون (٤) ﴿السفهاء من الناس﴾ هم اليهود ﴿ما ولهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها﴾ فقال الله ﴿قل لله المشرق و المغرب﴾ الآية (و مناسبة هذه الآية)
لما قبلها أن اليهود و النصارى قالوا: إن إبراهيم و من ذكر معه كانوا يهود
أو نصارى، ذكروا ذلك طعنا في الإسلام، لأن النسخ عند اليهود باطل فقالوا:
الانتقال عن قبلتنا باطل و سفه، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله: ﴿قل لله
المشرق و المغرب﴾ الآية، فبين ما كان هداية و ما كان سفها - البحر المحيط
٤١٩/١ (٥) في م: عواره (٦) العبارة من هنا إلى «دليلا» ليست في ظ (٧) زيد
في الأصل فقط «لا»، و لم تكن الزيادة في بقية الأصول لخدفتها (٨) في م: و.

دليلاً ، و أكد الوصف بالطيش بقوله : ﴿ من الناس ﴾ المأخوذ من
النوس وهو التحرك ، دون أن يقول : من أهل الكتاب ، أو بنى إسرائيل -
و انحو ذلك تصريحاً بذهمهم وتعميماً لكل من مالا هم على ذلك
﴿ ما واللهم ﴾ ولم يقولوا ٢ : مَن ، زيادة في الأذى بالاحتقار ﴿ عن
قبلتهم ﴾ . قال الحرالي : القبلة ما تجعل ٣ قبالة الوجه ، والقبل ما أقبل
من الجسد في مقابلة الدبر لما أدبر منه ٤ ﴿ التي كانوا عليها ﴾ ٥ أى بيت
المقدس ، ولعله ترك الإفصاح ليصلح ذلك لإرادة الكعبة أيضاً ليصير
المعنى : إن كانوا انتقلوا ٦ عن الكعبة بأمر الله فهم مبطلون في رجوعهم
و إلا فهم في كل حال أتباع الهوى ؛ و في ذلك إشارة إلى أنه لما انقطعت
١٠ حججهم ألقوا هذه الشبهة إلى من اختدعوه من المنافقين ولم يقدرُوا
أن يواجهوا بها أحداً من الثابتى الإيمان ، كما قالوا فيما تقدم : ” كونوا
هودا أو نصارى “ و نحوه علما منهم بأن المحاج لهم عن المؤمنين من له
الحجة البالغة ؛ و لذا جاء جوابهم ٧ بقوله : ﴿ قل ﴾ خالياً عن خطاب
لا كما مضى في قوله : ” قل اتخذتم عند الله عهداً “ ” قل هاتوا برهانكم “

(١) في م : او (٢) في ظ : لم يقل (٣) في م و مد و ظ : يجعل - كذا (٤) في
م : عنه . و في البحر المحيط ١/ ٤١٨ : القبلة الجهة التي يستقبلها الإنسان وهي من
المقابلة ، وقال قطرب : يقولون في كلامهم : ليس له قبلة ، أى جهة يأوى إليها ،
وقال غيره : إذا تقابل رجلان فكل واحد منهما قبلة لآخر (٥) العبارة من هنا
إلى « اتباع الهوى » ليست في ظ (٦) في م : ينتقلوا (٧) زيد بعده في م و مد :
استثناها لجواب من يقول فما تقول : لهم إذا قالوا ذلك .

ونحوه ؛ وساق سبحانه الإخبار عنهم بذلك على طريق هو من أعلام النبوة و دلائل الرسالة ؛ فانه إخبار عما سيكون من الأعداء ، فكان منهم على وفق الخبر ؛ ولم يقدرُوا مع شدة عداوتهم واجتهادهم في القبح بأدنى شبهة في التكذيب على تكذيبه بالكف عن ذلك ؛ هذا مع توطئة ١ لذلك فيما سلف في خمسة مواضع : تحريفهم لكلام الله ، ٥ وإيقاعه النسخ ٢ واستدلاله على حسن فعله ، وإخباره بظلم مانع المسجد ، وإخباره بأنه لا يختص به جهة دون أخرى ، وذكره بناء البيت وما أمر به من تعظيمه واتخاذ مصلى ؛ ٣ مع ما في ذلك من توطئ نفوس أهل الإسلام وإكرامهم بتعليم الجواب قبل الحاجة . ليكون أقطع للخصم وأكسر لشوكته وأردّ لشغبه . ١٠ وتسميتهم ١٠

(١) في م : توطئته (٢) في ظ : انسخ (٣) العبارة من هنا إلى « لشغبه » ليست في ظ (٤) في مد : واردا (٥) من م ، وفي الأصل : لشعبه ، وفي مد : سعيه . (٦) و ﴿ سيقول ﴾ ظاهر في الاستقبال وأنه إخبار من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه يصدر منهم هذا القول في المستقبل وذلك قبل أن يؤمروا باستقبال الكعبة ، وتكون هذه الآية مقدمة في النزول على الآية المتضمنة الأمر باستقبال الكعبة ، فتكون من باب الإخبار بالشيء قبل وقوعه ، ليكون ذلك معجزا إذا هو إخبار بالغيب ولتوطن النفس على ما يرد من الأعداء وتستعد له فيكون أقل تأثيرا منه إذا جاء ولم يتقدم به علم ، ويكون الجواب مستعدا لمنكر ذلك وهو قوله : ﴿ فله المشرق والمغرب ﴾ وإلى هذا القول ذهب الزمخشري وغيره ، وذهب قوم إلى أنها مقدمة في التلاوة متأخرة في النزول وأنه نزل ﴿ قد نرى قلب وجهك ﴾ الآية ، ثم نزل ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ نص على ذلك ابن عباس وغيره - البحر المحيط ٤١٩/١ .

سفهاء ناظر إلى قوله فيما مضى عن نفاق منهم و من غيرهم "الا انهم هم السفهاء"، لانهم وإن كانوا مصارحين بالكفر فاسم النفاق منطبق عليه من جهة أخرى وهو أنهم أظهروا الكفر وأبطنوا معرفة الإيمان، أظهروا التكذيب وأبطنوا ما هم عارفون به من صدقه، وأيضا ٥ فاذا كان المنافقون الذين أظهروا حسنا سفهاء لما أبطنوه من القبيح فالذين عمهم القبح ظاهرا و باطنا أسفه ٢؛ وإلى قوله قريبا "و من يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه" لما تقرر من مخالفتهم له و إن ادعوا الموافقه . و قال : ﴿ الله ﴾ ٣ أى الملك المحيط بكل شئ عظمة و علما ٣ ﴿ المشرق و المغرب ﴾ مخصصا لها لكونها بمعنى الآفاق كما مضى فلا تختص ١٠ بالوجهة إليه جهة دون أخرى فإمر به فهو الحق .

و لما قرر أن الجهات / كلها بالنسبة إليه سواء لأنها ملكه ، على أن من توجه إلى شئ منها بأمره أصاب رضاه* و ذلك هو الوصول إليه فعبّر عن ذلك مستأقبا بقوله ١ معظما لأهل ٢ الإسلام و معرفا بعنايته بهم* :

(١) في ظ : هم (٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : السفه . والسفه أصله الخفة يوصف به الجماد ، قالوا : ثوب سفيف أى خفيف النسيج والهللة ، و رمح سفيف أى خفيف سريع النفوذ ، و يوصف به الحيوانات غير الناس ، فلو اقتصر لاحتمل الناس وغيرهم ، لأن القول ينسب إلى الناس حقيقة وإلى غيرهم مجازا ، فارتفع المجاز بقوله : ﴿ من الناس ﴾ البحر المحيط ١ / ٢٠ (٣ - ٣) ليست في ظ (٤) ليس في م ، وفي مد : علم (٥) في ظ : برضاه (٦) العبارة من هنا إلى «بهم» ليست في ظ . (٧) في م : باهل (٨) قال المصنف : ﴿ لله المشرق والمغرب ﴾ أى الجهات كلها ، فله أن يولى عباده إلى أى جهة شاء لينضبط بها ظاهرهم فينضبط باطنهم لعلاقة بينهما مع =

{ يهدي من يشاء } أى من عباده ، ' و عظم الكعبة بقوله ' : { الى صراط مستقيم } فى أى جهة كانت ، ففى سلكه وصل ' الى المقصود ' من غير ضلال ، و نكره لأن المراد به جزئيات من الشريعة ؛ و أما الصراط المعروف فى الفاتحة فالمراد به الشريعة كلها بما دلت عليه وال ' من الكمال .

و لما بين استقامة القبلة التى وجههم إليها عرف أنها وسط لا جور = اجتماع الخلائق إلى جهة واحدة ليتفق بواطنهم فى استفاضة الأنوار و له أثر عظيم ، لذلك شرعت الجماعة فى الصلاة ليتفق أهل محلة و وجبت فى الجمعة ليتفق أهل بلد و وجب الحج ليتفق أهل الآفاق ، و لا يتأتى تعيين الجهة إلا بأمر سماوى نفص إبراهيم عليه السلام بأكل الجهات و هى الكعبة لأنها المبدأ الترابى للإنسان إذ بسطت الأرض من تحتها ، فإذا توجه إليه الظاهر توجه الباطن إلى مبدئية جناب الحق ، و قد كان فيها الدرة المحمدية أجابت الحق من الأرض و ما قابها من السماء " إذ قال لها و لا أرض اثتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين " ؛ ثم جعلت لليهود صحرة بينت المقدس لأن منها عروج بعض الأنبياء إلى السماء ، فالتوجه إليها مشعر بمعراج الصلاة ، ثم جعلنا لمحمد صلى الله عليه وسلم ليكون جامعاً بفعلة له الكعبة أولاً لكمال نشأته ، ثم جعلت له الصخرة بعد تحقق معراج يزيداد عروجا حين تحول إلى المدينة فصلى إليها ستة عشر شهراً يتألف بها اليهود ، ثم عاد إلى الكعبة لأن النهاية فى الرجوع إلى البداية فكانت غاية الكمال لأن توجه الظاهر إليها لما استازم توجه الباطن إلى الحق لم يكن ثمة مسافة و المعراج يشعر بالمسافة و هى إنما تعتبر فى حق البعداء فلذلك قال عز و جل { يهدي من يشاء الى صراط مستقيم } .

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى م : الى .

فيها فاتبع ذلك قوله: ﴿و كذلك﴾ أى ومثل ما جعلنا قبلكم وسطا لأنها إلى البيت العتيق الذى هو وسط الأرض وهو بناء إبراهيم عليه السلام الذى هو أوسط الأنبياء وهو مع ذلك خيار البيوت فهو وسط بكل معنى ﴿جعلناكم﴾ بالهداية إليه فى الاستقبال وإلى غيره مما نأمركم به ﴿أمة﴾. قال الحرايلى: من الأم وهو تتبع الجملة والعدد بعضها لبعض إلى أن ينتهى^١ لإمام أول^٢، فالإمام والأمة كالتقابلين، الإمام قاصد أمما، والأمة قاصدة إمامها الذى هو أممها، والإمام مابين اليمين بمشهد الحس وسيل القصد - انتهى^٣. ﴿وسطا﴾ أى شريفة^٤ خيارا^٥، لأن الوسط العدل الذى نسبة الجوانب كلها إليه سواء، فهو خيار الشيء. قال أبو تمام^٦ الطائى:

كانت هى الوسط^٧ المحمى فاكنت^٨ بها الحوادث^٩ حتى أصبحت طرفا^{١٠}

(١) فى م: تنتهى (٢) ليس فى م (٣) زيد فى م ومد: والأهم القرب والسير والبين من الأمر والقصد الوسط (٤) من م ومد وظ، وفى الأصل: سرهه - كذا (٥) فى م فقط: خيار. وفى البحر المحيط ٤١٨/١: الوسط لما بين الطرفين وصف به فأطلق على الخيار من الشيء لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل ولكونه اسما كان للواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد... وسط الوادى خير موضع فيه وأكثره كلاء وماء، ويقال: فلان من أوسط قومه وإنه واسطة قومه ووسط قومه، أى من خيارهم وأهل الحسب فيهم؛ وقال زهير:

وهم وسط يرضى الأنام بحكمهم اذا نزلت إحدى الليالى بمعظم

وقد وسط وسطة ووساطة (٦-٦) ليس فى ظ (٧-٧) كذا فى الأصول، وفى ديوان أبي تمام ص ٢٠٤: المتنوع فاستلبت (٨-٨) كذا، وفى الديوان: ماحولها الخيل (٩) من م ومد وظ، وفى الأصل: طرفان - كذا.

و سالك^١ الوسط من الطريق محفوظ من الغلط، ومتى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع في الضلال عن القصد؛ ففي هذا أنهم لما ادعوا الخصوصية كذبوا و ردت حججهم^٢ ثم أثبتت الخصوصية لهذه الأمة^٣؛ والوسط بالتحريك اسم لعين ما بين طرفي الشيء كمرکز الدائرة، وبالسكون اسم مبهم لداخل الدائرة مثلاً، وكذا^٤ كان ظرفاً، فالأول يجعل مبتدأً وفاعلاً هـ و مفعولاً به، ولا يصح شيء من هذا في الساكن - قاله الأصهباني .
ومادة وسط مهموزة و غير مهموزة واوية و يائية بتركيها الواحد عشر: وسط، وطس، سوط، سطو، طوس^٥، طسو، طيس^٥، طسى، [سيط -^٦]
سطاً، طساً، تدور على العدل السواء الذي نسبته إلى كل جانب على التساوي، و يلزم أن يكون أعلى من غيره، لأن أكثر^٧ المخلوقات ١٠ كُرى، و كل ما كان في وسط الكرة كان أعلى، و لأن كل جزء بعد الوسط إذا نسبته إلى الطرف الذي يليه كان ما بينه وبينه أقل مما^٨ بينه وبين الوسط؛ و يلزم [العدل الجوده و يلزم -^٩] العلو الغلبة والسطوة والكثرة والشدة، وقد يلزم العلو الاضطراب فيأتي الاختلاط والاقطاع والضعف؛ فن الأصل الوسط من كل شيء ١٥ أعدله، ووسط الشيء ما بين طرفيه، فإذا سكنت السين كان ظرفاً

(١) وقع في ظ: مالك - مصحفاً (٢) في م: حجته (٣) العبارة من هنا إلى «الأصهباني» ليست في ظ (٤) في م ومد: لذا (٥) ليس في ظ (٦) زيد من م ومد، وقد سقط من بقية الأصول (٧) في مد: ما (٨) زيد من م وظ ومد.

أو هو فيما هو مصمت فإذا كانت أجزاؤه متخلصة متباينة فبالإسكان،
 ووسطه قطعه نصفين، وتوسط بينهم عمل الوساطة^١ وأخذ الوسط
 بين الرديء والجيد، ووسط القوم^٢ وتوسطهم وهو وسط فيهم
 أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا وهو المتوسط بين القوم، واسطة
 ٥ الرجل ما بين قادمته وآخريته، وأوطاس^٣ واد بديار هوازن^٤ لما
 وصفه به دريد بن الصمة من أنه لا حزن ضرر ولا سهل دهس^٥،
 أى يثقل المشى فيه بكونه شبه الرمل وما هو برمل ولا تراب. ومن
 الجودة وهي^٦ ملزومة للحسن الوسط الباب، والصلاة الوسطى أفضل
 الصلوات، والطاير^٧ طائر حسن، والجميل من الرجال والفضة،
 ١٠ والأرض المخضرة فيها كل ضرب من الثبت، والمطوس كعظم
 الشيء الحسن، والطوس بالفتح القمر وحسن الوجه ونضارته بعد
 علة، وتطوست المرأة تزيت، وطواس كسحاب ليلة من ليالى المحاق
 كأنه من باب الإزالة أو بالنظر إلى أن التجوم فى شدة الظلام أحسن.
 ومن العلو: سطا الفرس أبعد الخطو^٨، والساطى الفرس البعيد
 ١٥ الخطوة والذي يرفع ذنبه فى حضره، والطويل، واسط الكور

(١) فى مد: الوسائط (٢) ليس فى ظ (٣) فى م: اوساط - كذا (٤) فى م:
 موازن - كذا (٥) من مد وظ، وفى الأصل وم: دهش - كذا بالعجمة.
 (٦) فى ظ: هو (٧) فى م وظ: الخطوة.

مقدمه^١ . ومن الشدة والغلبة: صار الماء وسيطه^٢ غلب على الطين،
وسطا عليه وبه صال أو قهر بالبطش^٣، والراعى على الناقة أدخل
يده فى رحما ليخرج ما فيها من ماء الفحل^٤، والفرس ركب رأسه،
وساطاه شدد عليه؛ والساطى الفحل المغتم يخرج من إبل إلى إبل،
وسطاها مهموزا كنع جامعها؛ والوطس كالوعد الضرب الشديد ه
والكسر، والوطيس التور وحرّ الحرب، والوطيسة شدة الأمر،
وككتّاب^٥ الراعى، وتواطسوا على أى تواطحوا أى تداولوا
الشر^٦ بينهم، والموج تلاطم، وأوطاس واد بديار هوازن^٧ لأنه
أشد مما هو رمل صرف، والسوط^٨ الذى يضرب به والشدة
والضرب، / والمسواط فرس لا يعطى حضره^٩ إلا بالسوط، ١٠ / ١٣٤
والسياط قضبان الكراب الذى عليه دمالقه أى عراجينه والكراب
أصول السعف الغلاظ العراض، وسوط أخرج ذلك؛ والطوس
بالفتح الوطء وبالضم دوام الشيء ودواء يشرب للحفظ، وطواس
كسحاب ليلة من ليلى المحاق، وما أدرى أين طوس به أى ذهب به^{١٠}؛

(١) من م ومد وظ، وفى الأصل: مقدمة (٢) وقع فى الأصل: وشيطة،
والتصحيح من بقية الأصول (٣) وقع فى الأصل: بالطش، والتصحيح من
بقية الأصول (٤) فى م: العجل (ه) أى الوطاس، وفى مد: لكتاب - كذا .
(٦) فى مد: السر (٧) زيد فى ظ «و» (٨) فى ظ: الصوط (٩) فى م وظ
ومد: خضره (١٠) ليس فى ظ .

و طسى كرضى طسا غلب الدسم ١ على قلبه فاتخم كطسا أى واويا ٢ ؛
 وطسى مهموزا أيضا كفرح و جمع طسأ و طساء فهو طسىء اتخم
 أو تغير من أكل الدسم ١ ، و أطساء الشبع و نفسى ٢ طاسة و يدخل
 هذا فى الاضطراب و الاختلاط و الضعف . و من الكثرة الوسط
 ٥ و هى الناقة تملأ الاناء و يدخل فى الجيد . و الطيس العدد الكثير ،
 و كل ما فى وجه الأرض من تراب و قيام أو خلق كثير النسل
 كالذباب و النمل و الهوام أو دقاق التراب كالطيسل ٤ فى الكل ٥ و كثرة
 كل شىء من الرمل و الماء و غيرهما ؛ و سطا ٥ الماء كثر ٦ ؛ و السويطاء
 مرقة كثيرة الماء . و من الاختلاط [سياط ككتاب مغن مشهور ؛ و - ٧]
 ١٠ سطا الطعام ذاقه ؛ و الساطى ٨ الفحل المغتم يخرج من إبل إلى إبل ؛
 و سطا الراعى على الناقة أدخل يده فى رحمها ليخرج ما فيها ٩ من ماء
 الفحل ؛ و السوط ١٠ الذى يضرب به و الخلط و الضرب ، و السياط
 قضبان الكراب الذى عليه دماليقه ، و سوط باطل ضوء يخرج ١١ من
 الكوة ، و سطت الشىء بالسوط ضربته به ، و السوط أيضا ما يخلط
 ١٥ به كالسواط و ولد لإبليس ، و المسواط فرس لا يعطى حُضره

(١) ليس فى ظ (٢) فى الأصل : راويا - كذا ، و التصحيح من بقية الأصول .
 (٣) فى م : نفى - كذا (٤-٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ : وسط (٦) فى مد :
 أكثر (٧) زيد من م و مد (٨) فى الأصل : الشاطى ، و التصحيح من بقية
 الأصول (٩) فى م : فيه (١٠) فى الأصل : الشوط - كذا بالشين المعجمة ،
 و التصحيح من بقية الأصول (١١) فى م و مد : يدخل .

إلا بالسوط ، واستوط أمره اضطرب^١ واختلط ، وأمواهم
سويطة^٢ بينهم مختلطة^٣ ، والطوس بالضم دواء يشرب للحفظ ،
والطاووس طائر والارض المخضرة فيها كل ضرب من الثبت . ومن
الاقطاع الطاس أى الإناء يشرب فيه . والسوط النصيب والفضلة
من الغدير . ومن الضعف الوسط من بيوت الشعراء وهو أصغرها ، ه
وطسأ كمنع مهموزا استحي^٤ .

ولما أثبت لهم الوسط الذى^٥ من حمله كان جديرا بأن لا يخفى
عليه شيء^٦ من الجوانب واستلزم ذلك كونه خيارا قال : ﴿ لتكونوا ﴾
أى أنتم لا غيركم ﴿ شهداء ﴾^٧ كما أفاده التعبير^٨ بهذا^٩ دون أن
يقال : لتشهدوا ، وقال : ﴿ على الناس ﴾ أى كافة . ولما كان الرسول ١٠
صلى الله عليه وسلم أوسطهم قال : ﴿ ويكون الرسول ﴾ أى^{١١} لا
غيره بما اقتضاه اختصاصه بكونه وسط الوسط ﴿ عليكم ﴾ خاصة^{١٢}
﴿ شهداء ﴾ بأنكم تابعتموه وصدقتموه فكنتم خير أمة أخرجت للناس ،

(١) فى ظ : الضرب (٢) فى الأصل : شويطة ، والتصحيح من بقية الأصول .
(٣) من مد ، وفى م و ظ : مختاطه ، وفى الأصل : مغلطه (٤) فى الأصل :
استحيء ، والتصحيح من بقية الأصول ، وزيدت بعده فى ظ و مد : وسيأتى
إن شاء الله تعالى فى قول لقمان عليه السلام "يبنى اقم الصلوة" (ه) ليس فى ظ .
(٦) ليس فى م (٧) زيد فى م و ظ و مد : أى بالفعل بما أهلكم له [وحققكم -
زيد من م و مد] به بما أنالكم من التمكن (فى ظ فقط : الشكر) فى رتبة الوسط
الجامعة للعلو [والخير - زيد من ظ] المقتضيين [للقبول - زيد من مد فقط]
بالعلم والثقة (٨ - ٨) ليست فى م .

و بأنه قد بلغكم مدة حياته، فلما مات خلف فيكم كتابا معجزا متواترا لا يفصله الماء ولا تحرقه النار، لأنه محفوظ في الصدور متلو بالأسن إلى أن يأتي أمر الله، ولذلك عبر بأداة الاستعلاء^١ فافهم صوغ الكلام هكذا: إنهم^٢ حازوا شرفين أنه لا يشهد عليهم^٣ إلا الرسول،^٤ وأنه لا يحتاج في الشهادة على سائر الأمم إلى غير شهادتهم دفعا لتوهم أن غيرهم يشهد عليهم كما شهدوا هم عليهم، وتوهم أن غيرهم لا يكتفى^٥ في الشهادة عليه إلا بشهادة الرسول كما لم يكتف فيهم إلا بذلك.

ولما أعلم بما "سيقول السفهاء" و علم جوابهم وبين سر التحويل بين علة التوجيه^٥ إلى قبلتين بقوله: ﴿وما جعلنا﴾^٦ أى بعظمتنا^{١٠} التي لا يقاومها أحد^٦ ﴿القبلة﴾ قال الحرالي: في جملة إنباء بأن القبلة مجعولة أى مصيرة عن حقيقة وراءها^٧ ابتلاء بتقليب^٨ الأحكام

(١) وفي بحر المحيط ٤٢٢/١: ولما كان الشهيد كالرفيق على المشهود له جىء بكلمة «على» وتأخر حرف الجر في قوله: ﴿على الناس﴾ عما يتعلق به، جاء ذلك على الأصل إذ العامل أصله أن يتقدم على المفعول، وأما في قوله: ﴿عليكم شهيدا﴾ فتقدمه من باب الانساع في الكلام للفصاحة، ولأن «شهيدا» أشبه بالفواصل والمقاطع من قوله: «عليكم» فكان قوله «شهيدا» تمام الجملة ومقطعها دون عليكم (٢) في م فقط: كأنهم (٣) في مد: عليكم (٤) من م وظ ومـد، وفي الأصل: يكفي (٥) في الأصل: الترخية، والتصحيح من بقية الأصول. (٦-٧) ليست في ظ (٧) زيد في الأصل وم: «و»، ولم تكن الزيادة في مد وظ فخذناها (٨) وقع في الأصل: بتلقيب - كذا مصحفا، والتصحيح من بقية الأصول.

ليكون تعلق القلب بالله الحكيم لا بالعمل المحكم، فالوجهة^١ الظاهرة
 ليكون ذلك علما على المتبع عن صدق فيثب عند قلب^٢ الأحكام بما
 فى ٣ قلبه من صدق التعلق بالله والتوجه له أيا ما وجهه، وعلى
 المحجب عن غرض ظاهر ليس يسند صدق باطن فيتعلق من الظاهر
 بما لا يثبت عند تغييره - انتهى^٤. وبين أنها الأولى بقوله: ﴿التي كنت هـ
 عليها﴾ وبين أن العلة التمييز بين الناس بقوله: ﴿الا لنعلم﴾ أى بما لنا
 من العظمة بالجنود والرسول وغيرهم حين وجود الأمر بالتحول عنها
 ﴿من يتبع الرسول﴾ فى كل ما يأمر به اتباعا دالا على تمكن إيمانه
 ﴿من ينقلب أى يرتد^٥ [فيدبر - ٦] بعد إقباله متنكسا﴾ إلى عقبيه
 علما متعلقا بموجود تقوم به الحججة فى مجارى عاداتكم، والعقب مؤخر ١٠
 القدم. وقال الخرايى: لنجعل علما ظاهرا على الصادق وغيره يشمل
 العلم به من علم الغيب قبل كونه وبعد كونه، ومن لم يعلم الغيب إلا
 عن علم بما ينبئ عنه نون الاستبعا فهذا وجهه^٧ ووجه ما يرد من
 نحوه فى القرآن والسنة - انتهى.

ثم بين^٨ شدتها على من أخذ إلى العادة^٩ لقلبة القوة الحيوانية ١٥
 البهيمية ولم يتمرن فى^{١٠} الانقياد للأوامر الإلهية على خلع الإلف وذل
 (١) فى م وظ ومد: والوجهة (٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: يقلب -
 كذا (٣) ليس فى ظ (٤) ليس فى مد (٥) من م ومد وظ، وفى الأصل:
 يريد (٦) زيد من م وظ (٧) من م ومد وظ، وفى الأصل: وجهه.
 (٨) ليس فى م (٩) فى مد: العبادة - كذا.

النفس فقال: ﴿ وان كانت ﴾ أى الجعلة / ﴿ لكبيرة ﴾ ١ أى ثقيلة شاقة جدا ١ لأن مفارقة الإلف بعد طمأنينة النفس إليه أمر شاق جدا. ثم استثنى من أيده سبحانه روح منه و سكبنة فقال: ﴿ الا على الذين هدى الله ﴾ أى خلق ٢ الذى له الأمر كله ٢ الهداية فى قلوبهم فانقادوا ٥ لما هدهم إليه بنصب الأدلة .

ولما كان قبولهم لهذا الأمر و ثباتهم ٣ عند تغير الأحكام إنما كان عن إيمان وعلم محيط جعل الله عز وجل أعمالهم و توجههم للقبلة الأولى من الإيمان فقال: ﴿ وما كان الله ﴾ الذى له الكمال المطلق ' ﴿ لبضيع ﴾ قال الحرالى: مما منه الضياع و الضيعة و هو التفريط ١٠. فيما له غناء و ثمرة إلى أن لا يكون له غناء و لا ثمرة ﴿ ايمانكم ﴾ أى المصرح به فى قولكم: "أنا بالله" المشار إلى صدق الدعوى فيه بقولكم: "ونحن له مخلصون" فى شيء من الأشياء لا فى صلاتكم إلى القبلة الأولى، و لا فى تمييز الصادق منكم من المنافق بالامتحان بتغيير الأحكام من القبلة وغيرها و لا فى اختصاصكم به سبحانه دون أهل

(١-١) ليست فى ظ . وقال المهاشمى: أى وان تلك القبلة كانت ثقيلة على أرباب النظر لما فيها من الانتقال من الأعلى إلى الأسفل ﴿ الا على الذين هدى الله ﴾ للحكمة الإلهية فى تأليف اليهود فأن هداهم يجبر نقصها (٢-٢) ليست فى ظ . (٣) من م و ظ و مد، وفى الأصل: تباعدهم (٤) أضاع الرجل الشيء أهمله ولم يحفظه، والهزمة فيه للنقل من ضاع يضيع ضياعا، وضاع المسك يضيع: فاح - البحر المحيط ١ / ٤١٨ .

الكتاب الجاحدين لآياته الناكين عن مرضاته الناكين لعهوده .

ولما نزه نفسه المقدسة عن جميع^١ هذه الإضاعة علل ذلك بما هو أعم فقال^٢ ﴿ ان الله ﴾^٣ أى المحيط بجميع صفات الكمال^٤ ﴿ بالناس ﴾ أى الذين هم أعم من المؤمنين وغيرهم ممن ينوسون بين حال الهدى والفتنة ﴿ لرؤوف ﴾ أى فيرحم من يشاء ممن توصل إليه بعمل صالح رأفة^٥ منه به ، فان الرأفة كما قال الحرالى فى التفسير عطف العاطف على من [لم -^٦] يجد عنده منه وصلة ، فهى رحمة ذى الصلة بالراحم ، قال : والرحمة تعم من لا صلة له بالراحم ، وقال فى شرح الاسماء : إن المرؤف به تقيمه عناية الرأفة حتى تحفظ^٧ بمسراها^٨ فى سره ظهور ما يُستدعى العفو لأجله على^٩ علنه - انتهى . وذلك مقتضى لكونها^{١٠} أشد الرحمة وأبلغها وأطفها كما قالوه^{١١} ﴿ رحيم ﴾^{١٢} لمن يشاء^{١٣}

(١) ليس فى م وظ ومد (٢) ختم هذه الآية بهذه الجملة ظاهر وهى جارية مجرى التعليل لما قبلها أى للطف رأفته وسعة رحمته نقلكم من شرع إلى شرع أصلح لكم وأنفع فى الدين ، أو لم يجعل لها مشقة على الذين هداهم ، أو لا يضيع إيمان من آمن ؛ وهذا الأخير أظهر - البحر المحيط ٤٢٧/١ (٣-٣) ليست فى ظ . (٤) زيد من م (٥) فى ظ : يحفظ (٦) من م ومد وظ ، وفى الأصل : لمسراها . (٧) فى البحر المحيط ٤٢٧/١ : وقال القشيرى : من نظر الأمر بعين التفرقة كبر عليه أمر التحويل ، ومن نظر بعين الحقيقة ظهر لبصيرته وجه الصواب ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أى من كان مع الله فى جميع الأحوال على قلب واحد فالمختلفات من الأحوال له واحدة فسواء عبر أو قرر أو أنبت =

و لو لم يكن منه سعى في الوصلة فتقتله من ذنوبه اقتلاعا أشد ما كان بها
 اعتلاقا فتقيمه فيما ترضاه^١ الإلهية وذلك مع موافقته لما قاله العلماء
 ترق من العالى^٢ إلى الأعلى، فان رحمة من لا سبب منه تقتضى العطف
 عليه أبلغ في نوعها من حيث كونها ابتداء و الأولى أبلغ في نفسها
 ٥ لما اقتضاها من السبب؛ فان كان المراد بالناس العرب فهو بشارة له
 صلى الله عليه وسلم بأنه يقر عينه بجعلهم^٣ من حوزبه بالثبوت لمن كان
 إذ ذاك مقبلا و الإقبال لمن كان مدبرا. وإن كان المراد أعم منهم
 فهو بشارة باتباع أكثر الخلائق له صلى الله عليه وسلم،^٤ فاذا نزل عيسى
 عليه السلام وقع العموم الحقيقي في الطريق المحمدى باتباع الكل له
 ١٠ صلى الله عليه وسلم^٥ و الله أعلم^٦؛ و يجوز أن يكون تعليلا للكلام
 من أوله فيكون المعنى أن صفتي رأفته^٧ و رحمته مقتضيتان للتمييز بين
 المؤمنين و غيرهم للعدل بين الناس، لأن تسوية المصلح بالمفسد
 يؤلم المصلح^٨ و سيأتى إن شاء الله تعالى في آخر براءة ما ينفع
 استحضاره هنا^٩.

١٥ ولما أشعر الكلام السابق أهل البلاغة باحداث أمر في القبة

= أو بدل أو حقق أو حوّل فهم به له في جميع الأحوال - قال قائلهم:

حيثما دارت الزجاجة درة يحسب الجاهلون أنا جننا

(٨-٨) ليست في م.

(١) من م و مد و ظ، وفي الأصل: رضا (٢) في م: المعالى (٣) في م و ظ

و مد: يجعلهم (٤-٤) ليست في م (٥-٥) ليست في مد (٦) في م: رحمته -

كذا.

فتوقوا الخبر عن ذلك وبين رأفه ورحمته بالناس عموماً بين ذلك برسوله خصوصاً بأن تحويله إلى الكعبة رأفة منه به ورحمة له مع ما تقدم من فوائده فقال تعالى: ﴿قد نرى قلباً وجهك﴾ قال الحرالي: فيه نبأ إسماع لمن يرتقب أمراً أو خبراً يفيد مع المستقبل ندرة الوقوع، ففيه إعلام بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما انطوى ضميره ٥ على إرادة التوجه للكعبة أتى هي قيام للناس حين كان هو ٢ رسولا لكافة الناس وكان ٣ صلى الله عليه وسلم على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام يكتفى بعلم الله به عن مسأله. لأن الدعاء للطالين قضاء حاجة وللكفنين بعلم الله عبادة أجاب الله قلب وجهه على قلة وقوع ذلك منه على ما تشعر به «قد» بالتقليل للقلب وللرؤية ﴿في السماء﴾ فيه إعلام ١٠ بما جعله من اختصاص السماء ٣ بوجه الداعي، كما اختص غيب القلوب بوجهة المصلى، فالمصلى يرجع إلى غيب قلبه ولا يرفع طرفه إلى السماء وليتخير أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لتخطفن أبصارهم، والداعي يتوجه إلى السماء ويمد يديه كما قال: «حتى رأينا عفرة إبطيه» - انتهى ملخصاً. ﴿فلنولينك﴾ أى قدسب عن تلك ١٥

(١) القلب التردد وهو للطاوعة قلبه فتقلب، واختص القلب بالسماء

لأن السماء جهة تعود منها الرحمة كالطر والأنوار والوحي، فهم يجعلون رغبتهم حيث توالى النعم، ولأن السماء قبله الدعاء، ولأنه كان ينتظر جبريل

وكان ينزل من السماء - البحر المحيط ١/ ٤٢٨ (٢) ليس في م (٣) زيد في ظ:

النبي (٤) زيد في م: إلى السماء - مكرراً .

الرؤية أنا نوليك^١ من غير شك ﴿قبة﴾ قال الحرالي: نكّرها لما كان من ورائها قبة التوجه العام في^٢ تنقله، فتلك^٣ هي القبة التي هي^٤ توجه لوجه الله لا توجه لمنظر؛ باد من خلق الله، فكان متسع القبة ما بين اختصاص / القبة الشامية إلى قيام القبة الحجازية إلى إحاطة القبة العامة الآفاقية^٥؛ وفي قوله: ﴿ترضئها﴾ إنباء باقراره للتوجه لهذه القبة، لأن الرضى وصف المقر لما يريد، فكل واقع بارادة لا يكون رضى^٦ إلى أن يستدركه الإقرار، فان تعقبه الرفع والتغيير فهو مراد غير مرضى - انتهى. ودل على أن مرضيه^٧ الكعبة بفاء السبب في قوله: ﴿فول وجهك﴾، وأما قلبك فانما توجهه^٨ إلى الله، الغيب

/ ١٣٦

(١) زيد في م ومد: اى تبعك ونوجهك (٢-٢) من ظ ومد، وفي م: توجهه فتلك، وفي الأصل: منقله قبلك (٣) ليس في م (٤) في مد: لنظر. (٥) وقال أبوحيان الأندلسي في البحر المحيط ٤٢٨/١: وجاء الوعد قبل الأمر لفرح النفس بالإجابة ثم بانجاز الوعد فيتوالى السرور مرتين، ولأن بلوغ المطلوب بعد الوعد به أنس في التوصل من مفاجأة وقوع المطلوب. ونكر القبة لأنه لم يجر قبلها ما يقتضى أن تكون معهودة فتعرف بالألف واللام، وليس في اللفظ ما يدل على أنه كان يطلب باللفظ قبة معينة، و وصفها بأنها مرضية له لتقربها من التعيين لأن متعلق الرضا هو القلب وهو كان يؤثر أن تكون الكعبة وإن كان لا يصرح بذلك (٦) في الأصل وظ: مرضية، والتصحيح من م ومد (٧) في الأصل: توجه، والتصحيح من بقية الأصول.

للغيب و الظاهر للظاهر ، (شطر) ' أى عين (المسجد) كما استدل
 الشافعى ' رحمه الله ' ٣ فى الرسالة ٢ على ذلك بجملة من أشعار العرب -
 وقال : ' وهذا كله من أشعارهم يبين * أن شطر الشيء قصد عين الشيء ،
 إذا كان معانيها فبالصواب وإن كان مغيباً فبالاجتهاد ' (الحرام)
 و تعبيره بهذا دون الكعبة فيه توسعة . قال الحزالى : سماه الله حراما ه
 لحرمة حيث لم يوطأ قط إلا بأذنه ولم يدخل إلا دخول تعبد و ذلة
 فكان حراما على من يدخله دخول متكبر أو متحير ٦ - انتهى .
 [وعن الإمام الماوردى أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام
 فالمراد به الحرم إلا هذا فالمراد به الكعبة - انتهى . وعبارة عنه بذلك
 لأن السياق للصلاة التى أعظم مقصودها السجود ، و سياق عند ١٠

(١) الشطر النصف و الجزء من الشيء و الجهة ، قال الشاعر :

ألا من مبلغ عنى رسولا و ما تغنى الرسالة شطر عمر

أى نحوه . و يقال شطر عنه بعد و شطر إليه أقبل ، و الشاطر من الشباب
 البعيد من الخيران الغائب عن منزله ، يقال شطر شطورا ، و الشطير البعيد ،
 منزل شطير أى بعيد أى استقبل بوجهك فى الصلاة نحو الكعبة ،
 و بهذا الأمر نسخ التوجه إلى بيت المقدس - البحر المحيط ١ / ٤١٨ ، ٤٢٨ .
 (٢-٢) فى ظ : رضى الله عنه (٣-٣) ليس فى مد (٤) زيد فى م و مد : إذا
 قلت : اقصد شطر كذا . معروف (فى م : معلوم) أنك تقول : اقصد قصد عين
 كذا ، يعنى قصد نفس كذا ، ثم قال (ه) فى م : بين ، وليس فى مد (٦) زيد
 فى م و مد : انتهى و كان حقيقته الموضع المتصف منه فهو الذى إذا قسم من
 عنده كان شطرين متساويين (٧) فى م : متخير (٨) العبارة من هنا الى «على هذا»
 ليست فى الأصل و ظ .

”يستلونك عن الشهر الحرام“ زيادة على هذا-١، وفي الموطأ
عن سعيد بن المسيب أنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس، ثم حوت القبلة
قبل بدر بشهرين، ولما بشره^١ سبحانه بالتحويل أولا وأوقع المبشر^٢ به
٥ ثانيا أشار إلى بشارة ثالثة بتكثير أمته ونشرهم في أقطار الأرض لجمعهم
إليه في قوله: ﴿وحيث ما كنتم﴾ أى من جهات الأرض التى أوردكم
إياها^٣ ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ بتوجيه قلوبكم إلى^٤.

ولما حرر ذلك وقرره بين أن العائنين لدينه بذلك من أهل
الكتاب عالمون بحقيقة هذا التحويل وأنه من أعلام نبوته فقال:
١٠ ﴿وان الذين اوتوا الكتب﴾ أى من اليهود والنصارى، ولم يفهم
هنا بالسفاهة لإثبات العلم فى قوله: ﴿ليعلمون انه﴾ أى هذا التحويل
﴿الحق^٥﴾ أى^٦ ليس بعده فى أمر القبلة حق آخر يرفعه أصلا ﴿من

(١) سورة ٢ آية ٢١٧ (٢) زيدت من م ومد و ظ (٣) ليس فى ظ (٤) فى م:
بشر (ه) من ظ و م ومد، وفى الأصل: البشر (٦) زيد فى م ومد: أى ميلوا
وقربوا واتبعوا موجهين. وفى البحر المحيط ١/ ٤٣٠: ولما كان صلى الله
عليه وسلم هو المتشوف لأمر التحويل بدأ بأمره أولا ثم أتبع أمر أمته ثانيا
لأنهم تسع له فى ذلك ولثلا يتوهم أن ذلك مما اختص به صلى الله عليه وسلم،
وفى حرف عبد الله ”فولوا وجوهكم قبله“، وقرأ ابن أبى عتبة ”فولوا وجوهكم
تلقاه“ وهذا كله يدل على أن المراد بالشطرن نحو (٧) كرره فى م ثانيا .
(٨) زيد فى مد: الذى .

ربهم ﴿١﴾ أى المحسن إليهم بأرسال هذا الرسول الذى يرفع عنهم
إصرهم و كانوا ينتظرون رسالته ، فعند ما أتاهم ردوا رحته ، وجعل
"ذلك سبحانه" فى سياق^٣ مهدد له^٢ مرج له ولاتباعه تسلية لهم و تثبيتا
و تقوية لعزائمهم و تمكينا حيث ختم الآية بقوله : ﴿وما الله﴾ أى
المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿بغافل عما يعملون﴾ قال الحرالى : هـ
بالباء أى التحتانية إعراضا عنهم ، و بالتاء إقبالا عليهم ، فقيه إنباء بتماديهم
على سوء أحوالهم فى رتبتين : فى متباد على سوء هدد فيه لما أقبل
عليه ، و فى متباد على أسوأ منه أوجب فى تهديده الإعراض عنه

(١) أى ثابتا من ربهم ، و فى ذلك دليل على أن التحول من بيت المقدس إلى
الكعبة لم يكن باجتهاد ، إنما هو بأمر من الله تعالى ، و فى إضافة الرب إليهم تنبيه
على أنه يجب اتباع الحق الذى هو مستقر ممتنعين باصلاحك كما قال تعالى
"الحق من ربك" - البحر المحيط ٣٠ / ١ (٢-٢) فى م و مد : سبحانه ذلك .
(٣-٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يهدد له (٤-٤) ليست فى ظ (هـ) من م
و مد ، و فى الأصل : تعملون ، و فى ظ : يعملون - كذا . و فى البحر المحيط ٣٠ / ١ :
قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائى بالتاء على الخطاب ، فيحتمل أن يراد به المؤمنون
لقوله "فولوا وجوهكم شطره" و يحتمل أن يراد به أهل الكتاب فتكون
من باب الالتفات ، و وجهه أن فى خطابهم بأن الله لا يغفل عن أعمالهم تحريكا لهم
بأن يعملوا بما علموا من الحق ، لأن المواجهة بالشئ تقتضى شدة الإنكار و عظم
الشئ الذى ينكر . و من قرأ بالياء فالظاهر أنه عائد على أهل الكتاب لمجيء ذلك
فى نسق واحد من الغيبة ، و على كثرة القراءتين فهو إعلام أن الله تعالى لا يعمل
أعمال العباد و لا يغفل عنها و هو متضمن للوعيد (٦) العبارة من هنا إلى « و فى
متباد على » ليست فى م .

والإقبال على غيره ممن لم يصل في السوء والمكائنة إلى ما وصل إليه
المعرض عنه .

ولما أطمع أول الآية في أهل الكتاب ١ وقطع عنهم آخرها
صرح بما لوح ٢ إليه هذا الأخير ٣ وأعلمه صلى الله عليه وسلم بعاقبة
٥ أمرهم وأنه لا اتفاق بينه وبينهم أصلاً ولا اتفاق بين فريقهم مع كون
الكل من بني إسرائيل ليرى صلى الله عليه وسلم من التطلع إلى هدى
بعضهم فقال تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين اتوا ﴾ ١ بناه للجهول تنبيها
على هوانهم ٢ ﴿ الكتب ﴾ أى من اليهود والنصارى ﴿ بكل آية ﴾
أى من الآيات المسموعة مرغبة ومرهبة ومن الآيات المرئية مغربة
١٠ ومقربة ﴿ ما تبعوا قبلتك ﴾ أى هذه التى حولت إليها و كنت الحقيق بها
لكونها قياما للناس كما أنت رسول إلى جميع الناس ، ٤ لأن إعراضهم
ليس عن شبهة إذا زالت زال بل عن عناد ٥ . ثم أومأ له إلى أنهم
ينصبون له الحبائل ليعود ولو ساعة من نهار إلى قبلتهم ليقدحوا بذلك
فيه فقال : ﴿ وما انت بتابع قبلتهم ﴾ ثم أشار إلى عيبهم باختلافهم
١٥ و تفرقهم مع نهيم عنه فقال : ﴿ وما بعضهم ﴾ ١ أى أهل الكتاب
﴿ بتابع قبله بعض ﴾ مع تقاربهم فى النسب ، وذلك حثا للعرب على
الثبات على مبادئهم والحذر من مخادعتهم .

ولما كان دينهم قد نسخ أعلم سبحانه بأن ثباتهم على قبلتهم مع

(١) ليس فى م (٢) فى م : يلوح (٣) فى م وظ ومد : الآخر (٤-٤) ليست

فى ظ .

ذلك^١ مجرد هوى^٢ [فقال - ٣] منفرا^٤ للامة عنهم و محذرا لهم منهم بخطاب الرأس ليكون ذلك ادعى لقبول الاتباع (و لئن اتبعت اهواءهم) .
ولا كان هذا السياق لامر القبله فقط قال^٥ : (من بعد ما جاءك من العلم) قال الحرالى : فأبهمه ولم يكن نحو الاول الذى قال فيه "بعد الذى" لظهور ما ذكر فى الاول وخفاء ما وقعت^٦ إليه الإشارة فى هذا ، ه و جاءت فيه "من" التى هى لابدء من أولية^٧ لخفاء مبدأ أمر^٨ ما جاء من العلم هنا وظهور ذلك الاول ، لأن ذلك كان فى أمر الملة التى

(١) ليس فى م (٢) العبارة من هنا إلى « الاتباع » ليست فى ظ (٣) زيد من م ومد (٤) من مد ، وفى الأصل : منى ، وفى م : منفردا - كذا مصحفا . (ه) وتعليق وقوع الشيء على شرط لا يقتضى إمكان ذلك الشرط ، يقول الرجل لامرأته : إن صعدت إلى السباء فأنت طالق ، ومعلوم امتناع صعودها إلى السباء وقال تعالى فى الملائكة الذين أخبر عنهم أنهم "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" قال "ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين" وإذا اتضح ذلك سهل ما ورد من هذا النوع وفهم من ذلك الاستحالة ، لأن المعلق على المستحيل مستحيل ، ويصير معنى هذه الجملة التى ظاهرها الوقوع على تقدير امتناع الوقوع ويصير المعنى : لا بعد ظالما ولا تكونه لأنك لا تتبع أهواءهم ، وكذلك لا يحبط عملك لأن إشراكك ممتنع ، وكذلك لا يجزى أحد من الملائكة جهنم ، لأنه لا يدعى أنه إله ، وقالوا : ما خوطب به من هو معصوم مما لا يمكن وقوعه منه فهو محمول على إرادة أمته ومن يمكن وقوع ذلك منه ، وإنما جاء الخطاب له على سبيل التعظيم لذلك الأمر والتفخيم لشأنه حتى يحصل التباعد منه - البحر المحيط ٤٣٢/١ (٦) فى ظ : قاله (٧) فى م : وقف (٨) فى م : أوليه .

مأخذها العقل ، وهذه ' في أمر التوجيه الذي مأخذه الدين والغيب .
 قال الحرالي : قال تعالى ﴿ انك اذا لمن الظالمين ﴾ على حد ما ذكر من
 أنه من لمح لحا من وصف كان من الموصوف به بالطف لطف ووصف
 كل رتبة بحسبها ، فما يرفع عنه النبي صلى الله عليه وسلم من باب إظهار
 رغبته وحرصه على هداية / الخلق الذي جبل على الرحمة فيه وطلب
 المسامحة في التقاصر عنه نظرا منه إلى حق الله تعالى ومضمون وصية الله
 تعالى له حين ' أوصاه بغير ترجمان ولا واسطة أن يصفح عن ظله
 ويصل من قطعه ؛ فكان صلى الله عليه وسلم يطلب ٣ وصل المنقطع عنه
 حتى يعلن ' عليه بالإكراه في ترك ذلك وودعه فيجيبه حكما وإن كان
 ١٠ معه عليا ، ومنه قوله : اللهم [اغفر - *] لقومي ! فانهم لا يعلمون ،
 ففي طي كل خطاب له يظهر الله عز وجل فيه إكراهه على أخذ حكم الحق
 وإمضاء العدل أعظم مدحة له والتزام لوصيته إياه ، فهو مدوح بما هو
 مخاطب بخطاب الإكراه على إمضاء العدل والاختصار في أمر رحمته
 للعالين ، فرفعه الله أن يكون ممن يضع رحمة في موضع استحقاق
 ١٥ وضع النعمة ، فذلك ' الذي ٣ يجمع معناه بين متقابل الظالمين فيمن يضع
 النعمة موضع الرحمة فيكون أدنى الظلم ، أو من يضع الرحمة في موضع
 (١) في م : هذا (٢) من م وظ ومد ، وفي الأصل : حتى (٣) ليس في م (٤) في
 الأصل : يعلى ، والتصحيح من بقية الأصول (٥) زيد من م وظ ومد . وفي
 رواية : اهد قومي (٦) في ظ : بذلك .

التقمة فيكون منه بتغيير الوضع بوضع الفضل موضع العدل ؛ و على^١ ذلك جميع ما ورد في القرآن من نحو قوله: ” فان كنت في شك بما انزلنا إليك فسل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك - أي في إمضاء العدل - فلا تكونن من الممتريين^٢ “ في طلب الفضل لأهل العدل فان الله يمضى عدله كما يفيض فضله ، وكذلك قوله: ” عبس^٣ و تولى^٤ ان جاءه الاغمى^٥ “ فيه^٦ إظهار لمدحته بحرصه^٧ على تألف الأبعدين و وصل القاطعين حتى ينصرف عنهم بالحكم^٨ و إشادة^٩ الإكراه عليه^{١٠} في ذلك ، فلا ينصرف عن حكم الوصية إلى حكم الكتاب بالحق إلا عن إشادة^{١١} باكرأه عليه^{١٢} ، فهو محمود بما هو منهى عنه ، لأن خطابه أبدا في ذلك في القرآن فيما بين الفضل و العدل ، ١٠ و خطاب سائر الخلق جار فيما بين العدل و الجور ، فين الخطابين ما بين درج العلو و درك السفلى في مقتضى الخطابين المتشابهين في القول المتباينين

(١) ليس في ظ . و في البحر المحيطة ١ / ٤٣٣ : قال الزخشي : قوله ﴿ و لن اتبعن اهواءهم ﴾ بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله ” و ما انت بتابع قبلتهم “ كلام وارد على سبيل الفرض و التقدير بمعنى : و لن اتبعنهم مثلا بعد وضوح البرهان و الإحاطة بحقيقة الأمر أنك إذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش ، و في ذلك لطف للسامعين و زيادة تحذير و استفظاع بحال من يترك الدليل بعد إنارته و يتبع الهوى و إلهاب للثبات على الحق (٢) سورة ١٠ آية ٩٤ (٣) سورة ٨٠ آية ١ و ٢ (٤) زيد في م و ظ و مد : الآيات (٥ - ٥) في م : اظهار المدح بحرصه (٦) في م : الحكم (٧) في م : اشارة (٨) في م : اليه .

في العلم - انتهى . و سيأتي في قوله تعالى : ” عفا الله عنك لم اذنت لهم “
في سورة التوبة^١ ما يوضحه :

و لما ختم الخطاب بالإشارة بقوله : ” اهواءهم^٢ “ إلى علمهم بحقية هذا
التحويل تلويحا كما فتحه بالإعلام به تصريحاً كرّر على تأكيد الإعلام بما هم عليه
٥ في أمرها من التحقق^٣ إشارة إلى ما تبطنوه^٤ من العناد الموجب للتمادي
في الفساد فقال مضمرا له على وجه يصلح أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم
معظما لهذه المعرفة باسناد الإيتاء إليه سبحانه : ﴿ الذين اتينهم ﴾^٥ أى بما لنا
من العظمة التى هم بها عارفون^٦ ﴿ الكشب يعرفونه ﴾^٧ أى التحويل المتضمن
لزيادة تحققهم لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم و كمال^٨ علمهم به ﴿ كما
١٠ يعرفون ابناءهم ﴾ لا يشكون في حقية ذلك بوجه لظهور دلائله عندهم ، لأنهم
يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم بجميع نعوته [معرفة -^٩] لا يشكون
فيها لكونها عن الله الذى لا خلف في قوله ، فبذلك صاواوا يعرفون
صحة هذا التحويل هذه المعرفة ، و ذلك كما أنهم لا يشكون في شيء مما
تقع به المعرفة لأبنائهم لشدة ملابتهم لهم ؛ و الحاصل أن معرفتهم
١٥ بنبوتهم تزيدهم في المعرفة بحقية التحويل [بصيرة لأنه من نفعه ، و معرفتهم
بأمر التحويل -^٩] يثبتهم في حقية نبوته لكونه مما ثبت منها ،
و لذلك قال الحرالى : في انبائه تحقّقهم ببيان ما ذكر لهم من أمره ، لأن

(١) سورة ٩ آية ٤٣ (٢) في م : « باهواءهم » (٣) في مد : التحقيق (٤) في ظ :
يبتنونه (٥ - ٥) ليست في ظ (٦) العبارة من هنا إلى « ابناءهم » ليست في م -
(٧) في ظ : كان (٨) زيد من م و ظ (٩) زيد من م و ظ و مد .

العارف بالشيء هو الذى كان له به إدراك ظاهر بأدلة ثم أنكره
لاشتباهه عليه ثم عرفه لتحقيق ذكره لما تقدم من ظهوره فى إدراكه ،
فلذلك معنى المعرفة لتعلقها بالحس و عيان القلب أتم من العلم المأخوذ
عن علم بالفكر ؛ وإنما لم تجز ٢ فى أوصاف الحق لما فى معناها من شرط
النكرة ، ولذلك يقال المعرفة حد بين علمين : علم على تشهد ٣ الأشياء ه
بيواديها ، وعلم دون يستدل على الأشياء بأعلامها ؛ وفيه أى التشبيه
بالأبناء إبناء باتصال معرفتهم به كيانا كيانا إلى ظهوره ، ولو لم يكن
شاهده ؛ عليهم إلا ارتحاضهم من بلادهم من الشام إلى محل الشدائد
من أرض الحجاز لارتقابه و انتظاره ” فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به “
و أجرى المثل بذكر الأبناء لاشتداد عناية الوالد بابنه لاعتلاقه بفؤاده ، ١٠
ففيه إنباء بشدة اعتلاقهم به قبل كونه ﴿ و ابن فريقا منهم ﴾ أى
أهل الكتاب ﴿ ليكتنمون الحق ﴾ أى يخفونه و لا يعلنونه .
و لما كان لا يلزم من ذلك عليهم به و لا يلزم من علمهم به استحضاره
عند الكتمان قال : ﴿ وهم يعلنون ﴾ أى أنه حق و أنهم آثمون بكتمانهم ،
فجعلهم أصنافا : صنفا عرفوه فاتبعوه ، و صنفا عرفوه فأنكروه كما فى إفهامه ، ١٥
(١) وقع فى الأصل : الفلك - كذا مصحفا ، و التصحيح من بقية الأصول .
(٢) فى م و مد : لم تجز (٣) فى م و مد : يشهد (٤) من م و ظ و مد ، و فى
الأصل : شاهدة (٥) و الحق المكتوم هنا هو نعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم - قاله قتادة و مجاهد ، أو التوجه إلى الكعبة ، أو أن الكعبة هى القبلة ،
أو أعم من ذلك فينبرج فيه كل حق - البحر المحيط ٤٣٦/١ .

و فريقا علموه فكتومة؛ وفي تخصيص هذا الفريق بالعلم إشعار بفريقان
 ما بين حال من يعرف و حال من يعلم ، فذلك كانوا ثلاثة أصناف :
 عارف ثابت ١ و عارف منكر ١ هو أردوهم ٢ ، / و عالم كاتم لاحق به ؛
 و في مثال يكتمون و يعلنون إشعار بثنائدهم في العلم و تماديهما في الكتمان .
 ٥ و لأن هذا المجموع يفيد قهر الحق للخلق بما شاء منهم من هدى
 و فتنة لظهور فيها رحمته و نقمته ٣ و هو الحق الذي هو ماضى الحكم الذى
 جبله محمد صلى الله عليه و سلم تقاضى التوقف فيه لما هو عليه من طلب
 الرحمة و لزوم حكم الوصية خاطبه الحق بقوله : ﴿ الحق ﴾ أى هذا التفريق
 و التصنيف الموجب لعبارات درجات الجنة و عمارات دركات النار
 ١٠ هو الحق ، أو يكون المعنى : الحق الذى أخبرت به في هذه السورة
 أو الآيات ، أو جنس الحق ؛ كائن ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك
 بطرد من يضر اتباعه كما هو محسن إليك بالإقبال بمن ينفع اتباعه
 ﴿ فلا تكون من المعترين ٥ ﴾ فيما فسر نحوه بمن اشتباه المرتبتين
 الواقعة منه فيما بين الفضل و العدل و الواقعة من غيره فيما بين الجور

(١) في ظ : متكبر (٢) في م و مد و ظ : ارداوهم ، و في الأصل : ارداوهم -
 كذا (٣) من م و ظ و مد ، و في الأصل : نعمته - كذا (٤) أول للجنس على معنى
 أن الحق هو من عند الله لا من غيره ، أى ما ثبت أنه حق فهو من الله كالذى عليه
 الرسول ، و ما لم تثبت حقيقته فليس من الله كالباطل الذى عليه أهل الكتاب ،
 وقرأ على ابن أبي طالب " الحق " بالنصب و أعرب بأن يكون بدلا من الحق
 المكتوم فيكون التقدير : يكتمون الحق من ربك ؟ قاله الزمخشري - البحر
 المحيط ٤٣٦/١ (٥) في م : لما (٦) و المراد بهذا الخطاب في المعنى هو الأمة ، =

و العدل - انتهى . وفيه زيادة و تغيير ، وفي تأكيد الأمر تارة بالعلم
و تارة بالمعرفة و تارة بغيرهما تأكيد لوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم
و إزاحة لما يلقيه السفهاء العالمون به من الشبه . قال الحرالي : و الممتري
من الامتراء و هو تكلف المرية و هى مجادلة تستخرج السوء من خبيثة
المجادل ، من امتراء ما فى الضرع و هو استيصاله حلقا ، و لأنه حال الشاك ه
ربما أطلق عليه .

ولما بين أن أحدا من هؤلاء الفرق لا يتبع قبله الآخر و تضمن
ذلك أن لكل منهم قبله ' و قرر أن ذلك من أهل الكتاب على وجه
العناد أثبت ما تضمنه الكلام السابق على وجه أعم منه و سبب عنه
النتيجة فقال تعالى : ﴿ ولكل ﴾ أى ٣ لكل فريق من المذكورين ١٠
و غيرهم ﴿ وجهة ﴾ أى مقصد يقصده و بوجه وجهه إليه و يقبل بقلبه
عليه من القبلة للصلاة و غيرها من جميع المقاصد ﴿ هو موليا ﴾ إن
كسر اللام كان المعنى هو متوليا أى فاعل التولية أى مائل إليها بوجهه
لأن المادة تدور بكل ترتيب على الميل كما يأتى إن شاء الله تعالى فى

= و دل " الممتريين " على وجودهم ، و نهى أن يكون منهم و النهى عن كونه منهم
أبلغ من النهى عن نفس الفعل و المعنى : فلا تكون من الذين يشكون
فى الحق ، لأن ما جاء من الله تعالى لا يمكن أن يقع فيه شك و لا جدال ، إذ هو الحق
المحض الذى لا يمكن أن يلحق فيه ريب و لا شك - البحر المحيط ١/ ٣٧ هـ .

(١) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : خبيثة - كذا (٢) ليس فى مد (٣) زيدت
فى م : و (٤) زيد فى م : و مستقبل و تابع لها .

آخر الاقوال، فيكون وليّ ١ بمعنى تولى كقدم بمعنى تقدم، و من المعلوم^٢ الفرق بين تولاه و تولى عنه، وإن فتح ٣ فالمعنى: هو مال إليها. قال الجرجاني: وفي قراءة موثيها - بالكسر - إشعار باختلاف جبلات أهل الملل وإقامة كل طائفة منهم بما جبلت عليه^٤، وفي قراءة "موثيها" إظهار حقيقة ذلك و أنه ليس ذلك منهم بل بما أقامهم فيه المولى لهم حيث شاء، وأبهم فيه المولى لما كان في طوائف منهم حظ هوى^٥، وهو من التولية وهو ما^٦ يجعل مما يلي الجسد، أو القصد أى^٧ يكون ميالا^٨ بين يديه ملاصقا له - انتهى .

ولما كان فعلهم هذا إنما هو لأجل تزكية النفس و خلاصها ١٠. و كان ذلك لا يحصل إلا بفعل الخير و اجتناب الشر سبب عنه قوله: ﴿فاستبقوا^٩ الخيرات﴾ أى فاجعلوا أتم مقصدكم أنواع الخير من القبلة (١) ليس في ظ (٢) زيد في الأصل فقط «ان» (٣) وقرأ ابن عامر: هو موثيها - بفتح اللام - اسم مفعول و هو قراءة ابن عباس (٤) وقيل المعنى ولكل ملك و رسول صاحب شريعة جهة قبله، قبيلة المقربين العرش و قبله الروحانيين الكرسي، و قبلة الكرويين البيت المعمور، و قبلة الأنبياء قبلك بيت المقدس، و قبلك الكعبة؛ وقد اندرج في هذا الذى ذكرناه أن المراد بوجهة قبله و هو قول ابن عباس و هي قراءة أبي قرأ: "ولكل قبله" وقرأ عبد الله: "ولكل جعلنا قبله" - البحر المحيط ١ / ٣٧؛ (٥) في الأصل فقط: هدى (٦) في م: بما (٧-٧) ليس في م و ظ و مد (٨) الاستباق إفتعال من السبق و هو الوصول إلى الشيء أولا، و يكون انتعل منه إما لموافقة المجرى = و غيرها

و غيرها و تسابقوا فى قصدكم إليها، أى كونوا فى المبادرة إلى أفعال الخير كمن يسابق ١ خصما فهو يجتهد فى سبقه ، ٢ فان الاستباق تكلف السبق و السبق بروز أحد المتجارين ٣ ، ثم حثهم على ذلك و حذرهم من تركه بقوله على وجه التعليل : ﴿ اِن ما تكونوا ﴾ أى من الجهات التى استبقتم إليها الحسبة و المعنوية ﴿ يات بكم الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ جميعا ﴾ ٥ منها إليه فى ٥ يوم البعث ٦ ، ثم علل هذه العلة بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ٧ ﴿ على كل شىء قدير ٨ ﴾ و فى ذكر البعث هنا معادلة بين القبلتين : قبله أهل الفضل الأمة الوسط التى جعلت محل الأمن ، و القبلة الأولى . قال الحرالى : من حيث يرد الخلق فى ٩ البعث إلى موطن القبلة السابقة من أرض الشام ، فيكون موطن الحق و العدل أولى القبلتين بذلك ، ١٠ لأن أعلى القبلتين موطن أمانة من حيث أن من دخله كان آمنا ، فكان

= فيكون معناه و معنى سبق واحدا أو لموافقة تفاعل فيكون استباق و تسابق بمعنى واحد - البحر المحيط ١ / ٤١٩ .

(١) فى ظ : سابق (٢-٢) فى م و مد : فالاستباق ، و فى الأصل : فان الاستباق - كذا (٣) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : المتجارين - كذا (٤-٤) ليس فى ظ (٥) ليس فى مد (٦) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٤٣٩ : هذه جملة تتضمن وعظا و تحذيرا و إظهارا لقدرة ، و معنى ﴿ يات بكم الله جميعا ﴾ أى يبعثكم و يحشركم للثواب و العقاب فأنتم لا تعجزونه و ائقتم أم خالفتم ، و لذلك قال ابن عباس : يعنى يوم القيامة ، و قيل : المعنى أينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا أى يجمعكم و يجعل صلاتكم كلها إلى جهة واحدة و كأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام - قاله الزمخشري (٧) فى م : الى .

فكان المحشر إلى قبلتهم الأولى التي هي بداية الأمر ليطابق الآخر
من القبلتين الأولى من حيث كان الآخر في الدنيا للفضل والأول في
الآخرة للعدل ومن الدعوتين من حيث كانت الدعوة الأولى في الأول
حكماً وعِلماً والإتيان الآخر في العقبى قهراً وملكاً .

- ٥ ولما عظم في شأن القبلية انتشار أقوالهم في تنويع شعبهم^١ وجدالهم
وكانوا أهل علم وكتاب، وقد مرت لهم دهور وهم موسومون بأنهم
على صواب، فاشرب لذلك النفاق، ودارت رحى الباطل والشقاق،
وقامت سوق الفسوق فيما هنالك على ساق، كان الخال مقتضياً لمزيد
تأكيد لأمرها تعظيماً لشأنها وتوهية^٢ لشبه السفهاء فقال تعالى ثانياً
١٠ معبراً بعبارة مشعرة^٣ بامامته صلى الله عليه وسلم وانتظار المصلين له :
﴿ ومن حيث خرجت ﴾ أى للصلاة المفروضة باتباعك من هذه الجهة
التي أنت بها الآن بالمدينة الشريفة التي هي شمال الكعبة المشرقة أو من
غيرها / من الجهات من الشرق والغرب والجنوب ﴿ فول وجهك
شطر ﴾ أى عين^٤ ﴿ المسجد الحرام ﴾ وأما قلبك فهو إلى الله .
١٥ ولما كان التقدير^٥ فانك مأمور بذلك لثلا يظن^٦ أن ذلك إنما

/ ١٣٩

(١) في ظ : شعبهم - كذا بالعين المهملة (٢) في م : توهية (٣) من م ومد وظ ،
وفي الأصل : شعرة - كذا (٤) وقع في الأصل : غير - مصحفاً ، والتصحيح
من بقية الأصول (٥) وفي بحر المحيط ٤٤٠/١ بعد نقل أقوال متعددة في التكرار :
وقيل ربما خطر في بال جاهل أنه تعالى فعل ذلك لرضا نبيه لقوله : ﴿ فلنولينك
قبلة ترضها ﴾ فازال هذا الوهم بقوله : ﴿ وانه للحق من ربك ﴾ أى ما حولناك بمجرد
الرضا بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق ، فليست كقبلة اليهود التي يتبعونها =
عمل (٥٨) ٢٣٢

عمل لتطلعه صلى الله عليه وسلم إليه وهو فيه بالخيار فيظن أن الرجوع إلى القبة الأولى مصلحة لما انتشر^١ في ذلك من الكلام الذي نفذ في القلوب نفوذ السهام عطف عليه قوله: ﴿وانه للحق من ربك﴾ مؤكدا له بأنواع التأكيد مضيفا له إلى صفة الإحسان بإحسان الترية والنظر في أدبار الأمور وأحكامها .

ولما كان التقدير: وإن ربك عالم بما قالوه من الشبه التي دارت بين الناس وخيفت عاقبتها عطف عليه ما هو أعم منه فقال^٢: ﴿وما الله﴾^٣ أي الذي له الإحاطة الكاملة^٤ ﴿بغافل عما﴾ أي عن^٥ شيء مما ﴿يعملون﴾^٥ أي السفهاء من اليهود وغيرهم في مستقبل الزمان فيوهيه ويبطل أذاه ويرميه^٦ ويبيده ويقصيه، وعلى قراءة^{١٠} الخطاب أنتم في هذا الوقف وبعده فيغلبه^٧ ويثبته ويقيه إن كان خالصا لوجهه وإلا جعله هباء مشورا . قال الحرالي: ومن التفت بقلبه [في صلاته إلى غير ربه لم تنفعه وجهة وجه بدنه إلى الكعبة، لأن ذلك حكم حق حقيقته توجه القلب ومن التفت بقلبه -^٨] إلى شيء من الخلق

= بمجرد الهوى، ثم أعاد ثالثا والمراد: دوما على هذه القبة في جميع الأزمنة .

(٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل: تظن - بضيعة الخطاب .

(١) زبدت في م «و» (٢) وقع في الأصل: فقالوا، والتصحيح من بقية

الأصول (٣-٢) ليست في ظ (٤) من م ومد وظ ، وفي الأصل: من .

(٥) كذا في الأصول ويؤيده تفسير المؤلف الذي يليه على وجه الإخبار عنهم،

وأما ما في المصاحف فهو يعملون - بالتاء على وجه المخاطبة كما صرح به المؤلف

بعده بقوله: وعلى قراءة الخطاب اتم - الخ (٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل:

يومية (٧) في م وظ : يعليه (٨) زيد من م ومد وظ .

في صلاته فهو مثل الذي استدير بوجهه عن شطر قبلته ، فكما يتداعى
 الاجزاء^١ الفقهي باستدبار الكعبة حسا فكذلك يتداعى القبول باستدبار
 وجه القلب عن الرب غيبا ، فلذلك^٢ أقبل هذا الخطاب على الذين آمنوا
 والذين أسلموا ، لأنه هو صلى الله عليه وسلم مبرا عن مثله - انتهى .
 ٥ ﴿ ومن حيث خرجت ﴾ أى من بقاع الارض للصلاة بأمتك ﴿ فول
 وجهك ﴾ أى اجعله يلى ﴿ شطر ﴾ أى عين^٣ ﴿ المسجد الحرام ﴾ .
 ولما تقرر بما تكرر أن هذا التحويل فرض في حقه صلى الله
 عليه وسلم حتم لا فتور عنه ولا رخصة فيه إلا ما استثنى في النفل
 أدخل معه أمته ليعمهم الحكم وربا^٤ بمنصبه المنيف وقدره الشريف
 ١٠ عن أن يكون لأحد عليه ما يسمى حجة بحق أو باطل فقال : ﴿ وحيث
 ما كنتم ﴾ أى أيتها الامة من جميع جهات الكعبة في جميع أقطار الارض
 الدانية والقاصية . قال الحرالي : وذكر في أمته بالكون لا بالخروج
 إشعارا بتقاصر الامة عن علو أحوال الائمة وأن حال الامة في خلوتهم
 كحالمهم^٥ في جلوتهم - انتهى . ﴿ فولوا وجوهكم ﴾ أى اجعلوها والية^٦
 ١٥ ﴿ شطره ﴾ للصلاة . قال الحرالي : وفيه إشعار يلحظ صحة صلواتكم^٧
 فرادى وفي بيوتكم^٨ ، كما قال : إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت

(١) في الأصل : الاحرا - كذا ، والتصحيح من بقية الأصول (٢) في م :
 فكذلك (٣) من م ومد وظ ، ووقع في الأصل : غير - كذا مصحفا .
 (٤) هكذا في الأصل ومد بمعنى إعلاء ، وفي ظ : ربا ، وكتب فوقه : اعلانا ،
 وفي م : ربشا - كذا (٥) من م ومد وظ ، وفي الأصل : كحالمهم .
 (٦) من م وظ ، وفي الأصل ومد : واليه (٧) كذا في الأصل ، وفي م وظ
 ومد : صلواتهم (٨) كذا في الأصل ، وفي م وظ ومد : بيوتهم .

قد صليت في أهلك ؛ بخلافه هو صلى الله عليه وسلم فان صلاته لا تقع
إلا جمعا من حيث أنه يصلى لهم وأنه إمام^١ لا تقع صلاته^٢
فذا - انتهى .

ولما كان ربما ظن أن الرجوع إلى القبلة الأولى يزيل الكلام
بين سبحانه و تعالى أن الأمر بخلاف ذلك فقال : ﴿ لئلا يكون للناس ﴾ ه
أى لأحد^٣ منهم ﴿ عليكم حجة ﴾ بأن يقولوا : النبي ' المبشر به يستقبل
بيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم لا^٤ يتحول عنه وهذا لم يفعل ،
أو يقولوا : ما جاء بشيء جديد وإنما هو تبع لنا في قبلتنا^٥ .

ولما كانت الحجة كلاما ينشأ عن مقدمات يقينية^٦ مركبة تركيا
صححا وقع الاستثناء باعتبار تلبس المستثنى بجزء المعنى الذى نفي عن^٧
المستثنى منه بدلالة التضمن فهو قريب من الاستخدام فقال : ﴿ الا الذين ﴾
أى الناس الذين ﴿ ظللوا منهم ﴾ فانهم لعنادهم^٨ ولدهم لا يرجعون

(١) زيد في م : وان (٢-٢) في م : صلاته لا تقع (٣) ليس في م (٤) في
م و مد : الشئ - كذا (٥) زيد في م : به (٦-٦) ليس في م (٧) من م و مد
وظ ، وفي الأصل : لم (٨-٨) ليست في ظ . وفي البحر المحيط ١/ ٤٤١ :
والناس قيل هو عموم في اليهود والعرب وغيرهم ، وقيل اليهود وحجتهم
قولهم : يخالفنا محمد في قبلتنا وقد كان يتبعها ، أو لم ينصرف عن بيت المقدس
مع علمه أنه حق إلا برأيه ويزعم أنه أمر به ، أو ما درى وأصحابه أين قبلتهم
حتى هديناهم ؛ وقيل مشركو العرب وحجتهم قولهم : قد رجع محمد إلى قبلتنا
وسرّج إلى ديننا حين صار يستقبل القبلة (٩) من م و مد وظ ، وفي الأصل :
يقينه - كذا (١٠) من م وظ و مد ، وفي الأصل : بمنادهم .

إلى الحق الذي يعرفونه بل يكون لهم عليكم مجرد كلام هو مادة الحجة
لا حجة بما دل عليه وصفهم بالظلم الذي هو وضع الشيء في غير محله
كما هو شأن كل ماشر^١ في مأخذ الاشتقاق الذي هو الظلام،
و يكون الاستثناء^٢ على هذا^٣ منقطعا^٤ بمعنى^٥: لئلا يحتاج أحد عليكم
هـ لكن الذين ظلموا يقولون أو^٦ يظهرون فجورا^٧ ولددا في ذلك كلاما
يسمونه حجة، ولعل السر في تصويره على تقدير الانقطاع^٨ بصورة
الاستثناء الحث على الثبات على أمر الله^٩ سبحانه وتعالى^{١٠} والإعراض
عن مخالفه نظرا إلى ما تأصل من إبطاله واستحضارا لما ظهر من فاسد
أحواله وإن أبدى من الشبه ما يخفى أمره ويصعب على بعض
المحققين^{١١} حله حتى يظن حجة؛ ويجوز أن يراد بالحجة أعم من القطعي
و الظني فيكون الاستثناء متصلا، قال السفاقي^{١٢}: "و مثار" الخلاف
هل الحجة الدليل الصحيح والاستثناء منقطع أو الاحتجاج والخصومة
فهو متصل - انتهى ١٢. و وصفها بالاستعلاء عليهم لما يحصل بها من

(١) من م وظ، وفي الأصل: ماس - كذا (٢-٢) ليس في م ومد (٣) من
م ومد وظ، وفي الأصل: مطلقا (٤) ليس في م ومد (٥) في ظ: و (٦) في
م ومد: فجورا (٧) من م ومد وظ، وفي الأصل: الانقطاع - كذا.
(٨-٨) ليست في م وظ (٩) من م ومد وظ، وفي الأصل: المحققين - كذا.
(١٠) في م: السفاقي (١١) من م ومد، وفي الأصل وظ: مثال (١٢) وفي
البحر المحيط ٤٤١/١: ونقل السجاوندي عن أبي بكر ابن مجاهد أنه قرأ « إلى الذين »
جعلها حرف جر وتأولها بمعنى مع، وأما على قراءة الجمهور فالاستثناء متصل -
قاله ابن عباس وغيره واختاره الطبري وبدأ به ابن عطية ولم يذكر =
الآذي (٥٩) ٢٣٦

الاذى بدلاتها على العداوة و الشقاق لا بتغيرها في وجه شيء من الأدلة ، ١ و "الذين ظلموا" إن أريد بهم اليهود فهم يقولون : ما رجع إلى الكعبة إلا ٢ حجة لبلده ، ولو كان في قبلتنا على أمر من الله سبحانه ٣ ما تحول عنه ، وإن كان المشركين فهم يقولون : قد استقبل بلدكم ومسجدكم فيوشك أن يدين دينكم . ولما نفي عن أهل هذه القبلة ٥ بالثبات عليها كل سبيل تسبب عنه قوله : ﴿ فلا تخشعوا ﴾ أى فى هذا الأمر ولا غيره ، فأنى أرد عنكم كيدهم وأوهن أمرهم . ولما تبين أحكام فعله ومضى ما يريد من ربطه وحله حشهم على لزوم هذه القبلة محذرا من مخالفته فى شيء من الأشياء فقال : ﴿ واخشوني ﴾ ثم عطف على علة ٦ الاستقبال قوله : ﴿ ولا تم ﴾ أى بهذا الدين المفيد لعز الدارين ١٠

= الرخشرى غيره وذلك أنه متى أمكن الاستثناء المتصل إمكانا حسنا كان أولى من غيره . وفى المد من البحر ١ / ٤٤١ : وقرئ « الا » حرف استفتاح و « الذين ظلموا » مبتدأ خبره « فلا تخشعوا » .

(١) العبارة من هنا إلى « ان يدين دينكم » ليست فى ظ (٢) من م ومد ، وفى الأصل : الى (٣) ليس فى م (٤) فى م : لقي - كذا (هـ) قال المصنف ١ / ٦٤ : ﴿ فلا تخشعوا ﴾ أن يقولوا : خالفتم قبلة إبراهيم ، لأن هذا القول منهم يخالف ما تواتر من قبلة إبراهيم . وقال أبو حيان الأندلسى ١ / ٤٤٢ : هذا فيه تحقير لشأنهم وأمر باطراحهم ومراعاة لأمره تعالى ونهى عن خشيتهم فيما يزخرفونه من الكلام الباطل فانهم لا يقدرُونَ على نفع و ضرر وأمر بخشيته فى ترك ما أمرهم به من التوجه إلى المسجد الحرام (٦) فى الأصول : واخشون . (٧) فى م : الجملة .

ونعيمها الذي من 'جملته هذا' الاستقبال ﴿نعمى عليكم﴾ بالتمكين
 من الحجج وغيره من أمور الدين حين 'أنزل عليكم آية' اليوم اكملت
 لكم دينكم^٣، كما أتممتها على إبراهيم خليلي صاحب هذا البيت الذي
 وجهتم إليه . قال الحرالي : وفي طيه بشرى بفتح مكة واستيلائه على جزيرة
 العرب كلها و تمكنه بذلك من سائر أهل الأرض لاستغراق الإسلام
 لكافة العرب الذين فتح الله بهم له* مشارق الأرض و مغاربها التي
 انتهى إليها ملك أمته - انتهى . ﴿ولعلمكم تهتدون ه﴾ أى و لتكونوا
 على رجاء عند أنفسكم و من يراكم ممن لا يعلم العواقب من أن تهتدوا^٦
 إلى الثبات^٧ على هذه القبلة وغيرها من أمر هذا الدين بسبب خشيتي فانها
 ١٠ جالبة لكل خير و دافعة لكل ضرر . قال الحرالي : وفي كلمة دلل ،

على ما تقدم إيهام يشعر* بتصنيفهم صنفين : مهتد للثبات على السنة ،
 و متغير فيه بوجه من وجوه البدعة ، لما ذكر من أن ما هو للخلق تردد
 فهو من الحق تقسيم و إيهام في تعيين ذلك التقسيم و التصنيف ، ففيه
 إعلام لقوم بالاهتمام الدائم بما تفهمه صيغة الدوام و إشعار بانقطاع

(١-١) من م وظ و مد ، وفي الأصل : جملة هذه (٢) في م : حتى (٣) سورة ه
 آية ٣ (٤) في ظ : الذي (ه) ليس في ظ (٦) في ظ و مد : يهتدوا (٧) من م
 و مد وظ ، وفي الأصل : الكتاب (٨) قال أبو حيان الأنديسى ١ / ٦٤ :
 والمعنى لتكونوا على رجاء إدامة هدايتي إياكم على استقبال الكعبة أو لكي تهتدوا
 إلى قبة أبيكم إبراهيم ، و الظاهر رجاء الهداية مطلقا . و قال المهائمي : تهتدون
 للصراط المستقيم بالتوجه إليها لاستلزامه التوجه إلى الباطن فتهتدون بهذه القبلة
 هداية كاملة .

قوم عن ذلك التهادى بما يفهمه ما هو للخلق بموضع الترجى ، وفى طيه^١
 إشعار باستبدادهم بالامر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانقسامهم
 فيه بين ثابت عليه دائم الاهتداء فيه ومتغير عنه كما ظهر فيما كان
 من ثبات من ثبت بعده وردة من ارتد - انتهى ﴿ كما ﴾ أى وجهناكم
 إلى الكعبة لهذه العلة^٢ ﴿ ارسلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ فيكم ﴾ لاجل ه
 ذلك بعينه ولثلاثا تقولوا^٣ ما كانوا يقولون من أنكم لا حرمة لكم
 لإشراككم ولا إثم على من آذاكم^٤ فيتم^٥ عليكم النعمة بإرسال من
 يستنقذكم^٦ اتباعه من الجهل والذل فى الدنيا ومن العذاب فى الآخرة
 ﴿ رسولا ﴾ متصفا بأنه ﴿ منكم ﴾ تعرفون من صفته^٧ العلية^٨ وهمه الثم
 الحاملة على اتباعه والتمين برأيه ما لا يعرفه غيركم^٩ ﴿ يتلوا عليكم ١٠

(١) فى م : طيهم (٢) زيد فى م و ظ و مد : كما (٣) فى ظ و م و مد : يقولوا .
 (٤) العبارة من هنا إلى « فى الآخرة » ليست فى ظ (٥) فى م و مد : فتم (٦) من
 م و مد ، وفى الأصل : يستنقذكم - كذا (٧) فى م و مد و ظ : صفاته (٨) من
 ظ ، وفى الأصل و م و مد : العلى (٩) فى البحر المحيط ١/٤٤٥ : فهذا يظهر تعلق ،
 ﴿ كما ﴾ بما قبلها ويكون فى ذلك تشبيه إتمام هذه النعمة الحادثة من الهداية لاستقبال
 قبلة الصلاة التى هى عمود الإسلام وأفضل الأعمال وأدل الدلائل على الاستمسك
 بشريعة الإسلام بإتمام النعمة السابقة بإرسال الرسول المتصف بكونه منهم إلى
 سائر الأوصاف التى وصفه تعالى بها وجعل ذلك إتماما للنعمة فى الحالىين لأن
 استقبال الكعبة ثانيا أمر لا يزداد عليه شئ . بنسخه فهى آخر القبلات المتوجه
 إليها فى الصلاة كما أن إرسال محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر إرسالات
 الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ لا نبي بعده وهو خاتم النبيين ، نشبه إتمام =

اَيْتَنَا الحافظة^١ لمن رعاها حق رعايتها على الصراط المستقيم عوضا
 من تشاؤكم الأشعار . قال الحرالي : وفيه أخذهم بما هو في طباعهم
 من إثارة أمر السمع على أمر العين الذي عليه جبلت العرب ، لأنها
 أمة تؤثر مسموع المدح و الثناء من الخلق على ما تناله من الراحة فجهد^٢
 ٥ في طلب الثناء من الخلق ما لم تجهد أمة غيرها ، فكيف بها إذا كان
 ما دعت إليه ثناء الحق عليها وتخليد ذلك لها في كلام^٣ هو كلام ربها ،
 فتال بذلك ما هو فوق^٤ مقصودها مما جبلت عليه من إثارة السماع
 على العين بخلاف ما عليه سائر الأمم ؛ ثم قال : وفيه إغناء العرب عن
 إعمال أفكارها في تكسب العلم والحكمة لتستخرج منه أحكاما ، فكان^٥
 ١٠ في تلاوة الآيات عليهم إغناؤهم عن الاستدلال بالدلائل وأخذ^٦ الأمور
 بالشواهد وتولى الله ورسوله تعليمهم^٧ ليكون شرف المتعلم^٨ بحسب
 علاء من علمه ، ففضل علماء^٩ العرب على سائر العلماء كفضل النبي صلى الله
 عليه وسلم / على معلمهم ممن سواه صلى الله عليه وسلم . انتهى .

/ ١٤١

= تلك النعمة التي هي كمال نعمة استقبال القبل بهذا الإتمام الذي هو كمال
 إرسال الرسل ، وفي إتمام هاتين النعمتين عز للعرب وشرف واستمالة لقلوبهم
 إذ كان الرسول منهم والقبلة التي يستقبلونها في الصلاة بينهم الذي يحجونه
 قديما وحديثا ويعظمونه .

(١) من م ومد وظ ، وفي الأصل : الحافظ (٢) في ظ : فتجهد (٣) زيد في
 م : من (٤) في م : فرق (٥) في ظ : وكان (٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل :
 واحد (٧) في الأصل : تعليمهم ، والتصحيح من بقية الأصول (٨) من م ومد
 وظ ، وفي الأصل : التعلم (٩) في م : علم (١٠) قال أبو حيان الأندلسي : =
 ٢٤٠ (٦٠) ولما

ولما كان السياق لفعل من الأفعال وهو التوجه ' إلى البيت للصلاة
و كانت الصلاة أعظم مطهر للقلوب من أضرار ' الأدناس قدم قوله :
(ويزكيكم) أى يطهركم فى أقوالكم وأفعالكم و ينميكم^٢ بانعاش^٣ قلوبكم
لتشرف^٤ بالمعاني الصالحة و الأخلاق الطاهرة الموجبة للفوز الدائم و النجاة
عما^٥ دنس اليهود و أوجب لهم الضلال من مرض القلب بانكار النسخ
و كتم الحق و إفشاء الباطل المثمر مع الضلال للاضلال . قال الحرالى :
أنبأهم بأن هذا التنزيل لأنفسهم بمنزلة الغذاء للأبدان ، فكما تتناهى أجسادهم
بماء المزن و ما منه فكذلك تتناهى أنفسهم بأحكام الكتاب و تلاوة
الآيات ، و ذلك زكاؤها و نماؤها ، لتأكد فيه رغبتهم ، لأن للغتدى^٦

= ﴿رسولا منكم﴾ فيه اعتناء بالعرب إذ كان الإرسال فيهم و الرسول منهم
و إن كانت رسالته عامة و كذلك جاء « هو الذى يبعث فى الاميين » و يشعر
هذا الامتنان بأنه لم يسبق أن يرسل و لا يبعث فى العرب رسول غير نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم و لذلك أفردة فقال « رسولا منهم » و وصفه بأوصاف كلها
معجز لهم و هى كونه منهم و قاليا عليهم آيات الله و مزكيا لهم و معلما لهم
الكتاب و الحكمة و ما لم يكونوا يعلمون ، و قدم كونه منهم أى يعرفونه شخصا
و نسبا و مولدا و منشا ، لأن معرفة ذات الشخص متقدمة على معرفة ما يصدر
من أفعاله .

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : التوجيه (٢) من م و مد و ظ ، و فى
الأصل : اوصار - كذا (٣) من م و مد ، و فى ظ : يميكم ، و فى الأصل : يمينكم
- كذا (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : باشاس - كذا بالسين المهملة .
(٥) فى م و مد : لتشرق (٦) فى م و ظ و مد : مما (٧) من م و مد ، و فى ظ :
المفتدى ، و فى الأصل : للفتدى .

رغبة في الغذاء إذا تحققه ، فمن علم أن التزام الأحكام غذاء لنفسه حرص عليها ، ومتى نمت^١ النفس وزكت قويت على ما شأنها أن تناله قواها ، كما أن البدن إذا قوى بالغذاء تمكن مما شأنه عمله^٢ - انتهى . ﴿ ويعلمكم الكتاب ﴾ المقيم للدين^٣ و الدنيا .^٤ قال الحارثي^٤ : أي الفقه^٥ فيه . ﴿ والحكمة ﴾^٦ دقائق الإشارات الشافية لأمراض القلوب المانعة من اتباع الهوى . قال الحارثي : فخص تعليم الحكمة من عموم تعليم الكتاب ، لأن التوسل بالأحكام جهد^٧ عمل و التوسل بعلم الحكمة يسر^٨ منال عقل ، لأن الحكمة منال الأمر الذي فيه [عسر بسبب فيه -^٩] يسر فينال الحكيم بحكمته لاطلاعاً على إفشاء مجعول الأسباب بعضها لبعض مما بين أسباب عاجل^{١٠} الدنيا ومسبيات آجل الآخرة ما لا يصل^{١١} إليه جهد العامل الكادح وفي تكلمة الكتاب و الحكمة بكلمة^{١٢} دال^{١٣} ، إنهاء إلى الغاية الجامعة لكل كتاب و حكمة بما يعلمه الأولون^{١٤} و الآخرون^{١٥} . ثم قال :

(١) وفي ظ : تمت (٢) في ظ : منه (٣) في مد : الدين (٤-٤) ليس في ظ (٥) من ظ و مد ، وفي م : التفقه ، وفي الأصل : العفة (٦) زيد في م وظ و مد : أي . (٧) من م وظ ، وفي الأصل و مد : جهة (٨) في الأصل فقط : ليسر (٩) زيدت من م وظ و مد (١٠) في م : جاعل (١١) من م و مد وظ ، وفي الأصل : لا تصل (١٢) من م و مد ، وفي ظ : تكلمة ، وفي الأصل : تكلمه - كذا . (١٣) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : إلى (١٤) في ظ : الأول (١٥) قال أبو حيان الأندلسي (٤٤٥/١) : وأتى بهذه الصفات فعلاً مضارعاً ليدل بذلك على التجدد ، لأن التلاوة و التزكية و التعليم تتجدد دائماً ، وأما الصفة الأولى وهي كونه منهم فليست بمتجددة بل هو وصف ثابت له ﴿ ويعلمكم الكتاب و الحكمة ﴾ = و بذلك

وبذلك كان صلى الله عليه وسلم يتكلم في علوم الأولين بكلمات يعجز عنها إدراك الخلق نحو قوله صلى الله عليه وسلم : « استاكوا بكل عود ما خلا الآس والرمان فانهما يهيجان^١ عرق^٢ الجذام ، لأن الخلق لا يستطيعون حصر كليات المحسوسات ، غاية إدراكهم حصر كليات المعقولات ، ومن استجلى أحواله صلى الله عليه وسلم علم اطلاع حسه^٥ على إحاطة المحسوسات وإحاطة حكمها^٣ وأستنها^٤ ناطقها وأعجمها^٥ حيها وجادها^٦ جمعا^٧ ، لما في العادة حكمة ولما في خرق العادة آية^٨ ؛ ثم قال : فعلى قدر ما وهب الله^٩ سبحانه وتعالى^{١٠} العبد من العقل يعلمه من الكتاب والحكمة ، يؤثر عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه فكأنما^{١١} يتكلمان^{١٢} . بلسان أعجمي^{١٣} لا أفهم مما يقولان^{١٤} شيئا ، ولما كان انتهاء ما في الكتاب عند هذه الغاية أنبا^{١٥} تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم = وهو ذكر عام بعد خاص لأنهم لم يكونوا يعلمون الكتاب ولا الحكمة ، وفسر بعضهم ذلك بأن الذى لم يكونوا يعلمون قصص من سلف و قصص ما باتى من الغيوب .

(١) من م ومد وظ ، وفي الأصل : يهيجان - كذا (٢) وفي م : اعرق (٣) من م ومد وظ ، وفي الأصل : استنها (٤) في ظ : جميعا (٥) كذا في الأصل ، وفي م : اتيه ، وفي مد : ايتيه ، وفي ظ : آيته (٦-٦) ليس في م ومد (٧) من م وظ ومد ، وفي الأصل : فأنما (٨) في م ومد وظ : اعجم (٩-٩) من م ومد وظ ، وفي الأصل : كأنهم مما يقولون .

يعلمهم ما لم يكن في كتابهم مثال^١ عليه .^٢ ففيه إشعار بفتح وتجديد
 فطرة^٣ ، يترقون لها^٤ إلى ما لم يكن في كتابهم^٥ عليه - انتهى . وذلك
 لأن استعمال الحكمة موجب للترقى فقال تعالى : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا
 تعلمون ٥ ﴾ أى من الاستنباط من الكتاب من المعارف^٦ بما يدرىكم به
 ٥ من الأقوال والأفعال ويسلككم فيه من طرق^٧ الخير الكاشفة لظلام
 الظلم الجالية لمراى الأفكار المنورة لبصائر الاعتبار .

ولما كان من المعلوم أن هذا الخير الذى لا يفتر عنه
 ذو بصيرة ولا يقصر^٨ دونه من له أدنى همة إنما كان بذكر^٩ الله
 سبحانه وتعالى للعرب تفضلا منه عليهم بعد طول الشقا وتمادى الجهل
 ١٠ والجهد^{١٠} والعناء رغبهم^{١١} فيما يديم ذلك مسيئا له عما تقدم فقال :
 ﴿ فاذكرونى ﴾ أى لأجل إنعامى عليكم بهذا وبغيره ﴿ اذكركم ﴾
 فأفتح لكم من المعارف وأدفع عنكم من المخاوف ما لا يدخل تحت حد^{١٢}
 ﴿ واشكروا لى ﴾ وحدى من غير شريك [تشركون معى أزدكم ، وأكد

(١) وفي ظ : مثال (٢) العبارة من هنا إلى « كتابهم علمه » ليست في ظ (٣) من مد ،
 وفي الأصل وم : قطرة (٤) في م ومد : بها (٥) في م ومد : كيانههم - كذا .
 (٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : العارف (٧) في م : تطرق (٨) في م :
 يقتصر (٩) من مد وم وظ ، وفي الأصل : يذكر (١٠ - ١٠) من م ومد
 وظ ، وفي الأصل : والعبارة عنهم (١١) في البحر المحيط ١ / ٧٥٠ : وقال
 القشيري : ﴿ فاذكرونى اذكركم ﴾ الذكر استغراق الذاكر في شهود المذكور ثم
 استهلاكه في وجود المذكور حتى لا يبقى منه إلا أثر يذكر يقال : قد كان فلان ،
 قال تعالى : " انهم كانوا قبل ذلك محسنين " وإنما الدنيا حديث حسن فكن حديثا
 حسنا لمن وعى .

هذه الإشارة بقوله - [(ولا تكفرون) أى أسلبكم . قال الحرالي :
ولما كان للعرب ولع بالذكر لآبائهم و ٣ لوقاتهم ولآيامهم ٣ جعل
سبحانه و تعالى ذكره لهم عوض ما كانوا يذكرون ، كما جعل كتابه
عوضا من أشعارهم و هز عزائمهم لذلك بما يسرهم به من ذكره لهم -
اتهى .

٥

ولما ختم الآيات ، الآمرة باستقبال البيت فى الصلاة بالامر بالشكر
و مجانبة الكفر و كان ذلك رأس العبادة و فاعله / شديد الافتقار إلى
المعونة التفت إلى قوله تعالى فى أم الكتاب : ” اياك نعبد و اياك نستعين “
فأمرهم بما تضمن ذلك من الصبر و الصلاة ” ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
و المنكر “^٥ علما بأنهم سيمثلون حيث عصى^٦ بنو إسرائيل حين أمرهم ١٠
بمثل ذلك فى أول قصصهم بقوله : ” و اقيموا الصلوة و اتوا الزكوة
و اركعوا مع الرّكعين “^٥ - إلى أن قال : و^٧ استعينوا بالصبر و الصلوة
و انها لكبيرة الا على الخشعين “^٨ فكان فى ذلك إشارة إلى أنهم
[هم - ٩] الخاشعون و^٧ حسن موقع هذه الآية كونها بعد أذى أهل
الكتاب بنسبتهم لهم إلى بطلان الدين بتغيير الأحكام و نحو ذلك من ١٥

- (١) زيدت من م و مد و ظ ، غير أن فى ظ : يشركون - مكان : تشركون .
(٢) من م و ظ ، وفى الأصل : اسلبكم . وفى البحر المحيط : وقيل : معنى الشكر
هنا الاعتراف بحق المنعم و الثناء عليه ، ولذلك قابله (ولا تكفرون) (٣ - ٣) من
م و مد و ظ ، وفى الأصل : او فامعهم و لا بابيهم (٤) فى ظ : للآيات .
(٥) سورة ٢٩ آية ٤٥ (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يمضى (٧) ليس
فى ظ (٨) سورة ٢ آية ٤٣ - ٤٥ (٩) زيد من مد و ظ .

[مُرَّ - ١] الكلام كما في الآية الأخرى "و لتسمعن من الذين اوتوا
الكتب من قبلكم و من الذين اشركوا اذى كثيرا و ان تصبروا و تتقوا
فان ذلك من عزم الامور^٢" و كونها عقب الامر بالذكر والشكر إيماء
إلى أن ملاك^٣ كل منها الصبر و الصلاة فكأنه قيل: لا تلتفتوا إلى
ه طعن الطاعنين في أمر^٤ القبلة فيشغلکم ذلك عن ذكرى و شكرى بل
اصبروا و صلوا إلى متوجهين إلى القبلة التي أمرتكم بها عالمين أن الصبر
و الصلاة نعم العون على كل ما ينوب من دين و دنيا؛ و أرشق من
هذا أن يقال: ولما علم من^٥ هذه الآيات إعصال ما بينهم و بين
السفهاء و أمرهم بالدواء المنجح^٦ من الإعراض عنهم و الإقبال على^٧
١٠ ذكره و شكره اتبع ذلك للإشارة^٨ إلى أن الأمر يصل [إلى - ٩]
أشد مما توهموه فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾^{١٠} مخاطبا لهم على وجه
(١) زيد من ظ و مد (٢) سورة ٣ آية ١٨٦ (٣) وقع في م: هلاك - كذا
مصحفا (٤) وقع في الأصل: امن، و التصحيح من م و مد و ظ (ه) في م: في.
(٦) من مد و ظ، و في الأصل: المنجح، و في م: المنجي (٧) زيد في الأصل
«ما» و لم تكن الزيادة في م و ظ و مد فحذفناها (٨) في مد: الإشارة (٩) زيد
من م و مد و ظ (١٠) قال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ١ / ٤٤٨:
و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنهم سمعوا من طعن الكفار على التوجه إلى
الكعبة و الصلاة إليها أذى كثيرا فأمرؤا عند ذلك بالاستعانة بالصبر و الصلاة،
و قد قيد بعضهم الصبر هنا بأنه الصبر على أذى الكفار بالطن على التحول و الصلاة
إلى الكعبة.... و روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: الصبر من الإيمان
بمنزلة الرأس من الجسد و لا خير في جسد لا رأس له.

يشمل الكامل صلى الله عليه وسلم ولعله صرف الخطاب عنه لما في السياق مما يحصى عنه صلى الله عليه وسلم مقامه العالى ﴿استعينوا بالصبر﴾ أى على ما تلقون منهم وعلى الإقبال إلى^١ لا كيفكم كل مهم^٢ ﴿والصلوة﴾ فإنها أكبر معين لأنها أجمع العبادات ، فمن أقبل بها على مولاه حاطه وكفاه لإعراضه عن كل ما سواه ، لأن ذلك شأن كل كبير^٣ فيمن ه أقبل بركيته عليه .

ولما كانت الصلاة لا تقوم إلا بالصبر اقتصر على التعليل به فقال : ﴿ان الله﴾^٤ أى الذى له الكمال كله ﴿مع الصبرين ه﴾^٥ أى ومعلوم أن من كان الله سبحانه وتعالى معه فاز . قال الحرالى : وأيسر الصبر صبر النفس عن كسلها بأخذها بالنشاط فيما كلفت^٦ به و ” لا يكلف الله ١٠ نفسا الا ما اتنها^٧ ” و ” لا يكلف الله نفسا الا وسعها^٨ ” ففى سر الله سبحانه وتعالى عليها^٩ الجد والعزيمة^{١٠} جعل لها فيما كانت تصبر عليه فى الابتداء الاستحلاء فيه وخفت عنها وظيفة الصبر ، ومتى لم تصبر عن كسلها وعلى جدها تدنست ففاتها عقوبات يكون الصبر عليها أشد

- (١) فى م وظ ومد : على (٢) هكذا فى الأصل ومد ، وفى م وظ : منهم .
 (٣) من م وظ ومد ، وفى الأصل : كبيرة (٤-٤) ليست فى ظ (٥) وفى البحر المحيط : ولما كانت الصلاة ناشئة عن الصبر وصار الصبر أصلا لجميع التكليف الشاقة قال ﴿ان الله مع الصبرين﴾ فاندرج الصلون تحت الصابرين اندراج الفرع تحت الأصل (٦) من م وظ ومد ، وفى الأصل : بلغت (٧) سورة ٦٥ آية ٧ (٨) سورة ٢ آية ٢٨-٢٩ (٩) من م وظ ، وفى الأصل : عليه .
 (١٠ - ١٠) فى الأصل : الجدة والعزيمة .

من الصبر الاول، كما أن [من - ١] صبر عن حلو الطعام لم يحتاج أن يصبر على مر الدواء، فإن تحملت الصبر على عقوبات ضياع الصبر الاول تداركها نجاة من اشتداد العقوبة عليها، وإن لم تتصبر على تلك العقوبات وقعت في مهالك شدائد العذاب فقليل لأهلها "فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم"؛ ثم قال: فبداية الدين صبر وخاتمة يسر، فإن من كان الله سبحانه و تعالى معه رفع عنه مرارة الصبر بوضع حلالة الصحة^٢ التي تشعر بها كلمة^٣ [مع - ٥] - انتهى .

ولما أشار لهم إلى ما يستقبلونه من حال الطاعنين في دينهم ورقاهم في ذلك درجة [بعد درجة - ٥] اتبعه ما دل^٦ على أن الأمر يصل إلى ١٠ القتل وما دانه^٧ ليأخذوا لذلك أهبة و يعتدوا له عدته .

وقال الحرالي: ولما كان الصبر لله إنما هو^٨ حمل النفس على ما تعهد^٩ فيه كرهها أنبأهم الحق تعالى أن الصبر له ليس على المعهود وأنه يوجد فيه عند تجشمه حلالة لذة الحياة وإن كان^٩ ذلك مما لا يناله شعور الذين آمنوا لحفائه عن^{١١} إدراك المعقول فأنبأهم بما يحملهم ١٥ على تجشم الصبر في الجهاد في سبيل الله فقال: ﴿ولا تقولوا﴾ عطفًا

(١) زيد من م ومد و ظ (٢) من م ومد و ظ ، وفي الأصل: عليهم؛ ووقع في الأصول كلها: اصبروا - مكان: فاصبروا - راجع سورة ٥٢ آية ١٦ (٣) في م فقط: الصحة (٤) وقع في الأصل: كله - مصحفاً (٥) زيد من م ومد و ظ . (٦) في م: يدل (٧) من م ومد و ظ ، وفي الأصل: ادناه (٨) ليس في ظ . (٩) في مد: يعهد (١٠) في ظ: من (١١) قيل سبب نزول هذه الآية أنه قيل لمن قتل في سبيل الله: مات فلان و ذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزلت، نهوا =

على متجاوز أمور تقتضيها بركة الجهاد - انتهى . أى وجاهدوهم لتقتلوهم
ويقتلوكم وتسلبوهم ويسلبوكم ولا تقولوا ؛ أو يقال : ولما كان الصبر واقعا
على أمور أشقها الجهاد ثم الحج ثم الصوم و كان ' بعض الصحابة رضى الله
تعالى عنهم قد سألوا عمن مات منهم على قبلة بيت المقدس فبين لهم
ما صاروا إليه بقوله تعالى : " وما كان الله / ليضيع إيمانكم " - تلوا آية ٥ / ١٤٣
الصبر بتبيين حال الشهداء المقتولين فى الجهاد من المؤمنين دفعا ٣ لظن
أنهم أموات و التفاتا إلى ما أشار به إلى صيرورة الأمر ' إلى الحرب
حيث عاب المانعين للمسجد وأخبر بأنه سيحصل لهم خزي فى الدنيا
بالقتل والأسر و عذاب عظيم فى الآخرة بالنار و السخط و إيماء إلى
أنه سيأذن لهم فى مقارعة من أمرهم بالصبر على أذاهم * من أهل الكتاب ١٠
حتى يمحقهم السيف و يسكنهم ' الذل و الخوف ' ، فالمعنى : اصبروا
على كل ما يقوله أهل الكتاب و غيرهم فى أمر ' القبلة و غيره
و على كل ما يغير به الشيطان فى وجه الإيمان و صلوا إلى البيت الذى
وجهتكم إليه و جاهدوا كل من خالفكم حتى يكون الدين لله صابرين على كل
ما ينوب فى ذلك من القتل و النهب و غيره و لا تقولوا إذا قاتلتم الكفار ١٥

== عن قولهم عن الشهداء : أموات ، و أخبر تعالى أنهم أحياء .

(١) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : قال (٢) فى م و مد و ظ : تلى ، و لا يتضح
فى الأصل (٣) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : رضا (٤) من م و مد ، وفى
الأصل : الامو ، وفى ظ : للامر (٥) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : اذانهم .
(٦) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : يسلمتهم (٧) من م و مد و ظ ، وفى
الأصل : الخرف (٨) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : اهل .

المناصين [لكم - ١] من العرب وغيرهم ' من أهل الكتاب وغيرهم ٢
 ﴿لن يقتل﴾ منكم ﴿في سبيل الله﴾ ٣ أى الذى له جميع صفات
 الكمال ٢ بأن يقاتلوا ٤ لتكون كلمة الله هى العليا لا شئ غير ذلك
 من دنيا أو عصية ، فانا سنكتب عليكم الجهاد ونستشهد منكم شهداء : إنهم
 ٥ ﴿أموات﴾ بل قولوا : إنهم شهداء ، فانهم ليسوا بأموات ﴿بل﴾ هم
 ﴿أحياء﴾ وسيأتى فى آل عمران أن ذلك معنى الشهيد . قال الحرالى : فكأنه
 تعالى ينفى عن المجاهد مثال المكروه* من كل وجه حتى فى أن يقال عنه إنه
 ميت ، فمناه من القول الذى هو عندهم من أشد غرض أنفسهم لاعتلاق
 أنفسهم بحمىل الذكر ١ ، ثم قال وأبهم أمرهم فى هذه السورة ونفى عنهم
 ١٠ القول ، لأن هذه سورة الكتاب المدعو به الخلق وصرح بتفضيله ٢
 فى آل عمران لأنها سورة قيام الله الذى به تجلى الحق فأظهر غيب أمره
 فى سورة إظهار أمره وأخفاه فى سورة ظاهره ٤ دعوتهم - انتهى .

ولما كان الحسن قاصرا عما أخبر به سبحانه و تعالى قال منها على
 ذلك ﴿ولكن لا تشعرون ٥﴾ أنهم أحياء كما ترون النيام همودا
 (١) زيد من م ومد (٢-٢) ليست فى م (٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى ظ : تقاتلوا .
 (٥) زيد فى م : و (٦) وفى البحر المحيط ٤٤٨/١ : وأكثر أهل العلم على أنهم
 أحياء فى الوقت ، ومعنى هذه الحياة بقاء أرواحهم دون أجسادهم إذ أجسادهم
 نشاهد فسادها وفناءها ، واستدلوا على بقاء الأرواح بعذاب القبر و بقوله :
 ﴿ولكن لا تشعرون﴾ معناه لا تشعرون بكيفية حياتهم (٧) فى م وظ :
 بتفصيله (٨) من م وظ و مد ، وفى الأصل : ظاهره (٩) فى ظ : لا يشعرون .

لا يتحركون ولا شعور لكم بمن فيهم ينظروا أحلاما من ٢ غيره،
 فلا تفر أعظم من ذلك في الدنيا ولا عيش أرغد منه في الآخرة ٣، وأما
 المقتول من أعدائكم فليس له في الدنيا إلا الخزي والفضيحة بالقهر والذل
 والهوان والعذاب الذي لا آخر له في الآخرة . قال الحرالي : قال ذلك
 نفيا بكلمة لا ومثال الدوام فقيه إعلام بأن الذين آمنوا ليس في رتبته ٥
 الشعور به أصلا إلا أن يرقبهم الله ببناء سن القلوب و صفاء الأنفس إلى
 ما فوق ذلك من سن المؤمنين إلى سن المحسنين الذين يشهدون من الغيب
 ما لا يشهده من في رتبة الذين آمنوا - انتهى . وفي هذا إشارة إلى أن
 كون الله معهم لا يمنع أن يستشهد منهم شهداء ، بل ذلك من ثمرات
 كون الله معهم حيث يظفر من استشهد منهم بسعادة الآخرة ومن بقي ١٠
 بسعادة الدارين ؛ و تلخيص ذلك أن يقال إنه ٥ لما كان حاصل ما تقدم

(١) من م ومد وظ ، وفي الأصل : يقطر (٢) من مدوم وظ ، وفي الأصل :
 عن (٣) قال أبو حيان الأندلسي : وقد ذهب بعض الناس إلى أن الشهيد حي
 بالجسد والروح ولا يقدح في ذلك عدم الشعور به من الحي غيره فنتحن زاهم
 على صفة الأموات وهم أحياء كما قال تعالى ” وترى الجبال تحسبها جامدة وهي
 تمر مر السحاب “ وكما ترى النائم على هيئة وهو يرى في منامه ما يتعم به
 أو يتألم به . ونقل السهيلي في كتاب دلائل النبوة من تأليفه حكاية عن بعض
 الصحابة أنه حفر في مكان فانفتحت طائفة فاذا شخص جالس على سرير وبين يديه
 مصحف يقرأ فيه وأمامه روضة خضراء وذلك بأحد ، وعلم أنه من الشهداء
 لأنه رأى في صفحة وجهه جرحا (٤ - ٤) من م وإمد وظ ، وفي الأصل :
 يتماس - كذا (٥) ليس في م .

في هذه السورة أن أهل الأرض كلهم قريهم و بعيدهم 'وثنيهم و كتيهم'
 مطبقون على عداوة أهل هذا الدين و كان كثيرا ما يأمرهم بالصبر على
 أذاهم اشتد تشوّف^١ النفوس إلى أنه هل بعد هذا الكف من فعل ،
 فأشار إلى أنه سيأمر^٢ بعد الصبر على أذى اللسان بالصبر على جلال
 السيف و السنان^٣ أمرا عاما فقال عاطفا^٤ هذا النهى على الأمر
 بالصبر ، أى اصبروا [الآن على هذا الأذى ثم اصبروا -^٥] إذا أمرتكم
 بالجهاد على وقع السيوف و اقتحام الخوف و فقد من يقتل منكم^٦
 و لا تصفونهم بالموت ، و لعله فاجأهم^٧ بما تضمنته هذه الآية توطينا لهم
 على القتل في سبيله و كان استشرافهم إلى الحرب قد كثر و بشرهم^٨ بأن
 ١٠ القتل فيه حى^٩ و إن رنى ميتا تسلية لهم عن هذا الحادث العظيم
 و الخطب^{١٠} الجسم^{١١} .

و لما كان من شأن الطين الذى منه البشر و ما تولد منه أنه لا يخلص
 عن الشوائب إلا بعد معاناة شديدة ، ألا ترى أن الذهب أصفاه و هو
 لا يخلو عن الغش و لا يعرى عما خالطه من الدنس إلا بالامتحان بشديد

(١-١) من م و مد و ظ ، و وقع في الأصل : و تنبههم و كسابهم - كذا
 مصحفا (٢) من م و ظ و مد ، و في الأصل : تشوق (٣) من م و ظ و مد ،
 و في الأصل : ساير - كذا (٤) زيد في م و ظ : على (٥) زيد من م و ظ (٦) في
 م : منهم (٧) في م : فاجأهم (٨) من م و ظ و مد ، و في الأصل : يسرهم .
 (٩) ليس في م (١٠) من ظ ، و في الأصل : الخطب ، و في م و مد : خطب .
 (١١) و في هذه الآية تسلية لأقرباء الشهداء و إخوانهم من المؤمنين بذكر أنهم
 أحياء فهم مغبوطون لا محزون عليهم - البحر المحيط ٤٤٩/١ .

النيران^١ قال تعالى معلما لهم بالتربية بما تحصل به التصفية بما تؤدى^٢
إليه مناصبة الكفار ومقارعة / أهل دار البوار: ﴿ ولبلونكم ﴾ عطفا
على ما أرشد إليه التقدير من نحو قوله: فلنأمرنكم بمقارعة كل^٣ من^٤
أمرناكم^٥ من قبل بمجاملته^٦ ولتتالان عليكم أهل الأرض ولبلونكم^٧
أى يصيكم^٨ بأشياء^٩ إصابة تشبه^{١٠} فعل المختبر لأحوالكم ليظهر الصابر^{١١}
من الجزع^{١٢}. قال الحرالى^{١٣}: فالصبر الأول أى فى " ان الله مع
الصبرين " عن الكسل وعلى العمل ، والصبر الثانى أى فى " وبشر
الصبرين " على مصائب الدنيا ، فلذلك انتظم بهذه الآيات آية " ولبلونكم "
عطفا وتجاوزا لأمر يؤخذ بها من " لم يجاهد " فى سبيل الله ضعفا عن
صبر النفس عن كره القتال " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال وهو ١٠
كره لكم " فمن لم يحمل الصبر الأول على الجهاد أخذ بأمور هى بلايا

(١) فى ظ: يؤدى (٢-٢) فى ظ: من اتاكم (٣) فى م: بمجاملته (٤) العبارة
من هنا إلى « الجزع » ليست فى ظ (٥) فى م ومد: نصيكم (٦) من م ومد،
وفى الأصل: باسنا (٧) من م ومد، وفى الأصل: فشبه (٨) زيد فى م وظ
ومد « و » (٩) قال أبو حيان الأندلسى (١٠/٤): وهذه الآية لها تعلق بقوله
« واستعينوا بالصبر والصلوة - الآية » وقبلها « واشكروا لى » والشكر
يوجب زيادة النعم والابتلاء بما ذكر ينافيه ظاهرا، وتوجيه أن إتمام الشرائع
إتمام للنعمة وذلك يوجب الشكر، والقيام بتلك الشرائع لا يمكن إلا بتحمل
المشاق فأمر فيها بالصبر، وأنه أهم أولا فشكر وإتلى ثانيا فصبر، لينال درجتي
الشكر والصبر فيكمل إيمانه، كما روى عنه عليه السلام: الإيمان نصفان: نصف
صبر ونصف شكر (١٠-١٠) فى ظ: لم يكن يجاهد (١١) سورة ٢ آية ٢١٦.

في باطنه تجاوزها الخطاب فانعطف عليها "ولنبلونكم" (بشيء من الخوف) وهو حذر النفس من أمور ظاهرة تضرها (والجوع) وهو غلبة الحاجة إلى الغذاء على النفس حتى تتراعى لاجله فيما لا تأمل عاقبه، فاذا كان على غير غلبة مع حاجة فهو الغرث^١، فلذلك في الجوع ٥. بلاء ما والغرث^٢ عادة جارية. وقال أيضا: الجوع فراغ الجسم عما به قوامه كفراغ النفس عن الأمانة التي لها قوام ما، فأفقدتها القوامين في ذات نفسها بالخوف وفي بدنهما بالجوع لما لم تصبر على كره الجهاد، وقد كان ذلك لأهل الصبر عليه أهون من الصبر على الخوف والجوع، وإنما كان أول نائلهم من هذا الابتلاء^٣ الخوف حيث خافوا ١٠. الأعداء على أنفسهم فجاءهم إلى مواطنهم، من لم يمش إلى طبيبه ليستريح جاء الطبيب لهلاكه، وشتان بين خوف الغازي للعدو في عقره وبين خوف المحصر في أهله، وكذلك^٤ شتان بين أرزاق المجاهد وتزويده^٥ وخير الزاد التقوى في سبيله لجهاده وبين جوع المتخلف في عياله - انتهى^٦. ونكر الشيء وما بعده حثا على الشكر بالإشارة إلى أن كل

(١) في م: عن (٢) من مد وظ، وفي الأصل: الفرث، وفي م: العرث.
(٣) من م وظ ومد، وفي الأصل: الفرث (٤) في ظ: الابتلاء (ه) من م وظ ومد، وفي الأصل: المحصر (٦) زيد في الأصل: عياله، ولم تكن الزيادة في م ومد وظ فحذفناها (٧) من م ومد وظ، وفي الأصل: تزويده.
(٨) وفي البحر المحيط ١/ ٤٥٠: وجاء هذا الترتيب في العطف على سبيل الترقى فأخبر أولا بالابتلاء بشيء من الخوف وهو توقع ما يرد من المكروه، ثم انتقل منه إلى الابتلاء بشيء من الجوع وهو أشد من الخوف بأي تفسير فسر به من =

ما أصاب منها في قدرة الله ما هو أعظم منه ، فعدم الإصابة به نعمة .
ولما كان الجوع قد يكون عن رياضة بين أنه عن حاجة بقوله :
﴿ ونقص ﴾ وهو التقاصر عن الكفاف ﴿ من الاموال ﴾ أي النعم التي كانت
منها أغذيتهم . قال الحرالي : لأن ذلك عرف استعمالهم في لفظ المال ،
وقال أيضا : [والمال - ١] ما هو للتمول بمنزلة الجزء ^٢ منه عنده لماله ^٥
لذلك منه ، فضعف تعالى مثال ^٣ البلاء في ذوات أنفسهم وأبدانهم
ليقطع عنهم راحة تطلع الكفاية من الاموال في مقابلة ما ينال المجاهد
من الغناء والرزق ، فالمجاهد آمن في جيشه متزود في رحله غانم من
عدوه ، والمتخلف خائف في أهله جائع في عياله ناقص المال من ذات
يده - انتهى .

١٠

ولما كان ذلك قد يكون عن إفراط في الكثرة قال : ﴿ والانفس ﴾ ^٤
قال الحرالي : فيه إشعار بأن من جاهد كثر عدده ^٥ ونما ولده ، وأن
من تكاسل قل عدده ودرج خلفه ، وفي ضمنه إشعار بمثال ^٦ التكاسل ^٧

= القحط أو الفقر أو الحاجة إلى الأكل فبدأ أولا بالأموال ثم ترقى
إلى الأنفس ؛ وأما ﴿ والثمرات ﴾ بخفاء كال تخصيص بعد التعميم لأنها تدرج
تحت الأموال فلا ترقى فيها (٩) العبارة من هنا إلى « به نعمة » ليست في ظ .
(١) زيد من م وظ ومد (٢) في ظ فقط : الجزء (٣) في م فقط : مثال - كذا .
(٤) قال أبو حيان الأندلسي : ﴿ والآنفس ﴾ بالقتل والموت ، وقال الشافعي :
بالأمراض ، وقيل بالشيب (٥) في م : عدوه - كذا (٦) من م وظ ومد ،
وفي الأصل : بمثال (٧) من م وظ ومد ، وفي الأصل : التكاسل .

حواصد ١ من جوارف الآجال ٢ من الوباء والطاعون وغيره - انتهى .
 وقال : ﴿ والثمرات ﴾ ٣ التي هي أنفس الأشجار التي بها قوام أنفس
 الابدان تخصيصاً لها بالذكر ، لأنها أعظم أموال الأنصار الذين هم من
 أخص الناس بهذا الذكر لا سيما في وقت نزول هذه الآيات وهو أول
 زمان الهجرة .

ولما كان السياق مرشداً إلى أن التقدير : فأنذر من لم يصبر ، ولكنه
 طوى إشارة إلى إجلال الذين آمنوا عن أن يكون فيهم من لم يصبر
 عطف عليه إرشاداً إليه وحثاً على الصبر ثم الذكر الموجب للنصر قوله :
 ﴿ وبشر الصبرين ﴾ وقال الحرالي : ولما كان هذا البلاء عن تكاسل
 ١٠ من الصبر الأول كما قال تعالى ” إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
 بانفسهم “ وكان مما يتداركه صبر عليه تدارك تعالى هذه الرتبة
 يبشرى ٥ الصابرين من هلكه ما ينال من لم يصبر على هذه المصيبة

(١) في ظ : حواصد (٢) من م وظ ومد ، وفي الأصل : الرجال (٣) وفي البحر
 المحيط ٤٠٠/١ ﴿ والثمرات ﴾ يعني الجوارح في الثمرات وقلة النبات وانقطاع
 البركات ، وقال القفال : قد يكون نقصها بالجدوب ، وقد يكون بترك عمارة
 الضياع للاشتغال بالجهاد ، وقد يكون بالإلتفاف على من يرد من الوفود على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل بظهور العدو عليهم ، وقال الشافعي :
 ﴿ والثمرات ﴾ موت الأولاد ، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه (٤) ليس في ظ .
 (٥) سورة ١٣ آية ١١ (٦) من م وظ ومد ، وفي الأصل : هنا (٧) من م ومد
 وظ . وفي الأصل : ليسرى - كذا .

وضجر منها وتسخط فيها^١، فكان للصابر الأول الصجبة بقوله:
 ”ان الله مع الصبرين“.

ولما^٢ كان للصابر الثاني البشري^٣ بالسلامة من عقوبة الآخرة
 و^٤ مناهم لما تولهم^٥ و شتان بين من كان الله معه وبين من قيل لنيه / بشره / ١٤٥
 بصبره على بلاء التخلف^٥، ولما^٦ كان للأُنفس مدخل في تحمل الصبر^٥
 شرفا وحفيظة على الأحساب والرتب الدنيوية خلص تعالى الصابرين له
 من الصابرين تطبعا وتحاملا فقال: ﴿الذين اذا أصابتهم﴾ من الإصابة

(١) من م وظ ومد، وفي الأصل: فيهما (٢) ليس في م ومد (٣) من م
 ومد وظ، وفي الأصل: اليسرى- كذا (٤-٤) من م وظ ومد، وفي
 الأصل: ينالهم لما تولهم (٥) في م: المتخلف (٦) قال أبو حيان الأندلسي: قالوا:
 والصبر من خواص الإنسان؛ لأنه يتعارض فيه العقل والشهوة وهو بدني،
 وهو إما فعلى كتعاطى الأعمال الشاقة، وإما احتمال كالصبر على الضرب الشديد،
 ونفسي وهو وقع النفس عن مشتبهات الطبع؛ فإن كان من شهوة الفرج
 والبطن سمي عفة، وإن كان من احتمال مكروه اختلفت أساميها باختلاف
 المكروه، ففي المصيبة يقتصر عليه باسم الصبر ويضاده الجزع، وإن كان في
 الغنى سمي ضبط النفس ويضاده البطر، وإن كان في حرب سمي شجاعة ويضاده
 الجبن؛ وإن كان في نائية مضجرة سمي سعة صدر ويضاد الضجر، وإن كان
 في إخفاء كلام سمي كتماناً ويضاده الإعلان، وإن كان في فضول الدنيا سمي
 زهداً ويضاده الحرص، وإن كان على يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره؛
 وقد جمع الله أقسام ذلك وسمى جميعها صبراً فقال: ”والصبرين في البأساء“
 أى المصيبة ”والضراء“ أى الفقر ”وحين اليأس“ أى المحاربة - البخر
 المحيط ٤٥١/١.

وهو ١ وقوع المسدد على ٢ حد ما سدد ٢ له من موافق لغرض النفس
أو مخالف لها ﴿مصيبه﴾ خصيصه ٢ عرف الاستعمال بما لا يوافق تكرها
لخصوص ذكره - انتهى . ١ والمراد [أى - ١] مصيبة كانت ولو قلت
وضعت بما أفهمه تأنيثه ٢ الفعل ﴿قالوا انا لله﴾ أى ٣ الملك المحيط
٥ بكل شيء ٣ إسلاما بأنفسهم لربهم ٤ فهو يفعل بنا من هذه المصيبة
وغيرها ما يريد فهو المسؤول [فى - ١] أن يكون ذلك أصلح لنا .

ولما كان التقدير يانا لكونهم لله تقريراً للاستسلام ١ به : نحن
مبتدئون ، عطف عليه ﴿وانا اليه﴾ ٢ أى لا إلى غيره ٣ ﴿رجعون ه﴾ ٤

- (١) فى م وظ ومد : وهى (٢-٢) من م وظ ومد ، وفى الأصل : حدم واسدد .
(٢) فى مد : خصيصه ، وفى م وظ : خصصه (٤) العبارة من هنا إلى « الفعل »
ليست فى ظ (٥) زيد من م ومد (٦) كذا فى الأصل ومد ، وفى م : تأنيث .
(٧-٧) ليست فى ظ (٨) العبارة من هنا إلى « عطف عليه » ليست فى ظ .
(٩) زيد من م ومد (١٠) من م ومد ، وفى الأصل : للاستسلام (١١) وفى
البحر المحيط ١ / ٤٥١ : لإقرار بالبعث و تنبيه على مصيبة الموت التى هى أعظم
المصائب وتذكير أن ما أصاب الإنسان دونها فهو قريب ينبغى أن يصبر له ...
وفى المنتخب ما ملخصه : إن إسناد الإصابة إلى المصيبة لا إلى الله تعالى ليعم
ما كان من الله وما كان من غيره ، فما كان من الله فهو داخل تحت قوله
﴿انا لله﴾ لأن فى الإقرار بالعبودية تفويضا للأموال إليه ، وما كان من غيره
فتكليفه أن يرجع إلى الله فى الإنصاف منه ولا يتعدى كيانه فى الأول : انا لله
يدبر كيف يشاء ، وفى الثانى : انا اليه ينصف لنا كيف يشاء .

معنى فى أن جميع أمورنا لا يكون شىء منها إلا لله وحسابا لبعث
 وظهور ذلك بعده ظهورا تاما . قال الحرالى : ' لتكون ' ذلك غاية
 فى إسلام ثمراتهم وأموالهم وما نقصوا من أنفسهم ، فحين لم يجاهدوا
 فى سبيل الله فأصابتهم المصائب كان تلافيهم أن يسلبوا أمرهم لله و يذكروا
 مرجعهم إليه و يشعروا أن ما أخذ من أنفسهم وما معها ذخيرة ٣ عنده ، ٥
 فيكون ذلك شاهد إيمانهم و رجائهم للقائه فتقع ' مجاهدتهم لأنفسهم
 فى ذلك بموقع جهادهم فى سبيل الله الذى فاتهم و جعلها ' جامعة مطلقة
 لكل من أصابته مصيبة فاسترجع بها ثبت أجره بما أصيب و تلاقاه الله
 بالاهتدا إلى ما تقاصر عنه قبل ذلك قال : (أو لك) خطابا لنيه
 واستحضارا لهم بمحل بعد عن قرب و غيبة عن إقباله عليهم . قال : ١٠
 (عليهم صلوات) صلاة الله على عباده هى إقباله عليهم بعطفه
 إخراجا لهم من حال ظلمة إلى رفعة نور ، قال : " هو الذى يصلى عليكم
 وملئكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور " فبصلاتهم عليهم إخراجهم
 من جهات ما أوقعهم فى وجوه تلك الابتلاءات ، فلذلك كان ذلك
 صلوات بالجمع " ولم يكن صلاة ليعدد ما أصابهم منه عدد تلك ١٥
 الابتلاءات . وفى قوله تعالى (من ربهم) إشعار بتدريجهم فى ذلك
 (١-١) ليست فى ظ (٢) فى م وظ ومد : ليكون (٣) فى م : وخيره ، وفى ظ :
 وخيرة - كذا (٤) من م ومد ، وفى الأصل : فنقطع ، وفى ظ : فيقع (٥) زيد
 فى م وظ ومد : تعالى (٦) من م ومد وظ ، وفى الأصل : بعطف .
 (٧) سورة ٣٣ آية ٤٣ (٨) فى م وظ ومد : بصلواته (٩) فى م وظ : أخرجهم .
 (١٠) ليس فى ظ (١١) فى ظ : بالجمع .

بحكم تربية و تدارك الأحوال ' ما أصابهم ، قال تعالى : ﴿ ورحمة ﴾ ' أفرادا لمناهلهم بعد متقدم الصلوات عليهم ، فالتهم الرحمة جمعا حين أخرجتهم الصلوات أفرادا ٣ . قال تعالى : ﴿ واولئك ﴾ إشارة إلى الذين ' نالتهم الصلوات و الرحمة فأبقاهم ' مع ذلك في محل بعد في الحضرة ه و غية في الخطاب ﴿ هم المهتدون ه ﴾ جاء بلفظ "هم" إشعارا بصلاح بواطنهم عما جره ٦ الابتلاء من أنفسهم - انتهى ٧ . و الذي يلوح

(١) زيد في مد : على (٢) و الرحمة قيل : هي الصلوات ، كررت تأكيدا لما اختلف اللفظ كقوله : " رافة ورحمة " و قيل : الرحمة كشف الكرب و قضاء الحاجة ، و قال عمر : نعم العذلان و نعم العلاوة ! و تلا " الذين إذا أصابهم - الآية " يعنى بالعدلين الصلوات و الرحمة و بالعلوة الاهتداء . و في قوله : " اولئك " اسم الإشارة الموضوع للبعد دلالة على بعد هذه الرتبة ، كما جاء " اولئك على هدى من ربهم " و الكناية عن حصول الغفران و التناء بقوله : " عليهم صلوات " بحرف « على » إشارة إلى أنهم منغمسون في ذلك فـمد غشيتهم و نجلتتهم ، و هو أبلغ من قوله « لهم » (٣) من م و مد وظ ، و في الأصل : افراد (٤) في الأصل : الذين (٥) من م و مد وظ ، و في الأصل : فاتقاهم - كذا (٦) من م و مد وظ ، و في م : جرت ، و في الأصل : خيره (٧) قال أبو حيان الأندلسي : ﴿ هم المهتدون ﴾ إخبار من الله عنهم بالهداية ، و من أخبر الله عنه بالهداية فلن يضل أبدا ، و هذه جملة ثابتة تدل على الاعتناء بأمر المخبر عنه إذ كل وصف له يبرز في جملة مستقلة . و بدى بالجملة الأولى لأنها أهم في حصول الثواب المترتب على الوصف الذي قبله ، و أخبرت هذه لأنها تنزل مما قبلها منزلة العلة ، لأن ذلك القول المترتب عليه ذلك الجزل الجزل لا يصدر إلا عن سبقت هدايته ، و أكد بقوله "هم" و بالألف و اللام كأن الهداية =

لي^١ أن أداة البعد في "اولئك" إشارة إلى علو مقامهم وعز مرامهم، ولذا
عبر عن هدايتهم بالجملة الاسمية على وجه يفهم الحصر؛ والصلاة الإنعام
بما يقتضى التشريف، والرحمة الإنعام بما يقتضى العطف والتحنن -
والله سبحانه وتعالى الموفق؛ وفي ذلك إشارة إلى الأمر بالإعراض
عن أهل الكتاب فيما يطعنون عليهم به بألسنتهم والإملاء لهم إلى حين ه
الإذن في مطاعتهم بالرماح ومصالتهم^٢ ببيض الصفاح، كما في الآية
الآخري "تلبون في أموالكم وانفسكم - إلى آخرها"^٣ ويمكن أن يراد
"بالخوف الجهاد". وبالجموع الصوم، وبنقص لأموال زكاة الصامت
من المال، وبالانفس زكاة الحيوان، وبالثمرات زكاتها؛ لكن
الأنسب لافتتاح الآية واختتامها وما تقدمها وتلاها أن تكون مقصورة^٤ ١٠
على الجهاد.

ولما فرغ مما^٥ أراد من أحوال الطاعنين في القبلة التي هي قيام
للناس وما استتبع ذلك مما^٦ يضطر إليه في إقامة الدين من جدالهم
وجلاذهم وختم ذلك بالهدى شرع في ذكر ما كان البيت به قياما

= انحصرت فيهم؛ وباسم الفاعل ليدل على الثبوت، لأن الهداية ليست
من الأفعال المتجددة وقتا بعد وقت فيخبر عنها بالفعل هل هي وصف ثابت .
(١) من م وظ ومد، وفي الأصل: إلى (٢) من م ومد وظ، وفي الأصل:
مصالتهم (٣) سورة ٣ آية ١٨٦ (٤) في م: يحتمل (هـ - هـ) من م ومد وظ،
وفي الأصل: بالخوف بالجهاد (٦) من م وظ ومد. وفي الأصل: مقصودة .
(٧) من م وظ ومد، وفي الأصل: ما .

للناس من المشاعر القائدة إلى كل خير الحامية عن^١ كل ضير^٢ التي جعلت مواقفها أعلاما على الساعة^٣ لاسيما^٤ والحج أخو الجهاد في المشقة^٥ والزوج^٦ عن الوطن وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم أحد الجهادين مع أنه من أعظم مقاصد البيت المذكورة^٧ في هذه الآيات ه مناقبه المتلوة مآثره^٨ المنصوبة شعائره التي هي في الحقيقة دعائمه من الاعتكاف / و الصلاة و الطواف [المشار - °] إلى حجه^٩ و اعتباره بقوله: "مثابة للناس وامنا^{١٠}" فأفصح به بعد تلك الإشارة بعض الإفصاح إذ^{١١} كان لم يبق من مفاخره^{١٢} العظمى غيره و ضم إليه العمرة الحج الأصغر لمشاركتها له في إظهار فخاره و إعلاء مناره فقال:

١٠ ﴿ان الصفا و المروة °﴾ فهو كالتعليل لاستحقاق البيت لأن يكون

(١) زيد في الأصل و مد و ظ و و ، و لم تكن الزيادة في م لحذفها (٢) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : خير (٣) من م ، وفي الأصل : الزوج ، وفي ظ : التروح ، وفي مد : الزوج - كذا (٤) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : مآثره . (٥) زيد من م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : حجة . (٧) - سورة ٢ آية ١٢٥ (٨) في م : اذا (٩) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : مفاخرة . (١٠) قال أبو حيان الأنباري (و مناسبة هذه الآية لما قبلها) أن الله تعالى لما أنهى على الصابرين و كان الحج من الأعمال الشاقة المغنية لال و البدن و كان أحد أركان الإسلام ناسب ذكره بعد ذلك . وقال : الصفا ألغه منقلبة عن واولقوهم صفوان ، و لاشتقاقه من الصفو وهو الخالص المروة واحدة المرو وهو اسم جنس و قالوا : مروان في جمع مروة وهي الحجارة الصغار التي فيها لين ، و الصفا و المروة في الآية علمان بلجلين معروفين و قد =

قبة ، وعرفها لأنها جبلان مخصوصان معهودان تجاه الكعبة ١ ، اسم الصفا من الصفوة وهو ما يخلص من الكدر ، واسم المروة من المرو وهو ما تحدد من الحجارة - قاله الحرالي . وخصهما هنا بالذكر إشارة إلى أن بركة الإقبال عليهما على ما شرع الله سبحانه وتعالى مفيدة لحياة القلوب بما أنزل على هذا الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب ٥ والحكمة الباقيين إلى آخر الدهر شفاء للقلوب وزكاة للنفوس زيادة للنعمة بصفة الشكر وتعليلها بصفة العلم كما كان الإقبال على السعي ٢ بينهما تسليما لأمر الله مفيدا لحياة آية ٣ إسماعيل عليه الصلاة والسلام ونفع من بعده بما أنبع له من ماء زمزم الباقي إلى قيام الساعة طعام طعم وشفاء سقم ؛ وفي ذلك مع تقديم الصفا إشارة للبصراء ٤ من أرباب ١٠ القلوب إلى أن الصابر لله المبشر فيما قبلها ينبغى أن يكون قلبه ٥ جامعا بين الصلابة والصفاء . فيكون بصلابته الحجرية مانعا من القواطع الشيطانية ، وبرقته الزجاجية ٦ جامعا للوامع ٧ الرحمانية ، بعيدا عن القلب المائي بصلابته ، وعن الحجرى ٨ بصفائه واستنارته . ومن أعظم المناسبات أيضا كون

= نقلوا أن قوما قالوا : ذكر الصفا لأن آدم وقف عليه ، وأثنت المروة لأن حواء وقفت عليها - البحر المحيط ١ / ٤٥٤ و ٤٥٦ .

(١) زيد في ظ : المشرفة (٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : السع (٣) من م وظ ومد ، وفي الأصل : ابنة (٤) من م ومد وظ ، وفي الأصل : للصبرا . (٥) ليس في مد (٦) في الأصل : الزجاجية ، والتصحيح من م ومد وظ . (٧) في الأصل : للواضع ، والتصحيح من م وظ ومد (٨) في الأصل : الحى ، والتصحيح من م ومد وظ .

سبل الحج إذ ذاك كان ممنوعاً بأهل الحرب ، فكانها علة لما قبلها وكأنه
 قيل : ولنبلونكم بما ذكر لأن الحج من أعظم شعائر هذا البيت الذي
 أمرتم باستقباله وهو مما^١ يفرض عليكم وسيله ممنوع بمن تعلمون ،
 فلنبلونكم بقتلهم لزوال^٢ مانع الحج و قتال غيرهم من أهل الكتاب
 ٥ وغيرهم لإتمام النعمة بتمام الدين و ظهوره على كل دين . ومن أحسنها
 أيضاً أنه تعالى لما ذكر البلايا بنقص^٣ الأموال بسبب الذنوب ”وما
 أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم“^٤ اتبعها الدواء الجار لذلك
 النقص ديناً ودنياً ، فإن الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي
 الكبر خبث الذهب والفضة - رواه الإمام أحمد و الترمذى والنسائي
 ١٠ وابن خزيمة وابن حبان في^٥ صحيحيهما^٦ عن عبد الله بن مسعود رضى الله
 تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى أيضاً عن عدة من الصحابة
 رضى الله تعالى عنهم كما بينته في كتابي الاطلاع على حجة الوداع .
 وقال الحرالي : لما تقدم ذكر جامعة من أمر الحج في قوله سبحانه وتعالى
 ”ولا تم نعمتي عليكم“^٧ من حيث أن النعمة المضافة^٨ إليه أحق بنعمة
 ١٥ الدين وفي ضمنها نعمة الدنيا التي لم يتهياً الحج إلا بها من الفتح والنصر
 والاستيلاء على كافة العرب كما قال تعالى فيما أنزل يوم تمام الحج الذي

(١) في ظ : ما (٢) في الأصل : ان قال . والتصحيح من م ومد وظ .

(٣) من م وظ ، وفي الأصل : ينقص ، ومد : بمض - كذا (٤) سورة ٢٢

آية ٣٠ (٥) ليس في ظ (٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : صحيحيهما .

(٧) سورة ٢ آية ١٥٠ (٨) من م وظ ومد ، وفي الأصل : المضاف .

هو يوم عرفة " اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي ^١ " و ذلك بما آثم الله سبحانه و تعالى عليهم من نعمة تمام معالم الدين و تأسيس الفتح بفتح أم القرى التي في فتحها فتح جميع الأرض لأنها قيام الناس نظم تعالى بما تلاه من الخطاب تفصيلا من تفاصيل أمر الحج اتظم بأمر الذين ^٢ آمنوا من حيث ما في سبب إزاله من التخرج للذين أعلوا ^٥ برفع الجناح عنهم و هم طائفة من الأنصار كانوا يهلون ^٣ لمناة و كانت مناة حذو قديد فتخرجوا ^٤ من التطوف بين الصفا ^٥ و المروة ^٥ ، و طائفة أيضا خافوا أن يلحقهم في الإسلام ^٦ بعملهم نحو ما كانوا يعملونه ^٧ في الجاهلية نقص في عمل الإسلام ، فأعلمهم الله سبحانه و مالى أن ذلك موضوع عنهم لمختلف نياتهم فان الأعمال بالنيات ، فانوى الله كان الله ^{١٠} و لم يُبل فيه بموافقته ما كان من عاداتهم في الجاهلية ؛ و في فقهه صحة السجود لله سبحانه و تعالى لمن أكره على ^٨ السجود للصنم ^٨ ، و في طى ذلك صحة التعبد لله بكلمة الكفر لمن أكره عليها ، أذن ^٩ صلى الله عليه و سلم

(١) سورة ه آية ٣ (٢) في ظ : الدين (٣) من م و ظ ، وفي الأصل : يملون .
(٤) وفي البحر المحيط ١/ ٥٦٤ : سبب النزول أن الأنصار كانوا يحجون لمناة و كانت مناة خزفا و حديدا و كانوا يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا و المروة فلما جاء الإسلام سألوا فأنزلت و خرج هذا السبب في الصحيحين و غيرها ، و قد ذكر في التخرج عن الطواف بينهما أقوال (ه - ه) ليس في م (٦) العبارة من هنا إلى « الإسلام » ليست في م (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : بعملهم ... يعملونه (٨ - ٨) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : للسجود على الصنم (٩) زيد في م : رسول الله .

غير مرة في أن يقول فيه^١ قائل ما يوافق الكفار بحسن نية للقاتل في ذلك و لقضاء حاجة له من حوائج دنياه عند الكفار ، فظهر بذلك كونه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، يقبل الضمائر ولا يبالى / بالظواهر في ١٤٧ /

أحوال الضرائر^٢؛ فرفع الله سبحانه و تعالى عنهم الجناح بحسن نياتهم و إخلاصهم لله سبحانه و تعالى عملهم ، فهذا النحو^٣ من^٤ التقاصر في هذه

الرتبة انتظم افتتاح هذا الخطاب بما قبله من أحوال الذين آمنوا من

المبتلين بما ذكر - انتهى . (من شعائر الله) ° أى أعلام دين الملك^٦

الأعلى الذى دان كل شيء لجلاله^٧ . و قال الحرالى : وهى^٨ أى الشعائر^٩

ما أحست^٩ به القلوب من حقه ، و قال : و الشعيرة ما شعرت به القلوب

١٠ من أمور باطنة " ذلك و من يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ° " °

و إنما ذكرها تعالى بالشعائر و عملها معلم [من - °] معالم الإسلام

(١) ليس في ظ (٢) في مد : ظواهر (٣) في م : النجوم - كذا (٤) ليس في م .

(٥) العبارة من هنا إلى «الحرالى» ليست في ظ (٦) في مد : الله (٧) قال أبو حيان

الأندلسى : الشعائر جمع شعيرة أو شعارة ، قال المروى : سمعت الأزهري يقول :

هى العلام التى نذب الله إليها و أمر القيام بها ، و قال الزجاج : كل ما كان

من موقف و مشهد و مسعى و مذبج و قد تقدمت لنا هذه المادة - أعنى مادة

شعر أى أدرك و علم - و تقول العرب : بيننا شعار ، أى علامة ، و منه إشعار

الهدى - البحر المحيط ٤٤٤/١ . و قال في ص ٤٥٦ : و ليس الجبلان لذاتهما من

شعائر الله بل ذلك على حذف مضاف أى أن طواف الصفا و الروة ، و معنى من

شعائر الله معاله (٨-٨) ليس في ظ (٩) في مد : حسنت (١٠) سورة ٢٢ آية ٣٢ .

(١١) زيد من م و ظ و مد .

و حرمة من حرم الله لما ١ كان حكم فى أمر القلوب التى كان فى ضمائرهما
 تخرجهم فمن حيث ذكرها بالشعيرة صححها الإخلاص والنية (فمن حج)
 من الحج وهو تردد ٢ القصد ٣ إلى ما يراى خيره وبره ٤ . وقال
 الأصفهاني ٥ : أصله زيادة شيء تعظمه - انتهى . (البيت) ٦ ذكر البيت ٧
 فى الحج والمسجد الحرام فى التوجه لانتهاى الطواف إلى البيت و اتساع ٨
 المصلى من حد المقام إلى ما وراءه لكون الطائف متنيا إلى البيت و كون
 المصلى قائما بمحل أدب يؤخره عن متهى الطائف مدانة البيت ؛ وذكره
 تعالى بكلمة " مَنْ " المطلقة ٩ المستغرقة لأولى ١٠ العقل تنكبا بالخطاب
 عن خصوص المتخرجين ١١ ، فى إطلاقه إشعار بأن الحج ١٢ يمنع شيء
 مما يعرض فى مواطنه من مكروه الدين لاشتغال الحاج بما هو فيه عما ١٣
 سواء ، ففى خفى فقهه إعراض الحاج عن مناكر تلك المواطن التى
 تعرض فيها بحسب الأزمان والأعصار ؛ ويؤكد ذلك أن الحج آية ١٤
 الحشر وأهل الحشر " لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه " ١٥ " فكذلك

(١) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : كما . وفى البحر المحيط ٤٥٦/١ : ولما كان
 الطواف بينهما ليس عبادة مستقلة ، إنما يكون عبادة إذا كان بعض حج أو عمرة
 بين تعالى ذلك بقوله (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تردد - كذا (٣) من
 م و مد و ظ ، وفى الأصل : القصر (٤) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست فى
 ظ (٥) فى مد : الأصبهاني (٦-٦) ليس فى ظ (٧) زيد فى م و مد : أى (٨) من
 م و ظ و مد ، وفى الأصل : لاول - كذا (٩) من م و مد ، وفى الأصل :
 للتخرجين ، وفى ظ بلا نقط (١٠) فى الأصل : أنه ، والتصحيح من بقية
 الأصول (١١) سورة ٨٠ آية ٣٧ .

حكم ما هو آيته^١؛ وحج البيت إتيانه في خاتمة السنة من الشهور الذي هو شهر ذى الحجة أنه ختم العمر، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم حيث ختم الله سبحانه وتعالى عمره بعمل الحج؛ قال سبحانه وتعالى ﴿واعتمر﴾ فذكر العمرة مع الحج لما كان الطواف^٢ بين الصفا والمروة من شعائر العملين ﴿فلا جناح﴾^٣ وهو المؤاخذه على الجنوح، والجنوح الميل عن جادة القصد - انتهى^٣ ﴿عليه ان يطوف^٤﴾^٥ أى يدور بهمة وتعهد ونشاط^٥ ﴿بهما﴾^٥ باديا بما بدأ الله . قال الحرالي^٥: رفع^٦ الجناح عن الفعل حكم يشترك فيه الجائر والواجب والفرض والمباح حتى يصح أن يقال: لا جناح عليك أن تصلى الظهر، كما يقال: لا جناح عليك أن تطعم إذا جعت؛ وإنما يشعر بالجواز والتخيير نفي^٧ الجناح عن الترك لا عن الفعل، كما قال عليه الصلاة والسلام للذين سألوه عن العزل: لا جناح عليكم أن لا تفعلوا، أى أن لا تُنزلوا، لأن الفعل كناية عن الثبوت لا عن الترك الذى هو معنى العزل، وهو الذى قرره عائشة رضى الله تعالى عنها^٨ لما قال^٨ عروة:

(١) من م ومد، وفي الأصل: آتية، وفي ظ: آتية (٢) في ظ ومد: التطوف.
(٣-٣) ليست في م، وفي البحر المحيط ١/ ٤٤٤: الجناح الميل إلى المأثم ثم أطلق على الإثم، يقال: جنح إلى كذا جنوحا: مال، ومنه: جنح الليل: ميله بظلمته، وجناح الطائر (٤) من م ومد وظ، وفي الأصل فقط: تطوف (ه-ه) ليست في ظ (٦) من ظ ومد وم، وفي الأصل: دفع (٧) هكذا في الأصل وظ ومد، وفي م: نقي (٨-٨) ليس في م، وزيد في ظ بعده: لها.

ما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما ، فقالت : لو كان كما تقول
كان : فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما - الحديث . قلت : ولعل التعبير
بالنفي إنما اختير ليدل على نفي ما توهموه بالمطابقة ٢ ، وتقع الدلالة على
الوجوب ٣ بفهام الجزء لأن من حجج ٤ أو اعتمر ولم يتطوف بهما كان
عليه حرج ، وبالسنة التي ينته ٥ من قوله صلى الله عليه وسلم : اسعوا ه
فإن الله قد كتب عليكم السعى ، ومن فعله صلى الله عليه وسلم مع قوله :
خذوا عني مناسككم ، ومن عدما من الشعائر ونحو ذلك . قال الحرالي :
وما روى من قراءة من قرأ " أن لا يطوف بهما " فليست " لا " ٦
نافية على حد ما نقت معناه عائشة رضى الله تعالى عنها وإنما هي مؤكدة
للإثبات بمنزلة : " ما منعك إلا تسجد " ٧ و " لئلا يعلم أهل الكتاب " ٨ .
لأن من ٩ تمام المبهم استعماله في المتقابلين من النفي والإثبات كاستعماله
في وجوه من التقابل كما تستعمل " ما " في النفي والإثبات ، وكذلك
جاءت " لا " في لسان العرب بمنزلتها في الاستعمال وإن كان دون
ذلك في الشهرة ، فوارد ١٠ القرآن معتبر بأعلى رتبة لغة العرب وأفصحها ،
لا يصل إلى تصحيح عربيته من اقتصر من النحو والأدب على ما درن ١٥

(١) من م وظ ومد ، وفي الأصل : لا (٢) في الأصل : بالطائفة ، والتصحيح
من م وظ ومد (٣) العبارة من هنا إلى « حرج و » ليست في ظ (٤) زيد
في م : البيت (٥) من م ومد وظ ، وفي الأصل : بينه (٦-٧) في الأصل :
فليت ما ، والتصحيح من م وظ ومد (٧) في الأصل : لا تنجد - كذا ،
والتصحيح من م ومد وظ - راجع القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٢ .
(٨) سورة ٧ آية ٢٩ (٩) ليس في م (١٠) في ظ فقط : موارد - كذا .

الغاية / لعلوه في رتبة العربية ” انا جعلته قرأنا عربيا لعلكم تعقلون ١ “
 انتهى . والذين قرؤا ٢ بزيادة « لا » ٣ ، على ٢ وابن عباس - بخلاف عنه -
 وأبي بن كعب وابن مسعود وأنس بن مالك رضى الله تعالى عنهم وسعيد
 ابن جبير ومحمد بن سيرين [وميمون بن مهران ، كما نقل ذلك الإمام
 أبو الفتح عثمان بن جنى في كتابه المحتسب في توجيه القراءات - ١]
 الشواذ ؛ ومعنى قول عائشة رضى الله تعالى عنها لكان أن لا يظوف
 خاصة ، ولم ترد قراءة بالإثبات ؛ وأما مع قراءة الإثبات فان المعنى يرشد
 إلى أن قراءة النفي مثلها ٥ ، لأن كونها من الشعائر يقتضى التطوف
 بهما لا إهمالهما ٦ - والله سبحانه وتعالى أعلم . قال الحرالي : وذكره

(١) سورة ٣ آية ٢ (٢) قال أبو حيان الأندلسي : وقرأ أنس وابن عباس وابن
 سيرين وشهر ” ان لا “ وكذلك هي في مصحف أبي وعبد الله وخرج ذلك
 على زيادة « لا » نحو ” ما منعك الا تسجد “ وقوله :

وما ألوهم البيض أن لا تسخرأ إذا رأين الشمط القفندرا

فتتحد معنى القراءتين ولا يلزم ذلك لأن رفع الجناح في فعل الشيء هو رفع
 في تركه إذ هو تخيير بين الفعل والترك نحو قوله تعالى ” فلا جناح عليهما أن
 يتراجعا “ فعلى هذا تكون « لا » على بابها للنفي وتكون قراءة الجمهور فيها رفع
 الجناح في فعل الطواف نصا وفي هذه رفع الجناح في الترك نصا وكلتا القراءتين
 تدل على التخيير بين الفعل والترك فليس الطواف بهما واجبا وهو مروى عن
 ابن عباس وأنس وابن الزبير وعطاء ومجاهد وأحمد بن حنبل فيما نقل عنه
 أبو طائب وأنه لا شيء على من تركه عمدا كان أو سهوا ولا ينبغي أن يتركه -
 البحر المحيط ٤٥٦/ (٣) ليس في ظ (٤) زيدت من م وظ ومد (٥) من م
 ومد وظ ، وفي الأصل : مثلها (٦) في مد : ابقاهما - كذا .

تعالى بالطواف الذى هو تفعل أى تشبه بالطواف، ومع البيت بالطواف فى قوله تعالى: "ان طهرا بيتى للطائفين" لما كان السعى ترددا فى طول، والمراد الإحاطة بهما، فكان فى المعنى كالطواف لا فى الصورة، فجعله لذلك تطوفا أى تشبها ٢ بالطواف - انتهى .

ولما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم لم يقصدوا بترك الطواف ه بينهما إلا الطاعة فأعلموا أن الطواف بينهما طاعة، عبر بما يفيد مدحهم فقال تعالى: ﴿ومن تطوع ٣﴾ قال الحرالى: أى كلف نفسه معاهدة البر والخير من غير استدعاء له ﴿خيرا﴾ فيه إعلام بفضيلة النفقة فى الحج والعمرة بالهدى ووجوه المرافق^٥ للرفقاء بما يفهمه لفظ الخير، لأن عرف استعماله فى خير الرزق والنفقة، كما قال تعالى "وانه لحب الخير ١٠ لشديد ه" و"ان ترك خيرا ٦"؛ ولما كان رفع الجناح تركا عادها^٨ فى الخطاب باثبات عمل خير ليقع فى الخطاب إثبات^١ يفيد عملا حين لم يفد الاول إلا تركا، فمن تحقق بالإيمان أجزل نفقاته فى الوفاة^٩

(١) سورة ٢ آية ١٢٥ (٢) العبارة من هنا إلى «مدحهم» ليست فى ظ (٣) قال أبو حيان الأندلسي: التطوع ما ترغب به من ذات نفسك مما لا يجب عليك، ألا ترى إلى قوله فى حديث ضام: هل على غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، أى تبرع، هذا هو الظاهر؛ فيكون المراد التبرع بأى فعل طاعة كان وهو قول الحسن أو بالنفل على واجب الطواف - قاله مجاهد؛ البحر المحيط ٤٥٨/١ (٤-٥) ليس فى ظ، وزيد قبله فى مد ه اى ه (ه) من م ومد وظ، وفى الأصل: الموافق . (٦) سورة ١٠ آية ٨ (٧) سورة ٢ آية ١٨٠ (٨) فى ظ: عاد عادها (٩-١٠) من م ومد وظ، وفى الأصل: ليفيد عمل خير ولم (١٠) من م ومد وظ، وفى الأصل: الزفادة - كذا .

على ربه واختصر في أغراض نفسه،^١ ومن حرم النصف من دنياه
 اقتصر في نفقاته في وفادته^٢ على ربه وأجزل نفقاته في أغراض نفسه
 وشهوات عياله، فذلك من أعلام المؤمنين وأعلام الجاهلين، من وفد
 على الملك أجزل ما يقدم^٣ بين يديه، وإنما قدمه بالحقيقة لنفسه لا لربه،
 ٥ فمن شكر نعمته الله باظهارها^٤ حين الوفاة^٥، عليه في آية بعثه إليه ولقائه له
 شكر الله له^٦ ذلك يوم يلقاه، فكانت هدايا الله له يوم القيامة^٦ أعظم
 من هديه^٧ إليه يوم الوفاة عليه في حجه^٨ وعمرته (فان الله)
 'أى المحيط بجميع صفات الكمال' (شاكر)^٩ أى مجاز بالأعمال مع
 المضاعفة لثوابها؛ قال الحرالي^٩: وقوله: (عليه السلام) فيه تحذير من
 ١٠ مداخل الرياء والسمعة في إجزال النفقات لما يغلب^{١٠} على النفس من
 التباهي في إظهار الخير - انتهى . ولما تقدم أن بعض أهل الكتاب
 يكتُمون ما يعلمون من هذا الحق وختم ما اتبعه له بصفى الشكر والعلم
 ترغيباً وترهيباً بأنه يشكر من فعل ما شرعه له ويعلم من أخفاه وإن دق

(١) العبارة من هنا إلى «أغراض نفسه» ليست في ظ (٢) من مد وم، وفي
 الأصل: وقادته (٣) من م وظ ومد، وفي الأصل: تقدم (٤-٤) من م ومد
 وظ، وفي الأصل: خير له بوفادة (٥) ليس في م (٦) في الأصل: القيامة - كذا،
 وفي م: لقاء، وفي ظ ومد: لقائه (٧) من م ومد وظ، وفي الأصل: هدية .
 (٨) من م ومد وظ، وفي الأصل: حجة (٩-٩) ليست في ظ (١٠) من م
 وظ ومد، وفي الأصل: تغلب (١١) وفي البحر المحيط ٤٥٨/١، وشكر الله
 العبد بأحد معنيين إما بالثواب وإما بالثناء، وعلمه هنا هو علمه بقدر الجزاء
 الذى للعبد على فعل الطاعة أو بزيته وإخلاصه في العمل، وقد وقعت الصفتان =

فعله وبالع في كتمانته انعطف الكلام إلى تبكيت^١ المناققين منهم والمصارحين في^٢ لعنهم على كتمانهم ما يعلنون من الحق إذ كانت هذه كلها في الحقيقة قصصهم والخروج إلى غيرها إنما هو استطراد [على-٣] الأسلوب الحكيم المبين لأن هذا الكتاب هدى و كان السياق مرشداً إلى أن التقدير بعد "شاكر علم": ومن أحدث شراً فإن الله عليم ه قدير، فوصل به استئنافاً قوله على وجه يعمهم وغيرهم: ﴿ان الذين يكتُمون﴾ يانا الجزائهم ﴿ما انزلنا﴾ أى ٤ بعظمتنا . قال الحرالي: فاتتظمت هذه الآية أى^٥ في ختمها لهذا الخطاب بما مضى في أوله من قوله: "ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون" فكانت البداية خاصة وكان الختم عاماً، ليكون ما في كتاب الله أمراً ١٠ على نحو ما كان أمر محمد صلى الله عليه وسلم ومن تقدمه من الرسل خلقاً لينطبق الأمر على الخلق بدأ وختماً انطباقاً واحداً، فعم كل كاتم من الأولين والآخرين - انتهى . ﴿من البيئنت^٦﴾ أى التى لا يحتاج

= هنا الموقع الحسن، لأن التطوع بالخير يتضمن الفعل والقصد فناسب ذكر الشكر باعتبار الفعل وذكر العلم باعتبار القصد، وأخرت صفة العلم وإن كانت متقدمة على الشكر كما أن البية مقدمة على الفعل لتوافق رؤس الآى .

(١) من م ومد وظ، وفي الأصل: تنكيت (٢) في ظ ومد: و (٣) زيد من م وظ ومد (٤) ليس في مد (ه) ليس في م ومد (٦) من م وظ ومد، وفي الأصل: فعلم (٧) و"البيئنت" هى الحجج الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم، و"الهدى" الأمر باتباعه، أو البيئات والهدى واحد والجمع بينهما توکید وهو ما أبان عن نبوته صلى الله عليه وسلم وهدى إلى اتباعه، أو البيئات الرجم =

سامعها المجرد عن الهوى في فهمها إلى شيء معها . قال الحرالي : ففي
إفهامه إذن في كتم ما يخفى من العلم عن عقول لم تصل إليه - انتهى .
(والهدى) أى الذى من شأنه أن يقود من أحبه إلى صراط مستقيم .
٢ ولما كان المراد الترهيب من الكتمان في وقت ما ولو قل أثبت

١٤٩ / ٥ الجار فقال ٢: ﴿ من بعد ما بينه ﴾ ٢ أى بما لنا / من العظمة ٢

﴿ للناس ٣ ﴾ أى الذين هم في أدنى طبقات المخاطبين، ٤ وفيه تبكيت عظيم لبنى
إسرائيل فانهم من أعظم المقصودين بذلك لكتمانهم ما عندهم . قال الحرالي:
لأن المسلمين * بالناس من أصغر سن القلوب لما ذكر من نوسهم^٦ . وأكثر
ما يخص به كما تقدم الملوك ورؤساء القبائل وأتباعهم الذين زين لهم
١٠ حب الشهوات - انتهى^٧ . ﴿ فى الكتب ﴾ أى الجامع لكل خير .

= والحدود وسائر الأحكام ، والهدى أمر محمد صلى الله عليه وسلم نفعه واتباعه -
البحر المحيط ١ / ٤٥٨ .

(١) من ظ ، وفى الأصل و م ومد : احه - كذا (٢ - ٢) ليست فى ظ .
(٣) من م ومد ، وقد قدمه فى الأصل على « اى بما لنا » (٤ - ٤) ليست فى ظ .
(٥) من م وظ ومد ، وفى الأصل : السمين - كذا (٦) فى الأصل : يوسهم ،
و التصحيح من بقية الأصول (٧) والأظهر عموم الآية فى الكاتمين وفى الناس
وفى الكتاب وإن نزلت على سبب خاص فهى تتناول كل من كتم علما من
دين الله يحتاج إلى بثه ونشره وذلك مفسر فى قوله صلى الله عليه وسلم : من سئل
عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار ، وذلك إذا كان لا يخاف على
نفسه فى بثه ، وقد فهم الصحابة من هذه الآية العموم وهم العرب الفصح
المرجوع إليهم كما روى عن عثمان وأبى هريرة وغيرهما : لو لا آية فى كتاب الله
ما حدثتكم - البحر المحيط ١ / ٤٥٨ .

قال الحرالي: فما بينه الله سبحانه وتعالى في الكتاب لا يحل كتمه،
 لما ذكر من أن الكتاب هو ما احتوى على الأحكام والحدود بخلاف
 ما يختص بالفرقان أو يعلو إلى رتبة القرآن - انتهى .
 ولما كان المضارع دالا على التجديد المستمر وكان الإصرار
 المتصل ٣ بالموت دالا على ٤ سوء الجلبة ٤ أسقط فاء السبب إشارة إلى ٥
 استحقاقهم للخزي في نفس الأمر من غير نظر إلى سبب فقال:
 ﴿ أولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ يلعنهم الله ﴾ أى يطردهم الملك
 الأعظم طرد خزي وذل ٥ ﴿ وبلعنهم اللعنون ﴾ أى كل من يصح
 منه لعن؛ أى هم متهيئون ٦ لذلك ثم يقع لهم ذلك بالفعل عند كشف
 الغطاء، ٧ واللعن إسقاط الشيء إلى أردى محاله حتى يكون في الرتبة ١٠
 بمنزلة الفعل من العامة - قاله الحرالي ٧: وأخص من ذلك وأسهل
 تناولا أن يقال: لما كان أشق الصبر ما ٨ على فقد المحبوب من الألف
 والأمن والسعة وكان العلم واقعا بأن عداوة الكفار لهم ستؤول إلى
 ابتلائهم بذلك اتبع [آية - ٩] الصبر بقوله: " ولا تقولوا - الآيتين "
 فكأنه قيل: ولا تقولوا كذا فليكتبن ١١ عليكم الجهاد عموما " و لنبلوكم " ١٥
 فيه " بشيء من الخوف - الآية " لأن الصفا والمروة من شعائر الله
 (١) العبارة من هنا إلى " فقال " ليست في ظ (٢) من مد، وفي الأصل وم:
 التحديد (٣) من م ومد، وفي الأصل: بالفضل (٤-٤) من م ومد، وفي الأصل:
 سور الجلبة (٥-٥) ليست في ظ (٦) في م: المتسيون، وفي ظ: مهيون، وفي مد:
 متهيون (٧-٧) ليست في م ومد (٨) ليس في ظ (٩) زيد من م ومد وظ .
 (١٠) في ظ: فلنكتبن .

ووصولكم إليهما' ممنوع بالكفار فلا بد في الفتح من قتلهم وقد جرت
العادة في القتال بمثل ذلك البلاء .

ولما تم أمر القبله وما استتبعه وختم بشريعه الحج المكتوبة
على الناس عامة الامر لهم بها باني البيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام
٥ عن أمر الله سبحانه وتعالى بقوله إذ قام^٢ المقام: يا أيها الناس! كتب
عليكم الحج فحجوا، فأجابه من علم الله سبحانه وتعالى أنه يحج ثم
حجت^٣ الأنبياء من بني إسرائيل بن إبراهيم عليهما السلام ثم أخفاها
أهل الكتاب فيما أخفوه من كتابهم حسدا للعرب وختمت آية
الحج بعلم^٤ رجع إلى أمر الكافرين الذين يكتمون الحق وهم يعلمون،
١٠ وأعظم ما كتموه أمر هذا الكتاب الذي هو الهدى المفتاح به السورة،
ولما بين جزاءهم استثنى منهم التائبين مينا لشرائط التوبة الثلاثة فقال:
(الذين تابوا) بالندم على ارتكاب الذنب (واصلحوا)
بالعزم على عدم العود (ويبنوا) ما كانوا كتموه فظهرت توبتهم
بالإفلاخ .

١٥ ولما كان الإنسان يحب ما كان بسبب منه رغبتهم^٥ في المتاب
بعد توبتهم سببا لتوبته ورحمته وإن كان ذلك كله مآما منه في نفس

(١) من م و ظ و مد ، وفي الأصل: إليها (٢) زيد في ظ و مد: على (٣) في
م و ظ: حجه ، وفي مد: حج (٤) من ظ ، وفي الأصل م و مد: يعلم .
(٥) هذا استثناء متصل ، ومعنى (تابوا) عن الكفر إلى الإسلام ، أو عن الكتمان
إلى الإظهار - قاله أبو حيان في البحر المحيط ١ / ٤٥٩ (٦) العبارة من هنا إلى
« بالفاء » ليست في ظ (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ: رعيهم .

الأمر فقال معبراً بالفاء: ﴿فأولئك﴾ العالو الرتبة^١ ﴿أتوب عليهم﴾
 'أى أقبل توبتهم' فأحفظهم بما يشعر به مثال الفعل الدائم فيما وفقهم
 لا ابتدائه، وفي ٣ الربط بالفاء إشارة إلى إسراع^٢ استنقاذ توبة الله عليهم
 من نار الخوف و الندم رحمة منه لهم برفعهم إلى موطن الإنس، لأن نار
 الخوف في الدنيا للقرء رحمة من عذاب النار تفدية من نار السطوة في ه
 الآخرة، من لم يحترق بنار المجاهدة أحرقت نار الخوف، فمن لم يحترق
 بنار الخوف أحرقت نار السطوة - أفاده الحرالي^٣. ولما كان من شأن
 الإنسان معاودة الذنوب لصفة النسيان ختم الآية بما دل على أن التقدير:
 فاني أحب التوابين فقال: ﴿وانا التواب﴾ أى مرة بعد مرة لمن كر على
 الذنب^٤ ثم راجع التوبة كرة إثر كرة ﴿الرحيم ه﴾ لمن فعل ما يرضيني ١٠٠
 ولما لعن الكافرين واستثنى منهم التائبين ذكر المصيرين معبراً عن
 كتبهم بالكفر لتعم العبارة^٥ كل^٦ كفر فقال^٧: ﴿ان الذين كفروا﴾

(١) في الأصل: الزينة، والتصحيح من بقية الأصول (٢-٣) ليست في ظ.
 (٣) ليس في ظ (٤) من م ومد وظ، وفي الأصل: الاسراع (ه) قال
 أبو حيان الأندلسي: ﴿فأولئك﴾ إشارة إلى من جمع هذه الأوصاف من التوبة
 والإصلاح والتبيين ﴿أتوب عليهم﴾ أى أعطف عليهم، ومن تاب الله عليه
 لا تلحقه لعنة - البحر المحيط ١/٤٦٠ (٦) في مد: الذنوب (٧) من م ومد،
 وفي الأصل وظ: العبادة (٨) ليس في ظ (٩) لما ذكر حال من كتم العلم
 وحال من تاب ذكر حال من مات مصراً على الكفر، وبالغ في اللعنة
 بأن جعلها مستعلية عليه وقد تجللت وغشيت فهو تحتها، وهى عامة في كل من
 كان كذلك، وقال أبو مسلم: هى مختصة بالذين يكتمون ما أنزل الله في الآية
 قبل، وذلك أنه ذكر حال الكائمين ثم ذكر حال التائبين ثم ذكر حال من مات
 من غير توبة منهم، ولأنه لما ذكر أن الكائمين ملعونون في الدنيا حال الحياة
 ذكر أنهم ملعونون أيضاً بعد المات - البحر المحيط ١/٤٦٠.

أى بهذا الكتان وغيره ﴿وماتوا وهم كفسار﴾ قال الحرالي: ففى إشعاره يسر^١ توبة الكافرين وعسر توبة المنافقين من حيث صرح بذكر توبة الكاتم وتجاوز^٢ فى الذكر توبة الكافر، فكان الذين كفروا يتوبون^٣ إلا الأقل والذين يكتمون يتجادون^٤ إلا الأقل، فلذلك ١٥٠ / ٥ [وقع - '] الاستثناء فى الكاتم والتخصيص من الكافر - انتهى .

° ولما كان الموت على شئء دالا على أصل الجبلية^٥ فالميت كافرا مجبول جبلية شر بين سبحانه وتعالى أنه مستحق فى نفس الأمر لكل خزى^٦ لذلك^٧ لا لسبب^٨ جدده^٩، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، لأنه سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل، فأسقط فاء السبب و^{١٠} عبر عنهم بأداة البعد^{١١} إشارة إلى طردهم فقال: ﴿اولئك﴾^{١٢} الذين هم فى غاية السفول^{١٣} ﴿عليهم لعنة الله﴾ أى طرده^{١٤} الملك الذى لا ملك سواه^{١٥} وإبعاده، ثم بين اللاعنين^{١٦} فى التى قبلها فقال: ﴿والمثلثة والناس اجمعين﴾^{١٧} أى^{١٨} هم أهل لذلك^{١٩} وكل أحد يلعن الظالم وأظلم الظالمين الكافر^{٢٠} ١٥ ﴿خلدين فيها﴾ أى اللعنة .

(١) من م وظ، وفى الأصل ومد: ييسر (٢) من م وظ، وفى الأصل ومد: يجاوز، ولا يتضح فى مد (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يقولون . (٤) زيد من م وظ ومد (٥) العبارة من هنا إلى «فاء السبب» ليست فى ظ . (٦) من م ومد، وفى الأصل: الحيلة (٧) فى م ومد: شر (٨-٨') فى مد: السبب (٩) فى مد: حدده (١٠) فى ظ: ثم (١١) من م ومد وظ، وفى الأصل: التعمد (١٢) زيد فى م ومد: اى (١٣-١٣) ليست فى ظ (١٤) فى ظ: طرده (١٥) فى م: اللاعنين (١٦) فلجنة الله هى التى تجر لعنة الملائكة والناس، ألا ترى إلى قول بعض الصحابة: وما لى لا ألعن من لعنه الله على لسان رسوله =

ولما

ولما كان اللعن دالا على العذاب صرح به فقال: ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ﴾ لاستعلاء اللعن عليهم وإحاطته بهم . وقال الحرالي: ذكر وصف العذاب بذكر ما لزمهم من اللعنة ليجمع لهم بين العقابين: عقابا من الوصف وعقابا من الفعل، كما يكون لمن يقابله نعيم ورضى - انتهى . ﴿ ولا هم ينظرون ٥ ﴾ قال الحرالي: من النظرة وهو التأخير ٥ المرتقب نجاحه ١ فالعنى أنهم لا يمهلون ٢ يمهلون ٣ من [يمهل - ٤] ما أصلا كما يمهلون في الدنيا - ٥ بل يقع عليهم العذاب حال فراقهم للحياة ثم لا يخفف عنهم . قال الحرالي: ففيه ٦ إشعار بطائفة ٧ أى من عصاة المؤمنين ٨ يؤخر عذابهم ، وفي مقابلة علم الجزاء بأحوال [أهل - ٩] الدنيا تصنيفهم بأصناف في اقتراف ٩ السوء، فمن داومه داومه العذاب ومن ١٠ أخره وقتا ما في دينه آخر عنه العذاب، ومن تزايد فيه تزايد عذابه، وذلك لكون الدنيا مزرعة الآخرة وأن الجزاء بحسب الوصف "سيجزئهم وصفهم انه حكيم عليم ١١" انتهى .

ولما أفاض عليهم سبحانه وتعالى ما أفاض من بحار الحجاج المفرقة ١١ بالأمواج وقرر ما أراد من شرائع الإسلام على وجه الإتيان ١٥

..... ثم تثنى بالملائكة لما في النفوس من عظم شأنهم وعلو منزلتهم وطهارتهم، ثم ثلث بالناس لأنهم من جنسهم فهو شاق عليهم لأن مفاجأة المائل من يدعى المائلة بالمكروه أشق بخلاف صدور ذلك من الأعلى - البحر المحيط ٤٦٢/١ .

(١) في ظ: نجاته . وزيد فيه بعده: انتهى (٢) في م: ما (٣) العبارة: من هنا إلى «أصلا» ليست في ظ (٤) زيد من م ومد (٥) زيد في الأصل «مهل» ولم تكن الزيادة في بقية الأصول فخذناها (٦) في م وظ ومد: ففي انهامه (٧-٧) ليست في ظ ومد (٨) زيد من م وظ ومد (٩) من م ومد وظ، وفي الأصل: اقتران . (١٠) سورة ٦ آية ١٣٩ (١١) هكذا في الأصل ومد، وفي م يؤظ: المفرقة .

و الإحكام وأرشد هذا السياق المذكور فيه ثواب المطيع وعقاب العاصي إلى أن التقدير: فاللهم إله واحد لا شريك له يدافعه عما يريد لا إله إلا هو المنتقم من أعدائه العظيم في كبرياته ، عطف عليه مكررا الزاجر لكل منافق و كافر و مذكرا بالعاطف لكل موافق مؤلف قوله تعالى: ﴿ و اللهم - ١ ﴾ ' ولما كان المراد أن الوحدة معتبرة في نفس الأمر في الإله الحق، فلا يصح أصلا أن يكون الإله اخق منقسمها بالنوع و لا بالشخص و لا بالوصف و لا بالفعل و لا بغير ذلك بوجه من الوجوه أعاد لفظ الإله فقال ٢: ﴿ إله واحد ﴾ أى ٣ لا ينقسم بوجه من الوجوه لا بمجانسة و لا بغيرها ' و هو مع ذلك ﴿ لا إله إلا هو - ٤ ﴾ ٢ فهذا تقرير للوحدانية بنفى غيره و إثباته ٢ فلا يصح

(١) ظاهر الخطاب أنه لجميع المخلوقات المتصور منهم العبادة، فهو إلام لهم بوحدانية الله تعالى، ويحتمل أن يكون خطابا لمن قال: صف لنا ربك وانسبه، أو خطابا لمن يعبد مع الله غيره من صنم و وثن و نار - البحر المحيط ١ / ٤٦٢ . (٢-٣) ليست في ظ (٣) زيد في ظ : الذى . وفي البحر المحيط : والواحد المراد به نفى النظير أو القديم الذى لم يكن معه فى الأزل شيء ، أو الذى لا أبعاد ولا أجزاء ، أو المتوحد فى استحقاق العبادة - أقوال أربعة أظهرها الأول ، تقول : فلان واحد فى عصره ، أى لا نظير له ولا شبيه ، وليس المعنى هنا بواحد مبدأ العدد (٤) فى م و ظ و مد : لا غيرها (٥) وفي البحر المحيط ١ / ٤٦٢ و ٤٦٣ : تأكيد لمعنى الواحدانية و نفى الإلهية عن غيره ، وهى جملة جاءت لنفى كل فرد فرد من الآلهة ، ثم حصر ذلك المعنى فيه تبارك و تعالى ، فدلّت الآية الأولى على نسبة الواحدية إليه تعالى ، ودلت الثانية على حصر الإلهية فيه من اللفظ الناص على ذلك وإن كانت الآية الأولى تستلزم ذلك ، لأن من ثبتت له الواحدية ثبتت له الإلهية (٦) فى ظ : لا .

بوجه ولا يمكن في عقل أن يصلح للالهية غيره أصلاً^٢ . فلا يستحق
العبادة إلا هو^٣ لأنه ﴿الرحمن﴾ أى العام الرحمة بالنعم الزائلة
لأوليائه وأعدائه ﴿الرحيم﴾ أى المخصص بالنعم الباقية لأوليائه ، ثبت
بالتفرد^٤ بالالهية أنه حائز بجميع^٥ العظمة ويده مجامع الكبرياء
والقهر ، و بوصفى^٦ الرحمة أنه مفيض للجلال^٧ النعم ودقائقها . فكل
ما سواه إما نعمة أو منعم عليه ، فهو الخشى سطوته المرجو رحمة .
يغفر لمن يشاء^٨ و يلعن من كفر و يخلده في العذاب من غير أن يقدر

(١) وقال في المنتخب: لما قال تعالى ﴿واللهم اله واحد﴾ أمكن أن يخطر ببال أحد
أن يقول: هب أن إلهنا واحد فلعل إله غيرنا مغائر لإلهنا ، فلا جرم أزال ذلك
الوهم ببيان التوحيد المطلق فقال ﴿لا اله الا هو﴾ ، فقوله: لا اله ، يقتضى النفي
العام الشامل، فإذا قال بعده: إلا الله ، أفاد التوحيد التام المطلق المحقق ؛ ولا يجوز
أن يكون في الكلام حذف كما يقوله النحويون ، و التقدير: لا إله لنا أو في
الوجود إلا الله . لأن هذا غير مطابق للتوحيد الحق ، لأنه إن كان المحذوف «لنا»
كان توحيداً لإلهنا لا توحيداً للإله المطلق ، فحينئذ لا يبقى بين قوله ﴿واللهم اله
واحد﴾ وبين قوله ﴿لا اله الا هو﴾ فرق ، فيكون ذلك تكراراً محضاً وانه غير جائز ،
و أما إن كان المحذوف «في الوجود» كان هذا نفياً لوجود الإله الثاني ،
أما لو لم يضمّر كان نفياً لماهية الإله الثاني و معلوم أن نفي الماهية أقوى في
التوحيد الصرف من نفي الوجود ، فكان إجراء الكلام على ظاهره و الإعراض
عن هذا الإصرار أولى ؛ وإنما قدم النفي على الإثبات لغرض إثبات التوحيد
ونفي الشركاء والأنداد - البحر المحيط ٤٦٣/١ (٢-٢) ليست في ظ (٣) في
ظ و مد: للتفرد (٤) في مد: لجميع (٥) في الأصول: لوصفى ، مع أنه معطوف
على «بالتفرد» (٦) في ظ: بجلال (٧) في م و ظ: تاب ، و في مد: يتاب .

غيره أن يعترض عليه في شيء من ذلك ؛ ولا يبعد عندي^١ وإن بعد
المدى أن تكون الواو في قوله ” و الهكم “ عاطفة^٢ على قوله في أوائل
السورة ” وهو بكل شيء عليم “ قبل قوله ” واذ قال ربك للملك
انى جاعل فى الارض خليفة “ فان التوحيد هو المقصود بالذات وعنه
٥ تنشأ جميع العبادات ، فلما قال أولا ” يا ايها الناس اعبدوا ربكم “ اتبعه
فى قوله ” الذى خلقكم - إلى آخره “ بوصف هو دليل استحقاقه للعبادة ،
فلما قام الدليل قال ” فلا تجعلوا لله اندادا “ إعلاما بأنه لا شريك له
فى العبادة كما أنه قد تبين أنه لا شريك له فى الخلق . ثم اتبعه بما يليق
لذلك المقام مما تقدم التنبيه^٣ عليه ، ثم رجع إليه قائلا ثانيا ” كيف
١٠ تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم - إلى آخرها “ فأعاد الدليل على
وجه أبين من الاول وأبسط ، فلما تقرر على وجه لا مطعن فيه أمر
/الوحدانية والإعادة كان الأنسب ما أولاه من الآيات السابقة لما ذكر
/١٥١ فيها من غير ذلك من المهمات إلى أن صار إلى ذكر الكافرين والتائبين
والمصرين و ذكر ما أعد لكل من الجزاء فاتبع ذلك [هذه - ^٤]
١٥ الآية عاطفاتها على ما ذكرته على وجه أصرح مما تقدم فى إثبات التوحيد
بيانا لما هو الحق وإشارة إلى أنه تعالى ليس كملوك الدنيا [الذين - ^٥]
قد يحول بينهم وبين إثابة^٦ بعض الطائعين و عقوبة بعض العاصين
(١) من م وظ ومد ، وفى الأصل : عنه شيء (٢) فى م : عاطف (٣) فى مد :
التشبيه (٤) زيد من م وظ ومد (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد وظ ،
وفى الأصل : الآية .

بعض أتباعهم ، فانه واحد لا 'كفوه له' بل ولا مدانى فلا مانع لنفوذ أمره ؛ ولا يستنكر تجويز هذا العطف لانه جرت عادة البلغاء أن أحدهم إذا أراد إقامة الحجة على شيء لامر يرتبه عليه أن يبدأ بدليل كاف ثم يتبعه تقريب الثمرات المجتاة منه ثم يعود إلى ٢ تأكيده على وجه آخر لتأنس به النفوس ٣ و تسر به ٣ القلوب ، وربما كان الدليل طويل ٥ الذبول كثير الشعب ، فيشرح كل ما يحتاج إليه من ذبوله وما يستتبعه من شعبه ، فاذا استوفى ذلك ورأى أن الخصم لم يصل إلى غاية الإذعان أعاد له الدليل على وجه آخر عاطفاله على الوجوه الاول تذكيرا بما ليس بمستنكر ذلك فى مجارى عاداتهم ومباني خطاباتهم* . ومن تأمل مناظرات الباقلانى وأضرابه من أولى الحفظ الواسع والتبحر فى العلم ١٠ علم ذلك . و^١ قال الحرالى : ولما كان مضمون الكتاب دعوة الخلق إلى الحق ، والتعريف بحق الحق على الخلق ، وإظهار مزايانا من اصطفاة الله تعالى ممن شملهم أصل الإيمان من ملائكته وأنبيائه ورسله ومن يلحق بهم من أهل ولايتهم ، وإظهار شواهد ذلك منهم وإقامة الحجة بذلك على من دونهم فى إلزامهم أتباعهم ، وكان الضار للخلق ١٥ إنما هو الشتات كان النافع لهم إنما هو الوحدة ، فلما أظهر لهم تعالى مرجعهم إلى وحدة أبوة آدم عليه الصلاة والسلام فى جمع^٢ الذرية

(١ - ١) فى م : كقوله (٢) فى الأصل : اى ، والتصحيح من بقية الأصول .
 (٢ - ٣) وقع فى ظ : تشريه - كذا مصحفا (٤) من م ، وفى الأصل وظ : لها ،
 وفى مد : بها (٥) من م وظ ومد ، وفى الأصل : خطاياهم (٦) ليس فى م
 ومد (٧) من م وظ ، وفى الأصل ومد : جميع .

ووحدة أبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في جمع ١ الإسلام ووحدة ٢
أحمدية محمد صلى الله عليه وسلم في جمع ٣ الدين فاتضح ٤ لهم عيب ٥
الشتات والتفرق وتحقق لهم شاهد النفع في الجمع إلى وحدات كان
ذلك آية على أعظم الانتفاع بالرجوع إلى وحدة ٦ الإلهية في أمر الحق
ه وفي إفهام ذلك وحدات ما يظن في ظاهر الوحدات الظاهرة ٧ من وحدة
الروح ووحدة النفس والعقل فقال تعالى عطفاً على ما ظهر بناؤه من
الوحدات الظاهرة ٨ وما أفاده إفهامها من الوحدات الباطنة : ”والهكم
اله واحد“ فإذا قبح الشتات مع وحدة الأب الوالد فكيف به مع
وحدة ٩ الأب المدين ! فكيف به مع وحدة ١٠ النبي المكمل ! فكيف به
مع وحدة الإله الذي هو الرحمن الذي شمل خلقه رحمانية ! الرحيم الذي
اختص أوليائه وأصفياه عناية فجمعهم بوحدة التي هي قائم كل وحدة
دونه ! فجميع أسمائه لها وحدة تنتهي وحدتها ١١ إلى وحدة الإله الذي
اتتهى إليه الأله ١٢ وهو تعبد الظاهر لإيجاء ١٣ المتعبد إليه في كل
حاجاته وإقاماته ١٤ الظاهرة والباطنة ، ولا آتم من وحدة ما لا ١٥ يتصوره

- (١) في مد : جميع (٢) من م وظ ومد ، وفي الأصل : وحدية (٣) من م وظ
ومد ، وفي الأصل : فافتتح (٤) في م : غيب (٥) في الأصل : وحيدة ،
والتصحيح من م وظ ومد (٦-٦) ليست في ظ (٧-٧) ليست في م (٨) في
الأصل : وحلتها ، والتصحيح من بقية الأصول (٩) من م وظ ومد ، وفي
الأصل : الامر له (١٠) في الأصل : لا يجاء ، والتصحيح من م وظ ومد .
(١١) في م : إقامة (١٢) ليس في ظ .

العقل ولا يدركه الحس في علو وحدة الغيب الذي لا يبدو فيه ذات
فيكون لها أو فيها كميات ولا كيفيات؛ ثم قال: وقد صبح بالتجربة أن
الراحة في صحة الواحد وأن التعب في اتباع العدد، لاختصاص كل
واحد بقصد في التابع يتشاكس عليه لذلك حال اتباعهم، فكان
أعظم دعوة إلى جمع^١ الخلق دعوتهم إلى جمع توحيد الإلهية انتظاما بما
دعوا إليه من الاجتماع في اسم الربوبية في قوله تعالى متقدما "يا أيها الناس
اعبدوا ربكم" فاعلاء الخطاب من رتبة الربوبية إلى رتبة هذه الدعوة^٢
بالإلهية لتعلو من هذا الحد إلى الدعوة إلى الله الأحد الذي أحديته
مركوزة في كافة فطر الخلق وجبلاتهم حين لم يقع الشرك فيه بوجه
وإنما وقع في رتبة الإلهية، فكان هذا أوسط الدعوة بالاجتماع في ١٠
وحدة الإلهية وفي إضافة اسم الإله إليهم أتم تنزل بمقدار معقولهم من
تعبد لهم الذي هو تألههم؛ ولما كان في الإلهية دعوى^٣ كثرة توهم^٤ الضلال
المبين اتبع ذلك بكلمة التوحيد بناء على اسمه المضمر في باطن ظاهر
الإلهية فقال تعالى "لا اله الا هو" ردا على إضمار ما في الأول
ولم يذكر اسمه المظهر ليكون للدعوة إليه رتبة عالية تكون^٥ هذه متوقلا ١٥
إليها، ولما / كان هذا التوحيد الإلهي أمر غيب من الإله أظهره سبحانه

١٥٢ /

- (١) في م فقط: كذلك (٢) في م: جميع (٣) زيد في م: بالاجتماع في الإلهية .
(٤) في الأصل: نالهم، والتصحيح من م ومد وظ (٥) في الأصل: دعوة،
والتصحيح من م وظ ومد (٦) من م، وفي الأصل وظ: يوهم، وفي مد:
يوهم (٧) في ظ: الادلة (٨) في م: لتكون .

و تعالى بمظهر الرحانية المحيطة الشاملة و الرحيمية الاختصاصية لما عند الخلق من شاهد ذلك فيما يحدونه من أثر الرحانية في دنياهم و آثارهم^١ و ما يحدون من^٢ آثار الرحيمية [في اختصاصهم المزية في تضاعف رحمته، فكان في مجموع هذه الآية أعظمية من غيب الإلهية إلى تمام اختصاص الرحيمية - ٣]، فلذلك كانت هذه الآية مع آية الإحاطة في [أول - ٤] آل عمران الجامعة لمقابلة^٥ ما في هذه الآية من خصوص الرحيمية^٦ مع خصوص مقابلها من وصف الانتقام الظاهر عن وصف العزة الذي أبداه^٧ قوله سبحانه و تعالى ” والله عزيز ذو انتقام “ فكانت هذه الآية لذلك مع ” اَلَمْ يَكُنْ لَّيْلًا وَ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ^٨ “ اسم الله الأعظم المحيط بالغيب و الشهادة جمعا للرحمة و النعمة في الظاهر و إحاطة عظمة في الباطن، فكان هذا الحد من علو الخطاب ابتداء رفع^٩ الخلق

(١) في م و ظ و مد: ظاهرهم (٢) في م: في (٣) زبدت من م و ظ، و زيد في الأصل: الرحيمية - فقط (٤) زبد من م و ظ و مد (٥) في م و ظ و مد: لمقابل (٦) الرحمن الرحيم ﴿ ذكر هاتين الصفتين منبها بها على استحقاق العبادة له لأن من ابتدأك بالرحمة أنشأ بشرا سويا عاقلا و تربية في دار الدنيا موعودا الوعد الصدق بحسن العاقبة في الآخرة جدير بعبادتك له و الوقوف عند أمره و نهيهِ، و أطمعك بهاتين الصفتين في سعة رحمته، و جاءت هذه الآية عقيب آية مخومة باللعة و العذاب لمن مات غير موحد له تعالى إذ غالب القرآن إذا ذكرت آية عذاب ذكرت آية رحمة و إذا ذكرت آية رحمة ذكرت آية عذاب - قاله أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ١ / ٤٦٤ (٧) في مد: أبسده . (٨) سورة ٣ آية ١ و ٢ (٩) من م و ظ و مد، و في الأصل: وقع.

إلى التعلق باسم الله الأعظم الذى يرفعهم عن سفل تقيدهم^١ بأنفسهم المحقرة إظهاراً لمبدأ العناية بهذه الأمة الخاتمة - انتهى .

ولما كان هذا المقام لا يصح إلا بتام العلم وكمال القدرة نصب الأدلة على ذلك فى هذه الآية الثالثة بأبسط مما^٢ فى الآية الثانية كما كانت الثانية أبسط من الأولى وأجلى تبصيراً^٣ للجهال وتذكيراً للعلماء؛ هـ فكانت هذه الآية تفصيلاً لتلك الآيتين السابقتين ولم تدع حاجة إلى مثل هذا التفصيل^٤ فى آية آل عمران، لأن معظم المراد بها الدلالة على شمول^٥ القدرة [وأما هذه فدلّ على^٥ التفرد، فكان لابد من ذكر ما ربما أضيف إلى أسبابه القريبة^٦] تنبيهاً على أنه لا شريك له فى شيء من ذلك وأن الكل بخلقه وإن أقام لذلك أسباباً ظاهرة فقال ١٠ تعالى: ﴿إن فى خلق السموات^٧ والأرض^٨ أى واختلافهما^٩ فإن

(١) فى الأصل: تعبدتهم، والتصحيح من بقية الأصول (٢) فى م: ومد: ما(٣) فى م: تبصراً (٤) ليس فى م (٥) ليس فى ظ (٦) زيدت من م وظ ومد (٧) زيد فى م ومد: جمعها لاختلاف أجناسها ولأن تعددها يعرف بالكواكب فتسهل إقامة الدليل عليه، وقدمها لأنها أشرف وأعجب خلقاً وأكبر (٨) روى أنه لما نزل ﴿والهكم إله واحد﴾ قالت كفار قريش: كيف يسع الناس إله واحد؟ فنزل ﴿إن فى خلق السموات﴾ ولما تقدم وصفه تعالى بالوحدانية واختصاصه بالألوهية استدل بهذا الخلق الغريب والبناء العجيب استدلالاً بالآثر على المؤثر وبالصنعة على الصانع وعرفهم طريق النظر وفهم ينظرون فبدأ أولاً بذكر العالم العلوى فقال: ﴿إن فى خلق السموات﴾ وخلقها إيجادها واختراعها أو خلقها وتركيب =

خلق ما ذكر في الآية من نعمته على عباده كما ذكر في أول السورة، ثم ذكر ما ينشأ عنهما فقال: ﴿واختلاف﴾ وهو اقتعال^٢ من الخلف، وهو ما يقع من افتراق بعد اجتماع في ٣ أمر من ٣ الأمور ﴿اليل﴾ قدمه لأنه الأصل والأقدم "واية لهم الليل" ﴿والنهار﴾ هـ "وخلقهما، فالآية من الاحتياك"، ذكر الخلق أولاً دليلاً على حذفه ثانياً والاختلاف ثانياً على حذفه أولاً. وقال الحرالي: ولما كان من سنة الله أن من دعاه إليه وإلى رسله بشاهد خرق عادة في خلق أو أمر عاجله بالعقوبة في الدنيا وجدد بعده أمة أخرى كما قال سبحانه وتعالى: "وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون"، ١٠. وكانت هذه الأمة خاتمة ليس بعدها أمة غيرها أعفاها ربها من

= أجرامها واختلاف أجزائها، من قولهم: خلق فلان حسن، أي خلقته وشكله - البحر المحيط ٤٦٤/١ (٩) في ظ: اختلافها.

(١) من م وظ ومد، وفي الأصل: عنها (٢) من م وظ ومد، وفي الأصل: فعل (٣-٣) من م ومد وظ، وفي الأصل: امرين (٤) العبارة من هنا إلى «اليل» الآتي ليست في ظ (٥) زيد في م ومد: الآية. سورة ٣٦ آية ٣٧ (٦) العبارة من هنا إلى «حذنه أولاً» ليست في م (٧) في الأصل: الاحتياك، والتصحيح من م وظ. (٨) زيد في ظ: دليلاً (٩) قال أبو حيان الأندلسي: اختلافهما باقبال هذا وإدبار هذا، أو اختلافهما بالأوصاف في النور والظلمة والطول والقصر، أو تساويهما. قاله ابن كيسان. وقدم الليل على النهار لسبقه في الخلق، قال تعالى: "واية لهم الليل نسلخ منه النهار" البحر المحيط ٤٦٥/١ (١٠) في مد: العادة (١١) سورة ٩٧ آية ٥٩.

احتياجها إلى خرق العوائد ، قال عليه الصلاة و السلام : ما من نبي إلا
وقد أوتى من الآيات ما مثله آمن^١ عليه البشر ، وإنما كان الذى آتاني^٢
الله^٣ وحيا أوحاه الله سبحانه و تعالى إلى^٤ ، فأرجو أن أكون أكثرهم
تابعا . فكان أمر الاعتبار أعم إجابة و أسمح مخالفة و كفاها بما قد
أظهره [لها - ٤] في خلقه بالإبداء و التسخير من الشواهد ، ليكونوا ٥
علماء منقادين لروح العلم لا^٥ لسلطان القهر ، فيكون ذلك من مزاياهم
على غيرهم ، و لم يجبها إلى ما سألته من ذلك ، فلما^٦ وصل^٧ تعالى
بدعوة الربوبية ذكر الخلق و الرزق و ذكر الأرض بأنها فراش و السماء
بأنها بناء على عادة العرب في رتبة حس^٨ ظاهر أعلام في هذا الخطاب
باراد آياته و شواهد على علو رتبة معنى معقول فوق رتبة الأمر ١٠
المحسوس [السابق فقال : " أن في خلق السموات و الأرض " خطابا مع
من له نظر عقلى يزيد على نظر الحس - ٩] باعتبار السماوات أفلاكها
و عددها بشواهد نجومها حتى يتعرف أنها سماوات معدودة ، و ذلك
بما يظهر موقعه عند من له اعتبار في^{١٠} مخلوق السماوات ؛ و لما لم يكن
للأرضين شواهد محسوسة بعددها كما في^{١١} السماوات لم يجر ذكرها ١٥
في القرآن إلا^{١٢} مفردة^{١٣} ، و جاء ذكر السماوات معددة لأهل النظر

(١) في مد فقط : آمن (٢) في م : اتاه (٣) زيد في م : لى (٤) زيد من م وظ و مد .
(٥) في م : الا (٦) في م وظ و مد : فكما (٧) في ظ : وصلت (٨) في مد : حسى ،
و في ظ : حسن (٩) زيد من م وظ و مد (١٠) في م : من (١١) زيد في م : ظاهر .
(١٢) زيد في م : في (١٣) قالوا : و جمع السماوات لأنها أجناس ، كل سماء من =

العقلى ومفردة لأهل النظر الحسى، وأيسر معتبر ما بين السماوات والأرض فى مقابلة حظيها فى كون السماوات فى حد من العلو والصفاء والنورانية والحركة، والأرض فى مقابل ذلك من السفلى والكثافة والظلمانية والسكون، فيقع الاعتبار بحصول مشهود التعاون ه من مشهود التقابل، وذلك بما يعجز الخلق يفعلون أنه من أمر الحق، لأن الخلق إنما يقع لهم التعاون بالمتناسب لا بالتقابل، فمن آله الماء مثلاً تفسد عليه النار. ومن آله النار يفسد عليه الماء، والحق سبحانه وتعالى أقام للخلق والموجودات، والموالد آحاداً مجتمعاً قد قهر فيها متنافرات موجودات الأركان وموجود خلق السماء ١٠ / ١٥٣ والأرض المشهود / تقابلها^١، فاقع اجتماع النار بالماء على تقابل ما بين الحار والبارد، واجتماع الهواء بالأرض على تقابل ما بين الكشف واللطيف، واجتماع الكل فى شىء واحد من جسم واحد وعضو

=جنس غير جنس الأخرى، ووحده الأرض لأنها كلها من تراب؛ وبدأ بذكر السماء لشرفها وعظم ما احتوت عليه من الأفلاك والأمكنة والعرش والكرسى وغير ذلك، وآياتها ارتفاعها من غير عمد تحتها ولا علائق من فوقها ثم ما فيها من النيرين الشمس والقمر والنجوم السيارة والكواكب الزاهرة شارقة وغاربة ومحوه وعظم أجرامها وارتفاعها - البحر المحيط ١/ ٤٦٤.

(١) من م وظ ومد، وفى الأصل: ما (٢) زيد فى م: له (٣) فى ظ: يفسد. (٤) سقط من م (ه) فى ظ: مشهود (٦) وذكر أرباب الهيئة أن الأرض نقطة فى وسط الدائرة ليس لها جهة وأن البحار محيطة بها والهواء محيط بالماء والنار محيطة بالهواء والأفلاك وراء ذلك - البحر المحيط ١/ ٤٦٥.

واحد حتى في جزء واحد من أدق أجزائه إلا بأمر يعجز عنه الخلق ولا يقدر عليه إلا الحق الذي يحار فيه الخلق، فهو إذن إلههم الذي هو إله واحد، آثاره^١ موجودة في أنفسهم، وشواهد^٢ مبصرة بأعينهم وحقائق تلك الشواهد بادية لعقولهم، فكأنه سبحانه وتعالى أقرهم ذكره الحكيم المرتضى لأعينهم^٣ كشفا لغطاء أعينهم لتمييزوا عن الذين كانت أعينهم^٥ في غطاء عن ذكره. ولما ذكر سبحانه وتعالى خلق متقابل^٦ العلو والسفل في ذكر السموات والأرض نظم بها اختلاف الأفقين اللذين فيها ظهور مختلفي الليل والنهار ليتربع^٧ اعتبارهم بين اعتبار الأعلى والأسفل والشرق والمغرب فيقع^٨ شواهد الإحاطة بهم عليهم في توحيد ربهم وإرجاع ذلك إليه دون أن يعزى ذلك إلى شيء من دونه مما هو داخل في حصر^{١٠} موجود هذه الإحاطة من المحيط الأعلى والمحيط الأسفل والمحيط بالجوانب كلها من ملبس الآفاق من الليل والنهار خطاب إجمال يناسب مورد السورة التي موضوعها إجمالات ما يتفسر فيها وفي سائر القرآن من حيث أنها فسطاطه وسامه - انتهى .

ولما ذكر تعالى ما أنشأ عن سير الكواكب في ساحة الفلك اتبعه^{١٥} سير الفلك في باحة^٨ البحر فقال: ﴿والفلك﴾ وهو ما عظم من السفن

(١) من م ومد وظ، وزيد بعده: عندهم، وفي الأصل: آثارهم (٢) من م ومد وظ، وفي الأصل: شواهد (٣) في مد: لأنفسهم (٤) في ظ: ذكره تعالى. (٥) من م ومد وظ: وفي الأصل: بتقابل (٦) من م وظ، وفي الأصل ومد: ليتربع - كذا بالزاي (٧) في م وظ ومد: فتقع (٨) في م: بارحة .

[في مقابلة - ١] القارب وهو المستخف منها^٢. قال الحرالي: استوى واحده وجمعه، حركات الواحد أول في الضمير وحركات الجمع ثوان في الضمير من حيث أن الواحد أول والجمع ثان مكسر^٣ - ٤ انتهى. ولما أراد هنا الجمع لأنه أدل على القدرة * وصف بأداة * التأنيث ه فقال: ﴿التي تجري﴾ بتقدير الله،^٦ وحقق^٧ الأمر بقوله: ﴿في البحر﴾^٨ أسند الجرى إليها ومن المعلوم أنه لا جرى لها حقيقة ولا فعل بوجه ترقية إلى اعتقاد مثل ذلك في النجوم إشارة إلى أنه لا فعل لها ولا تدبير كما يعتقد بعض الفلاسفة^٩. وقال الحرالي: ولما ذكر سبحانه وتعالى جملة الخلق وجملة الاختلاف في الوجهين وصل بذلك إحاطة البحر بالأرض وتخلل^{١٠} التجار فيها لتوصل المنافع المحمولة في الفلك عما يوصل من منافع المشرق للغرب ومنافع المغرب للمشرق ومنافع الشمال

(١) زيد من م وظ ومد (٢) قال أبو حيان الأندلسي: أول من عمل الفلك نوح على نينوا وعليه أفضل الصلاة والسلام وقال له جبريل عليه السلام: ضعها على جؤجؤ الطائر، فالسفينة طائر مقابوب والماء في أسفلها نظير الهواء في أعلاها - قاله أبو بكر بن العربي، وآيتها تسخير الله إياها حتى تجري على وجه الماء ووقوفها فوقها مع نقلها وتبليغها المقاصد ولو رميت في البحر حصاة لغرقت، ووصفها بهذه الصفة من الجريان لأنها آيتها العظمى - البحر المحيط ١/٦٥ (٣) من م ومد وظ، وفي الأصل: منكسر (٤) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست في ظ (٥-٥) في م: وصفه بأداة، وفي مد: وصفه بأداة. (٦) العبارة من هنا إلى «بقوله» ليست في ظ (٧) في مد: حق (٨-٨) ليست في ظ (٩) في ظ فقط: حلال (١٠) في م: البحار.

للجنوب و بالعكس ، فما حلت جارية شيئاً ينتفع به ١ إلا و ٢ قد تضمن ذكره مبهم ٣ ، كلمة « ما » في ٤ قوله تعالى : ﴿ بما ينفع الناس ﴾ و ذكرهم باسم الناس الذى هو أول من يقع فيه الاجتماع و التعاون و التبصر بوجه ما أدنى ٥ ذلك فى منافع الدنيا الذى هو ٦ شاهد هذا ٧ القول - انتهى .

و لما ذكر نفع البحر بالسفن ذكر من نفعه ما هو أعم من ذلك ٥ فقال : ﴿ و ما أنزل الله ﴾ ٨ الذى له العظمة التامة ٩ ﴿ من السماء ﴾ أى جهتها باجتناب السحاب له . ١٠ و لما كان النازل منها على أنواع و كان السياق للاستعطاف إلى رفع الخلاف ذكر ما هو سبب الحياة فقال : ١١ ﴿ من ماء فاحيا به الارض ﴾ بما ينبت منها . ١٢ و لما كان الإحياء يستغرق الزمن المتعقب للموت نفي الجار فقال : ١٣ ﴿ بعد موتها ﴾ بعده ١٤ . ١٥

(١) زيد فى الأصل « و » و لم تكن الزيادة فى بقية الأصول لغذفناها (٢) ليس فى م و مد (٣) من م و مد و ظ . وفى الأصل : منهم (٤ - ٤) من مد و ظ ، وفى الأصل : كلهم ما فى ، و قد سقطت من م (٥) يحتمل أن تكون « ما » موصولة أى تجرى مصحوبة بالأعيان التى تنفع الناس من أنواع المتاجر والبضائع المنقولة من بلد إلى بلد فتكون الباء للحال ، و يحتمل أن تكون « ما » مصدرية أى ينفع الناس فى تجارتهم و أسفارهم للغزو و الحج و غيرها فتكون الباء للسبب ؛ و اقتصر على ذكر النفع وإن كانت تجرى بما يضر لأنه ذكرها فى محل الامتنان - البحر المحيط ١/٦٥٠ (٦) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : ادى . (٧ - ٧) فى ظ : مشاهد (٨ - ٨) ليست فى ظ . وفى م كلها - مكان : التامة . (٩ - ٩) ليست فى ظ (١٠) قال أبو حيان الأندلسى : كنى بالإحياء عن ظهور ما أودع فيها من النبات ، و بالموت عن استقرار ذلك فيها و عدم ظهوره ، =

ولما ذكر حياة الأرض بالماء أشار إلى أن حياة كل ذى روح به
 فقال: ﴿وبث﴾ من البث وهو تفرقة أحاد مستكثرة في جهات مختلفة
 ﴿فيها﴾ بالخشب ١ ﴿من كل دابة﴾ ٢ من الديب وهو الحركة بالنفس ٣ ،
 قال الحرالي: أيهم تعالى أمر الخلق والاختلاف والإجراء فلم يسند
 ٥ إلى اسم من أسمائه يظهره ، وأسند إنزال الماء من السماء إلى اسمه العظيم
 الذى هو الله لموقع ظهور القهر على الخلق فى استدرار أرزاق الماء
 واستجداده ٤ وقتا بعد وقت بخلاف مستمر ما أيهم من خلق السماوات
 والأرض الدائم على حالة واختلاف الليل والنهار المستمر على وجهة ٥
 واحتيال إجراء الفلك الماضى على حكم عادته ، فأظهر اسمه فيما يشهد به
 ١٠ عليهم ضرورتهم إليه فى كل حول ليتوجهوا ٦ فى العبادة إلى علو المحل
 الذى منه ٨ ينزل الماء فينقلهم بذلك من عبادة ما فى الأرض إلى عبادة

= وهما كنيان غريبتان ، لأن ما برز منها بالمطر جعل تعالى فيه القوة الغاذية
 والنامية والحركة ، وما لم يظهر فهو كامن فيها كأنه دفين فيها وهى له قبر .
 (١) ليس فى ظ (٢) زيد فى م : أى (٣) ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ فيكون
 ذلك أعظم فى الآيات ، لأن ما بث تعالى فى الأرض من كل دابة فيه آيات
 عظيمة فى أشكالها وصفاتها وأحوالها وانتقالاتها ومضارها ومنافعها وعجائبها
 وما أودع فى كل شكل شكل منها من الأسرار العجيبة ولطائف الصنعة
 الغريبة وذلك من القيل إلى الذرة وما أوجد تعالى فى البحر من عجائب
 المخلوقات المبينة لأشكال البر فمثل هذا ينبغى إفراده بالذكر - البحر المحيط
 ١/ ٤٦٦ (٤) فى م : استجراؤه (٥) زيد فى ظ : واحدة (٦) فى م : تشهد (٧) من
 ظ ، وفى بقية الأصول : ليوجهوا (٨) سقط من م .

من فى السماء "ءامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض" و قال عليه
 الصلاة و السلام للامة : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : أعتقها / فانها
 مؤمنة . فاذن أدنى الإيمان^٢ التوجه إلى عبادة من فى السماء ترقيا إلى علو
 المستوى على العرش^٣ إلى غيب الموجود فى أسرار القلوب ، فكان فى
 هذه التوطئة توجيه الخلق إلى الإله الذى ينزل الماء من السماء و هو الله^٤ .
 الذى لم يشرك به أحد سواه ليكون ذلك، توطئة لتوحيد الإله، ولذلك
 ذكر^٥ تعالى آية الإلهية التى هى الإحياء، و الحياة كل خروج عن
 الجمادية من حيث أن معنى الحياة فى الحقيقة إنما هو تكامل فى الناقص،
 فالمهتز حتى بالإضافة إلى الجماد ترقيا إلى ما فوق ذلك من رتب الحياة
 من نحو حياة الحيوان و دواب الأرض ، فلذلك ذكر تعالى الإحياءين^٦ ١٠
 بالمعنى ، و أظهر الاسم مع الأرض لظهوره فى الحيوان ، فأظهر حيث خفى
 عن الخلق ، و لم يذكره حيث هو ظاهر للخلق ، فنبههم^٧ على الاعتبارين^٨
 إنزال الماء الذى لهم منه^٩ شراب و منه شجر و به حياة الحيوان و منه
 مرعاهم .

و لما ذكر سبحانه و تعالى بث ما هو السبب^{١٠} للنبات المسبب عن ١٥
 الماء ذكر بث ما هو سبب للسحاب^{١١} السبب للمطر^{١٢} السبب للحياة فقال
 (١) سورة ٦٧ آية ١٦ (٢) ايس فى ظ (٣) فى م : الارض (٤) ليس فى مد .
 (٥) زيد فى م : الله (٦) فى م : الاحياء (٧) فى ظ : نبههم (٨) من مد و م و ظ ،
 و فى الأصل : الاعتبار من (٩) فى مد : منهم (١٠) زيد فى م : عن (١١) فى م :
 السحاب (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للمطر .

تعالى: ﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ١﴾ أى تارة صبا وأخرى دبوراً ٢ مرة شمالاً وكرة جنوباً، و التصريف إجراء المصرف بمقتضى الحكم عليه، و الريح متحرك الهوى فى الأفطار ﴿والسحاب﴾ وهو المتراكم فى جهة العلو من جوهر ما بين الماء و الهواء المنسحب ٣ فى الجو ﴿المسخر﴾ أى بها، من التسخير؛ وهو إجراء الشئ على مقتضى غرض ما سخر له ﴿بين السماء والارض﴾ لا يهوى إلى جهة السفلى مع ثقله بحمله بخار الماء، كما تهوى بقية الأجرام العالية حيث لم يكن لها تمسك ٤ محسوس ٥ ٦ ولا ينقشع مع أن الطبع يقتضى أحد الثلاثة: فالكشف يقتضى النزول، و اللطيف يقتضى الصعود، و المتوسط يقتضى الانقشاع ٧ ﴿لأيت﴾

(١) فى هبوبها قبولاً ودبوراً وجنوباً وشمالاً، وفى أوصافها حارة وباردة ولينة وعاصفة وعقياً ولواقيح ونكباء وعى تأتى بين مهبي ريحين، وقيل: تارة بالرحمة وتارة بالعذاب..... و الريح جسم لطيف شفاف غير مرئى، ومن آياته ما جعل الله فيه من القوة التى تقلع الأشجار وتعفى الآثار وتهدم الديار وتهلك الكفار وتربية الزرع وتنميته واشتداده بها وسوق السحاب إلى البلد الماحل - قاله أبو حيان الأندلسى (١/٦٧) (٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: او (٣) ليس فى ظ (٤) تسخيره بعثه من مكان إلى مكان، وقيل: تسخيره نبوته بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه..... فقيل: السحاب يأخذ المطر من السماء، وقيل: يغترفه من بحار الأرض، وقيل: يخلقه الله فيه؛ و للفلاسفة فيه أقوال، وجعل مسخراً باعتبار إمساكه الماء إذ الماء ثقيل فبقاؤه فى جو الهواء هو على خلاف ما طبع عليه و تقديره بالمقدار المعلوم الذى فيه المصلحة يأتى به الله فى وقت الحاجة ويرده عند زوال الحاجة - البحر المحيط (٥) فى م: تمسك (٦) زيد فى مد: ولا يعلو (٧-٧) ليست فى ظ.

وقال الحرالي: لما ذكر تعالى الأعلى والأسفل ومطلع الليل والنهار من الجانبين وإنزال الماء أهواء ذكر ما يملأ ما بين ذلك من الرياح والسحب الذي هو ما بين حركة هوائية إلى استنارة مائية إلى ما يلزم ذلك من بوادي نيراته من نحو صواعقه وجملة أحداثه، فكان في هذا الخطاب اكتفاء بأصول من مبادئ الاعتبار، فذكر السماء والأرض والآفاق وما بينهما من الرياح والسحب والماء المنزل الذي جملة قوام الخلق في عاجل دنياهم، ليجعل لهم ذلك آية على علو أمر وراءه ويكون ٣ كل وجه منه آية على أمر من [أمر - ٥] الله فيكون آيات، لتكون السماء آية على علو أمر الله فيكون أعلى من الأعلى، وتكون الأرض آية على باطن أمر الله فيكون أبطن من الأبطن، ويكون اختلاف الليل والنهار آية ١٠ على نور بدوه وظلمة غيبته مما وراء أمر الليل والنهار، ويكون ١ ما أنزل من الماء لإحياء الأرض وخلق الحيوان آية ما ينزل من نور عليه على القلوب ٢ فتحيا بها حياة تكون حياة الظاهر آية ٩ عليه، ويكون تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات على تصريف ما بين أرض العبد الذي هو ظاهره وسمائه الذي هو باطنه، و تسخير ١٥ بعضه لبعض ليكون ذلك آية على علو الله على سنامه العلى في الحس وعلى سماء القلوب العلية في الوجدان؛ فلجملة ذلك جعل تعالى صنوف

(١) من م وظ ومد، وفي الأصل: أنزل (٢) في م ققط: استنار (٣) في ظ: يكون (٤) العبارة من هنا إلى «علو أمر الله فيكون» ليست في ظ (٥) زيد من م ومد (٦) زيد في م: ويكون - مكررا (٧) في م: الحياة (٨) زيد في م: به (٩) من م وظ ومد، وفي الأصل: انه .

هذه الاعتبارات ﴿لأيت ١ لقوم ٢﴾ وهم الذين يقومون في الأمر حق القيام، فيه إشعار بأن ذلك لا يناله من هو في سن الناس حتى يتناهى طبعه وفضيلة عقله إلى أن يكون من قوم يقومون في الاعتبار قيام المنتهضين في أمور الدنيا، لأن العرب عرف استعمالها في القوم إنما هو لأجل النجدة والقوة حتى يقولون: قوم أو نساء ٣. تقابلا بين المعنيين؛ وذكر تعالى العقل الذي ' هو نور من نوره هدى لمن أقامه من حد تردد حال الناس إلى الاستضاءة بنوره في قراءة حروف كتابه الحكيم التي كتبها يده وأغنى الأمين بقراءة ما كتب لهم عن قراءة كتاب ما كتبه الخلق - انتهى؛ فقال °: ﴿يعقلون °﴾ أى يفعلون أن مصرف

(١) في م ومد وظ: آيات - كذا (٢) و ﴿لقوم﴾ في موضع الصفة أى كائنة لقوم، والجملة صفة اقوم لأنه لا يتفكر في هذه الآيات العظيمة إلا من كان عاقلا، فانه يشاهد من هذه الآيات ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وانفراده بالإلهية وعظيم قدرته وباهر حكمته، وقد أثر في الأثر: ويل لمن قرأ هذه الآية ففج بها! أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (ومناسبة هذه الآية لما قبلها) هو أنه لما ذكر تعالى أنه واحد وأنه منفرد بالإلهية لم يكف بالإخبار حتى أورد دلائل الاعتبار، ثم مع كونها دلائل بل هي نعم من الله على عباده فكانت أوضح لمن يتأمل وأبهر لمن يعقل، إذ التنبيه على ما فيه النفع باعث على الفكر، لكن لا تنفع هذه الدلائل إلا عند من كان متمكنا من النظر والاستدلال بالعقل الموهوب من عند الملك الوهاب - قاله أبو حيان الأندلسي في تفسيره المسمى ببحر المحيط ١/٤٦٨ (٣) في مد: نسيا - كذا (٤) سقط من م (ه) ليس في ظ .

١٥٥ /

هذه الأمور على هذه الكيفيات المختلفة و الوجوه المحكمة فاعل مختار
 و هو قادر بما يشاهد من إحياء الأرض وغيرها / مما^١ هو أكبر منه على
 بعث الموتى وغيره ٢ مما يريد و أنه مع ذلك كله واحد لا شريك له يمانعه
 العقلاء من الناس ، يعلمون ذلك بذلك ٣ فلا يتخذون أندادا من دونه
 و لا يميلون عن جنبه^٤ الأعلى إلى^٥ سواه^٦ ، و قد اشتملت هذه الآية ه
 على جميع ما نقل البيهقي في كتاب الاسماء و الصفات عن الحلبي أنه مما^٧
 يجب اعتقاده في الله سبحانه و تعالى و هو خمسة أشياء : الأول إثباته
 سبحانه و تعالى لتقع به مفارقة التعطيل ، و الثاني وحدانيته لتقع به البراءة
 عن^٨ الشرك - و هذان من قوله ”و الهكم اله واحد“ ، و الثالث إثبات
 أنه ليس بجوهر و لا عرض لتقع به البراءة من التشبيه و هذا من قوله ١٠
 ”لا اله الا هو“^٩ لأن من لا يسد غيره مسده لا شبيه له ، و الرابع إثبات
 (١) من م و مد ، و في ظ : بما ، و في الأصل : بمن (٢) من م و ظ و مد ، و في
 الأصل : غيرها (٣) العبارة من هنا إلى « سواء » ليست في ظ (٤) في م : جانبه .
 (هـ) زيد في م : ما (٦) ثم ختم ذلك بما لا تتم النعمة للإنسان إلا به و هو التصريف
 المشروح ، و هذه الآيات ذكرها تعالى على قسمين : قسم مدرك بالبصار ، و قسم
 مدرك بالأبصار ، فخلق السماوات و الأرض مدرك بالعقول و ما بعد ذلك مشاهد
 للأبصار ، و المشاهد بالأبصار انتسابه إلى واجب الوجود مستدل عليه بالعقول ،
 فلذلك قال تعالى ﴿ لَا يَتْلُو لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ و لم يقل : لآيات لقوم يبصرون ،
 تغليبا لحكم العقل ، إذ مآل ما يشاهد بالبصر راجع بالعقل نسبته إلى الله تعالى -
 البحر المحيط ٤٦٨/١ (٧) سقط من م (٨) في م : من (٩) زيد في ظ : الحى .

أن وجود كل ما سواه كان بإبداعه له واختراعه إياه لتقع به البراءة من قول من يقول بالعلة^١ والمعلول وهذا من قوله "الرحمن الرحيم" "ان في خلق السموات والارض"، والخامس أنه مدبر^٢ ما أبدع ومصرفه على ما يشاء لتقع به البراءة من قول انقائلين بالطباع أو تدبير الكواكب أو تدبير الملائكة وهذا من قوله "وما انزل الله من السماء من ماء - إلى آخرها" قال البيهقي: كان^٣ أسماء الله سبحانه وتعالى جده التي ورد بها الكتاب والسنة وأجمع العلماء على تسميته بها منقسمة^٤ بين العقائد الخمس، فليحق^٥ بكل واحدة منهن بعضها، وقد يكون منها ما يلتحق بمعنيين ويدخل في باين^٦ أو أكثر - انتهى^٧. وسبب تكثير الأدلة أن عقول الناس متفاوتة، فجعل سبحانه وتعالى العالم^٨ وهو الممكنات الموجودة وهي جملة ما سواه الدالة على وجوده وفعله بالاختيار على قسمين: قسم من شأنه أن يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى في عرف أهل الشرع الشهادة والخلق والملك، وقسم لا يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى الغيب والأمر والملكوت، والأول يدركه عامة الناس والثاني^٩ يدركه أولو الأبواب الذين عقولهم خالصة عن الوهم والوساوس، فالله

(١) من م ومد وظ، وفي الأصل: بالعملة - كذا (٢) زيد في م: كل (٣) في م: لان، وفي ظ: ثم ان (٤) زيد في الأصل فقط: اهل. ولم تكن الزيادة في م ومد وظ لحذفناها (٥) من م وظ ومد، وفي الأصل: متضمنة (٦) في م وظ: فليأتحق، وفي مد: فليأتحق (٧) من م وظ ومد، وفي الأصل: ما بين. (٨) العبارة من هنا إلى «والعياذ بالله سبحانه وتعالى هو الشقي» ليست في ظ.

سبحانه و تعالى بكمال عنايته و رأفته و رحمته جعل العالم بقسميه^١ محتويا على جمل و تفاصيل [من - ٢] وجوه متعددة و طرق متكررة تعجز القوى البشرية عن ضبطها يستدل بها على وحدانيته بعضها أوضح من بعض ليشترك الكل في المعرفة ، فيحصل لكل بقدر^٣ ما هيئ^٤ له ، اللهم إلا أن يكون ممن طبع على قلبه ، فذلك و العياذ بالله سبحانه و تعالى ٥ هو الشقي .

و لما نهضت الأدلة و سطعت البراهين و زاحت العلل و الشكوك عاب من عبد سواه و فزع إلى غيره كما نهى عن الانداد عقب الآية الأولى الداعية إلى العبادة مشيرا بختم التي قبل يعقلون ، إلى أن هؤلاء ناس ضلت عقولهم و قالت^٥ آراؤهم و بين أنهم يتبرأ بعضهم من^٦ بعض ١٠ يوم ينكشف حجاب الغفلة عن سرادق العظمة و يتجلى الجبار في صفة النعمة فقال سبحانه و تعالى عاطفا على ما قدرته مما أرشد إليه المعنى : و من ، أو يكون التقدير : فمن الناس من عقل تلك الآيات فأمن بربه و فنى في حبه ﴿ و من الناس من يتخذ ﴾ و هم من لا يعقل^٧ ﴿ من

(١) من م و مد ، وفي الأصل : بقسميته (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، وفي الأصل : يقدر (٤) في م فقط : يهيئ (٥) كتب فوته في ظ : أي ضعفت . (٦) في ظ : على (٧) لما قرر تعالى التوحيد بالدلائل الباهرة أعقب ذلك بذكر من لم يوفق واتخاذ الأنناد من دون الله ، ليظهر تفاوت ما بين المنهجين ، و الضد يظهر حسنه الضد ، وأنه مع وضوح هذه الآيات لم يشاهد هذا الضال شيئا منها ، و لفظ « الناس » عام و الأحسن جملة على الطائفتين من أهل الكتاب =

دون الله ﴿الذى لا كفوء له﴾ مع وضوح الأدلة ﴿اندادا﴾ عما خلقه ،
 ادعوا أنهم شركاؤه ، ٢ أعم من أن يكونوا أصناما أو رؤساء يقلدونهم
 في الكفر بالله و التحريم و التحليل من ١ غير أمر الله ﴿يحجونهم﴾ من
 الحب و هو إحساس بوصلة لا يدري كنهها ﴿حجب الله﴾ الذى له الجلال
 و الإكرام بأن يفعلوا ٦ معهم من الطاعة و التعظيم فعل المحب ٧ كما يفعل
 من ذلك مع الله الذى لا عظيم غيره ، ٨ هذا على أنه من المبنى للفعول
 و يجوز أن يكون للفاعل فيكون المعنى كحجبهم الله لأنهم مشركون ٩
 ﴿و الذين آمنوا أشد حبا لله﴾ الذى له الكمال كله من حب المشركين
 لأننادهم فأفاض عليهم ٩ من كماله ، لأنهم لا يعدلون به شيئا ١٠ في حالة
 ١٠ من الحالات من ضراء أو سراء في بر أو بحر ١١ ، بخلاف المشركين فانهم

= وعبداء الأوثان ، فالأنداد باعتبار أهل الكتاب هم رؤساؤهم و أبحارهم
 اتبعوا ما رتبوه لهم من أمر و نهى و إن خالف أمر الله و نهى ، قال تعالى
 ” اتخذوا أبحارهم و رهبانهم إربابا من دون الله “ و الأنداد باعتبار عبادة الأوثان
 هى الأصنام اتخذوها آلهة و عبدوها من دون الله - البحر المحيط ٤٦٩/١ .

(١-١) ليست فى ظ (٢) زيد فى م و ظ و مد : هذه (٣) العبارة من هنا إلى
 ” أمر الله “ ليست فى ظ (٤) فى م : عن (٥) العبارة من هنا إلى ” بأن “ ليست
 فى ظ . و لفظ ” بأن “ فقط ليس فى م (٦) زيد قبله فى الأصل فقط ” أى “
 و لم تكن الزيادة فى م و مد فذناها . و فى ظ : يفعلون (٧) فى م : الحب .
 (٨) العبارة من هنا إلى ” من كماله “ ليست فى ظ (٩) فى مد : اليهم (١٠) فى
 م : أشياء (١١) العبارة من هنا إلى ” عقل “ ليست فى ظ .

يعدلون فى الشدائد إليه سبحانه وتعالى ، وإذا رأوا فى الرخاء حجرا أحسن تركوا الأول وعبدوه ، وجهم هوأى و حب المؤمنين عقلى .
وقال الحرالى : ولما استحق القوم ١ القائمون فى أمر الله سبحانه وتعالى هذا الاعتبار بما آتاهم الله من العقل لم يكن من / اتخذ من دون الله أندادا ١٥٦ /
ما يقال فيهم : قوم ، بل يقصرون إلى اسم النوس الذى هو تردد وتلذذ ٥
فكانه سبحانه وتعالى عجب بمن ٢ لم يلحق بهؤلاء ٣ القوم فى هذا الاعتبار الظاهرة شواهد البينة آثاره ، فأنبا أن طائفة من الناس على المقابلة من ذلك الاعتبار الظاهر لنور العقل فى أخذهم لمقابل العقل من الخرق الذى يقدم ٤ فى موضع الإحجام ويحجم فى موضع الإقدام ، ثم غلب ذلك عليهم حتى وصل إلى بواطنهم [فصار جبا كأنه وصلة بين بواطنهم - ١] ١٠
وقلوبهم وما اتخذوه من دون الله أندادا ، ففيه إشعار بنحو ما أفصح به لبنى إسرائيل فى كون قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة . فى كرم ٥ هذا الخطاب فى حق العرب ستر عليهم رعاية لئيبهم فى أن يصرح عليهم بما صرح على بنى إسرائيل ، فى لحنه إشعار ٦ بأن من اتخذ [ندا ١] - من دون الله فتلك لوصلة ٧ بين حال قلبه وحال ٨ ما اتخذ من دون الله ، فمن ١٥

- (١) ليس فى ظ (٢) من مد و ظ ، و وقع فى الأصل : تلذذ ، وفى م : تلذذ -
كذا مصحفا (٣) فى ظ : من (٤) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : هؤلاء .
(٥) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : تقدم (٦) ما بين الحاجرين زيد من م و ظ و مد (٧) بهامش م بعلامة النسخة : كون (٨) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : اشعارا (٩) فى مد : الموصلة (١٠) زيد فى م و مد : من .

عبد حجرا قلبه^١ في القلوب حجر و من عبد نباتا قلبه^٢ في القلوب نبات ، وكذا من عبد^٣ دابة^٤ " واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم^٥ كذلك إلى ما يقع معبودا من دون الله مما بين أعلى النيرين^٦ الذي هو الشمس إلى أدنى الأوثان إلى ما يقع في الخلق من عبادة بعضهم بعضا من نحو ٥ عبادة الفراعنة و التمردة إلى ما يلحق بذلك من نحو ٢ رتبة العبادة باتباع الهوى^٧ الشائع موقعه^٨ في الأمم وفي هذه الأمة ، لأن من غلب عليه هوى شيء فقد عبده ، فكأن عابد الشمس قلبه سعيير و عابد النار قلبه نار و عابد القمر قلبه زمهرير . و من عبد مثله من الخلق فقد عبد هواه " ارايت من اتخذ^٩ الهه هوله^{١٠} " فمن عبد الله فهو الذي علا عن سواه ١٠ من المخلوقات فعاذل سبحانه و تعالى خطاب الأولين المعبرين العقلاء بهذا الصنف الذي انتهى أمرهم في الكفر إلى الحب من حيث اعتلقت بواطنهم بهم^{١١} فيما شأنه أن يختص بالله من الخوف و الرجاء و النصرة على الأعداء و الإعانة للأولياء ، فلما توهموا فيهم مرجى الإلهية و مخافتها أجوهم لذلك كحب الله^{١٢} لأن المتعبد مؤتمر و مبادر فالمبادر قبل الأمر محب ، و المحب

(١) وقع في الأصل : قلبه ، و التصحيح من م وظ و مد (٢) ليس في م .
(٣) ليس في مد (٤) في م : النيران (٥-٥) في م : السائغ موقفه .
(٦) - سورة ٢٥ آية ٤٣ (٧) في م : به (٨) قال الراغب : الحب أصله من المحبة ، حبته أصبت حبة قلبه و أصبته بحبة القلب ، و هي في اللفظ فعل و في الحقيقة انفعال ، و إذا استعمل في الله فالعنى أصاب حبة قلب عبده بخلقها مصوطة عن الهوى و الشيطان و سائر أعداء الله - انتهى . و قال عبد الجبار : =

للأمر مطيع ، فالحب أعلى في الطرفين - انتهى . ولما عجب من حالهم
حذر من سوء منقلبهم و ما لهم فقال : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا ﴾ أى
ولو يرون أى المتخذون للأنداد ولكنه أظهر لأجل التعميم الوصف
الذى استحقوا به ما يذكر ، وهو وضعهم الشيء في غير محله كفعل من
يمشى في مأخذ الاشتقاق وهو الظلة ، وذلك هنا تسويتهم بمن لا يملك هـ
شيئا أصلا بمن يملك كل شيء ﴿ اذ يرون العذاب ﴾ أى يتخذون أندادا
والحال أنهم لو يعلمون حين إهانتهم ولين ما غلظ من أكبادهم ٢ ورؤية
ما لا يستحق غيره بالنسبة إليه أن يسمى عذابا ٢ ﴿ ان القوة لله ﴾ [الذى - ٣]
له مجامع الكمال ﴿ جميعا ﴾ حين يشاهدون العذاب قد أحاط بهم
﴿ وان الله ﴾ الذى لا ملك سواه ﴿ شديد العذاب هـ ﴾ لم يتخذوا أندادا ١٠
ولم يعدلوا بالله أحدا ، أو يكون التقدير : ولو ترى بالتاء والياء ، أى
لو أبصرت أو أبصر الذين ظلموا أنفسهم بالتخادم الأنداد - إلى آخره .
وقال الحرالى : قال تعالى ” ولو ترى “ عظفا على متجاوز أمور من
أمر جزائهم مما نالهم من عقوبات أثر كفرهم في الدنيا ، قال عليه الصلاة

== حب العبد لله تعظيمه والتمسك بطاعته ، وحب الله العبد لإرادة الثناء عليه
وإثابته ، وأصل الحب في اللغة اللزوم ، لأن الحب يلزم حبيبه ما أمكن ؛ قاله
أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط ١/ ٤٧٠ .

(١) في م وظ : من (٢-٢) ليست في ظ (٣) زيد من م وظ ومد (٤) ليس
في ظ (٥) زيد في م ومد : فيتحققون أنه لا شيء يعجزه من ثواب ولا عقاب
ولا غيره (٦) من م ومد وظ ، ووقع في الأصل : لانه او - مصحفا .

و السلام: إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء، إلى تهادى غاية رؤيتهم العذاب؛ وفي قوله "ترى - بالتاء" إقبالا على النبي صلى الله عليه وسلم تعجب له بما ينالهم مما أصابوه، وفيه إشعار بأن ذلك من أمر يعلو أمره إلى محل رؤيته التي هي أتم الرؤية، وفي قوله "برى - بالياء" تحسرا عليهم يشعر بأن منالهم من رؤية العذاب^١ مما كان يزجرهم^٢ عما هم عليه لو رأوه - انتهى. "اذ يرون" أى الوقت الذى يبصرون فيه العذاب، أى الأكبر الذى لا عذاب مثله؛ كما أفهمه تعريفه بال، ثم بينه بقوله "ان القوة" وهى مُتَّة^٣ الباطن التى^٤ يجدها المقدر منشأ لما بيديه ظاهره [وما بيديه ظاهره -^٥] قدرة القوة جمعها^٦ وأصلها و القدرة ١٠. ظاهرها و تفصيل إنشائها لله جميعا، فانه لا شئ أشق على الإنسان من أن يرى خصمه^٧ نافذ^٨ الأمر منفردا بالعزم^٩ فى كل معنى لا سيما [إذا كان جبارا متكبرا شديد البطش بمن عصاه، كما يشير إليه قوله "وان الله شديد العذاب" ولا سيما -^{١٠}] إذا كان العاصى له قد أساء إليه بالإساءة^{١١} إلى أولياته و بالغ حتى لم يدع للصلح موضعا. و قال الحرالى: موضع^{١٢}

(١) زيد فى م «و» (٢) العبارة من هنا إلى «فيه العذاب» ليست فى م (٣) من مد و ظ، وفى الأصل: يرجوهم - كذا (٤) من مد، وفى الأصل وم: منه، وفى ظ: مته (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الذى (٦) زيد من م و ظ و مد، غير أن فى م «ظاهرة» مكان «ظاهره» (٧) فى مد: جميعها (٨) من م و مد و ظ، وفى الأصل: خضد (٩) من م و مد و ظ، وفى الأصل: نافر (١٠) فى م: بالعزم (١١) زيدت من م و ظ و مد (١٢) من م و ظ و مد، وفى الأصل: بالاشارة - كذا (١٣) فى م ظ و مد: موقع.

١٥٧ /

الرؤية في الحقيقة هو ان القوة لله جميعا سلبا عن جميع أنادهم الذين^١
أجوبهم وعن / أنفسهم ، كما قال قائلهم ” نحن اولوا قوة واولوا باس
شديد^٢ “ لكن لما كان رؤيتهم لذلك عن رؤية مشهود العذاب الذي
هو أتم العذاب ذكر العذاب الذي هو ظاهر مرأى ان القوة لله جميعا ،
وفي ” ان القوة “ إعلام باطلاعهم يوم هذه الرؤية على بواطن أنادهم^٥
وسلبها ما^٢ شأن البواطن أن تتحلّى به من القوة من حيث وعفهم
لهم بالحب الباطن اطلعهم على سلب قواهم الباطنة بالرؤية التي هي باطن
البصر الذي هو باطن النظر ، ولما ذكر أمر القوة عطف عليه ما هو
أمر القدرة فقال ” وان الله شديد العذاب “ إكمالاً للخطاب ، بظاهرة ،
واستأنف معه الاسم العظيم لإظهار ما بين غايى الباطن والظاهر في أمر^{١٠}
القدرة والقوة ، ليكون مع المنظر^٥ الظاهر بالقدرة^٦ اسم أظهره واستأنفه
وقدم ذكره كما كان مع المرأى الباطن بالقوة اسما أضاف إليه وأنهى
له ليقع ماولى أول^٦ الخطاب مقابل ما ختم به الخطاب ، فينعطف أوله
على آخره و آخره على أوله باطنا لظاهر و ظاهرا^٨ لباطن في المتعاطفين
جميعا في قوله ” ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب “ انتهى . ١٥٠
أو يقال : إذ يرون العذاب الذى يتوعدون به^{١١} الآن لأن القوة لله جميعا
(١) من م ومد وظ ، وفي الأصل : الذى (٢) سورة ٢٧ آية ٣٣ (٣) زيد في
مد : هو (٤) من م ومد ، وفي الأصل : تنخلى ، وفي ظ : سحلى - كذا بلا نقط .
(٥) من م ومد وظ ، وفي الأصل فقط : النظر (٦) في م فقط : بالقوة (٧) في
م : اولى (٨) في م : ظاهر (٩) من م ومد وظ ، وفي الأصل : الذين (١٠) من
م ومد وظ ، وفي الأصل : لله .

فلا مانع له من إتيانهم به ، كما تبين في الآيتين قبلها أنه لا كفوء له
وأنه كامل القدرة شامل العلم ، والجواب محذوف لتهويله لذهاب وهم
المتوعد إلى كل ضرب من أنواع التوعد ، ولو ذكر ضرب منه لأمكن
أن يوطن نفسه عليه ، فالتقدير : لو رأيت أو رأوا ذلك الوقت الذي
ه يشاهدون فيه تلك العظمة لرأيت أو لرأوا أمراً^١ فظيلاً هائلاً شاغلاً لهم عن
اتخاذ الانداد ومحببتها وغير ذلك من الظلم^٢ ، وحذف الجواب للعلم به
كما حذف من أمثاله^٣ ؛ ثم^٤ أبدل من " اذ يرون " قوله : ﴿ اذ تبرا ﴾
وهو من التبرؤ الذي هو طلب البراءة وإيقاعها بجد واجتهاد ، وهي^٥
إظهار التخلص من وصلة أو اشتباك^٦ ﴿ الذين أتبعوا ﴾ أي مع^٧ اتباع
١٠ غيرهم لهم ، وهم الرؤسا ﴿ من الذين أتبعوا ﴾ مع تفعيم^٨ لهم في الدنيا
بالاتباع لهم والذب عنهم . وقال الحرالي : قال ذلك إظهاراً لإفصاح^٩
ما أفهمه مضمون الخطاب الأول لتتسق الآيات بعضها ببعض ، فظهر
الآية ما في ضمن سابقتها ، وتجمع الآية ما في تفصيل لاحقها^{١٠} وإعلاء^{١١}
للخطاب بما هو^{١٢} المعقول عليه المتقدم^{١٣} إلى ما في الإيمان نبأه^{١٤} ليتم نور

(١) في الأصل : أمر ، والتصحيح من م و مد و ظ (٢-٣) ليست في ظ .
(٢) ليس في م (٤) في ظ : التبراء - كذا (٥) في م : من (٦) من م و مد و ظ ،
وفي الأصل : استيائك (٧) العبارة من هنا إلى « لهم » ليست في ظ (٨) في م و مد :
وقع (٩) من م و مد ، وفي الأصل : يقعيم - كذا (١٠) في مد : لافضاح .
(١١) في ظ : لاحقه (١٢) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : اعلام (١٣) في م
و ظ و مد : في (١٤) من م و ظ و مد ، وفي الأصل : المقدم (١٥) زيد في م
و مد « و » .

العقل الذى^١ وقع به الاعتبار بنور الإيمان الذى يقع به القبول لما فى الآخرة عيانه، فمن عقل عبدة الكون الظاهر استحق إسماع نيا الغيب الآتى^٢، ثم قال: هذا يتبرأ المتبوع فى الذكر لأنه الآخر فى الكون، فكأنه فى المعنى: إنما تعلق التابع بالمتبوع^٣ ليعيذه^٤ فى الآخرة كما كان عهد منه [أن يعيذه^٤ فى الدنيا فيتبرأ^٥ منه -^١] لما ذكر تعالى من هـ "ان القوة لله جميعا" ولذلك اتصل ذكر التبرؤ بذكر قبض القوة والقدرة عنهم - انتهى .

قال تعالى ﴿ وراوا ﴾ أى الكل ﴿ العذاب ﴾ أى الذى لا محيص لهم عنه . وقال الحرالى : قاله ردا للاضمار على الجميع ، وفيه إشعار بأن ذلك قبل غلبة العذاب عليهم وفى حال الرؤية ، ففيه إنباء بأن بين رؤيتهم العذاب وبين أخذهم به مهل يقع فيه خصومتهم وتبرؤهم وإدراكهم للحق الذى كان متغيبا عنهم فى الدنيا بما فتن بعضهم بعضا - انتهى^٦ .

﴿ وتقطع ﴾ أى تكلفت وتعمدت القطع وهو بين المتصل ، أشار إليه الحرالى ، ومعناه أنه قطع بقوة عظيمة^٨ ، ويجوز أن تكون صيغة التفعّل إشارة إلى تكرار القطع فى مهلة^٩ بأن يظهر لهم انقطاع الأسباب^{١٥}

(١) زيد فى م : هو (٢) ليس فى م (٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : ليعيده . (٤) فى ظ فقط : يعيده (٥) فى م : فيتبوا - كذا (٦) زيدت من م وظ ومد . (٧) زيد فى م : ولما بين حال هذه التبرئة بين أن الأمر المهم من ذلك ، لأن كلا منهم يتبرأ من أقرب الناس إليه ولا يهمه غير نفسه ولا يجد من يغنيه نوع غناه فقال (٨) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : عظيم (٩) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : جهلة .

شيئا فشيئا زيادة في إيهانهم^١ وإيلاهم^٢ وهو أنهم ﴿بهم﴾ أى كلهم
 جميع^٣ ﴿الاسباب^٤﴾ أى كلها، وهى الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا،
 والسبب [ما-٣] يتوصل به إلى حصول، فى الأصل الجبل، ثم قيل
 لكل^٥ مقصد. قال الحرالى: وفيه إشعار بخلو^٦ بواطنهم من التقوى
 ه ومن استنادهم إلى الله سبحانه وتعالى فى دنياهم، وأنهم لم يكونوا عقلوا
 إلا تسبب بعضهم ببعض فتقطعت بهم الأسباب^٧ ولم يكن^٨ لهم، لأن
 ذلك واقع بهم فى أنفسهم لا واقع لهم فى غيرهم، فكأنهم كانوا نظام
 أسباب تقطعت بهم فاشترؤا^٩ منها، وأسبابهم وصل ما بينهم فى الدنيا
 التى لم تثبت^{١٠} فى الآخرة، لأنها من الوصل الفانية لا من الوصل الباقية
 ١٠ لأن متقاضى ما فى الدنيا ما كان منه بحق فهو من الباقيات الصالحات
 وما كان منه عن هوى فهو من الفانى الفاسد - انتهى .

/١٥٨

﴿وقال / الذين اتبعوا﴾ وهم الأذئاب متمنين للحال ندما على
 اتباع من لا ينفع^{١١} حيث لا ينفع الندم ﴿لو ان لنا كرة﴾ أى رجعة
 (١) فى م: إيهامهم (٢) ليس فى م وظ (٣) زيد من م وظ (٤-٤) ليست فى
 م ومد وظ (٥) فى الأصل: تحملوا، والتصحيح من م ومد وظ (٦) وفى
 البحر المحيط ٤٧٣/١: ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾ كناية عن لا منجى لهم من
 العذاب ولا مخلص ولا تعلق بشيء يخلص من عذاب الله، وهو عام فى كل
 ما يمكن أن يتعلق به (٧) كذا فى الأصل، والظاهر: لم تكن (٨) فى ظ:
 فاشترؤا - كذا (٩) فى م: لم تثبت (١٠) فى الأصل: لا يقع، والتصحيح من
 م وظ ومد .

إلى الدنيا . وقال الحرالى : ' هى رجع ' و عودة ' عند غاية قرّة ٣ - انتهى .
 ' و لما كانت « لو » بمعنى التمنى نصب جوابها * فقال ﴿ فتبرا منهم ﴾ أى
 الرؤساء هناك و نذلهم ﴿ كما تبرؤا منا ﴾ و أذلونا هنا . و قال الحرالى :
 فيه إنباء عن تأسفهم على اتباع من دون ربهم ممن اتبعوا و إجرأ
 لتأسفهم على وجه متوهم غير محقق على حد ما كان تمسكهم بهم متوهم ه
 انتفاع غير محقق ، فقيه إثبات لحالهم فى الآخرة على ما كان ينالهم فى
 الدنيا من الأخذ بالموهوم ^٨ و الغيبة عن المعلوم - انتهى .

و لما كانت هذه الأشياء بعضها ثمرة أعمالهم و بعضها حكاية أقوالهم
 قال تعالى على طريق الاستئناف "جوابا لمن يقول : لقد رأوا جزاء
 عقائدهم فهل يرون جزاء أعمال الجوارح " ﴿ كذلك ﴾ أى الأمر القطيع ١٠
 المهول ﴿ ربهم الله ﴾ " الذى له القدرة التامة و العظمة الكاملة " ﴿ أعمالهم ﴾
 الخبيثة و غيرها ﴿ حسرت عليهم ﴾ أى تنهفا على ما فات ، إطلاقا
 للسبب على السبب " و أشار بأداة الاستعلاء إلى غلبتهم و شدة هوانهم
 فقال : " عليهم " . و قال الحرالى : لما " كانت عقائدهم فيهم ١٢ حسرات
 أراهم أعمالهم التى عملوها ١٣ لابتغاء الخير فى الدنيا حسرات " و قدمنا إلى ١٥

- (١-١) فى م فقط : أى رجعة (٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل فقط : دعوة .
 (٣) من م و مد ، وفى الأصل : قرّة . وفى ظ : قوة (٤) العبارة من هنا إلى
 « فقال » ليست فى ظ (٥) فى م : جوابا (٦) فى م : تأسفهم (٧) فى ظ : حالهم .
 (٨) فى م : اللوهم (٩) فى ظ : أعمالهم (١٠-١١) ليست فى ظ (١١) فى ظ و مد :
 كما (١٢) فى ظ و مد « فى » (١٣) و ﴿ أعمالهم ﴾ قيل هى الأعمال التى =

ما عملوا من عمل فجعلته هباءً منثوراً^٥ " كما كان عمل من قلبه^٢ محب
ومتأله^٣ لما دون الله، وفيه إشعار بأن عمل كل عامل مردود إلى ما اطمأن
به قلبه وسكنت إليه نفسه وتعلق به خوفه ورجاؤه، فمن غلب على
سره شيء فهو ربه الذي يصرف عمله إليه، فلا يجد عنده جزاء لتبرؤه
منه فيصير حسرة عليه، فأنبأ سبحانه وتعالى بأنهم لا ينصرونهم في الآخرة
ولا يجزونهم^٤ على أعمالهم، فلم ينفعهم تألههم^٥ إياهم، والمتبوع منهم^٦
متأله لنفسه فلم يجد عندها جزاء عمله، فتحسر كل منهم على ما عمل
من عمل الخير لإحباطه " ولقد اوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن
أشركت ليجنن عملك^٧ " والحسرة أشد الأسف على الفائت الذي^٨
١٠ يحسر المتلطف أى يقطعه عما تحسر عليه - انتهى . ويدخلون بأعمالهم
النار (وما هم) أى^٩ بفائت ١١ خروجهم بل هم وإن خرجوا من
= صنعوها، وأضيفت إليهم من حيث عملوها وأنهم مأخوذون بها، وهذا
على قول من يقول إن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، وهذا معنى قول
الربيع وابن زيد إنها الأعمال السيئة التي ارتكبوها فوجب لهم بها النار، وقال
ابن مسعود والسدي: المعنى أعمالهم الصالحة التي تركوها ففاتتهم الجنة، وأضيفت
إليهم من حيث كانوا مأمورين بها - البحر المحيط ١/ ٤٧٥ .

(١) سورة ٢٥ آية ٢٣ (٢) من ظ ومد، وفي الأصل وم: قبله (٣) من م
ومد، وفي الأصل: مثاله، وفي ظ: مقاله (٤): من م وظ، وفي مد: لا تجزونهم،
وفي الأصل: لا يجزونهم (٥) من م ومد وظ، وفي الأصل: بالهم (٦) ليس في
م (٧) سورة ٣٩ آية ٦٥ (٨) في م: التي (٩) العبارة من هنا إلى « يعودون إليه »
ليست في ظ (١٠) زيد في م ومد: خاصة وأكد النفي بالخارقال بخارجين أى -
(١١) في مد: بثابت .

السعير إلى الزمهرير يعودون إليه ﴿ بـخرجين^١ من النار هـ ﴾ يوماً من الأيام . ولا ساعة من الساعات بل هم خالدون فيها على طول ٢ الآباد و مر الاحقاب ، ٣ بخلاف عصاة المؤمنين فانهم إذا خرجوا منها لم يعودوا إليها ٣ . قال الحرالى : و^٤ فيه إشعار بقصدهم الفرار منها والخروج كما قال سبحانه و تعالى ” كلما [ارادوا -^٥] ان يخرجوا [منها اعيدوا فيها -^٦] “ هـ فأنبأ تعالى أن وجهتهم للخروج لا تنفعهم ، فلم تبق^٧ لهم منه تنهضهم منها حتى ينتظم^٨ قطع رجائهم^٩ من منة أنفسهم بقطع رجائهم بمن اعتلقوا به من شركائهم ولم يكن ” وما هم منها بمخرجين “^{١٠} كما قال فى أهل الجنة للاشعار بأن اليأس والانتقطاع واقع منهم على أنفسهم ، فكما كان يوادى أعمالهم فى الدنيا من أنفسهم عندهم جرى نبأ^{١١} ١٠ جزائها على حد ذلك فى ١٢ المعنى ١٢ كما^{١٣} قال : أعمال أهل الجنة عندهم من توفيق ربهم جرى ذكر^{١٤} جزائهم على حد ذلك من المعنى بحسب ما يقتضيه اختلاف الصيغتين - انتهى . ولعل الآية ناظرة^{١٥} إلى قوله أول

(١) ليس فى م ومد (٢) من م وظ ومد ، وفى الأصل : طور (٣-٣) ليست فى ظ (٤) ليس فى مد (٥) زيد من م ومد وظ ، وقد سقط من الأصل (٦) زيد من م - راجع سورة ٣٢ آية ٢٠ (٧) فى ظ : فلم يبق (٨) فى م : ينقطع (٩) فى ظ : درجاتهم (١٠) سورة ١٤ آية ٤٨ (١١) من م ومد وظ ، وفى الأصل : بنا - كذا (١٢) ليس فى م (١٣) زيد فى مد : و (١٤) العبارة من هنا إلى ” من المعنى “ ليست فى م (١٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ذلك (١٦) من م ومد وظ ، وفى الأصل : نظرة .

السورة "ومن الناس من يقول! 'أنا بالله وباليوم الآخرة وما هم بمؤمنين'،
يعنى كما أن فى أهل الكتاب منافقين و مصارحين فكذلك فى العرب ،
فصار قوله ١ " ان الذين كفروا سواء عليهم " شاملا ٢ للأقسام الأربعة ،
ثم اتبع ذلك المنافقين من العرب ثم المنافقين ٣ و المشاغبين ٤ من أهل
الكتاب ثم المجاهرين ٥ من العرب فصار قسما العرب مكتنفين ٦ لقسمى
أهل الكتاب إشارة إلى أنهم المقصودون بالذات وأنه سيؤمن أكثرهم
و يغلبون أهل الكتاب و يقتلونهم قتل ٧ الكلاب ؛ ولما عجب سبحانه وتعالى
من الضالين و بين من مآلهم ٨ ما يزر مثله من له أدنى عقل ٩ ،
فكانوا بذلك فى عداد المقبل بعد الإدبار و المذعن ١٠ بعد الاستكبار
١٠ أقبل على الكل كما فعل فى آية التوحيد الأولى فقال " يا أيها الناس
اعبدوا ربكم " إقبال متلطف بعموم الإذن فى تناول ١١ ما أبدعه لهم
و رحمهم به فى هذا الملكوت المذكور فى ضمن ما نصب من الأدلة
تذكيرا لهم / بالنعمة و توددا ١٢ إليهم بجميع ما يوجب المحبة و إشارة
إلى أنه هو الذى خلق لهم ما تقربوا به إلى غيره مما ادعوه ١٣ ندا من

/١٥٩

(١) ليس فى ظ (٢) فى م : شامل (٣-٢) ليس فى م (٤) فى م : المجاهدين .
(٥) فى ظ : مكتنفين (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : قتلا (٧) من م
وظ و مد ، وفى الأصل : مسايلهم (٨) من م وظ و مد ، وفى الأصل :
عقله (٩) من مد ، وفى م : المدعى ، وفى ظ و الأصل : المذعن - كذا بالدال
المهمل (١٠) من ظ ، وفى بقية الأصول : تناوله (١١) من م ، وفى الأصل
وظ : تودوا ، وفى مد : توددوا (١٢) زيد فى م : به .

البحيرة والسائبة والوصيلة^١ وما شاكلها فقال "يا أيها الناس" وإن
اختصرت فقل: لما أقام سبحانه وتعالى الدليل على الوحدانية بما خلق
من المنافع وصنف الناس صنفين صال^٢ معطوف^٣ دال بعطفه^٤ على غير
مذكور على مهتد معطوف عليه وختم بتأييد^٥ عذاب الصال^٦ أقبل على
الصنفين إقبال متلطف مترقق^٧ مستعطف مناديا لهم إلى تأييد^٨ تفهم قائلًا: هـ
(يا أيها الناس^٩) أى كافة^{١٠}. وقال الجراي: "لما استوفى سبحانه وتعالى
ذكر أمر الدين إلى أنهاء من رتبة دين الإسلام الذى رضىه وكان
الدين هو غذاء^{١١} القلوب وزكاة الأئفس نظم به ذكر غذاء^{١٢} الأبيان

(١) من م ومد و ظ ، وفى الأصل: الوسيطة - كذا بالسين ؛ راجع سورة هـ
آية ١٠٣ (٢) فى م: دال ، وليس فى ظ (٣) من م ومد و ظ ، وفى الأصل:
يعطف (٤) من م ومد و ظ ، وفى الأصل: بتأييد - كذا (هـ) من م ومد و ظ ،
وفى الأصل: القتال (٦) فى ظ: مترقق (٧) من م ومد و ظ ، وفى الأصل:
تأييد (٨) هذا ثانى نداء وقع فى سورة البقرة بقوله "يا أيها الناس" ولفظه عام ،
قال الحسن: نزلت فى كل من حرم على نفسه شيئاً لم يحرمه الله عليه
قيل: وبنى مدلج حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام وحرموا البحيرة
والسوانب والوصيلة والحام ، فإن صح هذا كان السبب خاصاً واللفظ عام
والعبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، (و مناسبة هذا لما قبله) أنه لما بين
التوحيد ودلائله وما للتائبين والعاصين أتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر والمؤمن
ليدل أن الكفر لا يؤثر فى قطع الأنعام. وقال المروزي: لما حذر المؤمنين من حال
من يصير عمله عليه حسرة أمرهم بأكل الحلال لأن مدار الطاعة عليه - البحر
المحيط ٤٢٨ / ١ (٩-٨) ليس فى ظ (١٠) زيد فى م «و» (١١) فى م: عذاب -
(١٢) فى م: غذاء ، وفى ظ: عذاب - كذا .

من الآقوات ليم بذكر^١ النماين نما الذوات ظاهرها البدن وباطنها
الدينى، لما بين تغذى الأبدان وقوام الأديان من التعاون على جمع
أمرى صلاح العمل ظاهرا وقبوله باطنا، قال عليه الصلاة والسلام:
لا يقبل الله عملا إلا بالورع الشافى؛ وكما قيل: ملاك الدين الورع،
و هلاكه الترف، ونقصه السرف؛ فكما انتظم الكتاب قصر الخلق على
أفضل متصرفاتهم فى الدين اتصل به قصرهم على أفضل مأكلهم فى
التقوت، ولما ذكر الدين فى رتبتى صنفين من الناس والذين آمنوا
انتظم به ذكر المأكل فى صنفيهما فقال "يا أيها الناس" فانتظم بخطاب
قوله تعالى "يا أيها الناس اعبدوا ربكم" لما بين العبادة والمأكل من
١٠. الالتزام - انتهى .

ولما كانت رتبة الناس من أدنى المراتب فى خطابهم أطلق لهم
الإذن لتلطفا بهم ولم يفجأهم بالنقيض فقال 'مباحا لهم ما أنعم به عليهم':
(كلوا ٣) ٢ ولما كان فى الأرض ما لا يؤكل قال ٢: ﴿ بما فى الأرض ﴾
أى بما بينا لكم أنه من أدلة الوجدانية . ولما كان فى هذا الإذن تنبيه
١٥ على أن الكل له و الانتفاع به يتوقف على إذن منه دلهم على أن فيه
ما أباحه وفيه ما حظره فقال: ﴿ حلالا ٢ ﴾ قال الخزالى: وهو ما اتقى

(١) فى مد: بذلك و (٢-٢) ليست فى ظ (٢-) وفى البحر المحيط ١/ ٤٧٨:
كلوا أمر إباحة وتسويغ لأنه تعالى هو الموجد للأشياء فهو المتصرف فيها على ما يريد.
(٤) قال أبو حيان الأندلسى فى تفسيره ١/ ٤٧٧: الحلال مقابل الحرام ومقابل
المحرم، يقال شىء حلال أى سائغ الانتفاع به وشىء حرام ممنوع منه، ورجل =

أعنه حكم التحريم فينظم بذلك ما يكره وما لا يكره ، و التحريم المنع
 بما يلحق الأصل منه ضرراً في جسمه كالميتة ، أو في نفسه كحكم الخنزير ،
 أو رين على قلبه كما أهل لغير الله به ؛ ثم أشار إلى أن ما حرم خبيث
 بقوله : ﴿ طيباً ﴾ أى غير خبيث مستقذر ٢ ، ٣ والأصل فيه ما يستلذ ؛
 ويوصف به على جهة التشبيه الطاهر لأن النجس تكرهه النفس ٥

= حلال أى ليس بمحرم ، قبل وسمى حلالاً لانهلال عقد المنع منه ، والفعل
 منه حل يحل بكسر الحاء في المضارع على قياس الفعل المضاعف اللازم ، ويقال
 هذا حل أى حلال ، ويقال حل بل على سبيل التوكيد ، وحل بالمكان قول به
 ومضارعه جاء بضم الحاء وكسرها ، وحل عليه الدين حان وتمت أدائه .

(١) من م وظ ومد ، ووقع في الأصل : غير - خطأ (٢) وفي البحر المحيط ١/٤٨٨ :
 ﴿ طيباً ﴾ انتصب صفة لقوله ﴿ حلالاً ﴾ إما مؤكدة لأن معناه ومعنى حلالاً
 واحد وهو قول مالك وغيره ، وإما مخصصة لأن معناه مغاير لمعنى الحلال وهو
 المستلذ وهو قول الشافعي وغيره ، ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكل ما هو
 خبيث وقال الزمخشري في قوله ﴿ طيباً ﴾ : طاهراً من كل شبهة ،
 وقال السجاوندي : ﴿ حلالاً ﴾ مطلق الشرع ﴿ طيباً ﴾ مستلذ الطبع . وقال في
 المنتخب ما مخصصه : الحلال الذي انحلت عنه عقدة الحظر إما لكونه حراماً بلحسه
 كالميتة ، وإما لبلحسه كالك غير إذ لم يأذن في أكله . والطيب أمة الطاهر ، والحلال
 يوصف بأنه طيب كما أن الحرام يوصف بأنه خبيث ، والأصل في الطيب ما يستلذ
 ويوصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه لأن النجس تكرهه النفس ،
 والحرام لا يستلذ لأن الشرع منع منه - انتهى (٣) العبارة من هنا إلى « لزجر
 الشرع عنه » ليست في ظ (٤) في م : الوصف .

نظم الدرر (سورة البقرة ٢: ١٦٨ و ١٦٩) ج - ٢

لقدره^١، والحلال^٢ لأن الحرام يقدره العقل لزجر الشرع عنه . وقال
الحرالي: الحلال مطلوب ليكتسب لا ليؤكل حتى يطيب، والطيب
مالا منازغ فيه - انتهى .

ولما كان هذا الصنف أدنى المتدينين^٣ قرن سبحانه وتعالى
باطعامهم مما في الأرض لكونهم أرضيين نهامهم عن اتباع العدو المبني
أمره على المنافرة فقال: ﴿ولا تتبعوا﴾ وأشار بصيغة الافتعال إلى
انهمك هذا الصنف على اللحاق به وأنهم غير واصلين ما داموا في هذا
الحيز إلى تمام منابذته وإنما عليهم الجهد لأن مخالفته لا تكون إلا
بمجاهدة كثيرة^٤ لا يقدرّون عليها ما داموا في هذه الرتبة ﴿خطوات﴾
١٠ جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي ﴿الشيطان﴾ أي طرقة .
في وسوسه في اتخاذ الأنداد وتحريم الحلال كالسوائب^٥ وتحليل
الحرام كالميتات^٦، فإن ذلك كله من أمره كما يأتي في قوله:
”ولأمرنهم فليبتكن اذان الانعام - الآية^٨“ وهو من شطن إذا بعد ،
وشاط إذا احترق ، فهو يعدم - كما قال الحرالي - عن وطن ما هم عليه
١٥ من الاتيمار في مآكلهم^٩ إلى التناول بشهواتهم ليستدرجهم لذلك من
خطوة الأكل بالشهوة إلى الأكل بالهوى فيتداعى^{١٠} منها إلى المحرمات -

(١) من م ومد، وفي الأصل: لقدره (٢) بعده بياض في م (٣) من م ومد
وظ، وفي الأصل: المتدينين (٤) في م وظ ومد: كبيرة (٥) في ظ: طريقه .
(٦) في م: كالشهوات، وليس في ظ (٧) ليس في ظ (٨) سورة ٤ آية ١١٩ .
(٩) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست في ظ (١٠) في م: فتداعى .

انتهى . ثم علل ذلك بقوله : (انه لكم عدو) ٣ بتكبره على
 أيكم ومكره به و سؤاله الإنظار لإضلالكم ٣ (مبين *) أي ٣ ظاهر
 العداوة ٣ فلا تتبعوا العدو في منابذة الولي . ثم علل إبانة عداوته ٣ والنهي
 عن اتباعه ٣ بقوله : (انما) فحصر لينتفي عنه الأمر بشيء فيه رشد ؛
 وفي قوله : (يأمركم) كما قال الحرالي إنباء بما مكنه الله سبحانه و تعالى ه
 حتى صار أمرا (بأسوء) وهو خباثت الأنفس الباطنة التي يورث
 فعلها مساءة (و الفحشاء) قال الحرالي : وهو ما يكرمه الطبع من
 ردائل الأعمال الظاهرة كما / ينكره العقل ويستخبشه الشرع ، فيتفق
 في حكمه آيات الله الثلاث من الشرع والعقل والطبع ، بذلك يفحش
 (١) وفي البحر المحيط ١ / ٧٩ قال معناه الزمخشري : والنهي عن اتباع
 خطوات الشياطين كناية عن ترك الاقتداء به وعن اتباع ما سن من المعاصي ،
 يقال اتبع زيد خطوات عمرو و وطئ على عقبيه إذا سلك مسلكه في أحواله .
 و قيل ما ينقلهم إليه من معصية إلى معصية حتى يستوعبوا جميع المعاصي
 مأخوذ من خطو القدم من مكان إلى مكان (٢) تعليل لسبب هذا التحذير من
 اتباع الشيطان لأن من ظهرت عداوته واستبانته فهو جدير بأن لا يتبع في
 شيء وأن يفرض منه فانه ليس له فكر إلا في إرداء عدوه - البحر المحيط .
 (٣-٢) ليست في ظ (٤) في م : لينتهي (ه) في م و مد : هي . و قال أبو حيان
 الأندلسي : و قال ابن عباس : السوء ما لاحد له ، و الفحشاء قال السدي : هي
 الزنا ، و قال ابن عباس : كل ما بلغ حدا من الحدود لأنه يتفاحش حينئذ ،
 وقيل ما تفاحش ذكره ، وقيل ما قبح قولاً أو فعلاً ، و قال طاوس : ما لا
 يعرف في شريعة ولا سنة ، و قال عطاء : هي البخل .

الفعل ﴿وان تقولوا على الله﴾ الحائز أقصى مراتب العظمة ﴿ما لا تعلمون﴾ مما تستفتحون^١ قوله في أقل الموجودات^٢ من إشتراك أو ادعاء ولد أو تحليل و^٣ تحريم أو غير ذلك^٤، ولقد أبلغ سبحانه وتعالى في هذه الآية في^٥ حسن الدعاء لعباده^٦ إليه لطفاً منه بهم ورحمة لهم بتذكيرهم في سياق الاستدلال على وحدانيته بما أنعم عليهم بخلقه لهم أولاً وبجعله لهم ملائماً ثانياً وإباحته لهم ثالثاً وتحذيره لهم من العدو رابعاً - إلى غير ذلك من دقائق الألفاظ وجلال المنن في سياق مشير^٧ إلى جميع أصناف الحلال وسبب تحليله . قال الأستاذ أبو الحسن الحارثي في كتاب العروة^٨ في حرف الحلال : وجه إزال هذا الحرف^٩ توسيع^{١٠} الاستمتاع^{١١} بما خلق الله في الأرض من^{١٢} نعمة وخيره^{١٣}

(١) من م ومد وظ، وفي الأصل: يستفتحون - كذا بصيغة الغيبة (٢) العبارة من هنا إلى «غير ذلك» ليست في ظ (٣) في م: او (٤) وقال الزمخشري: هو قولهم: هذا حلال وهذا حرام - بغير علم، ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله مما لا يجوز عليه - انتهى . قيل وظاهر هذا تحريم القول في دين الله بما لا يعلمه القائل من دين الله فيدخل في ذلك الرأي والأقيسة والشبهة والاستحسان، قالوا: وفي هذه الآية إشارة إلى ذم من قلد الجاهل واتبع حكمه - البحر المحيط ١/ ٤٨٠ . (٥) ليس في مد (٦) من م ومد وظ، وفي الأصل: لعبادة (٧) من م ومد وظ، وفي الأصل: مشيراً (٨) من م وظ ومد، وفي الأصل: العدو - كذا . (٩) من ظ ومد وم، وفي الأصل: توسيع (١٠) من م وظ ومد، وفي الأصل: لاستمتاع (١١-١٢) من م وظ ومد، وفي الأصل: نعمة وخير . (٨٠) الموافقة ٣٢٠

المواقفة اطباعهم^١ وأمرجتهم وقبول نفوسهم في جميع جهات الاستمتاع من طعام و شراب و لباس و مركب و مأوى و سائر ما ينتفع به مما أخرج الله سبحانه و تعالى و مما بثه^٢ في الأرض و ما عملت أيديهم في ذلك من صنعة و تركيب و مزج ليشهدوا دوام لبس^٣ الخلق الجديد في كل خلق على حسب ما منه فطر خلقه؛ ولما كان الإنسان مخلوقا ه من صفاوة كل شيء توسع له بجهات الانتفاع بكل شيء إلا ما استثنى منه بحرف الحرام ووجهه كما استثنى لآدم أكل الشجرة من متسع رغد الجنة فكان له^٤ المتاع بجميعه إلا ما أضر يده أو خبث نفسه أوران على علم قلبه و ذلك بأن يسوغ له طبعاً و تحسناً مغيباً^٥ في أخلاق نفسه و يسنده قلبه لمنعمه الذي يشهد منه بداياته و تكملاته^٦ تجربة^٧ ١٠ ثم كمل القرآن ذلك باخلاصه للنعم من غير^٨ أثر لما سواه فيه و جامع منزله^٩ بحسب ترتيب [القرآن قوله " تعالى : هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا " ، و من أوائله بحسب ترتيب - ١٠] البيان والله ١١ سبحانه و تعالى ١١ أعلم " هو الذي ازل لكم^{١٢} من السماء ماء لكم منه شراب (١) في الأصل : اطباعهم ، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) من م و ظ ، و في الأصل و مد : نيه - كذا (٣) من م و مد و ظ ، و في الأصل : ليس (٤) لبس في مد (٥) من م و مد و ظ ، و في الأصل : منبته (٦) في ظ : مكملاته (٧) من م و مد ، و في الأصل : تجربة ، و في ظ : تجربته - كذا (٨) من م و مد و ظ ، و في الأصل : غيره (٩) من م و ظ ، و في الأصل و مد : منزلة (١٠) زيدت من م و ظ و مد ، و قد أخرجت في الأصل عن « منه مداد القرآن » و زيد فيه « سبحانه و » قبل « تعالى » (١١-١١) ليس في م و مد و ظ (١٢) ليس في م و ظ .

ومن شجر فيه تسمون - الآية ١ " و سائر الآيات الواردة في سورة النحل
وفي سورة يونس إذ هي القلب الذي منه مداد القرآن كله في قوله تعالى
" وإية لهم الأرض الميتة أحييئنها وأخرجنا منها جبا فنه ياكلون^٢ -
الآيات^٣ " إلى سائر ما في القرآن من نحوه ، ومن متسع خلال^٤ هذا
الحرف وقعت الفتنة على الخلق بما زين^٥ لهم منه " زين للناس حب
الشهوات من النساء و البنين - الآية^٦ " ووجه فتته أن على قدر التبسط
فيه يحرم من طيب الآخرة " اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها^٧ " إنما يلبس هذه^٨ من لا^٩ خلاق له في الآخرة ، " فاستمتعوا
بخلقهم^{١٠} " ومن رؤية " سوء هذا " المخبر نشأ^{١١} زهد الزاهدين ، ومن

١٠ رؤية حسن المتجر وربحه وتضاعفه إلى ما لا يدرك مداه ونعيمه في بيع
خلق^{١٢} الدنيا بخلق^{١٣} الآخرة نشأ ورع المتورعين ؛ فاستراحت قلوبهم
بالزهد ، وانكفؤا بالورع عن الكد ، وتفرغت قلوبهم وأعمالهم لبذل
الجد في سبيل الحمد ، وتميز الشقي من السعيد بالرغبة^{١٤} فيه أو عنه ،
فمن رغب في الحلال شقي ومن رغب عنه سعد ؛ وهو^{١٥} الحرف الذي

(١) سورة ١٦ آية ١٠ (٢) في ظ : تاكلون (٣) سورة ٣٦ آية ٢٣ - ٤٣ (٤) من
مد وظ ، وفي الأصل وم : حلال (٥) من م ومد وظ ، وفي الأصل : لزين .
(٦) سورة ٣ آية ١٤ (٧) سورة ٤٦ آية ٢٠ (٨) في الأصول : هذا - راجع
للحديث صحيح البخاري لباس ٢٥ ، ٣٠ و صحيح مسلم لباس ٦ - ١٠ (٩) ليس
في ظ (١٠) سورة ٩ آية ٦٩ (١١ - ١١) من م ومد وظ ، وفي الأصل :
شواهد (١٢) في م : انشا (١٣ - ١٣) ليس في مد (١٤) في مد : بالرغب (١٥) في
مد : هذا . ٣٢٢ قبض :

قبض بسطه حرف النهى حتى لم يبق لابن آدم حظ فيما زاد على جلف^١
الطعام وهي كسرة وثوب يستره ويبت^٢ يكنه، وما زاد عليه
متجر إن أنفقه ربحه^٣ وقدم عليه وإن ادخره خسره وندم عليه؛
ولذلك لم يأذن الله سبحانه وتعالى لأحد في أكله حتى يتصف بالطيب
للناس الذين هم أدنى المخاطبين بانسلاخ أكثرهم من العقل^٤ والشكر^٥
والإيمان ” يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً^٦ “ وحا اسمه
عن^٧ الذين آمنوا وهم الذين لا يثبتون ولا يدومون على خير^٨ أحوالهم
بل يخلطون^٩ وذلك في قوله تعالى ” يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم^{١٠} “ وهو ما طيبه حرف النهى علماً، وبرئ^{١١} من حواد^{١٢}
القلوب طمأنينة، وتم وأنها صفوة^{١٣} للرسلين فقال ” يا أيها الرسل^{١٤} “
كلوا من الطيبات“ وورد جواباً لسؤالهم في قوله تعالى ” يستلونك
ما ذا^{١٥} “ حل لهم قل حل لكم الطيبات“؛ فن أثر حرف النهى على
حرف الحلال فقد تزكى واتبع الأحسن وصح^{١٦} هداه وصفاً لبه،

١٦١/

- (١) من مد و ظ ، وفي الأصل وم : حلف - ؛ راجع جامع الترمذى زهد ٣٠ .
(٢) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : بيته (٣) من م ومد و ظ ، وفي الأصل :
ربحة (٤) من م و ظ ومد ، وفي الأصل : الفضل (٥) في م : بياها الناس .
(٦) سورة ٢ آية ١٦٨ (٧) من م و ظ ومد ، وفي الأصل : من (٨) في م
فقط : خبر (٩) في م : غيطون (١٠) سورة ٢ آية ١٧٢ (١١) من م ومد و ظ ،
وفي الأصل : يرى (١٢) من ظ ، وفي الأصل : جواز ، وفي م : حواز ، وفي
مد : حوار (١٣) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : صفوه (١٤) في الأصل :
الناس ، والتصحيح من م و ظ ومد - راجع سورة ٢٣ آية ٥١ (١٥) من
م ومد و ظ ، وفي الأصل : إذا - راجع سورة ٥ آية ٤ (١٦) في م : واتبع .

ومن أثر حرف الحلال على حرف النهي فقد تدسّى ١ و حرم هدى
الكتب وعلم الحكمة ومزید التأیّد ٢ بما فاتہ من التزکیة وتورط
فیہ من التدسیة - والله یقول الحق وهو یهدی السیل . ثم قال فیما به
تحصل قراءته : اعلم أن الإنسان لما كان جامعاً كان بكل شیء متفعلاً
٥ أما فی حال السعة فمع استثناء أشياء یسیرة مما یضره من جهة نفسه
أو غیره أوردہ علی ما ذکر فی الفصل الاول أى حرف الحرام ” هو
الذی خلق لکم ما فی الارض جمیعاً ٣ “ ” قل لا اجد فیما اوحی الی
محرمًا - الآیة ٤ “ ” وأما فی حال الضرورة فبغیر ٥ استثناء البتة ” فمن
اضطر غیر باغ ولا عاد فلا اثم علیہ ٦ “ ” فمن اضطر فی مخمصة غیر
١٠ متجانف لاثم فان الله غفور رحیم ٧ “ ؛ والذی ٨ تحصل به ٩ قراءة
هذا الحرف أما من جهة القلب فمعرفة حکمة الله فی المتناول من
مخلوقاتہ ومعرفة أخص منافعها مما خلقه ٩ ، لیكون غذاء فی سعة
أو ضرورة و ١٠ إداماً أو فاكهة أو دواء كذلك ؛ ومعرفة موازنة ١١
ما بین الانتفاع بالشیء ومضرته واستعماله علی حکم الأغلب من منفعة ،
١٥ أو اجتنابه علی حکم الأغلب ١٢ من مضرته ” قل فیہما اثم کبیر ومنافع
(١) من م ومد وظ : وفی الأصل : تدبر (٢) من مد ، وفی بقية الأصول :
التأیّد - کذا (٣) سورة ٢ آیة ٢٩ (٤) سورة ٦ آیة ١٤٥ (٥) فی الأصل : فتعبر ،
والتصحیح من م وظ ومد (٦-٦) لیست فی م . راجع سورة ٢ آیة ١٧٣ .
(٧) سورة ٥ آیة ٣ (٨-٨) فی م وظ ومد : به تحصل (٩) هکذا فی الأصل
ومد : وفی م وظ : خلق (١٠) فی مد : أو (١١) فی ظ : موازیه (١٢) زیدت
فی الأصل : من منفعة أو اجتنابه علی حکم الأغلب ، ولم تکن الزیادة فی م
ومد وظ فحذفناها . ٣٢٤ (٨١) للناس

للناس و أهمهما أكبر من نفعهما ١ “ و ذلك مدرك عن الله سبحانه و تعالى باعتبار العقل و إدراك الحس في مخلوقاته كما ٢ أدركه الخفيفون ، كان الصديق رضى الله تعالى عنه قد حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، و كان إذا أخذ عليه في ذلك يقول : و الله لو أصبت شيئا اشتريه ٣ بمالى كله يزيد في عقلى لفعلت فكيف أشتري بمالى شيئا ينقص من عقلى ! و كان ٥ رسول الله صلى الله عليه و سلم كثيرا ما ينبه على حكمة الله سبحانه و تعالى في الأشياء التى [بها - ٤] تناول أو تجتنب عملا بقوله تعالى ” يزيهم و يعلمهم الكتب و الحكمة “ ، فقال لطلحة رضى الله تعالى عنه و قد ناوله سفرجلة تذهب بطخاء ٦ الفؤاد . و قال لأبى هريرة رضى الله تعالى عنه و هو رمد في خبز الشعير و السلق ٧ : كل من هذا فانه أوفق لك . ١٠ و قال في التمر ٨ و القثاء : حر هذا ٩ يكسر برد ٩ هذا . و قال لرمد : أتاكل التمر و أنت رمد ؟ و قال لعائشة رضى الله تعالى عنها في الماء المشمس : لا تفعلى يا حميراء ! فانه يولد البرص . و قال : استاكوا بكل عود ما خلا الآس و الرمان فانهما يهيجان عرق الجذام . و قال لامرأة استطلقت بالشبرم ١١ : ” حار جار ١١ ، ألا استطلقت بالسنا ؟ فانه لو كان ١٥

(١) سورة ٢ آية ٢١٩ (٢) فى م : مما (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : اشتريته (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ٣ آية ١٦٤ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بطحاء - راجع مجمع بحار الأنوار (٧) فى الأصل : السلف ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) فى مد : التمر (٩-٩) فى الأصل : يكثر يرد ، و التصحيح من بقية الأصول (١٠) فى الأصل : بالنيرم ، و التصحيح من م و ظ و مد (١١-١١) من م ، و فى الأصل : خار جار ، و فى ظ : جار حار ، و فى مد : حار خار - راجع المجمع .

شيء يذهب الداء لأذهبه^١ السنا - إلى غير ذلك مما إذا أباحه أو حظره
 به^٢ على حكمته . وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول للمريض :
 اصنعوا له خزيرة^٣ فانها مَجْمَعَةٌ^٤ لفؤاد المريض و تذهب بعض الحزن .
 و مثل ذلك كثير من كلام العلماء رضي الله تعالى عنهم و مجربات الحكماء
 و معارف الحكماء^٥ الخفاء^٦ ، قال الشافعي رحمه الله تعالى في قوله
 سبحانه و تعالى ” يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبث^٧ “ الطيبات
 ما استطابته نفوس العرب ، و الخبث ما استخبثته نفوس العرب ؛ هذا
 من جهة [القلب -^٨] و أما من جهة النفس فسحاؤها بما يقع فيه
 الاشتراك [من -^٩] المتنفعات^٩ المحللات ، لأن الشح بالحلل عن
 ١٠ مستحقه محظر له على المختص به الضيافة على أهل الوبر ” و إذا حضر
 القسمة اولوا القربى و اليتامى و المسكين فارزقوهم منه^{١٠} “ ” و ات
 ذا القربى حقه و المسكين و ابن السبيل^{١١} “ ” فكلوا منها و اطعموا القانع

- (١) في م: لأذهبه (٢) في الأصل: فيه، و التصحيح من م و ظ و مد .
 (٣) هكذا في الأصل و مد، و في م: حريرة، و في ظ: خزيمة، و في الجمع:
 هو لحم يقطع صغاراً و يصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذرّ عليه الدقيق، فان
 لم يكن فيها لحم فهي عصيدة و قيل هي حساء من دقيق و دسم و قيل إذا كان من
 دقيق فهو حريرة و إذا كان من نخالة فهو خزيمة . لذ: و قيل هو بجاه مهملة و راء
 مكورة ما يكون من اللبن (٤) أى مظنة الاستراحة ، و في م: محبة - كذا -
 راجع الجمع (٥) ليس في ظ و مد (٦) في ظ: لحنقا، و في م: و معارف الخنقا .
 (٧) سورة ٧ آية ١٥٧ (٨) زيد من م و ظ و مد (٩) في م: المتنفعات .
 (١٠) سورة ٤ آية ٨ (١١) سورة ٣٠ آية ٣٨ .

والمعتر^١“ و كذلك صبرها^٢ عما تشتهيه من المضرات من الوجوه
المذكورة^٣” انما الخمر والميسر - إلى قوله: لعلمكم تفلحون^٤، “ولا تاكلوا
اموالهم إلى اموالكم^٥” “ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون^٦”
و كذلك التراضي وطيب النفس فيما يقع فيه الاشتراك “الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا ه
مريثا^٧” هذه الشروط الثلاثة من السخاء والصبر والتراضي في النفس،
وأما في العمل وتناول اليد فأول ذلك ذكر الله والتسمية عند كل
متناول، لان كل شيء لله فما تناول^٨ / باسمه أخذ باذنه وما تناول^٩
بغير اسمه أخذ تلصصا على غير وجهه وشارك الشيطان في تناوله فبعه

المتناول معه في خطواته وشاركهم في الأموال والأولاد؛ جاء أعرابي ١٠
وصيبي ليأكل طعاما^{١١} بين أيدي^{١٢} النبي صلى الله عليه وسلم بغير تسمية
فأخذ بأيديهما^{١٣} وقال: إن الشيطان جاء ليستحل^{١٤} بهما هذا الطعام،
والذي نفسى يده! إن يده^{١٥} في يدي^{١٦} مع أيديهما، فسمى النبي صلى الله

(١) سورة ٢٢ آية ٣٦ (٢) في الأصل: صبرها - كذا، والتصحيح من بقية
الأصول (٣) زيد في م: و (٤) سورة ه آية ٩٠ (٥) سورة ه آية ٢ (٦) سورة
ه آية ٦٤ (٧) سورة ه آية ١٦ (٨) من ظ و مد، وفي الأصل وم: تناول
(٩) من ظ و مد، وفي الأصل: سول - كذا، وفي م: تناول.
(١٠) في ظ: طعام، وزيد بعده في الأصل «ما» ولم تكن الزيادة في م و مد
وظ فحذفناها (١١-١٢) ليس في ظ، وفي م و مد: يدي - مكان: أيدي.
(١٣) في ظ: في يديهما - كذا (١٤) من م و مد، أي يتمكن من أكله؛ وفي
الأصل: ليستحيل، وفي ظ: يستحيل - راجع المجمع (حل) (١٤-١٥) ليس

نظم الدرر (سورة البقرة ٢: ١٦٩ و ١٧٠) ج-٢

عليه وسلم وأكل ثم أطلقها وقال: كلا باسم الله . وقال لغلام آكل:
يا غلام! سم الله . والثاني تناول باليمين، لأن الشيطان يأكل بشماله
ويشرب بشماله، واليمين خادم ما علا من الجسد والشمال خادم
ما سفل منه . والثالث^١ أن يتناول تناول تقشع^٢ وترفع عن تناول
هـ النهمة^٣، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاثة أصابع ويشرب
مصاً في ثلاث، وقال: هو أبرأ وأمرأ^٤ وأهنا^٥ . وقال: الكُباد^٦
من العب^٦ . والرابع الاكتفاء^٧ بما دون الشبع لما في ذلك من حسن
اغذاء البدن وحفظ الحواس الظاهرة والباطنة؛ ومن علامات الساعة
ظهور السمن عن الأكل في الرجال؛ وما ملأ^٨ ابن آدم وعاء شراً^٩ من
١٠ بطن^٩ وما دخلت الحكمة معدة ملئت طعاماً؛ والمؤمن يأكل في معي
واحد والكافر^{١٠} يأكل في سبعة أمعاء، لتوكل المؤمن في قوامه
ولا تكال الكافر على الغذاء في قوته، وحسب المؤمن ١١ لقيات يقمن
صلبه، فإن كان ولا بد فاعلا قثلك للطعام وثلك للشراب وثلك

(١) من م وظ ومد، وفي الأصل: الثالثة (٢) في الأصل: تقشع - كذا بالغين،
والتصحيح من بقية الأصول (٣) في ظ: النهمة (٤-٥) في م: هنا - كذا .
(هـ) في الأصول: الكاد، راجع المجموع (٦) في الأصل: التعب، والتصحيح
من م وظ ومد؛ وفي المجموع (كبد): الكباد بالضم وجع الكبد - اهـ وعب .
الماء: شربه أو كرهه بلا تنفس^١ (٧) زيد في الأصل « من » ولم تكن الزيادة في
بقية الأصول لحذفها (٨) في م: شر (٩) في م: بطنه (١٠) في م: المؤمن -
خطأ (١١) في م: ابن آدم .

للنفس - انتهى . قلت : ولعل المراد أن الكافر يأكل شبعاً فيأكل ملاً بطنه ،
لأن الأمعاء كما قالوا سبعة ، والمؤمن يأكل تقوتاً فيأكل في معنى واحد
وهو سبع^١ بطنه ، فإن لم يكن ففي معامين وشيء وهو الثلث - والله
سبحانه وتعالى أعلم . قال الحرالي : والخامس حمد الله تعالى في الختام ،
لأن من لم يحمد الله في الختام كفر بنعمته . ومن حمد غير الله آمن ه
بطاغوته ؛ فهذه الأمور معرفة في القلب وحالا ٢ في النفس و آدابا
في العمل تصح قراءة حرف الحلال ويحصل خير الدنيا ويتمهد الأساس
لبناء خير^٢ الآخرة ، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق - انتهى .

ولما نهام سبحانه وتعالى عن متابعة العدو^١ ذمهم بمتابعته مع أنه
عدو من غير حجة بل بمجرد التقليد للجهلة^٢ فقال عاطفا على " ومن ١٠
الناس " معجبا منهم : ﴿ وإذا قيل ﴾^١ أى من أى قائل^٢ كان . ولما
كان^٣ الخطاب للناس عامة و كان أكثرهم مقلدا ولا سيما للآباء أعاد
الضمير عليهم والمراد أكثرهم فقال : ﴿ لهم^٤ اتبعوا ﴾ أى اجتهدوا

(١) في ظ فقط : شبع - كذا (٢) في م : حال (٣) من م ومد وظ ، وفي الأصل :
لتأخير (٤) زيد في م « و » (٥) في الأصل : للجملة ، والتصحيح من م وظ
ومد (٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ (٧-٧) في م : لأن .
(٨) الضمير في ﴿ لهم ﴾ عائدا على كفار العرب لأن هذا كان وصفهم
وهو الانتداء بآبائهم ولذلك قالوا لأبي طالب حين احتضر : أترغب عن ملة
عبد المطلب ؟ ذكروه بدين أبيه ومذهبه . وقال ابن عباس : نزلت في اليهود ، فعلى
هذا يكون الضمير على غير مذكور وهم أشد الناس اتباعا لأسلافهم =

في تكليف أنفسكم الرد عن الهوى الذى نفخه فيها الشيطان ، وفي قوله ﴿ ما أنزل الله ﴾ ٢ أى الذى له العلم الشامل والقدرة التامة ٢ انعطاف على ذلك الكتاب لا ريب فيه وما شاكله ﴿ قالوا بل ﴾ أى لا تتبع ما أنزل الله بل ﴿ تتبع ﴾ أى نجتهد في تبع ﴿ ما الفينا ﴾ أى وجدنا ، ه قال الحرالى : من الإلفاء وهو وجدان الأمر على ما ألفه المتبصر فيه أو الناظر إليه ﴿ عليه 'آباءنا' ﴾ ٢ أى على ما هم عليه من الجهل والعجز ، قال ٢ : فقيه إشعار بأن عوائد الآباء منهية حتى يشهد لها شاهد أبوة الدين ° فقيه التحذير في رتب ما بين حال الكفر إلى أدنى الفتنة التي شأن الناس أن يتبعوا فيها عوائد آباءهم - انتهى .

= وقال الطبرى : هو عائد على الناس من قوله " يا أيها الناس كلوا " وهذا هو الظاهر ، ويكون ذلك من باب الالتفات ، وحكمة أنهم أبرزوا في صورة الغائب الذى يتعجب من فعله حيث دعى إلى اتباع شريعة الله التي هي الهدى والنور ، فأجاب باتباع شريعة أبيه وكأنه يقال : هل رأيتم أنحنف رأيا وأعمى بصيرة ممن دعى إلى اتباع القرآن المنزل من عند الله فود ذلك وأضرب عنه وأثبت أنه يتبع ما وجد عليه آباءه ؛ وفي هذه الآية دلالة على ذم التقليد وهو قبول الشيء بلا دليل وحجة - البحر المحيط ١/ ١٨٠ .

(١) وفي قوله ﴿ ما أنزل الله ﴾ إعلام بتعظيم أمرهم باتباعه إن نسب لإزاله إلى الله الذى هو المشرع للشرائع فكان ينبغي أن يتلقى بالقبول ولا يعارض باتباع آباءهم رؤس الضلالة - البحر المحيط ١/ ٤٨٠ (٢-٢) ليست في ظ . (٣) ليس في م (٤) في ظ : متهمه (ه) في الأصل : الذين ، والتصحيح من بقية النسخ .

ولما أبوا إلا إلف^١ وهاد التقليد فدنوا عن^٢ السمو إلى عداد^٣
أولى العلم بالنظر السديد^٤ أنكر عليهم سبحانه وتعالى ذلك فقال مبكتا لهم:
(ارلوا) أى أيتبعون آباءهم والحال أنه (كان^٥ 'اباؤهم لا يعقلون'^٦)
يصائر قلوبهم (شيئا) من الأشياء المعقولة (ولا يهتدون^٧) بأبصار
عيونهم إلى شيء من الأشياء المحسوسة .

ولما كان التقدير: فمثلهم حيثذ كمن تبع^٨ أعمى في طريق وعمر
خفى [فى فلوات - ^٩] شاسعة^{١٠} كثيرة الخطر عطف عليه ما يرشد إلى
تقديره من قوله منبها على أنهم صاروا بهذا كالبهاائم بل^{١١} أضل لأنها
وإن كانت لا تعقل فهى تسمع وتبصر فتهتدى إلى ما افعها (ومثل)
و بين الوصف الذى حملهم على هذا الجهل بقوله: (الذين كفروا)^{١٢}
أى ستروا ما يعلمون من عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته وعله
وحكمته بما عندهم من الهوى^{١٣} فى أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس
النفمة ودوى الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار (كمثل)

(١-١) فى الأصل: الالف ، وفى ظ : لالف ، والتصحيح من م و مد .
(٢) فى م : من (٣) فى م : اعداد (٤) من ظ ، وفى الأصل و م و مد : الشديد .
(٥) زيد فى م : لو (٦) و قدم نفى العقل لأنه الذى تصدر عنه جميع
التصرفات ، وأخر نفى الهداية لأن ذلك مترتب على نفى العقل ، لأن الهداية
للصواب هى ناشئة عن العقل و عدم العقل عدم لها - البحر المحيط ١/ ٨٨١ .
(٧) فى م : اتبع ، وفى ظ : يتبع (٨) زيد من م و مد وظ (٩) فى ظ :
شايعة (١٠) زيد فى م «هم» (١١) العبارة من هنا إلى « والاستبصار » ليست
فى ظ .

/ قال الحرالي: المثل ما يتحصل في باطن الإدراك من حقائق الأشياء المحسوسة فيكون اللفظ ' من الشيء المحسوس فيقع لذلك جالياً^٢ لمعنى مثل المعنى المعقول ويكون الاظهر منها مثلاً للأخفى، فلذلك يأتي استجلاء^٣ المثل بالمثل، ليكون فيه تلطيف للظاهر المحسوس ونزول هـ للغائب المعلوم؛ ففي هذه الآية يقع الاستجلاء بين المثلين لا بين الممثلين لتقارب المثلين يعني وهو وجه الشبه وتباعد الممثلين، وفي ذكر هذين المثلين تقابل يفهم مثلين آخرين، فاقضى ذلك تمثيلين في مثل واحد كأن وفاء^٤ اللفظ الذي أفهمه [هذا الإيجاز مثل الذين كفروا ومثل راعيهم كمثل الراعي ومثل ما يرعى من البهائم وهو من أعلى ١٠ خطاب فصحاء العرب، ومن لا يصل فهمه -^٥] إلى جمع^٦ المثلين يقتصر على تأويله بمثل واحد فيقدر في الكلام: ومثل داعي الذين كفروا (كمثل الذي ينطق^٧) أي يصيح، وذلك لأن التأويل يحمل على الإضمار والتقدير، والفهم يمنع منه ويوجب فهم إيراد القرآن على ' حده ووجهه^٨؛ وقال: (بما^٩) أي ' بسبب سوء من اتبهاشم إلى^١ ١٥ (لا) ' عقل لها فهو ' (يسمع الادعاء) أي ' من الناطق ' فيما

(١) في م: العطف (٢) من م ومد وظ، وفي الأصل: حالياً (٣) ليس في م - (٤) في مد: وفا (٥) زیدت من م وظ ومد (٦) في ظ: جميع (٧) النطق دعاء الراعي وتصويته بالغنم، قال الشاعر:

فانقضي بضأنك يا جرير فانما مثلك نفسك في الخلاء ضللاً

ويقال: نطق المؤذن، ويقال: نطق يتنطق نطقاً ونعاقاً ونعقاً، وأما تنطق الغراب =

يدعى إليه من قوام غذائه ' ونسله (ونداء ') فيما ساق إليه بمحل
دعائه من حيث أن النداء يشعر [بالبعد والدعاء يشعر - ٣] بالشروع
في القصد - انتهى . فالكافرون ' في كونهم لا يرجعون عن غيهم ' لما
يسمعون من الأدلة وهم أولو عقل وسمع وبصر كالهم التي تسمع

= فبالعين المعجمة ، وقيل أيضا يقال بالمهملة في الغراب - البحر المحيط ٧٧/١ .
(٨-٨) في مد: على حدة ووجهة (٩-٩) في ظ: بسبب ما (١٠-١٠) ليست
في ظ: وزيد بعدها في م: لا (١١-١١) ليس في ظ: وفي م ومد: الناقص -
مكان: الناطق .

(١) في م: عذابه - كذا (٢) النداء مصدر نادى كالقتال مصدر قاتل وهو بكسر
النون وقد تضم، قيل: وهو مرادف للدعاء، وقيل: مختص بالجهنم، وقيل:
بالبعد، وقيل: لغير المعين - البحر المحيط ٧٧/١ (٣) زيد من م ومد وظ،
غير أن لفظ «يشعر» ليس في ظ (٤) في البحر المحيط ٨١/١: لما ذكر تعالى
أن هؤلاء الكفار إذا أمروا باتباع ما أنزل الله أعرضوا عن ذلك ورجعوا
إلى ما ألفوه من اتباع الباطل الذي نشؤا عليه ووجدوا عليه آباءهم
ولم يجذبوا ما يقال لهم وصموا عن سماع الحق وخرسوا عن النطق به
وعصوا عن إِبصار النور الساطع النبوي ذكر هذا التشبيه العجيب في هذه
الآية منبها على حانة الكافر في تقليده آباءه ومحقر نفسه إذ صار هو في مرتبة
البهيمة أو في رتبة داعيها على الخلاف الذي سيأتي في هذا التشبيه، وهذه
الآية لا بد في فهم معناها من تقدير محذوف (هـ) من م ومد وظ، وفي
الأصل: غيهم .

و تبصر و لكنها لكونها لا تعقل [لا ترجع -] بالكلام ' لانها
لا تسمع إلا ظاهر الصوت و لا تفهم ما تحته ' بل بالحجر و العصا ،
فإن الراعى إذا أراد رجوعها عن ناحية ٣ صاح بها و رمى بحجر إلى
ما أمامها فترجع ، فهى محل مثلهم الذى هو عدم الإدراك ، و البهم فى
٥ كونها لا ترجع بالنداء بل بقارح ' كالأصم الابكم الأعشى الذى
لا يرجع إلا بقارح يصكه فى وجهه فينكص على عقبه فهو محل مثلها ،
وداعيه فى كونه يتكلم فلا يؤثر كلامه مع المبالغة فيه كراعى البهم
فهو موضع مثله ، و راعى البهم من حيث أنف بهمه لا ترجع '
إلا بضربة ' بالحجر أو غيره كالسوط الذى يجمع ٦ به الأصم أو كضارب
١٠ الأصم المذكور فهو محل ٨ مثله ؛ فذلك كانت نتيجة التمثيل قوله :
(صم) ' أى لا يسمعون ' (بكم) ' أى لا ينطقون ' (عمى)
' أى لا يبصرون ' ، و قد علم بهذا أن الآية [من -] ' الاحتياب '
حذف من الأول مثل الداعى لدلالة الناق على و من الثانى المنعوق به
لدلالة المدعوى عليه . و لما كان موجود ١١ إدراك العقل هو حقائق
١٥ المحسوسات و قد نفي عنهم الحس المدرك للمحسوسات ترتب عليه قوله :

(١) زيد من مد و ظ (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى م و ظ و مد : جهة (٤) من
مد و ظ ، وفى الأصل : تقارع (٥) فى م : لا يرجع (٦) فى ظ : بضربه ، وفى
م و مد : بضربه (٧) فى ظ : يقع (٨) ليس فى ظ (٩-٩) ليس فى ظ (١٠) زيد من
م و مد و ظ (١١) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : لاحتياك (١٢) من م
و مد و ظ ، وفى الأصل : موجودا .

﴿فهم﴾ بالفاء ربطاً وتعقياً وتسياً ﴿لا يعقلونه﴾ لأنهم لا ينتفعون بعقولهم كما أن هذا الأصم كذلك، ونفاه بلا النافية للمتنع وصيغة المضارع 'المنبئة عن' الدوام - قاله الحرالي^١.

ولما أخبر سبحانه وتعالى أن الدعاء لا يزيدهم إلا فقوراً رقى^٢ الخطاب [من الناس -^٣] إلى أعلى منهم رتبة فقال^٤ آمرا لهم^٥ أمر إباحة أيضاً وهو إيجاب في تناول ما يقيم البيئة ويحفظها^٦: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا﴾. وقال الحرالي^٧: لما كان تقدم الخطاب في أمر الدين في رتبتين أولاهما "يا أيها الناس اعبدوا ربكم" وثانيتهما "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا"^٨ فأمر الناس فيه بالعبادة وأمر الذين آمنوا بحسن الرعاية مع النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك^٩ هنا أمر الناس^{١٠}.

(١-١) في م: المبنية على (٢) وقال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ٤٨٤/١: لما تقرر قدهم لمعاني هذه الحواس قضى بأنهم لا يعقلون كما قال أبو المعالي وغيره: العقل علوم ضرورية يعطيها هذه الحواس إذ لا بد في كسبها من الحواس انتهى. قيل والمراد العقل الاكتسابي لأن العقل المطبوع كان حاصلًا لهم، والعقل عقلاً: مطبوع ومكسوب؛ ولما كانت الطريق لاكتساب العقل المكتسب هو الاستعانة بهذه القوى الثلاث كان إعراضهم عنها فقد العقل المكتسب ولهذا قيل: من فقد حساً فقد فقد عقلاً - انتهى (٣) من م ومد، وليس في ظ، وفي الأصل: وفي - كذا (٤) زيد من م وظ ومد (٥) ليس في مد (٦) العبارة من: آمرا لهم إلى هنا ليست في ظ (٧) وقال أبو حيان الأندلسي: لما أباح تعالى لعباده أكل ما في الأرض من الحلال الطيب وكانت وجوه الحلال كثيرة بين لهم ما حرم عليهم لكونه أقل، فلما بين ما حرم بقي =

بالأكل مما في الأرض ونهى عن اتباع خطوات الشيطان ، وأشعر
 الخطاب بأنهم ممن يتوجه الشيطان نحوهم للأمر بالسوء والفحشاء
 والقول بالهوى ، وأمر الذين آمنوا بالأكل ﴿ من طيبت ﴾ فأعرض
 في خطابهم عن ذكر الأرض لتناولهم الرزق من السماء ، فإن أدنى
 الإيمان عبادة من في السماء واسترزاق من في السماء كما قال للسوداء :
 أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة ، قال سبحانه وتعالى :
 ” وفي السماء رزقكم “ ، فأطعم الأرضيين وهم الناس مما في الأرض
 وأطعم السماويين وهم الذين آمنوا من رزق السماء كذلك ، وخص
 هذا الخطاب بلفظ ' الحلال لما كان آخذا رزقه من السماء متاولا طيبة
 لبرائه من حال مما ' في الأرض مما شأنه ضر في ظاهر أو أذى ٣ في
 باطن ، ولذلك ' لو كانت الدنيا دما ' عيطا ' لكان قوت المؤمن منها
 حلالا “ ، فالمرزق من السماء يصير المحرم له حلالا لأخذه منه
 عند / الضرورة تقوتا لا تشهيا ، ويصير الحلال له طيبا لاقتناعه منه

١٦٤

= ما سوى ذلك على التحليل حتى يرد منع آخر ، وهذا مثل قوله صلى الله عليه
 وسلم لما سئل عما يلبس المحرم فقال : لا يلبس القميص ولا السراويل ، فعدل
 عن ذكر المباح إلى ذكر المحظور لكثرة المباح وقلة المحظور ؛ وهذا من
 الإيجاز البليغ (٨) زيد في م : ” وقولوا انظرونا “ (٩) في مد : لذلك .
 (١) في م ومد وظ : لفظ (٢) في مد وظ : ما (٣) من م وظ ومد ، وفي
 الأصل : ادنى (٤) في الأصل : دنا ، والتصحيح من م ومد وظ (٥) في مد :
 غيبطا - كذا (٦) في الأصل : تسهيا ، والتصحيح من م ومد وظ .

بالكفاف دون التشهي^١ يستلونك ما إذا احل لهم قل احل لكم الطيب^٢ ،
 موافى مورد هذين الخطابين يان أن كلمة^٣ ”الناس“ واقعة على سن من
 أسنان القلوب و كلمة ”الذين آمنوا“ واقعة على سن فوقه وليس يقع
 على عموم يشمل جميع الأسنان القلبية ، فتوهم ذلك من أقفال^٤ القلوب
 التي تمتنع تدبر القرآن ، لأن خطاب القرآن يتوجه لكل أولى سن [على ٥
 حسب سن - ٥] قلوبهم ، لا يصلح خطاب كل سن إلا لله ، يتقاصر عنه
 من دونه ولا يحتاج إليه من فوقه ، وهي^٦ أسنان متعددة : سن الإنسان^٧ ،
 ثم سن الناس ، ثم سن الذين آمنوا ، ثم سن الذين يؤمنون ، ثم سن
 المؤمنين ، [ثم سن المؤمنين - ٨] حقاً ، ثم سن المحسنين ؛ هذه أسنان
 سبعة خطاباتها^٩ مرتبة^{١٠} بعضها فوق بعض ، ومن وراء ذلك أسنان ١٠
 فوقها من سن الموقنين ، وما وراء ذلك إلى أحوال أثناء هذه الأسنان من
 حال الذين أسلبوا والمسلمين ومن يوصف بالعقل والذكر والفكر
 والسماع وغير ذلك من الأوصاف التي تلازم تلك الأسنان في رتب
 متراقية^{١١} لا يشمل أَدْنَاهَا أعلاها ولا ينهض أَدْنَاهَا لرتبة خطاب أعلاها
 (١) من م و مد وظ ، وفي الأصل : التستهي (٢) سورة ٥ آية ٤ .
 (٣) وقيل : هذا الخطاب مؤكداً لقوله : ” يلجئها الناس كلوا مما في الأرض “ ،
 ولما كان لفظ الناس يعم المؤمن والكافر ، ميز الله المؤمنين بهذا النداء تشریفاً
 لهم وتنبهاً على خصوصيتهم (٤) في م : لفعال (٥) ما بين المربعين زيد من م وظ
 و مد (٦) في ظ : هين (٧) في مد : الأسنان (٨) زيد من مد ، ولا بد منه
 ليكون مجموع الأسنان سبعة كما سيبين (٩) في م : منطياتها - كذا (١٠) في نظ :
 مرتبة (١١) من م و مد ، وفي الأصل : متراقية ، وفي ظ : مجراقية .

إلى ما وراء ذلك من خصوص خطاب النبي صلى الله عليه وسلم فيه بما لا يليق إلا به وبين هو منه من إله ، وفي انتظام تفصيل هذه الرتب جامعة لما يقع من معناه في سائر القرآن - انتهى . ولما كانت هذه الرتبة كما تقدم أرفع من رتبة الناس خص في خطابهم بعد بيان ه أن ما لم يحل خيث فقال: "من طيبت" ولم يأت بذلك العموم الذي تألف به "الناس" .

ولما كانوا في أول طبقات الإيمان بينهم^٢ على الشكر بقوله في مظهر العظمة: ﴿ما رزقناكم ٣﴾^٤ وأخلصناه لكم من الشبه ، ولا تعرضوا لما فيه دنس كما أحله المشركون من المحرمات ، ولا تحرموا ما أحلوا^٥ منها من السائبة وما معها ثم صرح به^٦ في قوله [آمرأ أمرأ إيجاب -^٦]: ﴿واشكروا لله ٧﴾ أي^٨ وخصوا شكركم بالمنعم^٩ الذي لا نعمة إلا منه^٩ ،

(١) في ظ: بالف (٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل: بينهم - كذا (٣) ﴿ما رزقناكم﴾ فيه إسناد الرزق إلى ضمير المتكلم بنون العظمة لما في الرزق من الامتنان والإحسان ، وإذا نسرت الطيبت بالحلال كان في ذلك دلالة على أن ما رزقه الله ينقسم إلى حلال وإلى حرام - البحر المحيط ٨٥/١ (٤) العبارة من هنا إلى «وما معها» ليست في ظ (٥) ليس في ظ (٦) زيد من مد ، وفي م: امرأ أمرأ إيجاب - كذا (٧) هذا من الالتفات إذ خرج من ضمير المتكلم إلى اسم الغائب ، وحكمة ذلك ظاهرة لأن هذا الاسم الظاهر متضمن لجميع الأوصاف التي منها وصف الإنعام والرزق ، والشكر ليس على هذا الإذن الخاص - البحر المحيط (٨-٨) ليست في م ، وفي ظ: باقه - مكان: بالمنعم (٩) العبارة من «الذي» إلى هنا ليست في ظ .

وهذا بخلاف ما يأتي في سورة المؤمنين خطاباً لأعلى طبقات الخلق
وهم الرسل .

ولما كان الشكر لا يصح إلا بالتوحيد علقه باختصاصهم إياه بالعبادة
فقال: ﴿ ان كنتم اياه ﴾ أى وحده ﴿ تعبدون ٥ ﴾ فان اختصاصه
بذلك سبب للشكر ، فاذا اتقنى الاختصاص الذى هو السبب اتقنى الشكر ، ٥
و أيضاً إذا اتقنى المسبب الذى هو الشكر اتقنى الاختصاص لأن السبب
واحد ، فهما متساويان يرتفع كل واحد منهما بارتفاع الآخر . وقال
الحارلى : ولما كان هذا^١ الخطاب منتظماً لتناول الطيب و الشكر و حقيقته^٢
البذل من الطيب فشكر كل نعمة إظهارها على حدها من ' مال أو جاه
أو علم أو طعام أو شراب أو غيره و إنفاق فضلها و الاقتناع منها بالأدنى ١٠
و التجارة [بفضلها - °] لمبتغى الأجر و^٣ إبلاغها إلى أهلها لمؤدى^٤

(١) وفى البحر المحيط : ولا يراد بالشرط هنا إلا التثبت و الهز للنفوس ،
و كان المعنى العبادة له واجبة فالشكر له واجب ، وذلك كما تقول لمن هو
مستحق العبودية : إن كنت عبدى فأطعنى ، لا تريد بذلك التعليق المحض بل
تبرزه فى صورة التعليق ليكون أدعى للطاعة و أهز لها وقال
الزمخشري : إن صح أنكم تختصونه بالعبادة و تقررون أنه مولى النعم ، و عن النبي
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : إني و الجن و الإنس فى نأ عظيم أخلق
و يعبد غيرى و أرزق و يشكر غيرى - انتهى كلامه (٢) ليس فى مد (٣) من
م و مد و ظ ، وفى الأصل : حقيقة (٤-٤) وفى م و ظ و مد : جاء او مال .
(٥) زيد من م و ظ و مد (٦) فى م : أو (٧) من م و مد و ظ ، وفى الأصل :
كودى .

الأمانة لأن أيدي العباد خزان الملك الجواد . دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض . . فلما^١ كان ذلك لا يتم إلا بمعركة الله^٢ سبحانه . وقال الخلف^٣ على من أفتق كما قال ” وما أفقتم من شيء فهو يخلفه “^٤ . تبّهوا^٥ على عهدهم الذي لقنوه في سورة الفاتحة في قوله ” إياك نعبد وإياك نستعين “ فقيل لهم : كلوا واشكروا إن كنتم إياه تعبدون ؛ فمن عرف الله بالتكريم هان عليه أن يتكرم . ومن عرف الله بالإعانة والإحسان هان عليه أن يحسن . وهو شكره الله ، من أيقن بالخلف^٦ جاد بالعطية - انتهى .

و لما قيد الإذن لهم بالطيب^٧ من الرزق^٨ افتقر^٩ الأمر إلى تيان^{١٠} الخبيث منه^{١١} ليجنب فين صريحا^{١٢} ما حرم عليهم مما كان المشركون يستحلونه ويحرمون غيره^{١٣} وأفهم خل سماعده وأنه كثير جدا ليزداد المخاطب شكرا^{١٤} فقل : ﴿ إنما حرم عليكم ﴾ . وقال الحرالي : ولما كان إدراك المؤمنين لمقتضى الخطاب فوق إدراك الناس خاطبهم تعالى بذكر ما حرم عليهم فناظر ذلك ما نهى عنه الناس من اتباع خطوات

(١) في الأصل : كلما ، والتصحيح من م وظظ وتمد (٢) في م ومد : بالله . (٣) من م ومد وظظ ، وفي الأصل : الخلق (٤) سورة ٢٤ آية ٤ (٥) في الأصل : تبّهوا ، والتصحيح من م ومد وظظ (٦) في الأصل : بالخلق ، والتصحيح من م وظظ ومد (٧-٨) ليست في ظ (٨) من م ومد وظظ ، وفي الأصل : تبعث (٩) ليس في ظ (١٠) في م : سبحانه ، وليس في ظ .

الشيطان فقال: "إنما حرم" وأجرى^١ إضماره / على الاسم العظيم
 الأول إعلاما بأن الذي أذن لهم إنما حرم عليهم ما لا يصلح لهم^٢ بكل
 وجه لشدة مضرتهم عليهم في إحاطة ذواتهم بظاهرها وباطنها، لما ذكر
 أن المحرم إما لحرمة علوا كالبلد الحرام وتحريم الأمر، أو لحرمة دناءة
 كتحريم هذه المحرمات^٣، ففي كلمة "إنما" نفي لتوهّمات^٤ ما يلحقه
 التحريم بما دون المذكور هنا كأن قائلا يقول: حرم كذا وحرم
 كذا من نحو ما حرّمته الكتب الماضية أو حرّمته الأهواء المختلفة أو حرّمه
 نظر على كالذي حرّمه^٥ إسرائيل على نفسه، فكان الإفهام لرد تلك
 المحرمات كلها - انتهى - فالغنى والله سبحانه وتعالى أعلم أنكم حرّمتم
 الوصلة والسائبة وغيرهما مما أحله الله وأحلّتم الميتة والدم وغيرهما^٦
^٧ حرّم الله سبحانه وتعالى ولم^٨ يحرم الله عليكم من السائبة وما معها
 مما حرّمتموه ولا غيره مما استحلّتموه^٩ إلا ما ذكرته^{١٠} هذه الآية؛
 وإذا راجعت ما في^{١١} قوله سبحانه وتعالى في الانعام "فكلوا مما
 ذكر اسم الله عليه^{١٢}" وقوله "ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
 عليه^{١٣}" وقوله "قل لا اجد فيما اوحى الى [محرمات- ١٣]"^{١٤}
 (١) من م ومد وظ، وفي الأصل: اجزى (٢) ليس في م (٣) في مد: كما.
 (٤) من م وظ ومد، وفي الأصل: الحرمات (٥) في ظ: لتوهّمات (٦) من ظ،
 وفي بقية الأصول: حرم (٧-٧) في م: أحله الله وأحلّتم الميتة والدم وغيرهما
 مما حرّمه الله ولا (٨) في ظ: استخلفتموه (٩) زيد في م: لكم (١٠) من م
 وظ ومد، وفي الأصل: من (١١) سورة ٦ آية ١١٨ (١٢) سورة ٦
 آية ١٢١ (١٣) زيد من م. سورة ٦ آية ١٤٥.

من كتابي هذا عرفت المراد من هذه الآية . وقال ((الميتة))
 ' أى التى سماها بذلك أهل العرف ، وهى ٢ ما فارقته ٣ الروح من
 غير ذكاة شرعية وهو ' مما يذكى ' . قال الجرايى : وهى ما أدركه
 الموت من الحيوان عن ذبول القوة وفناء الحياة ، وهى ' أشد مفسد '
 للجسم لفساد تركيبها ' بالموت وذهاب تلذذ ' أجزائها وعتقها '
 ٥ وذهاب روح الحياة و الطهارة منها . ((والدم)) ' أى الجارى ' ' لأنه
 جوهر مرتكس عن حال الطعام ولم يبلغ بعد ' ' إلى حال الأعضاء ،
 فهو ميتة من خاص حياته مرتكس في جوهره إلا من طيب الله كلبته
 كما في محمد صلى الله عليه وسلم وفيمن نزع ' عنه خبث ١٣ الظاهر
 و الباطن طبعاً ونفساً . ((لحم الخنزير)) ' لأذاه ' ' للنفس ' ' كما حرم
 ١٠ ما قبله لمضرتهم في الجسم ، لأن من حكمة الله في خلقه أن من اغتدى ' ١٦

(١) العبارة من هنا إلى « يذكى » ليست في ظ (٢) في مد : هو (٣) من م ومد ،
 وفي الأصل : فارقة - كذا (٤) في م : هى (٥) قال أبو حيان الأندلسي : قيل
 حكى أبو معاذ عن النحويين الأولين أن الميت بالتخفيف الذى فارقته الروح ،
 والميت بالتشديد الذى لم يمت بل عاين أسباب الموت - البحر المحيط ١/ ٤٨٦ .
 (٦-٧) في ظ : أى اسد الميتة عليه (٧) من م ومد وظ ، وفي الأصل : تركيبها .
 (٨) في م ومد : تلرز (٩) من م ، وفي الأصل : عتقها ، وفي مد وظ :
 عتقها (١٠-١١) ليست في ظ (١١) في الأصل : بعدا ، والتصحيح من بقية
 الأصول (١٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : فرع (١٣) من م ومد وظ ،
 وفي الأصل : حيث (١٤) في الأصل : لاداة ، والتصحيح من بقية الأصول .
 (١٥) من م وظ ، وفي الأصل : النفس ، وفي مد : في النفس (١٦) من م ومد ،
 وفي الأصل وظ : اعتدى .

جسمه بجسمانية شيء اغتذت^١ نفسه^٢ بنفسانية ذلك الشيء^٣ والكبر
والخيلاء في الفدادين أهل الوب، والسكينة في أهل الغنم، فلما^٤ جعل
في الخنزير من الأوصاف الذميمة حرم على من حووظ على نفسه من
ذميم الأخلاق^٥؛ واللحم ما لحم بين أخفى ما في الحيوان من وسط عظمه
وما انتهى إليه ظاهره من سطح جلد، وعرف غلبه استعماله على رطبة^٥
الاحمر، وهو هنا على أصله في اللغة يجمع اللحم الاحمر والشحم والأعصاب
والعروق إلى حد الجلد وما اشتمل عليه ما بين الطرفين^٥ من أجزاء
الرطوبات، وإذا حرم لحمه الذي هو المقصود بالأكل وهو أطيب

(١) من م ومد وظ، وفي الأصل: اعتذت (٢) من م وظ ومد، وفي
الأصل: نفسانيته (٣) في م: فكما، وفي ظ: كلما (٤) في البحر المحيط ١/٨٧
و ٤٨٨: ولم يذكر الله تعالى حكمة في تحريم أكل الميتة والدم ولا جاء نص عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، ولو تعبدنا تعالى بجواز أكل الميتة
والدم لكان ذلك شرعا يجب اتباعه، وقد ذكروا أن الحكمة في تحريم الميتة
جهود الدم فيها بالموت وأنه يحدث أذى للأكل، وفي تحريم الدم أنه بعد
خروجه يجمد فهو في الأذى كالجمد في الميتة، وهذا ليس بشيء لأن الحس
يكذب ذلك، وجدنا من يأكل الميتة ويشرب الدم من الأمم صورهم
وسمعتهم من أحسن ما يرى وأجمله ولا يحدث لهم أذى بذلك..... وعلّة
تحريم الخنزير قالوا: تفرد النصارى بأكله فنهى المسلمون من أكله ليكون
ذلك ذريعة إلى أن تقاطعهم إذ كانت الخنزير من أنفس طعامهم، وقيل:
لكونه ممسوخا فنلفظ تحريم أكله لخبث أصله، وقيل: لأنه يقطع الغيرة ويذهب
بالأنفة (٥) في م: الطرفين (٦) العبارة من هنا إلى «بالتحريم» ليست في ظ.

ما فيه كان غيره من أجزائه أولى بالتحريم .

ولما حرم ما يضر الجسم و يؤذى النفس حرم ما يرين على القلب
فقال: ﴿ وما اهل ﴾ والإهلال رفع الصوت لرؤية أمر مستعظم
﴿ به ﴾ أى رفع ' رافع الصوت بسية ذابحا ﴾ (غير الله ج) ٣ أى
الذى لا كفوه له بوجه . قال الحراي : لأن ما لم يذكر عليه اسم الله
أخذ من يد من ذكر عليه اسمه وليس ذلك خالقه و مالكه، إنما
خالقه . مالكه الله الذى جعل ذكر اسمه عليه إذنا فى الاتفاق به وذكر
على إزهاق الروح من هى من نفخته لا من لا يحد للنعوى فيها

(١) العبارة من هنا إلى « ذابحا » ليست فى ظ (٢) ايس فى م (٣) العبارة من هنا
إلى « الحراي » ليست فى ظ (٤) قال الأندلسي : ما ذبح للأصنام والطواغيت -
قاله ابن عباس ومجاهد وقادة والضحاك ، أو ما ذكر عليه اسم غير الله - قاله
الربيع بن أنس أو غير أو ما قصد به غير وجه الله تعالى للتفاخر
والتباهى - قاله على والحسن ومنع الحسن من أكل جزور ذبحتها
امرأة لاعبها وقال : إنها نحررت لصنم ؟ وسئلت عائشة عن أكل ما يذبحه
الأعاجم لأعيادهم ويهدون للمسلمين فقالت : لا تأكلوه و كلوا من أشجارهم ؟
والذى يظهر من الآية تحريم ما ذبح لغير الله فيندرج فى لفظ « غير الله »
الصنم والمسيح والفخر واللعب ، ومسمى ذلك إهلالا لأنهم يرفعون أصواتهم
باسم المذبح له عند الذبيحة ، ثم توسع فيه و كثر حتى صار اسما لكل ذبيحة
جهر عليها أو لم يجهر - البحر المحيط ٤٨٩/١ (٥) من م ومد و ظ ، وفى الأصل :
من (٦) من م ومد ، وفى الأصل : لم تذكر ، وفى ظ : لم تذكر - كذا (٧) زيد
« لا » فى م و ظ ومد (٨) فى م : مجد ، وفى ظ : نجد .

سبيلا من الخلق . وذكر الإهلال إعلام بأن ما أعلن عليه بغير اسم الله هو أشد المحرم ، ففي إفهامه تخفيف الخطاب عما لا يعلم من خفي الذكر . قالوا : يا رسول الله ! إن ناسا يأتوننا بلحام لا ندرى أسموا الله عليها أم لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سموا الله أتم وكلوا ، فكان المحرم ليس ما لم يعلم ، أن اسم الله ذكر عليه بل الذي علم أن غير اسم الله قد أعلن به عليه ، وفي تقدم إضمار المحرم في قوله " به " تأكيد لمعناه لأنهم يقدمون ما هم به أهم وهم بيانه أغنى ، قال صلى الله عليه وسلم : «أبدأوا بما بدأ الله به » ، فلما كانت هذه الآية جامعة آى التحريم أظهر فيها تقديم العناية بالمحرم وهى في الإللاغ أنهى معنى " من الذى " أخر فيها " هذا الضمير .

١٠

ولما كان هذا الدين يسرا " لا عسر فيه ولا حرج ولا جناح [رفع حكم ١٣ هذا التحريم عن "المضطر ، ولما كان شأن الاضطراب أن يشمل جمعا من الخلق أنبأهم تعالى بأن هذا الذى رفع عنهم من التحريم لا يبرأ " (١) من م وظ ومد ، وفي الأصل : عن (٢) في م وظ ومد : لمعان . (٣) ليس في م ومد وظ (٤) ليس في م (٥) في الأصل : تقدمون ، والتصحيح من ظ وم ومد (٦) في ظ : بينائه (٧) من م وظ ومد ، وفي الأصل : قوله (٨) في م : لآى (٩) من مد وظ ، وفي الأصل وم : انتهى . (١٠) في الأصل : يعنى ، والتصحيح من بقية الأصول (١١-١٢) من مد وظ ، وفي الأصل : اخوفها ، وفي م : اخرفها (١٢) في م : يسيرا (١٣) ليس في م وظ (١٤) في م : من (١٥) في ظ : لا يبدأ .

من كلية الاحكام بل يبقى مع هذه الرخصة موقع ' الاحكام ' في البغى
و العدوان [٣-] فقال: ((فمن اضطر)) أى [أحوجه بحوج وألجأه ملجئ. بأى
ضرورة كانت -٤] إلى أكل ' شئ مما حرم / بأن أشرف على التلف فأكل
من شئ منه حال كونه ((غير باغ)) أى ' قاصد فسادا ' بمكيدة
٥ يكيد بها لضعفه آخذا من تلك ' الميتة ' هو أقوى منه كأن يحمله ' على
غيرها خداعا منه ليستأثر عليه بالأحسن منها ((ولا عاد)) على غيره
بأن يكون أقوى منه فيدفعه ' عنها ، ولا مجاوز ١٠ لسد الرمق وإزالة
الضرورة ١١ ؛ ' ويدخل فى الآية أن من بغى ١٢ على إمام أو ' قصد
بضربه فى الأرض فسادا أو عدا على أحد ظلما فحصل له ' بسبب ذلك
١٠ مخمصة ' لا يحل ' له ما كان حراما لأن فى ذلك إعانة له على معصيته ' ،
فان تاب استباح ' ((فلا أثم عليه ٢٠)) لا من التحريم الأول ولا

(١) فى م : موضع (٢) فى م وظ : للأحكام (٣) العبارة زيدت من م ومد
وظ (٤) زيدت من م ومد (هـ) من م ومد وظ ، وفى الأصل : كل .
(٦-٦) من م ومد وزيد بعده فى م : به ، وليس فى ظ ، وفى الأصل : قاصد
فاسدا (٧) فى ظ : نكده (٨) فى ظ : يهله ، ولا يتضح فى م (٩) من م ومد
وظ ، وفى الأصل : قيدته (١٠) من م ومد وظ ، وفى الأصل : تجاوز (١١) فى
م : الضرر (١٢) العبارة من هنا إلى « بسبب ذلك » ليست فى ظ .
(١٣) من م ، وفى الأصل ومد : بقى (١٤) فى م : و (١٥) ليس فى م (١٦) فى
م : مخمصة ، وفى مد : مخمصة (١٧) فى م : تحل ، وفى مد : محل - كذا .
(١٨) فى م : معصية (١٩) وفى البحر المحيط ٤٨٩/١ : وقال عكرمة و قتادة
والربيع وابن زيد وغيرهم : غير قاصد فساد وتعد بأن يجد عن هذه المحرمات =

من الحكم الآخر ، ولو كان رفع الإثم دون هذين الاشتراطين لوقع بين المضطرين من البغي والتسلط ما مثله لا يحل لغير المضطرين ، فأتى الإثم على صحة من الأمرين وارتفاع الحكيم^١ ، ففي السعة يجنب ما يضر وفي الضرورة^٢ يؤثر^٣ ضرورة الجسم لقوامه على حكم الكتاب في إقامته ، وفي إفهامه أن من اضطر لشيء مما حرم عليه فأكله لم تنله^٤ ه مضره ، لأن الله سبحانه وتعالى إذا أباح شيئا أذهب ضرره ، وإن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها ، فقيه^٥ تنبيه لتغيير هذه الأعيان للضطر عما كانت عليه حتى تكون رخصة في الظاهر و تطيبا^٦ في الباطن^٧ ، فكما^٨ رفع عنه حكمها الكتابي يتم فضله فيرفع عنه ضررها الطبيعي .

١٠

ثم علل هذا الحكم مرهبا مرغبا بقوله : ﴿ ان الله ﴾ فأتى بهذا الاسم المحيط إشارة إلى عموم هذا الحكم للضطر والموسع ، وفي قوله : ﴿ غفور^٩ ﴾ إشعار بأنه لا يصل إلى حال الاضطرار إلى ما حرم

= مندوحة ، وقال ابن عباس والحسن : غير باغ في الميتة في الأكل ولا عاد بأكلها وهو يمجدها ، وهو يرجع لمعنى القول قبله وبه قال أبو حنيفة ومالك ، وأباح هؤلاء للبغاة الخارجين على المسلمين الأكل من هذه المحرمات عند الاضطرار كما أباحوا لأهل العدل (٢٠) ليس في مد .

(١) في ظ : الحكم (٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : الضروري (٣) من م ومد وظ ، وفي الأصل : يؤثر (٤) في ظ : لم ينله (٥) من م ومد وظ ، وفي الأصل : قصة (٦-٧) في مد : للباطن (٧) من م ومد وظ ، وفي الأصل : فلما . (٨) لما ذكر أشياء محرمة اقتضى المنع منها ثم ذكر إباحتها للضطر في تلك الحال =

عليه أحد إلا عن^١ ذنب أصابه، فلولاً المغفرة لثمت^٢ عليه عقوبته،
 لأن المؤمن أو المؤمن^٣ لا تلحقه ضرورة، لأن الله سبحانه وتعالى
 لا يعجزه شيء. وعبد الله^٤ لا يعجزه ما لا يعجز ربه^٥ "وإن كانوا
 من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين^٦"، فاليأس الذي يحوج إلى
 ضرورة إنما يقع لمن هو دون رتبة اليقين ودون رتبة الإيمان، جهز
 رسول الله صلى الله عليه وسلم [جيشاً -^٧] فقنيت أزوادهم فأقاموا
 أياماً يتقوتون^٨ ييسر حتى تقوتوا بتمرة تمر فأخرج الله لهم الغنبر
 دابة من البحر^٩، فلم يحوجهم في ضرورتهم إلى ما حرم عليهم بل
 جاءهم في ضرورتهم بما هو أطيب ما كلهم في حال السعة من صيد
 البحر الذي هو الطهور ماؤه الحبل ميتته^{١٠}. وفي قوله: ﴿رحيم﴾

= المقيدة له اتبع ذلك بالإخبار عن نفسه بأنه تعالى ﴿غفور رحيم﴾ لأن المخاطب
 يصدد أن يخالف فيقع في شيء من أكل هذه المحرمات، فأخبر أنه غفور للعصاة إذا
 تابوا رحيم بهم، أو لأن المخاطب إذا اضطر فأكل ما يزيد على قدر الحاجة فهو
 تعالى غفور له ذلك، رحيم بأن أباح له قدر الحاجة، أو لأن مقتضى الحرمة قائم
 في هذه المحرمات ثم رخص في تناولها مع قيام المانع فعبر عن هذا الترخيص
 والإباحة بالمغفرة؛ ثم ذكر بعد الغفران صفة الرحمة أي لأجل رحمته حتى يسكنكم
 أبحت لكم ذلك - البحر المحيط ٤٩١١.

(١) في م: من (٢) في مد: اتمت (٣) في ظ: المؤمن (٤-٥) ليست في مد.
 (٥) سورة ٣٠ آية ٤٩ (٦) زيد من م ومد وظ (٧) من م ومد وظ، وفي
 الأصل: يتقون (٨) من م ومد وظ، وفي الأصل: الأرض (٩) من م
 ومد وظ، وفي الأصل: ميتة.

إنباء بأن من اضطر فأصاب^١ مما اضطر إليه شيئا لم يبيغ^٢ فيه ولم يعد
 تناله^٣ من الله رحمة توسعه من^٤ أن يضطر بعدها إلى مثله فيغفر
 له الذنب السابق الذي أوجب الضرورة و يناله بالرحمة الموسعة التي ينال
 بها من لم يقع منه ما وقع بمن اضطر إلى مثله - انتهى؛ وتصرفت فيه .
 ولما كان في بيان هذه المحرمات الإشارة إلى عيب من استحلها من هـ
 العرب^٥ وترك ما أمر به من الطيبات^٦ جهلا^٧ و تقليدا تلاها^٨ بتكرير
 عيب الكافرين لما عندهم من الحق مما أنزل في كتابهم من^٩ صفة النبي
 صلى الله عليه وسلم و أمر الحج و^{١٠} أمر القبلة وغيرها مما يصدق هذا
 الكتاب الذي لا ريب فيه^{١١} خوفا على انقطاع ما كان يهدي إليهم
 لرئاستهم من دينهم على وجه عائب^{١٢} لهم لاستحلالهم أكل السمكت على^{١٣}
 علم مبين أنهم استحقوا الذم من وجهين : أحدهما نفس الأكل^{١٤} على
 هذا الوجه المؤدى إلى الإعراض عن الطيبات والموافقة^{١٥} للعرب ،
 الثاني كونه على كتمان ما يعلمون من الحق فقال^{١٦} : ﴿ ان الذين

(١) من مد و ظ ، وفي م : فاصابه ، وفي الأصل : فاجاب (٢) في الأصل : لم يقع ،
 والتصحيح من م و مد و ظ (٣) في ظ : يناله ، وفي مد : تناوله (٤) في م و ظ
 و مد : عن (هـ - هـ) ليست في ظ (٦) ليس في م (٧) من هنا إلى « من دينهم »
 ليست في ظ (٨) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : غائب (٩) العبارة من هنا
 إلى « للعرب » ليست في ظ (١٠) في م : الموافقة (١١) روى عن ابن عباس أنه
 قال إن الملوك سألوا علماءهم قبل المبعث : ما الذي تجدون في التوراة ؟ فقالوا :
 نجد أن الله يبعث نبيا من بعد المسيح يقال له محمد بتحريم الربا والخمر والملاهي
 وسفك الدماء ، فلما بعث قالت الملوك لليهود : هذا الذي تجدونه في كتابكم =

يكتُمون ﴿ مؤكداً لزمهم بأنواع التأكيد، ولقد بدع إيلأؤه اصفى
 المقفرة والرحمة كما ختم آية الكتمان الأولى بوصف التوبة والرحمة،
 فكان [مع ما فيه من الترغيب - ١] من قبيل الاحتراس [أى إنه - ٢]
 إعانة لا يغفر لمثل هؤلاء إلا أن اتصفوا ٣ بما أشارت ٢ إليه الآية الأولى
 ه من التوبة . قوله : ﴿ ما أنزل الله ﴾ باسناد الإنزال ٤ إلى اسمه الاعظم
 لإحاطة الكتاب بمختلفات الأحكام ﴿ من الكتب ﴾ أى من حدوده
 وأحكامه وغير ذلك بما أشارت إليه الآية الأولى بالبينات والهدى
 من الحكم والأحكام .

ولما كان من الكتم ما يكون لقصد خير، فكم من كلمة حق
 ١٠ أريد بها باطل ! قيده بقوله : ﴿ و يشترون * به ثمننا ﴾ قال الحرالي :
 / ١٦٧ والتمن ما لا ينتفع / بعينه حتى يصرف إلى غيره من الأعواض ١ ،
 فالإبعاد ٢ على ما يتضمن جهل الكاتم و حرصه باستكسابه بالعلم وإجرائه
 = فقالوا طمعاً في أموال الملوك : ليس هذا بذلك النبي ، فأعطاهم الملوك الأموال ،
 فأنزات إكذاباً لهم - البحر المحيط ٤٩١/١ .

(١) زيدت من م ومد وظ (٢) زيد من م ومد وظ غير أن « اى » ليس
 فى ظ (٣-٣) من م ومد وظ ، وفى الأصل : كإشارات (٤) ليس فى م .
 (٥) فى البحر المحيط : لما تعوضوا عن الكتم شيئاً من سمحت الدنيا أشبه ذلك
 البيع والشراء لانطوائها على عوض ومعوض عنه فأطلق عليه اشتراء (٦) من
 م وظ ومد ، وفى الأصل : فالأعراض (٧) فى م : غلاياض ، وفى ظ :
 والأبعاد .

في غير ما أجراه الله^١ تعالى على السنة أنبيائه "وما استلکم علیہ من اجر^٢"، ولما كان^٣ كل ما لم يثبت من^٤ خير الدنيا في الآخرة وإن جل حقيرا^٥ قال: ﴿قل لا﴾ هذا المراد لا تقيده بالقليل .

ولما كانوا قد بعدوا عن^٦ مواطن الرحمة يخطهم بما لا ينقصه^٧ الإنفاق أشار إليهم بأداة اليعد فقال: ﴿اولئك﴾ و^٨ في خطاب النبي ه صلى الله عليه وسلم به^٩ إشعار بوقوع ذلك من طائفة من أمته حرصا على الدنيا ﴿ما ياكلون﴾ أى في هذه الحال على ما دلت عليه 'ما' .

"ولما كان الأكل يطلق على مجرد الإفساد حقق معناه بقوله : ﴿في بطونهم﴾ جمع بطن وهو فضاء "جوف ثشيء الأجوف، لغيبته عن ظاهره الذي هو ظهر ذلك البطن ﴿الا النار﴾ كما أحاط عليه" سبحانه ١٠

وتعالى بالغيب ان ذلك على الحقيقة ويصره لعيون أهل الكشف الذين يرون العواقب في الأوائل والغيب في الشهادة، وفي ذكره بصيغة الحصر نفى لتأويل ١٢ المتأول بكونه سببا وصرف^{١١} له إلى وجه التحقيق الذي يناله

(١) ليس في م ومد (٢) سورة ٢٦ آية ٩: ١ (٣-٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل: من لم يثبت من من - كذا (٤) من م ومد وظ ، وفي الأصل: حقير . (هـ) من م ومد وظ ، وفي الأصل: لا تقيده (٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل: من (٧) من م ومد ، وفي الأصل: لا ينقصه ، وفي ظ : لا ينقصه (٨) ليس في مد (٩) ليس في م (١٠-١٠) ليست في ظ (١١) في الأصل: قضا ، والتصحيح من بقية الأصول (١٢) من م وظ ومد ، وفي الأصل: علم (١٣) في م ومد : التأويل (١٤) من م ومد وظ ، وفي الأصل: حرف - كذا .

نظم الدرر (سورة البقرة ٢: ١٧٤ و ١٧٥) ج - ٢

الكشف ويقصر عنه الحس، فكانوا في ذلك كالحذر الذي يجعل يده
في الماء الحار ولا يحس به فيشعر ذلك بموت حواس هؤلاء عن حال
ما تناولوه^١.

ولما قدم الوعيد في الثمن لكونه الحامل على الكتم اتبعه وعيد
٥ نفس الكتم فقال: ﴿ولا يكلمهم الله﴾ أى 'الملك الأعظم الذى من
كله أقبل كل شئ عليه كلما يدل على مرضى' لكونهم لم يكلموا
الناس بما كتب عليهم وقال: ﴿يوم القيمة﴾ تأكيد لما أشارت إليه
ما^٢ من أن المراد بالذى قبله الحال ﴿ولا يذكهم﴾ أى 'يطهرهم
من دنس الذنوب أو يثني عليهم أو ينمى أعمالهم' بما يحصل لهم من
١٠ الميثاق في يوم التلاق كما يركى بذلك من يشاء من عباده لأنهم كتموا
عن العباد^٣ ما يذكهم و^٤ في هذا تعظيم لذنوب كتموا العلم ﴿ولهم﴾
مع هذا العذاب ﴿عذاب اليم﴾ لما أوقعوا فيه الناس من التعب
بكتمهم^٥ عنهم ما يقيمهم على المحجة^٦ السهلة^٧.

(١) في ظ: تنالوه (٢-٢) ليست في ظ. وفي مد «قيل» مكان «اقبل». .
(٣) ليس في م (٤) في ظ: امن (٥-٥) ليست في ظ (٦) من م وظ ومد، وفي
الأصل: العبادة (٧) من م ومد وظ، وفي الأصل: يكتهم (٨) من م ومد
وظ، وفي الأصل: الحجة (٩) (وناسب) ذكر هذه الآية ما قبلها لأنه تعالى
ذكر في الآية قبلها إباحة الطيبات ثم فصل أشياء من المحرمات فناسب أن يذكر
جزاء من كتم شيئا من دين الله وما أنزله على أنبيائه فكان ذلك تحذيرا أن يقع
المؤمنون فيما وقع أهل الكتاب من كتم ما أنزل الله عليهم واشترائهم به ثمنا
قليلًا - البحر المحيط ٤٩٣/١.

ولما ذكر جزاءهم اتبعه ترجمة^١ حالهم مؤكدا لعدم فقال: ﴿اولئك
الذين اشتروا^٢﴾ أى لجأوا وتمادوا فى الغى ﴿الضلالة﴾ عن طريق^٣
الخير ﴿بالهدى﴾ ولما ذكر حالهم فى الدنيا اتبعه أمر الآخرة فقال:
﴿والعذاب﴾ بارتكابهم هذه الموبقة ﴿بالمغفرة ج﴾ التى كانت تنجيهم^٤
إذا حث صفائهم لو سلخوا من هذه العضلة^٥ التى كانت سببا لضللال^٥
خلق كثير فكان عليهم وزرهم. ولما جعل سبحانه وتعالى أول
مأكلهم نارا و آخر أمرهم عذابا و ترجمة حالهم عدم المغفرة فكان
بذلك أيضا أوسط حالهم نارا سبب عنه التعجب^٦ من أمرهم بحسبهم^٧
أنفسهم فى ذلك الذى هو معنى الصبر^٨ لالتباسهم بالنار حقيقة أو بموجباتها
من غير مبالاة^٩ فقال: ﴿فا اصبرهم﴾ أى ما أشد حبسهم أنفسهم^{١٠}
أو ما أجرامهم ﴿على النار﴾ التى أكلوها فى الدنيا فأحسوا بها فى
الآخرة - ذكر^{١١} كثيرا من^{١٢} ذلك الحرام^{١٣} غير أنى تصرف فيه^{١٤}؛

(١) من م ومد وظ، وفى الأصل: ترجمة (٢) قال أبو حيان الأندلسي: وفى لفظ
”اشتروا“ إشعار بإيثارهم الضلالة والعذاب، لأن الإنسان لا يشتري إلا
ما كان له فيه رغبة ومودة واختيار وذلك يدل على نهاية الخسارة وعدم
النظر فى العواقب (٣) من م وظ ومد، وفى الأصل: طرق (٤) من م
ومد وظ، وفى الأصل: ينجيهم (٥) فى م: العضلة، وفى مد: العضلة (٦) فى
م: كلمهم - كذا (٧) فى م: التعجب (٨) فى م: يحسبهم (٩-٩) ليست فى ظ،
وفى م «بنموحياتها» مكان «بنموحياتها» (١٠) العبارة من هنا إلى «تصرفت
فيه» ليست فى ظ (١١) فى م: الآخرة (١٢) من مد، وفى الأصل وظ: ذكرا،
وفى م: ذلك - كذا (١٣) من م وظ ومد، وفى الأصل فقط: فى (١٤) قال =

وإذا جعلته مجازا كان مثل قولك لمن عاند السلطان: ما أصبرك على السجن الطويل والقيد الثقيل! تهديدا له .

ولما ذكر جزاءهم^١ وشرح حالهم والتعجب من أمرهم ذكر السبب الموجب لهذا الإبعاد العظيم والتهديد الكبير فقال: ﴿ذلك﴾ مشيرا بأداة البعد ﴿بأن الله﴾ فذكر الاسم الأعظم أيضا^٢ الذى معناه أن له جميع صفات الكمال^٣ تعظيما للمقام ﴿نزل الكتب﴾ أى الجامع لأنواع الهدى ﴿بالحق ط﴾ منجما تقريبا للفهام وتدريرا للخاص والعام، وهو صالح لإرادة القرآن والتوراة^٤ أى الثابت الكامل فى الثبات^٥، فمن كتمه فقد حاول نفي ما أثبتته الله تعالى فقد ضاد الله ١٠ فى ملكه، ومن خالف فيه وهو الذى لا شبهة تلحقه فقد عد الواضح ملبسا فقد أبعد المرمى .

ولما كان التقدير: فاختلفوا، اتبعه قوله: ﴿وان الذين اختلفوا﴾ أى خالف بعضهم بعضا ﴿فى الكتب﴾ نفسه أى لا فى فهمه، وهذه العبارة تدل على [ان - °] الاختلاف قول بعض فى الكتاب كله

= الأندلسى: وقال الزمخشري ﴿فما أصبرهم على النار﴾ تعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم، انتهى كلامه وانتهى القول فى أن الكلام تعجب، وذهب معمر بن المغيرة والبرد إلى أن ما استفهامية لا تعجبية وهو استفهام على التوبيخ لهم أى شئ، صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل، وهو قول ابن عباس والسدى ٤٩٥/١ .

(١) من م وظ، وفى الأصل ومد: جراهم - كذا (٢-٢) ليست فى ظ .
(٣-٣) ليست فى م (٤) ليس فى مد (٥) زيد من م .

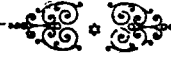
أو في شيء منه هو باطل و الإقرار ببعض أحكامه و الإنكار لبعضها
و تحريف الكلم عن مواضعه و نحو هذا ﴿لني شقاق﴾ ' لكون '
كل واحد ٣ منهم في شق / ﴿بعيده﴾ جدا عن شق أهل الحق ،
و لذلك ' خاف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من ' اختلاف أهل
هذا الدين في القرآن كما اختلف اليهود و النصارى فجمعوهم على مصحف ٥
واحد ، فليس الاختلاف في وجوه الروايات و أنحاء الفهم من ذلك ؛
وقد وقع كما ترى تنبيه المشركين من العرب بدون ما تضمنه تنبيه بني
إسرائيل من التفرع و التويخ لفرقان ما بينهم ، لأن كفر المشركين
عن جهل و كفر أولئك عن تعنت بعد تكرار مشاهدة الآيات ' ، و من
تدبر القرآن و طالع التوراة علم طول مكث موسى عليه الصلاة و السلام ١٠
فيهم يتلو عليهم التوراة على حسب تنزيلها شيئا فشيئا و أنهم كانوا مع
ذلك كلما شاهدوا آية أحدثوا كفرا و خلعوا شكرا و سألوها غيرها

(١) و كنى بالشقاق عن العداوة و وصف الشقاق بالبعد إما لكونه بعيدا عن
الحق أو لكونه بعيدا عن الألفة أو كنى به عن الطول أى في معاداة طويلة
لا تنقطع ، و هذا الاختلاف هو سبب اعتقاد كل طائفة أن كتابها هو الحق
و أن غيره افتراء و قد كذبوا في ذلك ، كتب الله يشبه بعضها بعضا و يصدق
بعضها بعضا - البحر المحيط ١/ ٤٩٦ (٢) في م : يكون ، و في ظ و مد : يكون .
(٣) ليس في م (٤) من م و ظ و مد ، و في الأصل : كذلك (٥) ليس في ظ .
(٦) من م و مد و ظ ، و في الأصل : انجأ - كذا (٧) من م و مد و ظ ،
و في الأصل : لايات - كذا .

عنادا ومكرا " وجعلنا قلوبهم قسية " و قد مر من ٢ أول السورة
عن التوراة كثير من ذلك وسيأتى إن شاء الله تعالى بقیته ٣ فى المواضع
الثلاثة به من آیات القرآن . وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : ومتى
بین شیء فى الكتاب العزیز من أحوال النصارى فلیس على ما ورد من
مثله فى اليهود لما ذکر أى من أن كفرهم تعنت ، و خطاب مشرکى
العرب فیما أشیر إلیه دون خطاب الفريقین إذ قد تقدم لهم ما
لم يتقدم للعرب و بشروا فى كتبهم و لیس لمشرکى العرب مثل ذلك ؛
و الزیغ عن الهدى شامل للكل و لیسوا فى شیء من الصراط المستقیم
مع أن ٤ أسوأ الأحوال حال من أضله الله على ٥ علم ؛ و هنا انتهى
١٠ ذکر ما حذر منه و نهى عنه من أراد سلوك ٦ الصراط المستقیم و بیان
حال من حاد ٧ عنه و تنكب و ظن أنه على شیء و ضم ٨ مفترق
أصناف الزائغین فى أصناف ثلاثة و هم اليهود و النصارى و أهل الشرك ،
و بهم یلحق سائر من تنكب فیلحق بالیهود منافقو أمتنا بمن ارتاب ٩
بعد إظهار إیمانه و فعل أفاعلیهم من المكر و الخدیعة و الاستهزاء ،
١٥ و ١٠ یلحق بالنصارى من اتصف بأحوالهم . و بالمشرکین من جعل لله
سبحانه و تعالى ندا و اعتقد فعلا لغيره على غیر طريقة الکسب ؛

(١) سورة ه آية ١٣ (٢) فى م و ظ و مد : فى (٣) من م و ظ و مد ، وفى
الأصل : بقية (٤-٤) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : لان (ه) لیس فى م .
(٦) فى م : شکوک (٧) فى م : حال (٨) من م و ظ ، وفى الأصل : ضد ، وفى
مد : علم (٩) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : ارباب (١٠) لیس فى ظ .

والمجوس لاحقون بأهل الشرك . والشرك أكثر هذه الطرق الستة
 تشعبا ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: الشرك أخفى من ديب النمل،
 وإن فعل أفعال من ذكره ولم يترك به الأمر إلى مفارقة دينه والخروج
 في شيء من اعتقاده خيف عليه أن يتكون ذلك وسيلة إلى اللحق
 بمن تشبه به ، وإلى هذا أشار عليه الصلاة والسلام بقوله: أربع
 منكن فيه كان منافقا خالصا: إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ،
 وإذا وعد أخلف ، وإذا عاظم فجور - إلى أشباه هذا من الأحاديث ؛
 انتهى .



خاتمة الطبع

تم بئنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثانى من تفسير «نظم الدرر
فى مناسبات الآيات و السور» للشيخ العلامة أبى الحسن إبراهيم بن عمر
البقاعى الشافعى رحمه الله يوم الخميس الثالث عشر من شهر ربيع الآخر
سنة ١٣٩٠ هـ = ١٨ يونيو سنة ١٩٧٠ م .

و قد اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الأستاذ الأديب فضيلة
الشيخ السيد محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية بحيدرآباد الدكن عم فيضه !
و عني بتنقيحه راقم هذه الخاتمة ، تحت إدارة الأريب اللبيب صاحب
الفضيلة السيد محامد على العباسى مدير الدائرة و عميدها - أبقاه الله
لخدمة العلم و الدين .

و يليه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى أوله « و لما بين سبحانه
و تعالى كفر أهل الكتاب الطاعنين فى نسخ القبة - الخ » .
و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
و يرضاه ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله
و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله الرشيد القادري

(كامل الجامعة النظامية)

صدر المصححين - بدائرة المعارف العثمانية